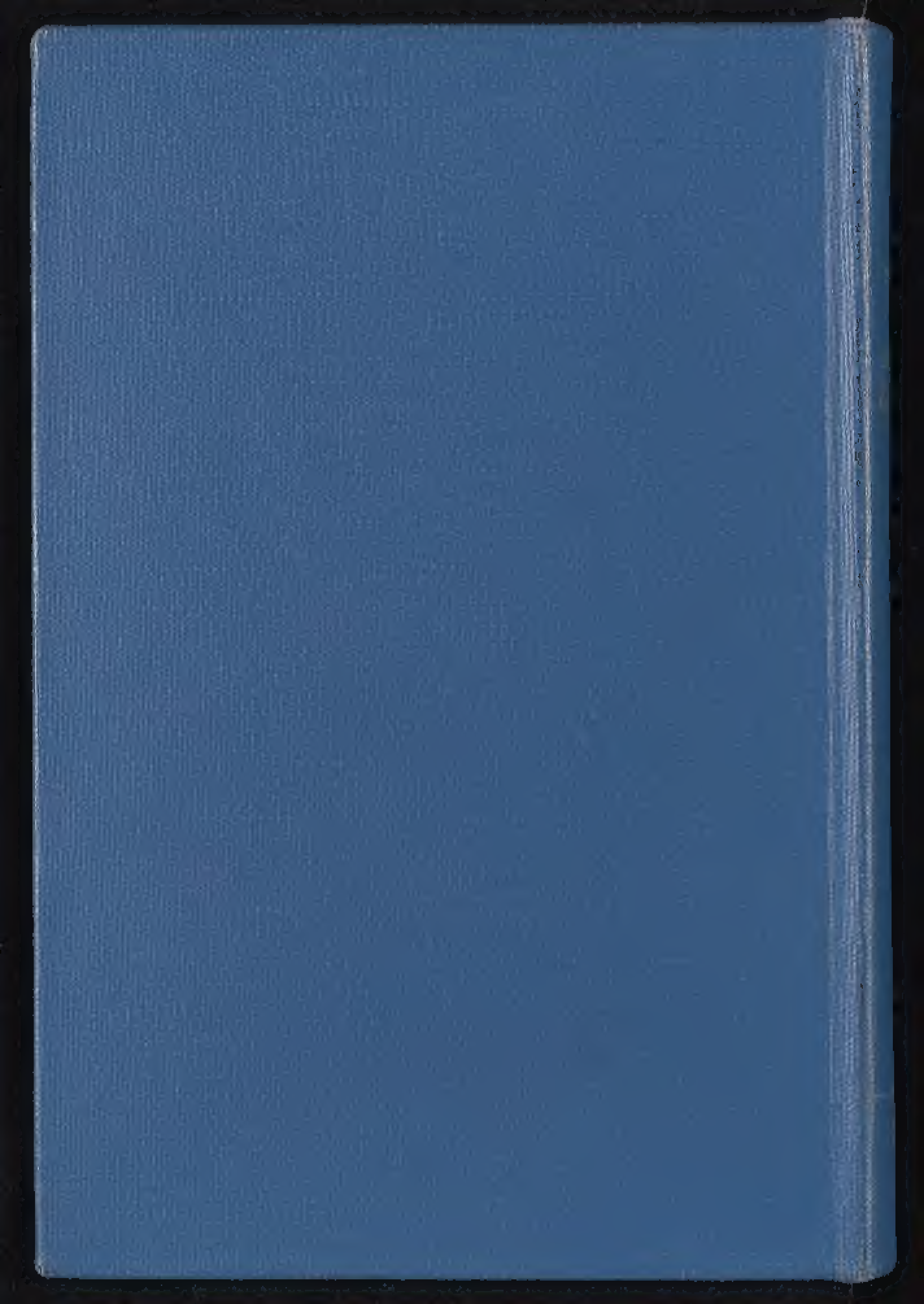

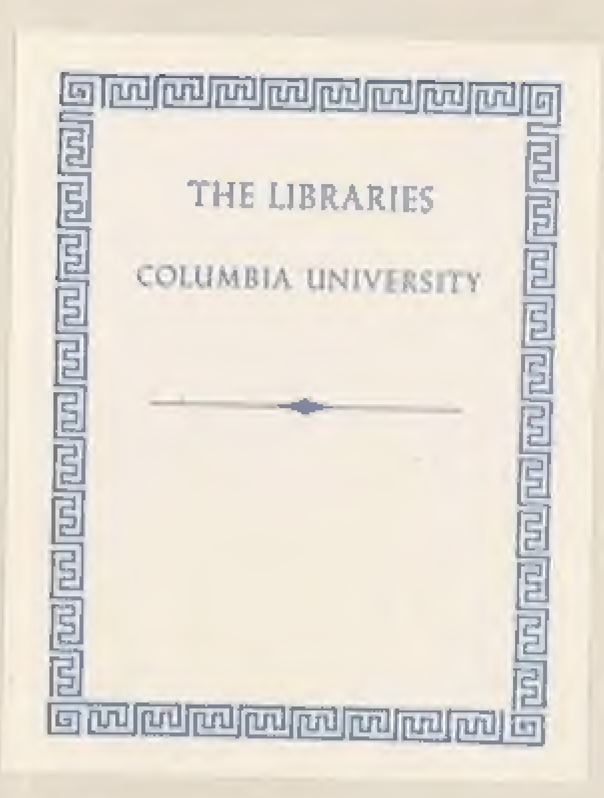

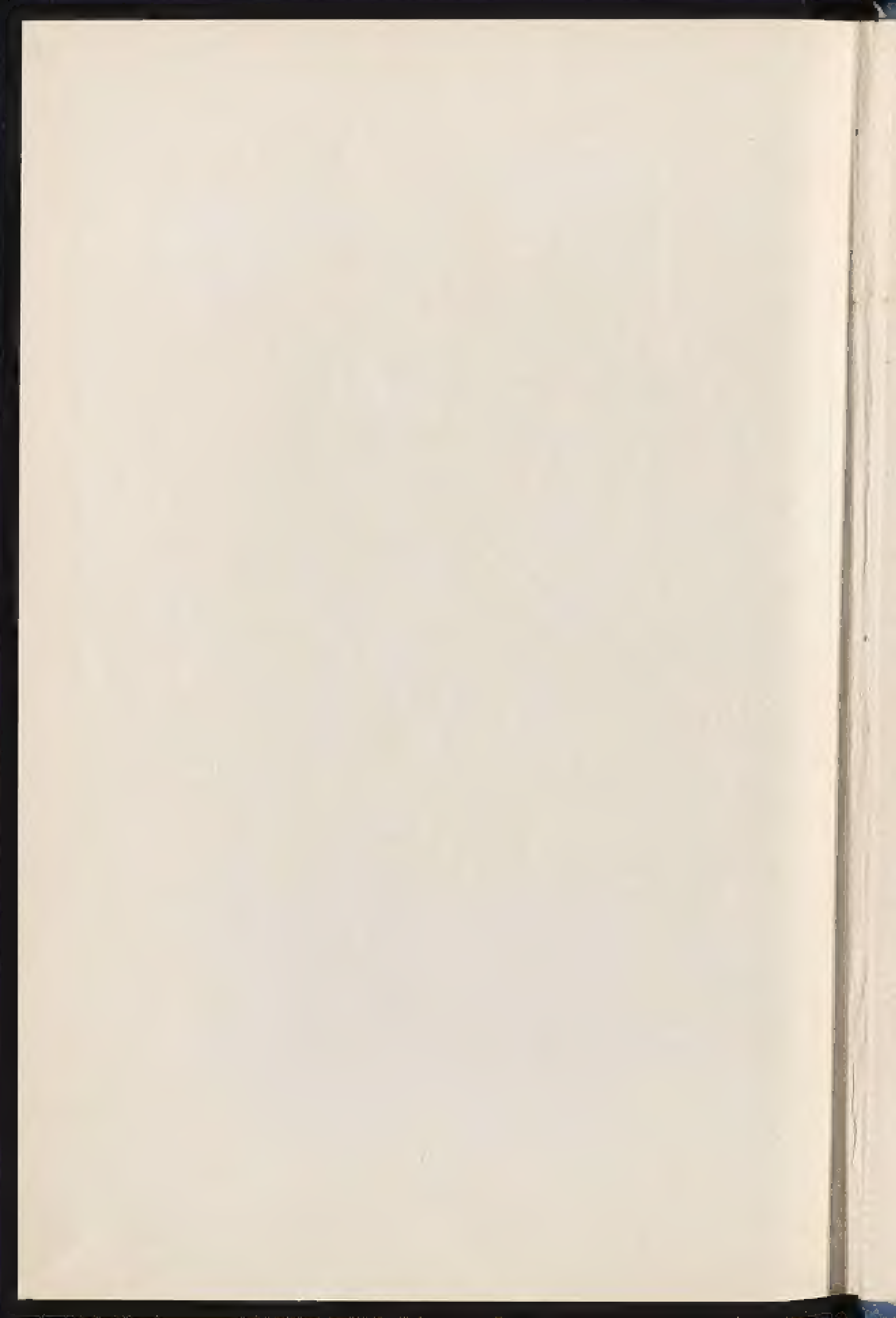

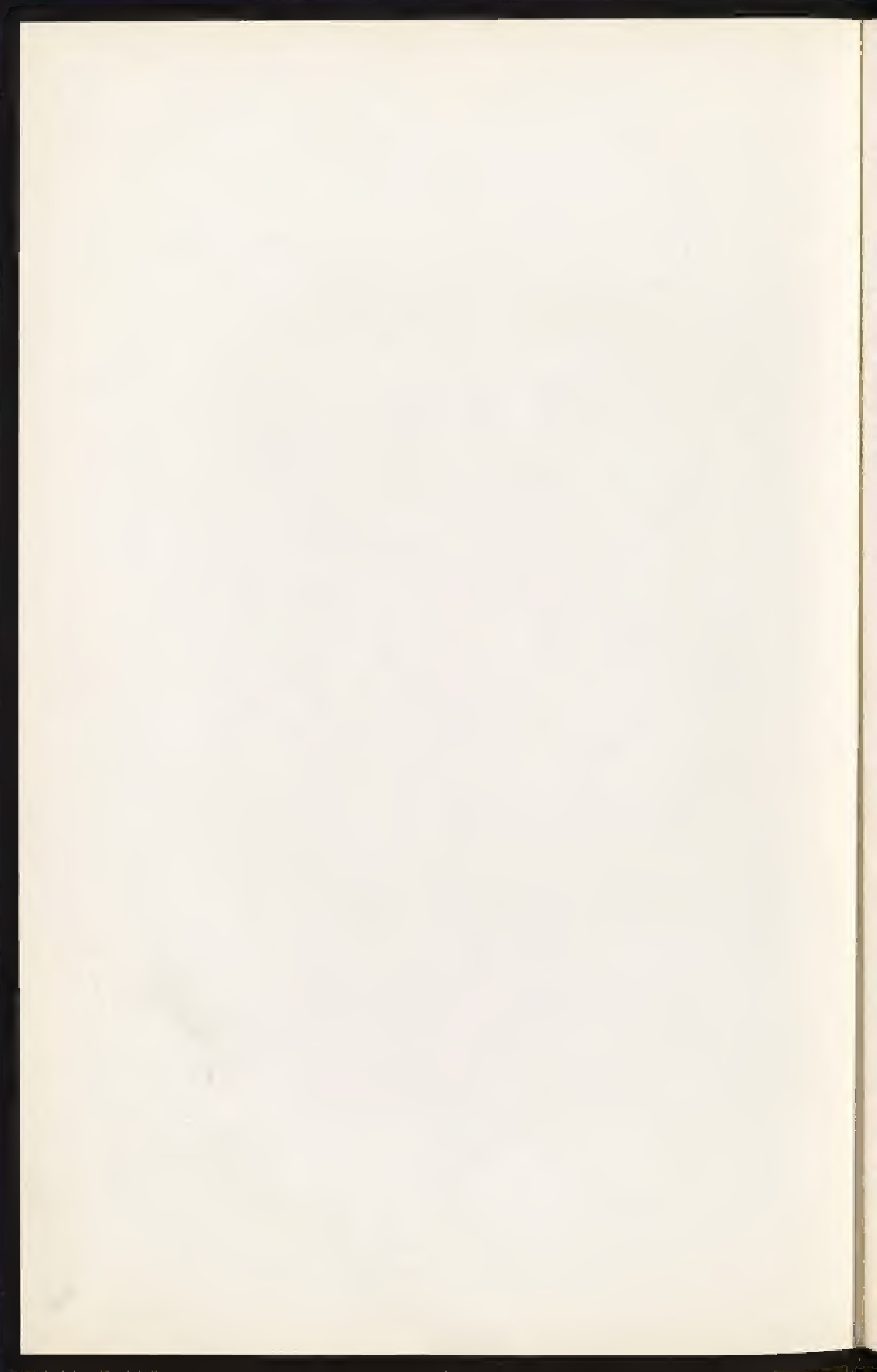

فوات الوفيات

تأليف

محمد بن شاكر بن أحمد، الكتبي

المتوفى فى عام ٧٦٤ من الهجرة

وهو ذيل على كتاب «وفيات الأعيان» لابن خلكان

حققه، وضبطه، وعلق حواشيه

محمد محيي الدين عبد الحميد

عفا الله تعالى عنه!

الجزء الأول

ملتزمة النشر والطبع

مكتبة النهضة المصرية

٩ شارع عدلي باشا بالقاهرة

مطبعة السعادة بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المنفرد بالجبروت والكبرياء ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد صفوة الأنبياء ، وعلى آله وصحبه ذوى الهمم العلياء .

وبعد ؛ فقد كان مما جرى به القدر أنى أخرجت مقدمة التاريخ الكبرى التى دبجتها يراعة القاضى الفاضل العلامة ابن خلكان المشهورة باسم « وفيات الأعيان ، وأنباء أبناء الزمان » فجاء كما أحببت ، ورضى عنه أدباء العروبة — جزاهم الله تعالى خير الجزاء ! — أيما رضا ، وأثنوا على مابذلت فيه من جهد ، وكثير منهم طالبنى فى إلحاح أن أتبع ذلك بتحقيق الكتاب الذى ألفه فخر الدين محمد بن شاكر الكتبى الحلبى المتوفى فى عام ٧٦٤ من الهجرة ، والمشتمل على ثمانمائة ترجمة وأربعين ترجمة وست ترجمات ، وكنت أسوِّف فى ذلك ظنا أن هذا الكتاب لم يستحق النشر من قبلُ إلا لكونه قُرن بكتاب ابن خلكان ، وجُعل ذيلاً له ، وادُّعى له الاستدراك عليه ، وكنت أستدل لذلك بأن مؤلف الكتاب ليس إلا ورَّاقًا اجتمع له من الكتب عدد وفير ، وكان يحسن القراءة والكتابة ، فأخذ مما كان عنده من الكتب شذراتٍ من غير تحقيق ؛ فكان من مجموع هذه الشذرات كتاب ، وكنت أتمادى فى هذا الاستدلال فأزعم لنفسى أن آية ذلك أنك لاتجد له ترجمة فى الكتب التى ألفها العلماء فى طبقات أهل العلم على اختلاف مناحى تبريزهم ، إلا ترجمة فى ثلاثة أسطر من الحرف الكبير كتبها الحافظ ابن حجر فى « الدرر الكامنة ، فى أعيان المائة الثامنة »

ثم إنى أمعنت النظر فى هذا الكتاب ، وراجعت تراجمه على مابين يدى من كتب التاريخ والرجال فتبين لى أنه لاينبغى للإنسان أن يحكم على كتابٍ بما يذيع بين الناس لصاحبه من شهرة ، وخاصة كتب التراجم ، فإن أكثر هذه الكتب إنما تتحدث عن عصور سابقة على عصر المؤلف ، والغالبُ أن المؤلف يحكى فى كتابه عن مؤلفين سابقين ، وقد يُسْنِد الحديث إليهم وقد يترك ذلك

الإسناد ؛ فيكون كتابه — عند التحقيق — مجموعة كتُبٍ ، ويكون كل جزء منه لمؤلف آخر ، فإذا حكمتَ على هذا المجموع حكماً واحداً ونسبته إلى مَنْ ضم شتاته وجمع متفرقهُ كنت مخطئاً .

وجدتُ الكتاب مشتملا على أكثر من ثمانمائة ترجمة ، ووجدته قد تفرد بتراجم لم أجدها فى غيره من الكتب التى بين يَدَىَّ على كثرتها واختلاف مشارب مؤلفيها ، ووجدته حين يشترك مع غيره يزيد عليهم زيادات لا بأس بها ، فرأيت أن ذلك وحده كاف للتوفُّرِ على تخريج الكتاب ، ونشره ، وضمه إلى حلقة كتب التاريخ التى ألزم نفسى قراءتها والعمل على إخراجها ؛ فكان من مجموع هذه الأسباب علة التمستها لإجابة الذين طالبونى وألحوا على فى الطلب أن أتبع كتاب وفيات الأعيان بكتاب « فوات الوفيات » .

وأنا أعتقد أن أغلب التراجم التى أثْرَها ابن شاكر الكتبى مأخوذ عن كتاب « الواف بالوفيات » الذى هو أحد مؤلفات صلاح الدين الصَّفَدى ، وهو أديب حاذق ماهر معاصر لابن شاكر ، وآية ذلك أنى وجدت عبارة ابن شاكر هى نفسها عبارة الصفدى ، إلا ما لا يخلو منه الناقل من تغيير كلمة ، أو تقديم كلام على كلام .

وأنا أقدم الكتاب بين يدى الأدباء والعلماء ، بعد أن أصلحت كثيرا من فاسده ، بمراجعة التراجم على أصولها ، ودللتُ على مواضع التراجم فى الأمهات الأخرى ، وشرحت كثيرا من مفردات نصوصه

فإن كنت قد وفيت لهم بما رغبوا فيه وأثبتُّ أنى كنت عند حسن ظنهم ؛ فذلك غاية ليس فوقها غاية ، وإن تكن الأخرى فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها ، والسلام ؟

كتبه المعتز بالله تعالى

محمد محيى الدين عبد الحميد

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمد الله على نعمه التى جلّت مواقعُ دِيَمِها ، وعمّت فوائد كرمها ، وأشكره على مننه التى جادت رياض التحقيق من سحب الأفكار غيثُ سجمها ، فظهرت أزاهر المعانى التى افترّت (١) عن ثغور السكون مبتسمها ، لذى حِكَمٍ تسمو على عدده حصرها لبدائع قدرته وحكمها ، وأستمد وأستقى من نور فرقه نقل الرواة ما سلف من محاسن شيمها

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةً يقترن بالسعود ذكرُها ، ويتجدّد فى كل يوم فخرها ، ويستدل على صفوات الإنسان سِرُّها

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذى قُدِّر ذِكرُ محتده الأعرق ، وبعثه على حين فترة من الرسل متمماً لمكارم الأخلاق ، وجعل شمس شريعته الغراء دائمةَ الإشراق .

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين خلّدوا (٢) بذكر محاسنهم السير ، ودوّنوا (٣) وصف مفاخرهم الآصال والبُكَر ، ما دوّنت الأقلام ذكر الأفاضل ، وخلّدت الكتبُ على أسماع الأواخر ذكرَ الأوائل ، وسلم

وبعد ، فإن علم التاريخ مرآة الزمان لمن تدبر ، ومشكاةُ أنوارٍ يطّلع بها على تجارب الأمم من أمعن النظر وتفكر ، وكنت ممن أكثر مطالعته لطائفه ، ومستجلَى (٤) من فوائده المرجحة ، فلما وقفت على كتاب « وفيات الأعيان » مصنف القضاة

---

(١) فى ب « اقترنت »

(٢) فى ب « الذين حلوا »

(٣) فى ب « وزينوا »

(٤) فى ب « واستجلى »

ابن خلكان ، قدس الله رُوحَه ، وَجَدْتُه من أحسن ما وضع لما اشتمل عليه من الفوائد الغزيرة ، والمحاسن الكثيرة ، غير أنه لم يذكر أحداً من الخلفاء ، ورأيته قد أخلَّ بتراجم فُضلاء زمانه ، وجماعة ممن تقدم على أوانه ، ولم أعلم أذلك ذُهُول عنهم ، أو لم يقع له ترجمة أَحَدٍ منهم ؟

فأحببت أن أجمع كتاباً يتضمن ذكر مَنْ لم يذكره من الأئمة الخُلفاء ، والسادة الفُضَلاء ، من وَفاته إلى الآن ، فاستخرتُ الله تعالى ، فانشرح لذلك صَدْرى ، وتوكلت عليه ، وفوضت إليه أمرى .

وسميته بـ « فَوَات الوفيات »

والله تعالى المسئول أن يُوفّق فى القول والعَمَل ، وأن يتجاوز عن هَفَوات الخطأ والزَّلل .

باب الهمزة

(١)

إبراهيم بن أدهم ، البلخى

إبراهيم بن أدهم بن منصور بن يزيد بن جابر ، أبو إسحاق ، البلخى النجبة(١) الأجل الفاضل ، ملك الأعلام ، روى عن أبيه ومنصور ومحمد بن زياد الجمحى وأبى نعيم وأبى موسى والأعمش .

قال الفضل بن موسى : حج أدهم بأم إبراهيم وهى حُبْلى ، فولدت إبراهيم بمكة ، فجعلت تطوف به على الحِلَق فى المسجد وتقول : ادْعُوا لابنى أن يجعله الله صالحاً ، وأخباره مشهورة فى مَبْدإ(٢) زهده ، وطريقه مشهورة .

قيل : غزا فى البحر مع أصحابه ، فاختلفَ فى الليلة التى مات فيها إلى الخلاء خمساً وعشرين مرة ، كل مرة يجدّد الوضوء ، فلما أحس بالموت قال : أوْتِرُوا لى قوسى ، فوتر وهى فى كفه ، ودفن فى جزيرة من جزائر البحر فى بلاد الروم .

قال إبراهيم بن بشار الصوفى : كنت مارًّا مع إبراهيم بن أدهم ، فأتينا على قبر(٣) مُسنَّم ، فترحم عليه إبراهيم ، ثم قال : هذا قبر حميد بن جابر أمير هذه المدن كلها ، كان غارقاً فى بحار الدنيا ، ثم أخرجه الله منها ، بلغنى أنه سُرَّ ذات يوم بشىء ، ونام ، فرأى رجلا بيده كتاب ، فتناوله ففتحه فإذا فيه مكتوب بالذهب : لا تُؤْثِرَنَّ فانيا على باق ، ولا تغترَّنَّ بملكك ، فإن ما أنت فيه جسيم ، إلا أنه عديم ، فسارع إلى أمر الآخرة ، فإن الله تعالى يقول (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أُعِدَّت للمتقين)(٤) فانتبه فزعاً ، وقال : هذا تنبيه من الله وموعظة ، فخرج من ملكه ، وقصد هذا الجبل وعبدَ الله فيه حتى مات .

قال : ورأيت فى النوم قائلا يقول لى : أيحسُن بالحر المريد ، أن يتذلل للعبيد ، وهو يجد عند الله كل ما يريد ؟ !

(١) النجبة ـ بالضم ـ المختار .

(٢) فى ب « فى ميدان هداه »

(٣) مسنم : على شكل سنام البعير ، ليس مسطحا

(٤) من الآية ١٣٣ من سورة آل عمران

وقال النسائي : إبراهيم أحد الزهاد ، وهو مأمون ثقة

وقال الدارقطني : ثقة

وقال البخاري : مات سنة إحدى وستين ومائة ، وسيرته في تاريخ دمشق ثلاث وثلاثون ورقة [وهي] طويلة في حلية الأولياء ، رحمهم[1] الله تعالى !

(٢)

إبراهيم بن إسحاق الحربي

إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم ، الفقيه ، أبو إسحاق ، الحربي ، أحد الأئمة الأعلام .

ولد سنة ثمان وتسعين ومائة ، وتفقه على الإمام أحمد بن حنبل ، وكان من نُجَباء أصحابه ، روى عنه ابنُ صاعد وابن سماك .

قال الخطيب : كان إماماً في العلم ، رأساً في الزهد ، عارفاً بالفقه ، بصيراً في الأحكام ، حافظاً للحديث ، مميزاً لعلله ، قيّماً بالأدب ، صنف غريب الحديث وكتباً كثيرة

وحدث عبد الله بن أحمد بن حنبل قال : كان أبي يقول لي : امض إلى إبراهيم الحربي يُلْقي عليك الفرائض[2] .

وأنشده رجل :

أنكرت ذلي فأي شيء أحسن من ذلة المحب ؟!
أليس شوقي وفيض دمعي وضعف جسمي شهود حُبّي ؟

فقال إبراهيم : هؤلاء شهود ثقات .

قال إبراهيم : ما أنشدت شيئاً من الشعر إلا قرأت (قل هو الله أحد) ثلاث مرات

قال ياقوت في كتاب معجم الأدباء : قد كان إسماعيل بن إسحاق القاضي

---

(١) في ب « رحمهما الله تعالى »

(٢) الفرائض : علم المواريث

يشتهى رؤية إبراهيم الحربى ، وكان إبراهيم لا يدخل عليه ، ويقول لا أدخل دارا عليها بواب ، فأخبر إسماعيل بذلك ، فقال أنا أدعُ بابى كرامة الجامع ، فجاء إبراهيم إليه ، فلما دخل عليه خلع نعليه ، فلفّهما القاضى فى منديل دبيقى (١) وجعلهما فى كمه ، وجرى بينهما بحث كثير ، فلما قام إبراهيم التمس نعله ، فأخرج القاضى النعل من كمه ، فقال إبراهيم غفر الله لك كما أكرمت العلم ! فلما مات القاضى رؤى فى المنام فقيل له ما فعل الله بك قال أجيبت لى دعوة إبراهيم الحربى .

ودخل عليه قوم يعودونه ، فقالوا : كيف تجدك يا أبا إسحاق ؟ فقال : أجدنى كما قال :

دبّ فىّ السقام سفلاً وعلوا وأرانى أذوبُ عضوا فعضوا

بليتْ جدّتى بطاعة نفسى وتذكرتُ طاعة الله نضوا

وقال ياقوت حدثنى صديقنا الحافظ أبو عبد الله محمد بن محمود بن النجار قال : حدثنى أحمد بن سعيد الصانع يرفعه إلى أبى عبد الله قال : كان يحضر مجلس إبراهيم الحربى جماعة من الشبان للقراءة عليه ، ففقد أحدهم ، فسأل عنه من حضر ، فقالوا هو مشغول ، ثم سأل عنه وقتاً آخر ، فقالوا هو مشغول ، وكان الشاب قد ابتلى بمحبة شخص شغله عن الحضور ، وعظموا قدر إبراهيم الحربى أن يخبروه بحقيقة الحال ، فلما تكرر منه السؤال عنه وهم لا يزيدون على أنه مشغول فقال يا قوم إن كان مريضاً قوموا بنا نعوده ، وإن كان مديوناً اجتهدنا فى مساعدته ، أو محبوساً سعينا فى خلاصه ، فخبرونى عن جلية حاله ، فقالوا : نجلّك عن ذلك ، فقال : لابدّ أن تخبرونى ، فقالوا إنه ابتلى بعشق صبىّ ، فأوجم إبراهيم ساعة ، ثم قال : هذا الصبى الذى ابتلى بعشقه أهو مليح أم قبيح ؟ فعجب القوم من سؤاله عن مثل ذلك مع جلالته فى أنفسهم ، وقالوا : أيها الشيخ مثلك يسأل عن مثل هذا ؟ فقال : إنه بلغنى أن الإنسان إذا ابتلى بحب صورة قبيحة كان بلاءً يجب الاستعاذة من مثله ، وإن كان مليحاً كان ابتلاء يجب الصبر عليه واحتمال المشقة ، قال : فعجبنا مما أتى به

(١) دبيقى : منسوب إلى دبيق إحدى بلاد مصر القديمة تنسب إليها الثياب

ومن مصنفاته كتاب «سجود القرآن» «مناسك الحج» «هدايا، والسنة فيها» «الحمام وآدابه» «مسند أبي بكر» «مسند عمر» «مسند عثمان رضي الله عنه» «مسند علي رضي الله عنه» «مسند الزبير رضي الله عنه» «مسند طلحة رضي الله عنه» «مسند سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه» «مسند عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه» «مسند العباس رضي الله عنه» «مسند شيبة بن عثمان» «مسند عبد الله بن جعفر» «مسند المسور بن مخرمة» «مسند المطلب بن ربيعة» «مسند [illegible]» «مسند خالد بن الوليد» «مسند أبي عبيدة بن الجراح» «مسند ما روى عن عاصم بن عمر» «مسند صفوان بن أمية» «مسند عمرو بن العاص» «مسند عمران بن حصين» «مسند حكيم بن حزام» «مسند عبد الله بن زمعة» «مسند عبد الرحمن بن سمرة» «مسند عبد الله بن عمرو» «مسند ابن عمر».

وكان أصل إبراهيم الحربي من مرو، توفي لسبع بقين من ذي الحجة سنة خمس وثمانين ومائتين، رحمه الله.

(٣)

أمير المؤمنين المتقي لله إبراهيم بن جعفر

إبراهيم بن جعفر، أمير المؤمنين، المتقي لله، ابن المقتدر بن المعتضد

ولد سنة سبع وتسعين ومائتين، واستخلف سنة تسع وعشرين وثلثمائة بعد أخيه الراضي، فوليها إلى سنة ثلاث وثلاثين، ثم خلعوه وسملوا عينيه،[1] وبقي في قيد الحياة، وكان حسن الجسم، مشربًا بحمرة، أبيض، أشقر الشعر، أشهل العينين، وكان فيه دين وصلاح، وكثرة صلاة وصيام، وكان لا يشرب الخمر

وتوفي في السجن سنة سبع وخمسين وثلثمائة، رحمه الله تعالى.

وكانت مدته سنتين واحد عشر شهرًا، وكانت أيامه منغصة عليه لاضطراب الأتراك، حتى إنه أتى إلى الرقة، فلقيه الإخشيد صاحب مصر، وأهدى له تحفًا كثيرة، وتوجع لما ناله من الأتراك، ورغبه في أن يسير معه إلى مصر، فقال

(١) سملوا عينيه: أحموا حديدة وكحلوه بها فسالت عيناه

كيف أقيم في زاوية من الدنيا وأترك العراق متوسطة الدنيا وسُرّتها ، ومستقر الخلافة وينبوعها ؟ ثم سار حتى قدم بغداد ، بعد أن خاطبه أمير الأتراك تُورونُ ، وحلف له أن لا يغدِرَ به ، ورتبت له ببغداد رتبة يضرب بها المثل ، وضُربت له القباب المطنبة للتحية في طريقه ، فلما وصل السندية[1] على نهر عيسى قبض عليه تورون ، وسمل عينيه ، وبايع المستكفي من ساعته ، ودخل بغداد في تلك الهيئة فكثر تعجب الناس من ذلك ، وقال المتقي :

كحّلونا وما شكَوْ   نا إليهمْ مِنَ رَمَدْ
ثم عادوا بنا ونحـ   ـن أسود وهم نَقَدْ[2]
كيف نغترّ من أذا   نا وفي دَسْتنا قَعَدْ

(٤)

جمال الدين بن السحار إبراهيم ابن سليمان

إبراهيم بن سليمان بن حمزة[3] بن خليفة، جمال الدين بن السحار، الدمشقي المجود ولد بدمشق سنة سبعين وخمسمائة ، وتوفي سنة إحدى وخمسين وستمائة ، رحمه الله تعالى !

وحَدّث ، وكتب في الإجازات ، وكتب عليه أبناء البلد، وله علم وأدب ، وسافر إلى حلب وبغداد ، وكتب [illegible] ، وسافر إلى الإسكندرية وولي نقابة الأشراف بها ، وسمع بدمشق من التاج الكندي وغيره .

ومن شعره ما قاله في أسود شائب

يا رُبَّ أسودَ شائب أبصرتُهُ   وكأنّ عينيه لظًى وَقَدُ
فحسبته فحماً بدَتْ في بعضه   نارٌ ، وفوقه عليه رمادُ

وله أيضاً :

ما لهذي العيون فاتنها الـلـ   ـه تسمّى لواحظاً وهي نَبْلُ
وهذا الذي يسمونه العشـ   ـق مجازاً ، وفي الحقيقة قَتْلُ

---

(١) السندية : قرية من قرى بغداد ، على نهر عيسى
(٢) النقد — بالتحريك — جنس من الغنم قبيح الشكل
(٣) بن حمزة

واقلبي يقول أسلو، فمن قلت ثم قال: لستُ والله أسلو

وله أيضاً :

ومغرم بالبسدال قلت له   يا ولدى قد وقعتَ فى التعبِ

طوراً على الراحتين منبطحاً   وتارة جاثياً على الركبِ

دخلٌ وخرجٌ وليس بينهما   فى اليد من فضة ولا ذهبِ

أشتر مافيه أن تملكه   تأمن فيه من عين مرتقبِ(١)

وعندنا قهوة معتقة   كأن فى كأسها شذا لهبِ

ومن بنات القينات محكمة   سارمنها الأعصر فى الكتبِ

ومطرب يحسن الغناء لنا   إن كنت ممن يقول مطربِ

ولست تخلو فى كل ذلك من   عود أبر كالزند منتصبِ

ينطح نكح الكباش متصلا   يزهر زهراً كالجوز فى القربِ

وله أيضاً :

لقد نبتت فى صحن خدك لحية   تأنق فيها صانع الإنس والجنّ

وما كنت محتاجا إلى حسن نبتها   ولكنها زادتك حسناً إلى حسن

وله أيضاً :

لحا الله الحشيش وآكليها   لقد خبثت كما طاب السلافُ

كما تصبى كذا تصمى وتشقى   كما يشقى وغايتها الخرافُ

وأصغر دائها والداء جمّ   سفاه أو جنون أو نشافُ(٢)

وله أيضا :

جُبلتُ على حبى لها وألفته   ولا بدّ أن ألقى به الله معلنا

ولم يحل قلبى من هواها بقدر ما   أقول وقلبى خاليا فتمكنا

ومنه قوله :

---

(١) فى ب « أسر مافيه »

(٢) فى ب « لفاه أو جنون »

أين المراتب فى الدنيا ورفعتها   من الذى حاز علما ليس عندهم
لا شك أن لنا قدراً رأوه ، وما   لمثلهم عندنا قدر ولا هِمَمُ
هم الوحوش ونحن الإنس حكمتنا   تقودهم حيثما شئنا وهم نَعَمُ
وليس شىء سوى الإهمال يقطعنا   عنهم لأنهمُ وجدانهم عدم
لنا المريحان من علم ومن عدم   وفيهمُ المتعبان الجهل والحشم[1]

قلت : عارض هذه الأبيات أبيات نظمها الشيخ ابن دقيق العيد يأتى ذكرها فى ترجمته إن شاء الله تعالى

ومن شعره :

يامن يخادعنى بأَسْهُمِ مكره   بسلاسة نعمت كلمس الأرقم[2]
واعتدَّلى زَرَدَ صدق سَبْحِه   وعلىَّ فلتْ عُيُونِها بالأسهم

وما أحسن قولَ شمس الدين بن دانيال فيه :

لا تلم النحوىّ فى فعله   إن راح فضيلاً عن الحق[3]
لو هذّب النحوىّ أخلاقه   ما كان منسوباً إلى الدق

وقوله فيه لما سجن ليقتل :

ظنّ فتى الدق فى أنه   قد يتخلَّصُ من قبضة المالكى
هم سوف يبلغه المالكى   فرسا ولكن إلى مالك

(٥)

أحمد بن أبى الحديد ، موفق الدين .

موفق الدين أحمد بن أبى الحديد

من شعره فى عارض حبشى أخرج من دار الوزير بجامة عمامته وقتله .

لما بدا رائق التَّشَقِّى   وهو بأثوابه عبيد[4]

(١) فى ب « الجهل والحشم »
(٢) الأرقم : الحية
(٣) فى ب « ضالا عن الحق » وقافية الثانى فيها « منسوبا إلى الحق »
(٤) فى ب « رائق أسى » وليس بصحيح .

قبلته باعتبار معنى لأنه عارض جديد

وقال أيضاً :

بيت من الشعر فى تشبيه وَجنته ... بيت خط منه سطر من الشَّعَر
كالطل فى الورد أو كالشمس عارضها ... خط من الغيم أو كالمحو فى القمر

وقال أيضاً

لو يعلمون كما علمت لما لحوا ... فى حبه ولأقصروا إقصارا
هلا أحدثكم بسر الطبيعة ... دقت على أن ماثلت لأبصارا
حادت صقل حدوده أصداغه ... فتمثلت للناظرين عذارا

وقال الشيخ شرف الدين الدمياطى أنشدنى موفق الدين بن معصومة

قد عذلت عواذلى فى عشقه ... بل ما عذلت تزاحم العشاق
يبدو فتسبقه العيون ، وإنها ... مأمورة بالغمض والإطراق
عيناى قد شهدا بعشقك ، إنما ... لك أن تقول هما من الفساق

ولما صنف أخوه «الدرة» على مثل المثال كتب إليه موفق الدين :

أمثل الدر يا سيدى ... صنعت فيه المثال بدر
لكن هذا الذى دُر ... أضحت فيه مثل الدر

(٦)

أحمد بن يحيى البلاذرى .

أحمد بن يحيى البلاذرى

قال : كنت من خاصة المستعين بالله وقد قصده الشعراء فقال : من أقول إلا من الذى يقول مثل قول البحترى فى المتوكل :

فلو أن مشتاقا تكلف فوق ما ... فى وسعه لسعى إليك المنبر

فرجعت إلى دارى ، وأتيته ، وقلت : قد قلت فيك أحسن مما قاله البحترى فى المتوكل ، فقال : هات ، فأنشدته :

ولو أن بُرْدَ المصطفى إذ لبسته ... يظن لظن البردُ أنك صاحبه
وقال وقد أُعطيتَهُ ولبستَهُ : ... نعم هذه أعطافه ومناكبه

فقال لي: ارجع إلى منزلك فافعل ما آمرك به، فرجعت، فبعث إليّ بسبعة آلاف دينار، وقال: ادّخر هذه للحوادث بعدي، ولك عليّ الجراية والكفاية ما دمت حيا.

وقال في عبيد الله بن يحيى بن خاقان وقد صار إلى بابه فحجبه، وأنشده:

قالوا أصابك بالحجاب مذلّة ... عار عليك من الزمان وعابُ

فأجبتهم وبكل قولٍ صادقٍ ... أو كاذبٍ عند المقال جوابُ

إني لأغتفر احتجاب الماجد ... أمنتْ له مِنَنٌ عليّ رِغابُ(١)

قد يرفع المرءُ اللئيمَ حجابُه ... ضَعَةً، ودون العُرف منه حجابُ

(٧)

ابن فضل الله العمري

شهاب الدين بن فضل الله أحمد بن يحيى بن فضل الله بن يحيى بن دعجان ابن خلف بن أبي الفضل نصر(٢) بن منصور بن عبد الله بن علي بن محمد بن أبي بكر عبد الله بن عبيد الله بن أبي بكر بن عبد الله الصالح ابن أبي سمة عبد الله بن عبيد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، القاضي، شهاب الدين، أبو العباس، ابن القاضي أبي المعالي محيي الدين، القُرَشي(٣)، العدوي، العمري.

قال الشيخ صلاح الدين الصفدي في حقه: هو الإمام الفاضل، البليغ المفوّه، الحافظ، حجة الكتّاب، إمام أهل الأدب، أحد رجالات الزمان كتابةً وترسّلا، وتوصّلا إلى غايات المعالي وتوصّلا، وإقداما على الأسود في غاباتها، وإرغاما لأعدائه على رغمها(٤)، يتوقد ذكاء وفطنة ويتلهب، ويتحدر سيله مذاكرةً وحفظا ويتصبب، ويتدفق بحره بالجواهر كلاما، ويتأنق في إنشائه بالبوارق المستمرة بعده، وتقطر كلامه فصاحة وبلاغة، وتندى عباراته انسجاما وصياغة، وينظر إلى غيب المعاني من ستر رقيق، ويغوص في لُجّة البيان فيظفر

---

(١) في ب «إني لأعتقد» تحريف، والرغاب: جمع رغيبة، وهي الواسعة.
(٢) في ب «أبي الفضل أحمد بن منصور» وفي أسماء آبائه اختلاف كثير.
(٣) في ب «العدسي» تحريف. (٤) في ب، ث «رعانها».

بكبار اللؤلؤ من البحر العميق ، قد استوت بديهته وارتجاله ، وتأخر عن فروسيته من هذا الفن رجاله ، يكتب من رأس قلمه بديها ، ما تعجز رويّة الفاضل الفصل أن يدانيه تشبيها ، وينظم من المقطوع والقصيدة جوهرا ، يجعل وصف الذى ذكره الخانقاه مزهرا ، ضرّف الرماد أمر وسهما ، وذر ثبات عددا وزلا ، ووصف الأزرق نقده ، وروى قريبه وهي سجلات حكمه وحكمته . لا أرى أن نظم الكتاب يصدق على غيره ولا يطلق على سواه :

لا يحسن القول المكرّر منه والرأى المردّد

طلقٌ يصيب به الصواب إذا توخّى أو تعمد[1]

مثل الحسام إذا انتضى والشهاب إذا توقد

كالسيف يقطع وهو مسلولٌ ويُرهَب حين يُغمدْ

ولا أعتقد أن بينه وبين القاضي الفاضل مَنْ جاء ، على أنه قد جاء مثل تاج الدين بن الأثير ومحيى الدين بن عبد الظاهر وشهاب الدين محمود ، وكمال الدين ابن العطار وغيرهم ، هذا مع ما فيه من طيب أخلاق ، وسعة صدر ، وبشر محيّاه ، رقه الله أربعة أشياء لم أرها اجتمعت فى غيره ، وهى الحافظة فما طالع شيئاً إلا كان مستحضرا لأكثره ، والذكر الذى إذا أراد ذكر شىء من زمن متقدم كان ذلك حاضرا كأنه رآه بالأمس ، والذكاء الذى يتسلط به على ما أراد ، وحسن القريحة فى النظم والنثر ، أما ذكره فعله فى دقته كان أوسع الفضلاء حسيبا ، ولا أرى أحدا يلحقه فيه جودة ومنزعه ، وأما نظمه فمنه لا يلحقه فيه إلا الأفراد ، وأضاف الله تعالى له فى ذلك كله حسن الذوق الذى هو العمدة فى كل فن .

وهو أحد الأدباء الكتبة الذين رأيتهم ، وأعنى بالكتبة الذين يقومون بالأدب علما وعملا فى النظم والنثر ومعرفة تراجم أهل عصره ومن تقدمهم على

(١) توخى الشىء : قصده ، وفى ب « ترخى » تحريف

اختلاف صفاتهم و بخطوط الأفاضل وأشياخ الكتابة ، ثم إنه شارك من رآيته من الكتبة في أشياء ، وانفرد عنهم بشيء ملع فيه الغاية لأنه جوّد في الإنشاء والنثر ، وهو فيه آية ، والنظم وسائر فنونه ، والدرس البارع عن الموت ، ولم أر مَنْ يعرف تواريخ ملوك المغل من لدن جنكيزخان وهلمّ جرّاً معرفته ، وكذلك ملوك الهند والأتراك ، وأمّا معرفة الممالك والمسالك وخطوط الأقاليم والبلدان وخواصها ، فإنه فيها إمام وقته ، وكذلك معرفة الاصطرلاب وحل التقويم وصور الكواكب ، وقد أذن له العلامة شمس الدين الأصفهاني في الإفتاء على مذهب الشافعي رضي الله عنه ، فهو حينئذ أكمل الكملة الذين رأيتهم ، ولقد استطرد الكلام بيننا في ذكر القضاة فسرد ذكر القضاة الأربع الذين عاصرهم شاماً ومصر ، وألقابهم ، وأسماءهم ، وعلامة كل قاض منهم ، حتى إني ما كدت أقضي العجب مما رأيت

ولد بدمشق ثالث شوّال سنة سبعمائة .

قرأ العربية أولا على الشيخ كمال الدين بن قاضي شهبة ، ثم على قاضي القضاة شمس الدين بن مسلم ، وتفقه على قاضي القضاة شهاب الدين بن المجد عبد الله ، وعلى الشيخ برهان الدين الفزاري ، وقرأ الأحكام الصغرى على الشيخ تقي الدين ابن تيمية ، والعروض على الشيخ شمس الدين بن الصائغ وعلاء الدين الوداعي ، وقرأ عليه جملة من دواوين العرب ، والأصول على الشيخ شمس الدين الأصفهاني ، وأخذ اللغة عن الشيخ أثير الدين ، وصنف «فواضل السمر ، في فضائل آل عمر» أربع مجلدات ، وكتاب « مسالك الأبصار ، في ممالك الأمصار » في عشرين مجلداً كبار ، وهو كتاب حافل ما أعلم أن لأحد مثله ، و « الدعوة المستجابة » و « صبابة المشتاق في مدائح النبوية » مجلد ، و « سفرة السفرة » و « دمعة الباكي ويقظة الساهر » و « نفحة الروض » ونظم كثيراً من القصائد والأراجيز والمقطعات والدوبيت والموشح والبليق ، وأنشأ كثيراً من التقاليد والمناشير والتواقيع ومكاتبات الملوك وغير ذلك

ومن شعره :

شربت مع غادة عجوز طلا | فاستصحبت بعد منعها العاده
ليتها السكر لي فحينئذ | قلت أن العجوز قوّادة(١)

وقال :

شادن جدّد وجدي بعدما | صرت شيخاً ليس ترضى بي العجوز
قلت جاوزْ لي مقامي قال قل | غير هذا ذاك شيء لا يجوز

وقال :

سل شجيًّا عن فؤاد نزحا | وخليا فيهمُ كيف صحا
ومحبًّا لم يذق بعدهم | غير تبريح بهم ما برحا
مزج الدمع بذكرى لهم | مثل خدي من سقاه القدحا
زاره الطيف وهذا عجب | شبحٌ كيف يلاقي شبحا

وقال :

أأحبابنا والعذر منا إليكمْ | إذا ما شغلنا بالسوى أن نودّعَ
أبثكمُ شوقاً أبارى ببعضه | حمام الثنايا رنّةً وتوجعا
أبيت سمير البرق قلبي مثله | أقضّي به الليل التمام مروعا
وما هو شوق مدّة ثم ينقضي | ولا أنه يلقى محبًّا مشيّعا
ولكنه شوق على القرب والنوى | أغصّ الأماق مدمعا ثم مدمعا
ومَنْ فارق الأحباب في العمر ساعة | كمن فارق الأحباب في العمر أجمعا

وقال :

يقول لي مَنْ شعره أسود | كالليل بَلْ بينهما فرق(٢)
قمت وبي مَنْ وجهه أبيض | فقال لي هذا هو الحق

(٨)

أسهدوست
(ابن شيرويه)
الديلمي

أسهدوست بن محمد بن شيرويه الديلمي ابن منصور .

قال سبط ابن الجوزي، كان يهجو الصحابة والناس، ثم تاب وحسنت توبته

---

(١) هذا من مثل ، يقولون « العجوز قوادة » (٢) في ب ، ث « يقول لي »

ومن شعره فى الخثى :

ودوزنة تزور بلا رقيب … وتنزل بالفتى من غير حُبّه

وما أحد يحب القرب منها … ولا تحلو زيارتها بقلبه

تبيت مخص الأحشاء منه … فيطلب بُعْدَها من عظم كربه

وتمنعه لذيذ العيش حتى … تنغصه لما كله وشربه

أتت لا بارك الرحمن فيها … وكم من زائر لا مرحبا به

وقال فى أبى القفنة الواعظ ، ولم يكن فى زمانه أحسن صورة ، ولا أعذب لفظا منه :

وواعظ تَيَّمَني وَعْظُهُ … عَرَّفَهُ شيب بإسكار

ينهى عن الذنب ، وألحاظه … تأمر بالذنب بإصرار

وما رأينا قبله واعظا … مُكْتَسِبَ آثام وأوزار

لسانه يدعو إلى جنة … ووجهه يدعو إلى نار

ومن شعره أيضاً :

يا طالب الروح إليك ما لدى … تمنيه من حاصل مقدورُ

هل أبصرت عيناك صحن روحه … إلا حرساً منديه سرورُ

[لا سيع فى الدنيا مكانا لا رمى … ويعمل بها ما يعمل الزنبور

أو مثواه حين يدرك فرصة … يدنو ، ويلسع لسعة ويطير][1]

(٩)

ابن الطبيب

إسحاق بن خلف

إسحاق بن خلف ، المعروف بابن الطبيب .

كان رجلا شأنه الفتوة ، ومعاشرة الشطار والتصيد بالكلاب[2] ، وإيثار أصحاب الطير ، وكان من أحسن الناس إنشادا ، كأنه يغنى فى إنشاده ، وكان إذا راجعك الكلام لم تكد تسأم من مراجعته من حسن ألفاظه .

---

(١) سقط هذان البيتان من ب

(٢) فى ب « والتصيب بالكلاب »

حُبِس مرة بجنبة حماه ، فقال الشعر في السجن ، ثم ترقّى في ذلك حتى مدح الملوك ، ودوّن شعره ، ولم يزل على رسم الفتوة ، وضرب الطنبور ، إلى أن نزل في حدود الثلاثين وستمائة .

ومن شعره رحمه الله :

النحو يبسط من لسان الألكن والمرء تكرمه إذا لم يلحن
وإذا طلبت من العلوم أجلّها فأجلُّها عندي مقيمُ الألسُن

وقال في السيف :

ألقى عاتب خضره أمضى من لأحل الشامخ
وكأنما ذرّ الهبا ء عليه أنفاسُ الرياح

وقال المبرد . وقد قدت الشعراء في رونق السيف ضروباً من الأقاويل ما سمعت فيها بأحسن من هذا

وقال في ابنة أخت كان ربّاها :

ولا أميمة لم أجزع من العدم ولم أجب في الليالي حِندِسَ الظُّلَم
وزادني رغبة في العيش معرفتي ذلّ اليتيمة يجفوها ذوو الرحم
أحشى فظاظة عمّ أو جفاء أخٍ وكنت أبكي عليها من أذى الكلم
تهوى لقائي وأهوى موتها شفقاً والموت أكرم نزّال على الحرم
إذا تذكرت بنتي حين تندبني فاضت لعبرتها نفسي عبرتي بدم

(١٠)

عماد الدين الشاتي

أسعد بن إبراهيم بن حسن ، عماد الدين ، الشاني

وَلِي كتابة الإنشاء لصاحب إربل ، وأنفذه رسولاً إلى الخليفة المستنصر ، فلما وقعت عينه على خديجة قال

جلالة هيبة عند اللقاء تحيّرنا عن الكلام
كأنّ المستجير به قائماً يناجي النبيَّ عليه السلام

ومن شعره في شرف الدين إبراهيم بن علي بن حرب لما ولي وزارة إربل:

فرحنا وقلنا تولّى الوزير ... وأفلح ديواننا بالوزارهْ
فما زادنا غير جاويشه ... وفي كتبنا كتبت بالأشارهْ (١)

وقد وقع بين الأخوين الكامل والأشرف، والكامل صاحب مصر والأشرف صاحب خلاط، ومال ملوك الشام والشرق إلى الكامل، وتحاملوا على الأشرف، فقال مجد الدين:

صاحب مصر نبي الملوك على الـ ... ـأشرف من كل مسعدٍ عونِهِ
واحتج كل به فقلت وهل ... يؤخذ موسى بذنب فرعون

وله في مستوفي إربل المبارك

إن المبارك فيه ... توقّفٌ ولجاجَهْ
صديقهُ أنت مالم ... تعرض إليه بحاجه

وله في صدر بن نبهان مواليا

رجل ابن نبهان الأعرج شومها معلوم ... ما دار قط بأحد إلا انثنى مخموم
فلم مشت وعرت ما ضر هذا الشوم ... وعاد حزور عينه منه أحبث البوم

ومن شعره أيضاً:

تقلد أمر الحسن فانقاد الورى ... وراحت له الأفكار تنظم ديوانا
وعامله ولي على القلب ناظرا ... فأصبح له حرز بالقلب سلطانا
عدا بالجور خدّ للحسن ما ملكا ... ومن فيه أبدى المبتسم صوانا
فأبدى لنا من ثمره ورضابه ... وعارضه راحا وروحا وريحانا
إلى خده بيد حسن، وخاله ... به كرة، فاستعمل الصدغ جوكانا
أجل نظر في خده يا مُعنّى ... تجد فيه من إنسان عينيك إنسانا

ومنه أيضاً:

والبرق يخفق في خلال سحابه ... خفقَ الفؤاد لموعد من زائر

(١) في ب « لما زادنا غير جار يشد »

وفن

يا لقومي قد حشكم مستجيرا   لا أرى منكم وليا نصيرا

نائي شادن تبدى فأبدى   من محياه بهجة وسرورا

أنا ما بين عاذل ورقيب   منهما خلت منكرا ونكيرا

وعذاري في ذلك عذ أبدى   منها الحسن حسنه وعبيرا

وثنايا كأنها من لجين   قدروها في ثغره تقديرا

لا رعى الله يوم زمّوا المطايا   إنه كان شره مستطيرا

أودعوا الحس وذعوا الصبر وحدا   وتناءوا والقلب ظل سعيرا

وأسالوا الدموع من رحيس فغص   عن الخد لؤلؤا منثورا

وعدا الصب يرتعي الحب ديما   ويرى ناظر الهوى حسيرا

وهذي عنده السدل لا أنا   عن ز شكرا وبنا كفورا

ثم سمعي عن الكلام كأمير   ث بمدحي أبكي عينا بصيرا

كم سقى سيفه شرابا حميما   وسقى سيبه شرابا طهورا

مرح الطرف في ذراه ترى ثم   نعيما به وملكا كبيرا

لم يرالف أول في ظله المعمور شمسا يوما ولا زمهريرا

ومبيح الطعام والمال كم عمم   بنيا براده وأسيرا

وأرانا نواله وسطاه   فرأينا منه بشيرا نذيرا

كل ساع دع له بدوام الملك ما زال سعيه مشكورا

(١١)

أسماء
ابن خارجة
الفزاري

أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة ، الفزارى

أحد الأجواد من الطبقة الأولى من التابعين ، من الكوفة ، كان قد ساد

الناس بمكارم الأخلاق

حكى ابن عساكر قال : أتى الأخطل الشاعر إلى عبد الملك بن مروان فى

حَمَالات تحملها عن قومه، فأبى أن يُعطيه شيئاً، فسألها بشر بن مروان أخا عبد الملك
فقال كما قال عبد الملك، فأتى أسماء بن خارجة، فتحملها عنه جميعاً، فقال

إذا ما مات خارجةُ بن حِصْنٍ　　فلا مَطَرَتْ على الأرضِ السماءُ
ولا رَجَعَ البشيرُ بغُنْمِ جيشٍ　　ولا حَمَلَتْ على الطُّهْرِ النساءُ
فيومٌ منك خيرٌ من رجالٍ　　كثيرٍ حولهم نَعَمٌ وشاءُ
فبورك في بنيك وفي بنيهم　　وإن كثروا، ونحن لك الفداءُ

وبلغ الشعرُ عبدَ الملك فقال: عَرَّضَ بنا الخبيث في شعره.

وحكى أبو اليقظان قال: دخل أسماء بن خارجة على عبد الملك بن مروان
فقال له: بم سُدْتَ الناس؟ فقال: هو من غيري أحسن، قال: بلغني عنك خصال
شريفة، وأنا أعزم عليك إلا ذكرت بعضها، فقال: أما إذ عزمت عليّ فنعم،
فقال عبد الملك: هذه أولها، فقال أسماء: ما مدّ لي أحد حاجة إلا رأيت له الفضل
عليّ، ولا دعوت أحداً إلى طعام إلا رأيت له المنة عليّ، ولا حبس إليّ رجل
إلا ورأيت له الفضل عليّ، ولا قصدني أحدٌ في[1] حاجة إلا وسعيت في قضائها،
ولا شتمت أحداً قط، لأنه إن شتمني أحد رجلين: إما كريم فكانت منه هفوة
فأنا أحق من غفرها، وإما لئيم فأصون عرضي منه، فقال له عبد الملك: حق لك أن
تكون سيداً شريفاً.

وقال الكلبي: خرج أسماء في أيام الربيع إلى ظاهر الكوفة، فنزل في رياض
مُعْشِبة، وهناك رجل من بني عَبْس نازل، فلما رأى نزول أسماء وخيامَه قوَّض
خيامه ليرحل، فقال له أسماء: ما شأنك؟ فقال: لي كلب هو أحبُّ إليّ من
ولدي، وأخاف أن تؤذيكم فيؤذيه بعضُ غلمانكم، فقال له أسماء: أقِمْ وأنا ضامن
كلبك. ثم قال لغلمانه: إن رأيتم كلبه قد وَلَغ في قدوري وقصاعي فلا تهيجوه،
وأقام على ذلك مدة، ثم ارتحل أسماء، ونزل في وصية رَجُل من بني أسد، وأتى
الكلب على عادته، فضربه الأسدي بسهم، فجاء العبسي إلى أسماء، فقال له: أنت

(١) في ب « ولا تصيب أحد حاجة إلا — ج »

فقلت كافٍ ، فقال له : فكم هي ؟ قال : عوّدته عادة فخشيت أن يُلزمها غيرك ، فقتل ، فأمر له بمائة ناقة دية الكلب .

ولما أراد أسماء أن يهدي ابنته إلى زوجها قال : يا بُنيّة ، كوني لزوجك أمة يكن لك عبداً ، ولا تدني منه فيملك ، ولا تباعدي عنه فتثقلي عليه[1] ، وكوني له كما قلت لأمك :

خذي العفو مني تستديمي مودتي ... ولا تنطقي في سَوْرتي حين أغضب

فإني رأيت الحب في الصدر والأذى ... إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

وقال الرياشي : قال أسماء بن خارجة لامرأته : قصي لحيتي ، فقالت له : إلى كم ترقع منك ما خلق ؟ فقال :

عيّرتني خلقاً أبليت جدته ... وهل رأيت جديداً لم يعد خلقا[2]

كما لبست جديدي فالبسي خلقي ... فلا جديد لمن لم يلبس الخلقا

وأسند أسماء عن علي بن أبي طالب وابن مسعود ، وتوفي سنة ست وستين وقيل سنة ثنتين وثمانين ، وهو ابن ثمانين سنة ، رحمة الله تعالى عليه .

(١٢)

تقي الدين ابن أبي اليسر

تقي الدين بن أبي اليسر إسماعيل بن إبراهيم بن أبي اليسر ، مُسْنِد الشام تفرّد بأشياء كثيرة ، وكان جده كاتب الإنشاء لنور الدين ، وكتب هو للناصر داود ، وكان متميزاً في كتابة الإنشاء ، جيّد النظم ، حسن القول جداً ، مصوناً ، صحيح السماع ، من بيت كتابة وجلالة ، وولي بدمشق نظارة المارستان ومشيخة أم الصالح ومشيخة الزاوية بدار الحديث الأشرفية .

روى عنه قاضي القضاة نجم الدين ابن صصرى وابن العطار وابن تيمية وأخواه وابن أبي الفتح

سأله أبو حفص بن أبي المعالي أن يجيز أبيات ابن الرومي الرائية التي أولها :

وحديثها السحر الحلال لو أنه ... لم يجن قتل المسلم المتحرز

إن طال لم يُملل ، وإن هي أوجزت ... ودّ المحدَّث أنها لم توجز

---

(١) في ب « فتثقل عليك » .

(٢) الخلق – بفتح الخاء واللام جميعا – في الأصل الرث البالي من الثياب

فقال وحديثُهُ الحديث لا كالحديث عَذُبَ صوالله الزلال ، وأسكر فاشه العتيق الجِرْيال[1] ، واستملى من غير ملل ولا املال ، وشغل عن عدد من واجب الأشغال ، وحوى من فعل سحر المتحرز مالبس بحلال ، وصادف اشتراكه النفوس ، ومالت إلى وَجْهِهِ وجهة الأعناق والرؤس ، فهو نزهة العيون وعقل العقول ، والموجز الذى ود المحدث أن يقول

حديث حديث الروض فتح نوره فمن نوره قد زاد فى السمع والبصر

يجرون للأذقان عند سماعه كأنهمُ من شيعة وهوَ منتظر[2]

لقد مله طول الحديث لسامع ولا مقربه من بطانته ضجر

به طُرَف الطرف تجنى وعُقلة لمن قد رأى كيف قد سبقن إلى سقر

هى السحر فاسمع ما يقول فإنه غريب وحدّث بالرواية عن قمر

وكتب على لسان سيف الدين بن معلد الكامل بن شادى إلى الملك الأشرف ـ وكان أبطأ عليه عطاؤه ـ رقعة مضمونها :

يقبل الأرض بين يدى الملك الأشرف ـ أعز الله نصره ، وشرح بمقامه نفس الدهر وصدره ـ وينهى أنه وصل إلى باب مولانا كما قال المتنبى :

حتى وصلتُ بنفس مات أكثرُهُ وليتنى عشت منه بالذى فضلا

ويرجو ما قاله فى البيت الآخر :

أرجو نداك ولا أخشى المطال به يا من إذا وهب الدنيا فقد بخلا

فأعطاه صلة سَنِيّة ، وقرّر له جامكية ، وأحسن قراه ، ووهب له ما كان .

وكتب إلى القاضى بدر الدين السنجارى :

لولا مواعيد آمال أعيش بها لَمُتُّ يا أهل هذا الحى من زمن

وإنما طرْفُ آمالى به مَرَح تجرى بوعد الأمانى مطلق الرسن

---

(١) الجريال ـ بكسر فسكون ـ هنا الخمر

(٢) يشير إلى مذهب بعض الشيعة فى الإمام المنتظر

ومن شعره

خلى كشفت معذبى ما طوته ... أحوى الصباح برقه إذ أشبهه (١)

قصص مثل عذاره مكتوبة ... حسن ما خط لحظ وأحلى

والله لا أهملتُ لامَ عذاره ... يا عاذلى ، ما كلُّ لام مهملة

اقرأ على قلبى ... فى حسنه ... آيات ... قد ...

آيات تحريم الوصال أظنها ... الخدود مؤنثة

ثبت الغرام بحاكم من حسنه ... وشهوده الألحاظ وهى معدّلة

إن أبعدته يد النوى عن ناظرى ... فهو مقيم بين ...

بالعاديات قد عدى عن صفحتى ... فى ...

شمس النفوس لسبه قد كوّرت ... والنار فى الأحشاء فيه مشعلة

ومن ... الله ... فوق عشرة آلاف درهم ، ووقعت فى ... (٢) ورأيت ... فى النوم ، فشكوت له ثقل ديني ، فقال : امدح النبى صلى الله عليه وسلم ، فقلت : أعجز عن مدحه صلى الله عليه وسلم ، فقال : امدحه يوف دينك ، فقلت وأنا نائم :

أحمد ... فى طول المدى ... أو تقال القصائدا

هى ... المدح ... بحورها ... أعين وأنشدا

ونظمت ... القصيدة ، فوفّى الله دينى ...

ومن شعره دوبيت

يا أحمد ... لأحباب ... فى آخر الأزمان

والسحر ملك واصح البرهان ... تحيى بالوصل ... الهجران

(١) فى ش « أحوى الصباح تفرعه إذ أسبله »
(٢) فى ب « ووقعت فى ... »

(١٣)

إسماعيل بن إبراهيم بن حمدويه ، أبو علي ، الحمدوي ، وجده حمدويه صاحب الزنادقة على عهد الرشيد

إسماعيل بن إبراهيم بن حمدويه الحمدوي

قال المرزباني : بصري ، مليح الشعر ، حسن التضمين ، اشتهر بقوله في طيلسان ابن حرب بن أخي يزيد المهلبي وشاة سعيد ، وكان يقول : أنا ابن قولي .

يا ابن حربٍ كسوتني طيلسانا	مَلَّ من صحبة الزمان وصدّا
طال تردادُه إلى الرَّفْوِ حتى	لو بعثناه وحده لتهدّى

وله ، ويقال إنه أول شعر قاله فيه ، وقد قال فيه خمسين مقطوعا

كساني ابن حرب طيلسانا كأنه	فتى ناحل نال من الوجد كالشَّنّ
يغني لإبراهيم لما لبسته	(ذهبت من الدنيا وقد ذهبت مني)

يريد إبراهيم بن المهدي ، وهذا الشعر له ويتمته

ذهبت من الدنيا وقد ذهبت مني	هوى الدهر بي عنها وولّى بها عني[(١)]
فإن أبكِ نفسي أبكِ نفساً نفيسة	وإن احتسبها احتسبها على ضنّ

ومن شعر الحمدوي في شاة سعيد :

يا أبا سعيد إن بعثت بشاة سعيد	حاصلا في يديّ غير الإهاب
ليس إلا عظامها لو تراها	قلت : هذي أرانب في جراب
من حيث للشيء القوي إذا ما	أبصروها قيل : شاة النهاب[(٢)]
ستراها كيف تمضي في وجه المضحّي	... يوم الحساب

وقوله مضمنا فيها

أبا سعيد ... شاتك التي	جاءت وما إن لها بول ولا بعر
وكيف تبعر شاة عندكم مكثت	طعامها الأبيضان الماء والقمر
وأنها أبصرت في وجهها علفا	عنت له ودموع العين تنحدر
(يا ما ... لذة الدنيا بأجمعها	إلى ليقضي من وجهك النظر)

(١) عجز هذا البيت في العقد * هوى الدهر بي عنها وأهوى بها عني *
(٢) صدر هذا البيت قلق

وقال فيها :

أسعيد قد أعطيتني أضحية ... مكثت زماناً عندكم ما تطعم

نضواً تنازعت الكلاب لها وقد ... شدّوا عليها كي تموت فيولموا[1]

فإذا الملاَ ضحكوا بها قالت لهم ... لا تهزؤا بي وارحموني ترحموا

مرت على علَفٍ فقامت لم ترِمْ ... عنه وعنت والمدامع تسجم

(وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي ... متأخر عنه ولا متقدم)

وقال فيها

سعيد شويهة ... شلّها الضر والتلف

قد عنت وأبصرت ... رجلا حاملا علف

(بأبي من بكفه ... دره مابي من الدنف)

فدنت مطمعاً ... فأتته لتعتلف

فتولى فغودرت ... تشتكي من الأسف

(ليته لو بكى وقف ... عدت القلب ينصرف)

وذكرت عنها ما كتبه ناصر الدين بن النقيب إلى السراج الوراق :

بو" يعلى من اصطلى القلب من ... يجري وراء تمول أيها الساري

في زقاق سراج الدين موقفه ... أو ذلك الخط أوفى حومة الدار

طيلسان ابن حرب قد صحت به ... من طول بحث وترداد وتكرار

فأجابه السراج

أهدى خطاك ولو كانت على بصري ... الكاب وذاك شريف لمقداري

وإن دارك صان الله مالكها ... أعز عندي من أهلي ومن داري

(١) النضو – بالكسر – الشديدة الهزال

وطيسان من حرب فى وُدِّهِ ... فمن يبك من لأشواق فى نار
إذ ما رق ألفاظ الأثرى به ... فى رفو مالى وفى حوكِ لأشعار

(١٤)

الأمير إسماعيل بن سلطان بن على بن مقلد بن منقذ

إسماعيل بن سلطان بن على بن مقلد بن نصر بن منقذ ، شرف الدولة ، الأمير .
ومن شعره :

ومهفهف كتب الجمالُ بخده ... سطراً يُحَيِّرُ ناظر المتأمل
بالغت فى استخراجه فوجدته ... لا رأى إلا رأى أهل الموصل

(١٥)

ابن عز القضاة

إسماعيل بن على بن محمد بن عبد الواحد ، المعروف بابن عز القضاة
ومن شعره :

ما أنت فى ود الصديق تُفرِط ... أرضى بلا سبب عليه وتسخط
ما من تلون فى الوداد أما ترى ... وَرقَ الغصون إذا تلون يسقط

وقال يصف شموعاً :

وزهر شموع إن مددت بنانها ... لتمحو سطور الليل نابت عن البدر
وبيض كافوريةٌ حلت أسهـا ... عمود صباح فوقه كوكب الفجر
وصفراء تحكى شاحبا شاب رأسه ... فأدمُعُها تجرى على ضَيعة العمر
وحمراء تبدو وَقدُها فوق قدها ... كنرجسة تَزْهى على الغصن النضر
ولا عجو أن تحكى الأزاهرَ حسنها ... أليس جناها النحلُ قِدْماً من الزهر

وله أيضاً :

ومستتر بالشَّعر من فوق خده ... غدا قائلا شَبِّههُ لى عيانى
فقلت سترت الليل بالصبح قال لا ... ولكن سترت النور بالظلمات

(١٦)

إسماعيل بن علي ، العين زربي ، نسبة إلى عين زربة(١) ، ثغر بقرب المصيصة

إسماعيل بن علي ، العين زربي

ومن شعره :

وحقكم لا زرتكم في دُجُنَّة … من الليل تخفيني كأنيَ سارق
ولا زُرْتُ إلا والسيوف شواهر … عليّ وأطراف الرماح لواحق

ومنه أيضاً :

أعينيّ لا تستبقيا فيضَ عَبرة … فإن النوى كانت لذلك موعدا
فلا عجبا أن تمطر العين بعدهم … فقد أبرقَ البينُ المشتُّ وأرعدا
ويوم كساه الغيمُ ثوبا مُصَنْدلا … فصاغت طِرازَيْه يدُ البرق عسجدا
كأن السما والرعد فيه تذكّرا … هوًى هيما فاستعبرا وتنهّدا
ذكرت به فيض كفك والندى … ومن كان أندى راحة وأجودا

ومنه أيضاً

أحِنُّ إلى ساكنات الحجاز … وقد حجزتني أمور [illegible]
بكيت ففاضت بحار الدموع … وكان لها من هواي [illegible]
وظن العذول بأني سلوت … لفقد البكاء وجاري وقال
حقيقاً حقيقاً وجدت السلو … فقلت له : بل محال محال

ومن هذه المادة قول ابن [illegible] :

أرى ألف ألف مليح فلا … كأني رأيتُ مليحاً سواه
أراه ومالي وُصُول إليه … وراحة قلبي أني لا أراه
وقالوا هواك مقيم مقيم … عليه فقلت كما هو كما هو

---

(١) كذا في الأصول كلها ، وفي ياقوت « عين زربى » بفتح الزاي وسكون الراء ثم باء موحدة مفتوحة فألف مقصورة .

(١٧)

الملك المؤيد ، صاحب حماه .

أبو الفداء
الملك المؤيد
إسماعيل بن علي

إسماعيل بن علي الإمام العالم الفاضل السلطان الملك المؤيد عماد الدين أبو الفدا ابن الأفضل بن المظفر بن المنصور ، صاحب حماة

مات في الكهولة سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة

كان أميراً بدمشق ، وخدم الملك الناصر لما كان في الكرك ، وبالغ في ذلك ، فوعده بحماة ، ووفى له بذلك ، فأعطاه حماة بأمر لا يقدر بحسب بعد موت نائبها قبجق[1] ، وجعله سلطاناً يفعل فيهما ما يشاء من إقطاع وغيره ، ليس لأحد من الدولة بمصر معه كلام ، وأركبه في القاهرة بشعار الملك وأبهة السلطنة ، ومشى الأمراء والناسُ في خدمته ، حتى الأمير سيف الدين تنكز أرغون النائب ، وقام له القاضي كريم الدين بكل ما يحتاج إليه في ذلك المهم من التشاريف والإنعامات على وجوه الدولة وغيرهم ، ولقبوه الملك الصالح ، ثم بعد قليل لقبه الملك المؤيد

وكان كل سنة يتوجّه إلى مصر بأنواع من الخيل والرقيق والجوهر ، وسائر الأصناف الغريبة ، هذا إلى ما هو مستمر طول السنة مما يُهديه من التحف والطُّرَف . وتقدم السلطان الملك الناصر إلى دواوينه بأن يكتبوا إليه « يقبل الأرض » وكان الأمير سيف الدين تنكز رحمه الله تعالى يكتب إليه « يقبل الأرض بالمقام العالي الشريف المؤيدي السلطاني الملكي المولوي العمادي » وفي العنوان « صاحب حماة » ويكتب إليه السلطان « أخوه محمد بن قلاوون » « أعز الله أنصار المقام الشريف العالي السلطاني الملكي المؤيدي العمادي » بلا مولوي

وكان ملكاً فيه مكارم وفضيلة تامة ، من فقه وطب وحكمة وغير ذلك ،

(١) في ث « سحق »

وأجود ما كان يعرفه علم الهيئة لأنه أتقنه ، وإن كان قد شارك في سائر العلوم مشاركة جيدة ، وكان محبًا لأهل العلم ، مقربا لهم ، أوى إليه أثير الدين الأبهري ، وأقام عنده ، ورتب له ما يكفيه ، وكان قد رتب لجمال الدين محمد بن نباتة كل سنة ستمائة درهم ، وهو مقيم بدمشق ، غير ما يتحفه به

ونظم « الحاوي »[1] في الفقه ، ولولا معرفته معرفة جيدة ما نظمه ، وله تاريخ كبير ، وكتاب « الكناش » مجلدات كثيرة ، وكتاب « تقويم البلدان » هذبه وجدوله وأجاد فيه ما شاء ، وله كتاب « الموازين » جوده وهو صغير

ومات وهو في الستين ، رحمه الله تعالى !

وله شعر ، ومحاسنه كثيرة ، ولما مات رثاه الشيخ جمال الدين بن نباتة بقصيدة أولها :

ما للندى لا يلبي صوت داعيه ... أظن أن ابن شاد قام ناعيه

ما للرجاء قد اشتدت مذاهبه ... ما للزمان قد اسودت نواحيه

نعى المؤيد ناعيه فيا أسفي ... للغيث كيف غدت عنا غواديه

كان المديح له عرس بدولته ... فأحسن الله للشعر العزا فيه

يا آل أيوب صبرًا إن إرثكم ... من أمر أيوب صبرًا كان ينجيه

هي المنايا على الأقوام دائرة ... كل سيأتيه منها دور ساقيه

وتوجه الملك المؤيد في بعض السنين إلى مصر ومعه ابنه الملك الأفضل محمد ، فمرض ولده ، وحضر إليه السلطان الحكيم جمال الدين ابن المغربي رئيس الأطباء ، فكان يجيء إليه بكرة وعشية ، فيراه ويبحث معه في مرضه ، ويقدر الدواء ، ويطبخ الشراب بيده في دست فضة ، فقال له ابن المغربي : يا خوند ، والله ما تحتاج إلي ، وما أجيء إلا امتثالا لأمر السلطان ، ولما عوفي أعطاه بغلة بسرج وكنبوش مزركش وتفصلة[2] قماش وعشرة آلاف درهم ودست الفضة ، فقال : يا مولاي ، أعذرني فإني ما خرجت من القاهرة ما حسبت مرض هذا الآن

---

(١) « الحاوي » في فقه الشافعية تأليف قاضي القضاة الماوردي

(٢) لعل الأصل « وتفصيلة قماش »

ومدحه الشعراء ، وأجازهم ، وللمامات وفى كتبه على أصحابه ، ووقف مساحة

ومن شعره :

قرأ على طيب الحيا   فسلام صب مات حزنا
وعلى يديك أحمد   تحل الزمان بهم وصنا
وكان يشترى قربهم   بالمال والأرواح جدنا
متخرج كأس العمر   فى نبت للأشجان زهنا
صب مضى وحدانه   يقدى له ما قد تمنى

وله أيضا

كم [من] دم حللت وما ندمت   تقص ما شتهى فلا عدمت
لو أمكن الشمس عند رؤيتها   ثم مواطى أقدامها لثمت

وله أيضا عن عمه

سرى نشر الصبا فصحت منه   من الهجران كيف صبا إليا
وكيف ألم بى من غير وعد   وفارقنى ولم يعطف عليا

وله موشح رحمه الله تعالى

أودعى العمر فى لعل وهل   ياويح من عمره مضى بلعل
والشيب وافى وعهده نزلا   وفر منه الشباب وارتحلا
ما أوقح الشيب الأبى   إذ حل لا عن مرضاتى
الشوق أضعفنى ولازمنى   وحاز نفسى قوة البدن
لكن هوى القلب ليس بنتقص   وفيه مع دا بين جرحه غصص
سوى حبيب للذات   كأنه من عادات
يا عاذلى لا تطل ملامك لى   فإن سمعى ناء عن العذل
وليس يجرى للام والعذل   فيمن صبابات عشقه جدد
دعنى أنا فى صبوتى   أنت البرى من لأبى
كم سرنى الدهر غير مقتصر   بالكأس والغانيات والوتر

يمرح فى طيب عيشنا الرغد   طرفى و وجهى وسائر الجسد
وكم صنعت لى خطــرانى   وســعــــدتى أوقاتى
مضى رسولى إلى معـــذبتى   وعاد فى مهجة مجـــددة
وقال . قلت تعال فى نحوى   لمنزلى قبل أن يجى رحلى
وصمد وتحـــرز من طارقى   ولا تخف من جارانى

قال ومن الغريب أن السلطان ـ رحمه الله ! ـ كان يقول : ما أظن أنى استكمل من العمر ستين سنة ، فإن أهلى ... من بنى الدنيا ـ من أسلافهم ، وفى أول الستين من عمره قال هذا الموشح ، ومات فى بقية السنة ، رحمه الله تعالى !

وهذه الموشحة جيدة فى بابها ، منسوجة على طلاوتها ، وقد ... موشحة لابن سناء الملك رحمه الله تعالى ، وهى

حسبى ، ويا قلما تفيد حسبى   أرى لنفسى من الهوى ...
... من قد كلفت به   ... قد لج فى نفسه
وبى إذن شـــوق عاتى   ومدمعى يوم شــانى
لا أترك اللهو والهوى أبد   ولى أطلت العزم والعهد
إن شئت فاعدل فلست أسمع   أ... لدى فى الغرام أنفع
وتعتدى صـــبابانى   وتدعـــى وعادانى
لى ملك فى الجمال لا نشر   ... إن قيـــل إنه قمر
يحس فيــه الولوع والوله   وعز قلبى فى أن أذل له
حدى جـــداً ... بانى   وربعى حشاشـــانى
ست أدم الزمان معتذبا   كم قد قطعت الزمان ...
وظلت فى نعمة وفى ...   ... سمعى وناظرى وفمى
ولا قدى فى كاســـاتى   و...تى فى الجنـــات

وعادتى ديهيا محمتى ولا ترى فى الهوى محمقى
وتسيبى ولست أنصفها فقلت قولا عساه يخدعها
ما هو كذا يا مولاى أجرى منى فى ماواتى

وموشحة السلطان ـ رحمه الله تعالى ـ نقصت عن موشحة ابن سناء الملك مافقد
التزمه من القافيتين فى الخرجة وهو الدال فى « كذا » والنون فى « منى » وخرجة
ابن سناء الملك أحسن من خرجة السلطان ، رحمهما الله تعالى !

(١٨)

السيد الحميرى
إسماعيل بن محمد

السيد الحميرى :

إسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة .

كان شاعراً محسناً ، كثير القول ، إلا أنه كان رافضياً حاداً رافعاً عن القصد
له مدائح جمة فى آل البيت ، وكان مقيما بالبصرة ، وكان أبواه ينتقصان عليًّا ،
وسمعهما يسبّانه بعد صلاة الفجر ، فقال :

لعن الله والدىّ جميعاً ثم أصلاهما عذاب الجحيم

وكان يرى رجعة محمد بن الحنفية فى الدنيا ، وكان كثيِّرُ الشاعر يرى هذا
الرأى ، وكان السيد يعتقد أن ابن الحنفية لم يمت وأنه فى جبل بين أسد ونمر
يحفظانه ، وعنده عينان نضّاختان يجريان بماء وعسل ، ويعود بعد الغيبة فيملأ
الدنيا عدلاً كما ملئت جوراً ، وقيل : إن السيد اجتمع بجعفر الصادق عليه
السلام فعرّفه خطأه ، وأنه على ضلالة ، فتاب .

وقال المرزبانى فى معجم الشعراء إنه إسماعيل بن محمد بن وداع الحميرى ،
ولذلك يقول :

إنى امرؤ حميرىٌّ حين تنسُبنى جدى رعينٌ وأخوالى ذوو يزنِ
ثم الولاء الذى أرجو النجاة به يوم القيامة للهادى أبى الحسن

وكان أسمر، تام القامة، حسن الألفاظ، جميل الخطاب، مقدماً عند المنصور والمهدى

ومات أول أيام الرشيد سنة ثلاث وسبعين ومائة ، وولد سنة خمس ومائة .

وكان أحد الشعراء الثلاثة الذين يضبط ما لهم من الشعر لكثرته ، هو وبشار وأبو العتاهية ، وإنما مات ذكره ، وهجر الناس شعره لشتمه الصحابة وبعض أمهات[1] المؤمنين وإطالته في قذفهم ، فتحاماه الرواة .

قال المرزبانى : سمعت أبا عبيدة يقول : أشعر أمية أحد كذهم يزيد بن مفرغ[2] والسيد الحميرى .

وقال السيد : أتى بى أبى إلى محمد بن سيرين وأنا صغير فقال لى : يا بنى ، اقصص رؤياك ، فقلت : رأيت كأنى فى أرض سبخة ، وإلى جانبها أرض حسنة ، والنبىّ صلى الله عليه وسلم واقف فيها ، وليس فيها نبت ، وفى الأرض السبخة شوك ونخل ، فقال لى : يا إسماعيل ، أتدرى لمن هذا النخل ؟ قلت : لا ، قال : هذا لامرئ القيس بن حجر ، فانقله إلى هذه الأرض الطيبة التى أنا فيها ، فجعلت أنقله ، إلى أن نقلت جميع النخل وحوّلت شيئا من الشوك ، فقال ابن سيرين لأبى : أما ابنك هذا فسيقول الشعر فى مدح طهرة أبرار ، فما مضت إلا مدة حتى قلت الشعر .

قال ابن سلّام : فكانوا يروون أن النخل مدحه أميرَ المؤمنين وذريته ، وأن الشوك من حوله وما أمر بتحويله هو ما خلط به من شعره من سب السلف .

وقال الصولى : حدثنا محمد بن الفضل بن الأسود ، حدثنا على بن محمد بن سليمان ، قال : كان السيد يزعم أن عليا رضى الله تعالى عنه سمّى محمد بن الحنفية المهدى ، وأنه الذى بشّر به النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وأنه حىّ فى جبل رضوى

---

(١) كذا ، ولعله : ولكن أحسب الأصل « وبعض أمهات المؤمنين »
(٢) كان يزيد بن مفرغ يهجو عبيد الله بن زياد كثيرا

قال الصولى : قال أبو العيناء للسيد : ما مذهبك تقول بالرجعة ؟ قال : هو مذهبك . قال : فأعطني دينارا بمائة دينار إلى الرجعة ، فقال السيد : على أن توثق[1] لى عن ضمين أنك ترجع إنسانا ، أخاف أن ترجع قردا أو كلبا فيذهب مالى .

وكان السيد إذا سئل عن مذهبه أنشد من قصيدته المشهورة :

تجئ مُجِيبًا لا سق سهم	سواه فعنده حصل الرجاء
تغيّبَ غيبة من غير موت	ولا قتل ، وسار به القضاء
وبين الوحش يرعى فى رياض	من الآفاق مرتعها خلاء
حلٌّ فما بها شئ سواه	بغقـــوتيه له عسل وماء
إلى وقتٍ ، ومدة كل وقت	...وين طامت عليه لها انقضاء
فقل للمصب ذى صلالا	تقوم وبين عمدهم غثاء
فداء لابن خولة كل نذل	يطيف به ، وأنت له فداء
كأنما بابن خولة عن قريب	ورث العرش يعمل ما يشاء
يهز دوين عين الشمس سيفا	كلمع البرق أخلصه الجلاء
تشبه وجهه قمرا مــــنيرا	يضيء له إذا طلع السناء
فلا يخفى على أحد بصير	وهل بالشمس صاحية خفاء
هنالك تعلم الأحزاب أنا	ليوث لا يقاومها لقــــاء
صدرك بالدحول بنى أمىّ	وفى ذاك الدحول لهم شفاء[2]

وحكى أن اثنين تلاحيا فى أى الخلق أفضل بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

(1) فى ب « على أن توصى لى »
(2) الدحول جمع دحل ، وهو الثأر

فقال أحدهما : أبو بكر ، وقال الآخر : علىّ ، فتراضيا بالحكم إلى أوّل مَنْ يَطلع عليهما ، فطلع عليهما السيد الحميرى ، فقال القائل بفضل على : قد تنازعتُ أنا وهذا إليك فى أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت أنا : على ، فقال السيد : وما قال هذا ابن الزانية ؟ فقال : لم أقل شيئا .

قيل : لما استقام الأمر للسفّاح خطبَ يوما فأحسن الخطبة ، فلما نزل عن المنبر قام إليه السيد الحميرى فأنشده

دُونَكموها يا بنى هاشم ... فجدّدوا مِنْ آيِها الطامسا
دونكموها فالبَسُوا تاجها ... لا تعدموا منكم له لابسا
دونكموها لا علا كعبُ من ... أمسى عليكم مُلكها نافسا
خلافة الله وسلطانه ... وعنصرا كان لكم دارسا
قد ساسها قبلكمُ ساسةٌ ... ما تركوا رطبا ولا يابسا
لو خُيِّرَ المنبر فُرسانه ... ما اختار إلا منكمُ فارسا
فلستُ من أن تملكوها إلى ... هبوط عيسى منكمُ آيسا

فقال السفاح : سَلْ حاجتك ، قال : تَرضى عن سليمان بن حبيب بن المهلب وتوليه الأهواز ، قال : قد أمرت بذلك ، وكتب عهده ودفعه إلى السيد ، وقَدِمَ به عليه ، فلما وقعت عينه عليه أنشده :

أتيتك يا قَرْمَ أهلِ العراق ... بخير كتاب من القائم
يُوَلّيكَ فيه جسام الأمور ... فأنت صنيع بنى هاشم
أتيتا بعهدك من عنده ... على من يليك من العالم

فقال له سليمان : شريف وشافع وشاعر ووافد ونسيب ، سَلْ حاجتك ، فقال : جارية فارهة جميلة ، ومَنْ يخدمها ، وبَدْرةُ دراهمَ ، وحاضنة ، وفرس رائع ، وسائسه ،

وتحت من صنوف الثياب ، وحامله ، قال : قد أمرت لك بكل ما سألت ، وهو لك عندى كل سنة

قال أبو ربحة ، وكان يُشار إليه فى التصوف والورع : حدثنى رجل كان أبوه فى جوار السيد قال : لما حضرته الوفاة جاءنا رسوله فقال : هذا وإن كان يخلط فهو من أهل التوحيد ، وهو جاركم ، فادخلوا إليه ولقّنوه الشهادة ، قال : فدخلنا إليه وهو يجود بنفسه ، فقلنا له : قل لا إله إلا الله ، فاسودّ وجهه، وفتح عينيه وقال (وحيل بينهم وبين ما يشتهون) قال : فخرجنا من عنده ، فمات من ساعته

(١٩)

إسماعيل بن محمد الإسكندرانى ابن مكنسة

ابن مكنسة الإسكندرانى .

إسماعيل بن محمد ، توفى فى حدود الخمسمائة

من شعره

رقّت محاسنُ خصره فكأنها	مشتقة من عهده وتجلدى
وتجعدت أصداغه فكأنها	مسروقة من خلقهِ المتجعد
ما باله يجفو وقد زعم الورى	أن الذى يختص بالوجه الندى
لا يخدعنّك وجنة محمرّة	رقت ففى الياقوت طبع الجلمدِ
وزعمت أنى ست من أهل الهوى	صبا أقل ما شئته وتقلد
والله ما أنصفتَ وما أنصفا	مذ ابتليت بحب طرف أسود

وله أيضا

صيرتموه يا بنى	مكحول عشاق شِدّة (1)
لكم الولاية فى الهوى	أمر أراد الله عقدهُ

(1) منع «مكحول» من الصرف ـ أى التنوين ـ للضرورة

ما قاد عسكر قط ثم — إلا وكان الحُسْنُ جُنْدَهْ

ما ينثني حتى يعضّ — على وَلِيِّ العهد بَنْدَهْ

وله أيضاً

يعطيك مبتدئاً لدى ميسرته — ويضاعف الإعطاء في عسراته

بيتٌ جاره فالعيش تحت ظلاله — واستسقه فالبحر من أنوائه[1]

يلقى الخطوب بمثلها من صبره — والبارات بمثلها من رأيه[2]

فالطود حاسد حلمه وأناته — والسيف حاسد بأسه ومضائه

وله أيضاً

يا رب عربيد إذا ما انتشى — أربى على المجنون في مسّه

قالوا: قد تاب، ووالله ما — يتوب أو يحمل في رمسه

وإنما توبته هـــــذه — عربدةٌ أيضاً على نفسه

(٢٠)

أشعب بن جبير المدني (الطامع)

أشْعَبُ بن جبير المدني

الذي يضرب به المثل في الطمع.

رَوَى عن عِكْرِمة وأبان بن عثمان وسالم بن عبدالله، وله النوادر المشهورة

قال: حدثنا عكرمة عن ابن عباس قال: إن لله على العبد نعمتين[3]،

وسكت، فقيل له: اذكرهما، فقال: الواحدة نسيها عكرمة، والأخرى نسيتها أنا.

وهو خال الأصمعي

وقال يوماً: اعمدوا امرأة أتحدث في حبها فتشبع، وتأكل مخ جرادة فتتخم

---

(١) الأنواء: جمع نوء — بالفتح — وهو هنا المطر

(٢) البارات: السيوف، ورأيه: هو رأيه

(٣) في ب، ت «نعمتان»

وأسلمته أمه في البزازين ، فقال لها يوما : تعلمتُ نصف الشغل ، قالت وما هو ؟ قال : تعلمت النشر ، وبقي الطي .

وقيل له : ما بلغ من طمعك ؟ قال : ما زُفّت امرأة في المدينة إلا كنستُ بيتي رجاء أن تهدى إليّ .

ومرّ برجل يعمل طبقاً ، فقال له : وسّعه ، فربما يشتري به أحد ويُهدي لنا فيه شيئاً .

ومن عجائب أشعب أنه لم يمت شريف بالمدينة إلا استعدى على وصيه أو وارثه ، وقال له : احلف أنه لم يوصِ لي بشيء قبل موته .

وكان زياد بن عبد الله الحارثي على شُرطة المدينة ، وكان مبخلا ، فدعا أشعب في شهر رمضان ليُفطر عنده ، فقدمت له أول ليلة مَضيرة[1] معقودة ، وكانت تعجبه ، فأمعن فيها أشعبُ وزياد يلمحه ، فلما فرغوا من الأكل قال زياد : ما أظن لأهل السجن إماماً يُصلي بهم في هـذا الشهر ، فليُصلِّ بهم أشعب ، فقال أشعب : أو غير ذلك أصلحك الله ، قال : وما هو ؟ قال : أحلف بالطلاق أن لا أذوق مضيرةً أبداً ، فخجل زياد ، وتغافل عنه .

وقال أشعب : جاءتني جارية بدينار ، وقالت : هذا وديعة عندك ، فجعلته بين ثني الفراش ، فجاءت بعد أيام تطلب الدينار ، فقلت : ارفعي الفراش وخذي ولده ، وكنت تركت إلى جانبه درهما ، فتركتِ الدينار وأخذت الدرهم ، وعادت بعد أيام فوجدت معه درهما آخر ، فأخذته ، وعادت في الثالثة كذلك ، فلما جاءت الرابعة تباكيتُ ، فقالت : ما يبكيك ؟ فقلت : مات الدينار في النفاس ، فقالت : وكيف يكون للدينار نفاس ؟ فقلت : يا مائقة[2] تصدقين بالولادة ولا تصدقين بالنفاس ؟

---

(١) المضيرة — بفتح الميم — طعام يتخذ من اللبن الماضر واللحم

(٢) المائقة : الحمقاء

وسأله سالم بن عبد الله بن عُمَر عن طمعه، فقال: اجتمعت مع الصبيان يوماً، فقلت لهم: هذا أبان بن عثمان قد طبخ هريسة، وهو يفرقها. فذهبوا إليه، فلما ذهبوا ظننت أن الأمر كما قد قلت، فعَدَوْتُ[1] خلفهم.

وقيل له: ما بلغ من طمعك؟ قال: أرى دُخان جاري فأثرد.

وقيل له أيضاً، قال: ما رأيت اثنين يتسارّان إلا ظننت أنهما يأمران لي بشيء.

وجلس يوماً في الشتاء إلى إنسان من ولد عُقْبة بن أبي مُعَيط، فمرّ به حسن ابن حسن، فقال: ما يُقْعِدك إلى جانب هذا؟ قال: أصطلي بناره.

ولما مات ابن عائشة المغني جعل أشعبُ يبكي، ويقول: قلت لكم زوّجوا ابن عائشة من ابن سعيد حتى يخرج بينهما مزامير داود، فلم تفعلوا، ولكن لا يُغْنِي حَذَر من قدر.

ولما أخرجت جنازة المريعة المغنية كان أشعب جالساً مع نَفَر من قريش، فبكى أشعب، وقال: اليوم ذهب الغناء كله، وترحّم عليها، ثم مسح عينيه والتفت إليهم وقال: وعلى ذلك فقد كانت الزانية شر خلق الله، فضحكوا، وقالوا: يا أشعب ليس بين بكائك عليها وبين لعنك لها فرق، قال: نعم كنا نجيئها الفاجرة بكبش إذا أردنا أن نزورها، فتطبخ لنا في دارها ثم لا تعشينا إلا بسلق.

وجاء به يوماً سِبْط ابن سريج، فوثب إليه، وحمله على كتفه، فجعل يرقّصه ويقول: فديت مَنْ وُلد على عود، واستهلّ[2] بنغم، وحُنِّك بملْوَى، وقُطعت سُرَّته بزير، وخُتن بمضراب.

وقيل له: هل رأيت أطمع منك؟ قال: نعم، كلب أم حومل، تبعني فرسخين وأنا أمضغ لباناً.

---

(١) عدوت: بالعين المهملة: اشتددت في السير، وفي ب «فعدوت».

(٢) استهل المولود: صاح عند ولادته.

وخفف الصلاة مرة ، فقال له بعض أهل المسجد : خففت الصلاة جدًّا ، فقال : إنها صلاة لم يخالطها رياء .

وقال له رجل : كان أبوك عظيم اللحية ، وأنت كَوْسَج[1] ، فإلى من أشبهت ؟ قال : أشبهت أمي .

وقيل له : هل رأيت أطمع منك ؟ قال نعم ، خرجت إلى الشام مع رفيق لي[2] ، فمررت على بيت بعض الديارات ، فتلاحينا ، فقلت : أير الراهب في است الكاذب ، فو الله ما شعرت إلا والراهب قد طلع علينا وقد أنعظ ، وهو يقول : من الكاذب منكم .

وكان أشعب لا يغيب عن طعام سالم بن عبد الله بن عمر ، فاشتهى سالم يوما أن يأكل مع بناته ، ثم خرج إلى بستان له ، وعلم أشعب بالقصة ، فاكترى جملا بدرهم ، فلما حاذى حائط البستان وثب من على الجمل فصار على الحائط ، فغطى سالم بناته بثوبه ، وقال له : تدخل على بناتي من غير استئذان ؟ فقال أشعب : لقد علمت ما لنا في بناتك من حق ، وإنك لتعلم ما نريد .

وقال رجل يوما لأشعب : ما بلغ من طمعك ؟ فقال : ما سألتني عن هذا الأمر إلا وقد خبأت لي شيئا تريد أن تعطيني إياه .

وقيل : هو من موالي عثمان بن عفان .

وتوفي سنة أربع وخمسين ومائة ، وولد سنة تسع من الهجرة ، فعمّر طويلا .

وامرأته بنت وَرْدان الذي بنى قبر النبي صلى الله عليه وسلم .

وكان أشعب قد قرأ القرآن وتنسك ، وكان حسن الصوت في القراءة ، وربما صلى بهم في المسجد .

---

(١) الكوسج : الذي ليس بوجهه شعر (الأجرود) .

(٢) في ت « مع رفيق لنا » .

قال المدائني: قال أشعب: تعلقت بأستار الكعبة، وقلت: اللهم أذهب الحرص عني، فمررت بالقرشيين وغيرهم، فلم يعطني أحد شيئاً، فجئت إلى أمي، فحكيت لها ذلك، فقالت: والله لا تدخل بيتي حتى تذهب فتستقيل الله تعالى، فرجعت فقلت: يا رب قد سألتك أن تخرج الحرص من قلبي، فأقلني[1]، ثم رجعت، فلم أمر بمجلس من مجالس قريش وغيرهم إلا سألتهم وأعطوني، ووهبوا لي غلاماً، فجئت إلى أمي بحمار موقور[2] من كل شيء، فقالت: ما هذا؟ فخفت إن أعلمتها أن تموت، فقلت: وهبوا لي غين، قالت: وما غين؟ قلت: لام، قالت: وأي شيء لام؟ قلت: ألف، قالت: وأي شيء ألف؟ قلت: ميم، قالت: وأي شيء ميم؟ قلت: غلام، فسقطت مغشياً عليها، ولو سميته أول سؤالها لماتت.

ورأى على عبد الله بن عمرو كساء، فقال: سألتك بوجه الله إلا أعطيتني الكساء، فوهبه له.

وكان يقول: حدثني عبد الله بن عمر، وكان يبغضني في الله.

وكان أشعب يجيد الغناء، وذكره إبراهيم الرقيق في كتابه، وذكر له جملة أخبار، رحمه الله تعالى!

(٢١)

إبراهيم ابن سهل الإسرائيلي

إبراهيم بن سهل، الإسرائيلي:

قال ابن الأبار في «تحفة القادم»: كان من الأدباء الأذكياء الشعراء، مات غرقاً مع ابن خلاص والي سبتة سنة تسع وأربعين وستمائة، وكان سنه نحو الأربعين وما فوقها، وكان قد أسلم وقرأ القرآن، وكتب لابن خلاص بسبتة فكان من أمره ما كان.

---

(١) الإقالة في البيع ونحوه: أن تعود فيه فتأخذ السلعة وترد ثمنها

(٢) موقور: قد حمل عليه حمل ثقيل

قال أثير الدين أبو حيان: هو إبراهيم بن سهل، الإشبيلي، الإسرائيلي، أديب ماهر، دوّن شعره في مجلد، وكان يهوديا فأسلم، وله قصيدة مدح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يُسلم، وأكثر شعره في صبي يهودي كان يهواه، وكان يقرأ مع المسلمين ويخالطهم.

قلت: والقصيدة النونية على حرف النون، ذكرها ابن الأبار في ترجمة المذكور، وكان يهوى يهوديا اسمه موسى فتركه، وهوى شابا اسمه محمد، فقيل له في ذلك، فقال:

تركتُ هوى موسى لحبّ محمدٍ ... ولولا هدى الرحمن ما كنت أهتدي
وما عن قِلًى قد كان ذاك وإنما ... شريعةُ موسى عُطِّلتْ بمحمد

وقال الشيخ أثير الدين: أخبرنا وصي الخلافة قال: نظم الهيثم قصيدة يمدح بها المتوكل على الله محمد بن يوسف بن هود ملك الأندلس، وكانت أعلامه سوداء لأنه كان دعا للخليفة ببغداد[1]، فوقف إبراهيم بن سهل على قصيدة الهيثم، وهو ينشدها لبعض أصحابه، وكان إبراهيم إذ ذاك صغيرا، فقال إبراهيم للهيثم: زد بين البيت الفلاني والبيت الفلاني

أعلامه السود أعلامٌ لسؤدده ... كأنهن بخدّ الملك خيلان[2]

فقال له الهيثم: هذا البيت ترويه أم نظمته؟ قال: بل نظمته الساعة، فقال الهيثم: إن عاش هذا ليكونن أشعر أهل الأندلس

والقصيدة التي مدح بها النبيّ صلى الله عليه وسلم منها.

(١) كانت أعلام العباسيين سوداء، وقد أطلقوا على أنصارهم اسم «المسودة».
(٢) الخيلان: جمع خال، وهو نكتة سوداء في الخد، يتملح بها. ووقع في ب «كأنهن بهذا الملك حبلان» تحريف شنيع.

وركبٍ دعتهم نحو طيبة نيةٌ ... فما وجدت إلا مطيعا وسامعا[1]

يسابق وخدَ العيس ماءُ شؤونهم ... فيقفون بالسوق الذي المدامعا

إذا اصطفوا أو رجّعوا الذكر حسبتهم ... غصونا لِدانًا أو حماما سواجعا

تضيء من التقوى حنايا صدورهم ... وقد لبسوا الليل البهيم مدارعا

تكاد مناجاة النبيِّ محمد ... تنم بهم مسكا على الشم ذائعا

تلاقى على ورد اليقين قلوبهم ... حوائم يذكرن النقا ومشرعا

قلوب عرفن الحق فهي قد انطوت ... عليها جُنوب ما عرفن المضاجعا

سقى دمعهم غرس الأسى فزكى الجوى ... فأنبت أزهار الشجون الفواقعا

تشفّوا لدى الصدق محضَ نفوسهم ... وخرّوا بهم وطىء على المراصعا

وهي طويلة

وقال :

سل في الظلام أخاك البدرَ عن سهرى

تدري النجومُ كما تدري الورى خبري

أبيت أهتفُ بالشكوى، وأشرب من ... دمعي، وأنشقُ ريّا ذكرك العطرِ

حتى أخيّل أني شارب ثمل ... بين الرياض وبين الكأس والوتر

بعض المحاسن يهوى بعضها طربا ... تأملوا كيف هام الغنجُ بالحور

إن تقصفي النفار جاء من رشا ... أو تعشقي فمحقّ حبه من قمر

وقال أيضا :

ردّوا على طرفيَ النوم الذي سلبا ... وخبروني بقلبي أيةً ذهبا

علمت لما رضيت الحبَّ منزلة ... أن المنام على عينيَّ قد غصبا

فقلت: واحربا، والصمت أجدر لي ... قد يغضب الحبُّ إن ناديت واحربا

(١) في ث « نحو طيبة فتية » محرفا

إنى له عن دمى المسفوك معتذر أقولُ حملته فى سفكه تعبا

نفسى تلذُّ لأسى فيه وآلمه هل تعطفون لنفسى فى الجوى نسبا

قالوا عهدناك من أهل الرشاد فما أغواك ؟ قلت اطلبوا فى لحظِه السببا

مَنْ صاغه الله من ماء الحياة وَقَدْ أجرى بقيته فى ثغره شَنَبا

يا غائباً مقلتى تهفو لفرقته والقطر إن حجبت شمس الضحى انسكبا

كم ليلة سهرتها والنجم يشهد لى رهينَ شوقٍ إذا عالجته غَلَبَا

مردداً فى الدجى لطفا ، ولو علمت نجومها رَدَّدَتْ من حالتى عجبا

ماذا ترى فى محب ما ذكرت له إلا بكى أو شكى أو حن أو طربا

يرى خيالك فى الماء الزلال ، وما ذاق الشرابَ ، فيروى وهو ما شربا

وقال أيضاً :

ولما عزمنا ولم يبق من مصانعة الشرق غير اليسير

بكيت على النهر أخفى الدموع مرضها لونُهَا للظهور[1]

ولو عرف النهرُ حالى إذا لما صبحونى عند المسير

إذا ما سرى قلبى فى الشراع أعادهمُ نحو حمص زفيرى

وقفت صبوراً وغالبت شوقى وبادى الأسى حسبه من مجير

أمام وقد نفحتْ زفرتى فصار الدنوّ كوقت المصير

ومرّ الفراق بتوديعه فشبهت نأى الدوى بالبشير

وقبلت وجنته فى الدموع كما التقطت وردة من غدير

وقبلت فى القرب منه خُطًا أسيرها نسيم العبير

صرفت نومىَ عن مقلتى وأما حديث لمى فى ضميرى

أموسى نهىَّ سمع الكرى فليلى بعدك ليلُ الضرير

---

(١) لونها : أراد أن دمعه أحمر ، مثلا

وقال أيضاً :

كأن الخال في وجنات موسى ... سواد القلب في نور الوداد
أخطّ لصدغه في الحسن واو ... فنقطة خاله بعض المداد
لواحظه محيرة ولكن ... بها امتدت الشجون إلى فؤادي (١)

وله أيضاً موشح :

يا لحظات الفتن ... في كرها أرى تصيب
ترمي فكلي مقتل ... وكلها سهم مصيب
اللوم للأحي مبيح ... أما قبوله فلا
صفته وجه صبح ... ريق طلاء في طلا (٢)
كالطي ثغره أصح ... وما ازمى شح أملا
يا طي حـد قبي وطن ... فأنت في لأنس غريب
وارتع فدمعي سائل ... ومهجتي جزئي حصيب
بين الق والحوز ... منه الخبء والأحل
تسقت مياه الخفر ... في خده ورد الخجل
ورعته بالنظر ... وأحتبيه بالأمل
في طرفه الساجي وسن ... شهد أجفان الكثب
والردف فيه ثقـل ... خفت له عقل اللبيب
أهدى إلى حر الصاب ... ترد المنى وقد وقد (٣)

---

(١) الشجون : جمع شجن ، وهو الحزن

(٢) الطلا الأول الخمر ، و الثاني الغزال وله الطلبة ساعه صعه

(٣) وقد الأولى مؤلفة من واو العطف وحرف التحقيق ، والثانية فعل ماض
بمعنى اشتعل

فلو يمنعه لذاب　　من زورى ذلك البردْ
ثم ثوى جيدٌ كعاب　　ما خلقته إلا القيدْ
في روعة الظبي الأغنّ　　وهزة الغصن الرطيب
يجري لدمعي جدول　　فيشى منه قضيب
أنت حزت أوصافك　　رضوان صدها للحبير
وطاوعت القلوب لك　　وقيل ما هذا بشر
أم الصبا مضنى هلك　　من النوى أم الكسر
حتى تركبه المحن　　أمر الهوى أمر غريب
كل عشق متمدن　　يزداد بنار الهجر طيب
أعرضت في حسن البديع　　فصار دمعي سربا
شغلُ هوى عندي جميع　　ولدي أبدى ضنا
فتمتع عبداً مطيع　　عن البعض أرضا
هذا الرقيب ما سواهُ　　لو كان للإنسان مريب
مولاي قم ناصلوا　　ذلك لدى طل الرقيب

وله أيضاً موشح :

روض مصير وشادن وطلا　　فاحتش زهر الربيع والفلا واشرب

يا ساقي ما أُوقيتُ سقيتهُ
ضحكتْ رحيقُ الكؤوس صورتهُ
فثنّتْ ثغره ووجنتهُ

هذا حباب كالسلك منتدلا　　ودّ رحيق لدى الزجاج علا كوكب

أقمتُ حربَ الهوى على ساق
وبتُّ عقلي بالخمر من ساق

أشهرن حتفى بنوم أحداقِ

بمثل السحر وسطها كلا — مقلته وهى بحرى الملا فاعجب

قلبك صخر والجسم من ذهب

أيا سمىّ النبى يا ذهبى

حورب من موعدى أنا طرب

يا باحلا لا أدم موصلا — صيرت عندى محبة الحلا مذهب

يا منيتى والمنى من الخُدَع

ما ملت سؤلى ولا الفؤاد معى

هل عنك صبر أو فيك من طمع

أمسيت فيك الدموع والخيلا — ولا شىء فى الحب بات ولا مأرب

أبيت أشكوه لوعتى عجبا

فصدّ عنى بوجهه غضبا

فمذ هذا بدّيت واغربا

تصدعنى يا منيتى مللا — واشتكى من صدودك الملا تعصب

وله من قصيدة فى محبوبه موسى :

وفى ثوب الحزن أحذر لابس — وموسى لثوب الحسن أحسن مُرْتدِ

تأمل نظى شوقى وموسى يشبها — (تجد خير نار عندها خير موقد)

إذا ما رنا شزْرا فقل لحظ أحور — وإن يثْنِ إعراضا فصفحة أغيد

وعَدتُ بالى أنعمَ الله باله — وشهّدنى لا ذاق طعم التسهد

شكوت فحوّانا طبيب ، وإنما — طبيب سقامى فى لواحظ مبعدى

فقال على الناس طبّك حاضر — فقلتُ نعم لو أنه بعض عُوّدِى(١)

(١) الطب بفتح الطاء — الطبيب ، وقالوا « فلان طب بكذا » أى خبير عالم بطريق علاجه

بكيت فقال الجن هُزْؤاً أتشترى ... بماء جفون ماء ثغر منضد

فأنشدته شعراً به أستميله ... فأبدى ازدراء بابن حُجْر ومَعْبد[١]

كأنى بصرف البين حان فجادلى ... بأحلى سلام منه أعظم مشهد

تضمنت منه السير خلف مُشَيّعا ... وعدت أمشى مثل مشى المقيد

وجاء لتوديعى فقلت له أنشدْ ... فشت لك روحى فى الزفير المصعد

حملتُ يمينى كانتطاق لخصره ... وصاغت جفونى حَلْىَ ذاك المقلّدِ

وجدت بذوب التبر فوق مورس ... وضن بذوب الخمر فوق مورد

وسح أجفانى ببَرْدٍ بنانِهِ ... فألف بين المزن والسوسن الندى

فيا آية العفو الحصيف، وصورة السعد، وعنّ الناسك المتعبد

رعَيْتُ لحظى فى جمالك آمنا ... فأرهبنى عن مصدرى حسن مورد

وكان الهوى ما بين عينيك كامنا ... كمون المنايا فى الحسام المهند

أغالُ ونومى فيك هَجْرٌ ووحشة ... ونومى بحمد الله أحسن من غد

وصالك أشهى من معاودة الصبى ... وأطيب من عيش الزمان المههد

عليك نعمت العين من لذة الكرى ... وأخرجت قلبى طيّب النفس من يدى

وله أيضاً :

يقولون لو قبّلته لاشتفى الجوى ... أيطمع فى التقبيل من يعشق البدرا

ولو غفَلَ الواشى لقبلت صحنه ... أنزهه أن أذكر الجيد والثغرا

وما أنا مَنْ يستحمل الرجع سره ... أغار حفاظا أن أذيع له سرا

إذا فتنة الضلال جاءت بسحرها ... فنى وجه موسى آية تبطِلُ السحرا

(١) أراد بابن حجر امرأ القيس الكندى، وأراد بمعبد ذاك المعروف بالحذق بالغناء

(٢٢)

الشيخ إبراهيم الأرموى :

إبراهيم الأرموى

ولد سنة خمس عشرة وستمائة بجبل قاسيون ، وتوفى سنة اثنين وسبعين وستمائة .

من شعره :

سهرى عليك ألذ من سِنَةِ الكرى	وبلاء فيك تهتكى بين الورى
وسوى جمالك لا يروق لناظرى	وعلى لسانى غير ذكرك ما جرى
وحياة وجهك لو بذلتُ حُشاشتى	لمشترى رضاك كنت مُقصِّر
أنا عند حبك لا أحُولُ عن الهوى	يوما وإن لام العذول وأكثر

(٢٣)

مين بصل :

إبراهيم بن على ، الحرانى

إبراهيم بن على ، الحرانى :

شيخ حائك ، كان عاميا أميا ، قصده قاضى القضاة شمس الدين بن خلكان ، واستنشده من شعره ، فقال : أما القديم فلا يليق ، وأما نظم الوقت الحاضر فنعم ، وأنشده :

وما كُلُّ وقتٍ فيه يسمح خاطرى	بنظم قريض رائق اللفظ والمعنى
وهل يقتضى الشرع الشريف تيمما	بترب وهذا البحر يا صاحبى مَعْنَا

وله أيضاً :

وقائل قال إبراهيم عين بصل	أضحى يبيع فَنَاً فى الناس عد فنا[1]
فقلت : مَهْ يا عذولى لا تضيمنى	لو جمعت قدت ولو أدست بعثتُها[2]

---

(١) الفنا الأول — بفتح الفاء مقصورا — عنب الثعلب ، والثانى بمعنى الفناء .

(٢) فى ب « لوجمت قرت » تحريفا

وله أيضاً فى الشكاة والسمك :

كم كنا بتنا نشكى عنك السكان منه فى سائر الأوقات

فشكى السكان واهتزم البيت لدينا خوفا من الطاقات

وله أيضاً :

حسبى بشكم جفونه قد أسقما   ريم بسهم لحظه قلبى رمى

كالريم معتدل القوام مهفهف   مر الجفا تحكمه حلو اللمى[1]

رشأ أحل دمى الحرام وقد رأى   فى شرعه وصلى الحلال محرما

رب الجمال بوصله وبهجره   ألقى وأصلى جنة وجهنما

عن ورد وجنته نأى عذاره   وسيف رمش طرفه الساجى حمى

عانقته فقد ، وبت محدثى   قرنته ندى ، فكيت تنسما

حكمته فى مهجتى وحشاشتى   فجنى وجار علىّ حين تحكما

ياذا الذى فاق الغصون بقده   وبه طلعته على قمر السما

رفقا بمن لولا جمالك لم يكن   حبيب الصبابة والغرام متيما

أنسيت أياما مضت ولياليا   صاحت ، وعيش بالصريم تصرما[2]

إذ نحن لم نخش الرقيب ولم نخف   صرف الزمان ولا نطيع اللوما

والعيش غض ، والحواسد نوم   عنا ، وعين البين قد كحلت عمى

فى روضة أبدت ثغور زهورها   لما بكى فيها الغمام تبسما

مد الربيع على الخمائل نوره   فيها فأصبح كالحسام مخيما

يبدو الأقحى مثل ثغر مهفهف   أضحى المحب به كئيبا مغرما

وعيون نرجسها كأعين غادة   ترنو فترمى باللواحظ أسهما[3]

---

(١) اللمى : الرضاب (الريق — ماء الفم)

(٢) الصريم : مكان ، وتصرم : انقضى وانقطع

(٣) ترنو : تنظر

والطير تصدح في فروع غصونها   صدحاً فتوقظ بالهديل النوما[1]

والراح في راح الحبيب يديرها   في فتية نظروا المسرة مغنما[2]

فسقتنا نحكي البدور ، وراحنا   تحكي الشموس ، ونحن نحكي الأنجما

وله أيضاً رحمه الله تعالى :

ربوع جلّق للأوطار أوطان   وليس فيها من النُّدْمان نَدْمان[3]

كم لي مع الحبّ في أفقها أربا   إذ نحن في ساحة الجيرون جيران[4]

أيام تجرير أذيالي بها طرباً   ولي مكان له في السعد إمكان

إذ بت أشدو في غزلانها غزلا   لما غزت كبدي باللحظ غزلان

سقياً لأيامها كم قد جُمِعْنَ لنا   فيه من الغيد أقمار وأغصان

وكم حوى الحسن في باب البريد لنا   فهل ترى عند ذاك الحسن إحسان

أغنت عن السمر فيه السمر إذ خطرت   وسودُ أجفانها للبيض أجفان[5]

أهلّة تحت ليل الشعر تحجبها   لفتنة الصب قضبان وكثبان

جباهها وأخو الأشواق حين بدت   إليـــه في الحب مفتون وفتّان

وبعدها ليس يحظى في الهوى أبدا   يوماً لإنسانه في الخلق إنسان

نوّاحة في الوشي جلّق وله   بالحسن لا بالغة والحُزْنِ أحزان

فجلق جنة تسمو حدائقها   مثل القصور بها حُورٌ وولدان

والشيب كالعبد لقي العيد سانحة   وقد حوى العيد ميدان وبستان

أنزه الطرف في الميدان من مرح   والقلب مني لطفل اللهو ميدان

قم يا نديمي إلى شرب المدام بها   من قبل يدرك بدرَ السعد نقصان

فأنت في جنة منها مزخرفة   وقد تَلَقّاك بالرضوان رضوان

---

(١) تصدح : تغني ، والهديل : صوت الحمام

(٢) الراح : الخمر ، والراح الثانية : جمع راحة وهي اليد

(٣) الندمان – بضم النون – جمع نديم ، والندمان – بفتح النون – وصف من الندم

(٤) الجيرون : مكان (٥) السمر الأولى : الرماح ، والثانية جمع سمراء

وأنت فيها عن اللذات فى كسل ... انهض فما بلغ اللذاتِ كسلان
أما ترى الأرض إذ أبكى السحابُ بها ... أذارُها ضحكت إذ جاء نيسان[1]
والزهر كالزهر حياه الحيا فبدت ... فى الروض منه إلى الأبصار ألوان
زمرد قُضُب فيها مركبة ... جواهر ويواقيت ومرجان
كأنما الورد خدُّ الحِبِّ حين غدا ... له العِذارُ سياجا وهو ريحان[2]
كأن منثوره إذ لاح منتدبا ... جيش من الروم ماتت فيه صُلبان
كأنما البان أهدى المسكَ حين بدا ... فعطر الكون لما أورق البان
كأن ريح الصباطافت بخمر هوى ... من الرياض فكل الكون نشوان[3]
كأنما جمرة الشقائق خدّ رشا ... لى فى هواه عن السلوان سلوان
كأن نارجها نار وباطنه ... ثلج وفيه لجين وهو عقيان
والطير تطرب بالعيدان نغمتها ... ما ليس يطرب بالأوتار عيدان
أبدت فنونا فأفنت صبْرَ سامعها ... ملنوح إذ حلها فيه أفنان[4]
بلابل هَيَّجتْ مما بلابلنا ... وهاج مما صبوت وأشجان
وهزنا الشوق إذ غنى الهَزار بها ... فلا تجفُّ لنا بالدمع أجفان
ورب صهباء فى الكأس مشرقة ... كأس وما كان فى العيد يكونُ
راح أراحت لمن حلت براحته ... روحانها القسار والفخار جثمان
صُبَّتْ لنا فهى ماء فى زجاجتها ... وأشرقت فهى فى الكاسات نيران
يسعى بها رَشأ بالسحر مكتحل ... حلو الدلال لجند الحسن سلطان
عذب اللما ناعس الأجفان منتبه ... مهفهف القدّ صاح وهو سكران
كأنما وجهه فيه لعاشقه ... بستان والخال فى البستان حَنَّانُ[5]

(١) آذار ونيسان : من الشهور الرومية
(٢) فى ب « له اعذار سياجا » تحريف (٣) فى ب « كأن ريح الصاطات »
(٤) الأفنان : جمع فنن – بالتحريك – وهو الغصن
(٥) الحنان . البستانى ، وكان من حقه تنوين « بستان »

كأنما خاله لما بدا كُرَةٌ والصدغُ جُوكانٌ والخد ميدان[1]

(٢٤)

إبراهيم بن عمر الجعبري

إبراهيم بن عمر الجَعْبَرى :
شيخ حَرَم الخليل ، كان حلو العبارة .

قال : كان قبلى لهذا الحرم شيخ ، وجاء السلطان مرّةً إلى زيارة الخليل عليه السلام مستخفيا عن الناس ، فقال له المتحدثون فى الدولة : ياشيخ ما تعرّفنا حال هذا الحرم ومَدْخَلَه ومَخْرَجَه ، قال : نعم ، وأخذهم وجاء بهم إلى مكان يعدّون فيه السماط ، وقال لهم . الدخل ههنا ، ثم أخذهم وجاء بهم إلى الطهارة ، وقال : المَخْرَج ههنا ، ما أعرف غير ذلك ، فضحكوا منه .

ومن شعره ، أعنى الجعبرى :

لما أعان الله جل بلطفه لم تبق بى خرج السعداء
ووقفتُ فى شَرَك الرَّدَى متحلا وتحكمت فى مهجتى السوداء[2]

وقال : كنت فى أوّل الأمر أشترى بفلس خبزاً أتقوّت به ثلاثة أيام

وقال أيضاً :

لماذا يوسف الحسن الذى تَاهتْ فى حبه مهجتى استحييت لواحيه
فقلت للنسوة اللاتى شغفن به (فذلكنّ الذى لمتننى فيـه)

(٢٥)

إبراهيم ابن كمنع

إبراهيم بن كُمنمع
من شعره

بالله يا هاجرى قل لى وأنت بما جنيت فى حل[3]

---

(١) فى ب « كنه » ومنها « والصدغ جو كانها » تحريف شنيع
(٢) فى ب « شرك الهوى » والسوداء : مورية
(٣) فى ب « بالله يا قد هجرتنى قل لى »

من لى بيوم أراك فيه وقد   قَرَّتْ عينى برؤية مَنْ لى ؟

وله أيضاً :

قم ياغــلام أدر مدامك   واحْثُثْ على الندمان جامك
تدعى غلامى ظاهــرا   وأظــل فى سِرّ غلامك
الله يعــلم أننى   أهــوى عناقك والتزامك

(٢٦)

إبراهيم بن سكك

إبراهيم بن السكاك

قال أبو القاسم التنوخى : جلس ابنُ سكك فى جامع البصرة ، فجلس إليه قوم من العامة ، فاعترضوا كلامه بما عاظه ، فأخذ محبرةً بعض من حضر ، وكتب من شعره :

وعصبة لما توسطتهم   ضاقت على الأرض كالخاتم
كأنهم من بعد إفهامهم   لم يخرجوا بعدُ إلى العالم
يضحك إبليس سرورا بهم   لأنهـــم عار على آدم
كأننى بينهـــمُ جالس   من سوء ما شاهدت فى مأتم

فاعترضه واحد ، وقال : أنت أبياتك متناقضة ، ولكن اسمع ما عندى :

لا تصلح الدنيا ولا تستوى   إلا بكُمْ يا نفرَ العالم
مَنْ قال للحرثِ حقتم فى   يكذب عليكم لا ولا بأنم
ما أنتم عار على آدم   لأنكم غـــيرُ بنى آدم

(٢٧)

إبراهيم بن محمد بن طرخان :

إبراهيم ابن طرخان ابن السويدى

الطبيب المعروف بابن السويدى ، صاحب تذكرة الأطباء رحمه الله تعالى

مولده بدمشق سنة ستمائة ، وتوفى بها ، ومن شعره :

لو أن تغيير لون شيبى   يُعيدُ ما فات من شبابى

لمـــا وفى لى بما تلاقى   روحى من كلفة الخضابِ

(٢٨)

إبراهيم
ابن معضاد

إبراهيم بن معضاد :

لما مرض مرض موته أمر أن يخرج به إلى مكان مدفنه ، ثم حمل به ، فلما وصل إليه قال له قبير جاءك دبير [١] ، وتوفى بعد ذلك بيوم

(٢٩)

إبراهيم الحائك
(علام
الورى)

إبراهيم الحائك ، وقيل : المعمار ، وقيل : الحمار

علام الورى ، مصرى ، عامى ، مطبوع ، يقع له التوريات المليحة المتمكنة ، لا سيما فى الأزجال والبلاليق ، فمن مقاطيعه اللائقة قوله

وصاحب أول فى صنعة   فاعتنقت يد صنيع لى حرمى

وقال فى ظهرك جاءت يدى   فقلت : لا والعهد فى رقبتى

وله أيضاً :

ومفتن يهوى الصفا   ع ولم يكن إذ ذاك فى

ســعته عنق الرقيـــق فراح يتبعه شيف

ما كان منى بالرضا   لكنه من خبث أذى

لولا يدٌ سبقت له   لأمرته بالكف عنى

وله أيضاً :

أيرى إذ انتدبته   لحاجة تعرضُ بى

قام لها بنفسه   ما هو إلا عصبى

---

(١) قبير : مصغر قبر ، وهو على النداء ، ودبير : رجل مدبر ، يدعو ساخراً من الدنيا

وله أيضاً :

عاتبت أيري إذ جاء ملتويا ... بالطرد من علقه لما أكثرنا

بل قال لي حين لمته . فيها ... ما حزت حمام قعره عبثا

كيف وفيها طهارتي ، وبها ... أقلب ماء وأرمي الحدثا

وله أيضاً :

لما جلوا لي عروساً بنت أطلبها ... قالوا أيعجبك هذا العرس والزينه

فقلت لما رأيت السهد منتصباً ... زمنة كنت يا ابنتها تبنيه

وقال أيضاً

قال لي العاذلون أعلك الحـــب ... وأصبحت في السقام فريدا

أتراك صبرت من حمام عظاما ... أوصلي تعود خلقاً جـــديدا ؟

ما رأينا ولا سمعنا بهـــذا ... قلت كونوا حجارة أو حديدا

وقال أيضاً .

نمت عذار محبوبي الشرابي ... فقال . تركت لثم الخد غضباً

حفظت الياسمين كما تقولوا ... ورحت ضيع الورد لربي

وله أيضاً عفى عنه :

قلت له هل لك من حرفة ... تغنى بها بين الورى أو سبب

فقال : بشيبي رونق الدجى ... أسموه عشاق بليل الذهب (١)

وقال أيضاً رحمه الله

لما جلوا عرسي وعاينتهـــا ... وجدت فيها كل عيب يقال (٢)

قلت للدلال : ماذا ترى ؟ ... فقال : ما أحسن إلا الحلال

(١) في ث «سموه عشاق» وكلاهما صحيح

(٢) عرس الرجل ـ بكسر العين ـ زوجه

وقال أيضاً :

لج العذول ولامني فيمن أحب وعنّفا
فهممت ألطم رأسه مما ملئت تأسفا
لكنها رقت يدي وقفت على أصل القفا

وقال أيضاً غفر له

هويت طباخاً سلالي وقد قلا فؤادي بعد ما رده
عشرة إذ لم يزل ماطخاً مرق لي أخص ما عنده

وقال أيضاً

شكوت للحب مسهى حرق وما ألاقيه من صنى جسدي
قال تداوى بريق سحراً فقلت : يا بردها على كبدي

وقال أيضاً :

يا قلب صبراً على الفراق ولو روعت عمن تحب بالبين
وأنت يا دمع إن طهرت عسا يجيبه فلى سقطت من عيني

(٣٠)

ظهير الدين البارزي

ظهير الدين البارزي :

[من شعره] .

لئن فتكت ألحاظه بمشاشتي وسدغاه بالمحجر واعتز بالحسن
فلا بد أن تقتص لي منه دفنه وتذعنه قهراً من الأدن للأذن

وله أيضاً رحمه الله

غدا أسوداً بالشعر أبيض خده فأصبح من حد التتم في ضنك
على خطه أضحى يحط عذاره فادتهما عيناه حزناً (قفانبك)[1]

---

١) يشير إلى قول امرىء القيس بن حجر الكندي :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

وله أيضاً عفى عنه

يذكرني وجدي الحمامُ إذا غنى لأنا كلانا في الهوى نعشق الغصنا

ولكن إذا غنى أحنّ صبابة وكم بين من غنى طروبا ومن أنّا

تجول عيوني في الرياض لتجتلي محاسنكم مهما بدا [illegible]

وما وردها والنرجس الغض ثانياً عن الوجنة الحمراء والمقلة الوسنى

فأغربَ دمعي بالذي أنا كاتم وقد رجعت في الروض أطياره اللحنا (١)

ولو أن سعي الحد عمدا يردني وسمر القنا عنه تعانقني طعنا

لقبلت حد السيف حبا لعطفه وعانقت من شوق له الأسمر اللدنا

وخُضتُ عجاج الموت والموت طيب إذا كان ما يرضي أحبتنا منا

حفظنا على حكم الوفاء وصيهم وحالوا بحكم الغدر عنا وما خُنّا

وضنّوا على المضنى ببذل تحية وما سألوا بذل الحياة فما ضنّا

وكتب إلى من رزق توأماً ذكراً وأنثى من جارية سوداء :

وخصّكَ ربُّ العرش منها بتوأم ومن غاصت البحر يستخرج الدرر

وبرك أضحى وأنت لها جابر فأعطاك من أفقيه الشمس والقمر (٢)

وقال في مليح شواء :

وشواء بديع الحسن يزهى بطلعته على كل البرايا

أوا شوقه للأخذ منه شرها ويقطع لي الحوايا

وله أيضاً عفى عنه

يا ليلة الحبّ التي زال بها عني

هل أنت فوق خدّه الـ ـوردي مسك نُمّت (٣)

---

(١) أغرب : أظهر وأبدى ، ورجعت : رددت

(٢) جابر : أراد به جابر بن حيان الفيلسوف الفلكي الكيميائي

(٣) نمت — رنة سكر — إنه يم في ناحية الخد ، ووقع في ب « مسك تدق »

أحمد أبو حليك
الشاعر

(٣١)

أبو حليك الشاعر : أحمد .

كان مشهورا بالعشرة والخلاعة ، فقال : إنه دخل الموصل وقصد الطهارة ، وعلى بابها خادم ، وعنده أكياس ، وهو مرصد لمن يدخل ليعطيه كيسا منه للاستنجاء ، فدخل أبو حليك على عادة البلاد ، ولم يعلم بالأكياس ، فصاح به الخادم ، وقال : قف خذ الكيس ، فقال أنا أخرا بخريه ، فسمعت حكايته صاحب الموصل ، فقال : هذا مطبوع ، فطلبه ونادمه .

ومن شعره :

أنى العيد زمانا أنت معتمر وأنت كالوحش لا تبقى ولا تذر
لا عذر منعى إن لم العيد ، ولا يمنعك من خوفه بأس ولا حذر
كأنني بوحوش الشعر قد نزلت بوحشتيك وبالمشتاق قد نهرا
وكلما مر لي مرآك أقول لهم فهو عطر وحدها حزن وأعتمروا

وكان قد مدح قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان ، فوقع له برطلين خبزا كل يوم ، فكتب على بابه وقد دخل بستانا للقاضي فيه منظرة ، فكتب فيها

لله بستان حللنا دوحه والورق قد صاحت عليه لما بهم
والبان تحسبه سنابرا رأت قاضي القضاة فمثلت أبوابهم

يقال إن الشيخ بدر الدين بن مالك وضع على هذين البيتين كراسة في البديع

وله أيضا :

لا تحسبن خصابها الذي على القدمين بالمتكلف المصنوع

لكنها الهجر حاضت في دمي فتسربلت أقدامها بنجيع[1]

وله أيضا :

حسبتك لمقصد الأقصى وموطنك البيت المُقدَّس من روحي وجثماني

وقلبك الصخرة الصماء حين قَسَتْ قامت قيامة أشواقي وأشجاني

أما إذا كنت ترضى أن تقاطعني وأن يزورك ذو زور وبهتان

فلا تَعُرُّنكَ نار في حشاي فمن وادي جهنم تجري عين سلوان[2]

وألطف من هذا قول القائل :

أيا قدسَ حسنٍ قلبه الصخرة التي قست فهي لا ترثي لصب متيم

ويا سؤلَ الأقصى عسى بابُ رحمةٍ ففي كبد المشتاق وادي جهنم

ومن شعره أيضا :

ماذا على الغُصُنِ لميال لو عطفا ومال عن طُرُق الهجران فانحرفا

وعادَ لي عائد منه إلى صلة حسبي من الشوق ملاقيته ، وكفى

صفا له القلبُ حتى لا يفارحه شيء سواه وأمّا قلبه فَصفا[3]

وزار في طيفه وَهْناً ليؤنسني فاستصحب النوم من عيني وانصرفا

ورُمْتُ من خصره رِدْفاً فردت حتى وطالب الرد والمطلوب قد ضعفا

حكى الدجى شَعْرُهُ طولاً فأحكه فصح بينهما عمري وما انتصفا

(٣٢)

أحمد
ابن الدويبي

أحمد بن الدويبي ، رحمه الله تعالى :

من شعره

يروم صبرا وفرط الوجد يمنعه سلوه ، ودواعي الشوق تردعه

---

(١) النجيع – بفتح النون – أصله الدم
(٢) في ب « فلا تعذب في نار حشاي » تحريف شنيع
(٣) صفا في آخر البيت : هو الحجر الأملس

مشحونة بالجوى والشوق أضلعُهُ   ومفعمُ القلب بالأحزان مترعه

تصبيه أن هتفت ورقاء صاحبة   في كل يوم لها لحنٌ ترجّعه

لا إلفها نازح تنهلّ أدمعه   عليه وجدا كما تنهل أدمعه

عاثت يد البين في قلبي لتقسمه   على الهوى وعلى الذكرى توزّعه

كأنما آلت الأيام جاهدة   لما تبدد شملي لا تجمّعه[1]

روّعت يا دهر قلبي بالبعاد وكم   قد بات قلبي ولا شيء يروّعه[2]

وأنت يا بين كم قلب تذوّقه   مرّ الأسى وفؤادي كم تجرّعه[3]

وكم مرام بقلبي ليس يبلغه   تصدّه عنه أسباب وتمنعه[4]

من لي بمن قلبه قلبي فأسمعه   بثّي فيبسط من عذري ويوسعه[5]

قل الوفاء فما أشكو إلى أحد   إلا أكبّ على قلبي يقطّعه

يا خاليَ القلب قلبي حشوُه حرق   وهاجع الليل بي لست أهجعه

إن خنتَ عهدي فإني لم أخنه وإن   ضيّعت ودّي فإني لا أضيّعه

هند فقام دليل عن ناصره   يشكو إليك فهل شكواه تسمعه؟

يلومه في الهوى قوم وما علموا   أن الملامة تغريه وتولعه

من لا يكابد فيه ما أكابده   منه، ويوجعني ما ليس يوجعه

تمر أقوالهم صفحاً على أذني   مرّ الرياح بسلمى لا تزعزعه[6]

من منقذي من هوًى من ليس يرحمني   يقتادني للهوى المردي فأتبعه

آتيه بالصدق من قولي فيدفعه   ظلما، ويكذبه الواشي فيسمعه

لو خفف الثقل عن قلبي وعلّله   بالوعد كنت أمنّيه وأطمعه

لكنه صرّح الهجرانَ فالتهبت   نارُ التأسف بالأحشاء تلذعه

---

(١) آلت: حلفت، وتبدد: تفرق   (٢) روعت: أفزعت

(٣) في ب «من الأسى»   (٤) مرام – بفتح الميم – مطلب

(٥) البث: الحزن   (٦) سلمى: اسم جبل من جبال طيء

أقول أسو فتأبى مدامعه ... تترى بكل شفيع لست أدفعه

والليل وأبى فيها على محمل ... والشوق يجمره وخوف يصرعه

وذات مستعطفا أوتار مزهره الـمصباح ينبهها طورا وتقمعه

إذ نوت كفها منوى سمعت لها ... وقعا لذ على الأسماع موقعه

ذات أنطه بدرا، وأرشفه ... خمرا، وأنطقه وردا، وأسمعه

ودم، لوجد تطيبه ومحمله ... ضوء الصباح وأنفاسي تودعه

(٣٣)

الناصر لدين الله

الإمام الناصر لدين الله

كتب إليه خادم اسمه يمن ورقة يتضمن عتبا، فكتب إليه الناصر:

بمن يمن يمن ثمن ثمن ثمن

ومن شعره يشير إلى ولده الظاهر

طبيب حتى يؤذى نفوس من خلدى ... يريد موتى، وبالأرواح أفديه

(٣٤)

أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني

أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن الخضر بن محمد بن الخضر ابن علي بن عبد الله بن تيمية الحراني، تقي الدين، شيخ الإسلام، الرباني، إمام الأئمة، ومفتي الأمة، وبحر العلوم، سيد الحفاظ، فارس المعاني والألفاظ، فريد العصر، قريع الدهر، شيخ الإسلام، قدوة الأنام، علامة الزمان، وترجمان القرآن، علم الزهاد، وأوحد العباد، قامع المبتدعين، وآخر المجتهدين، نزيل دمشق، وصاحب التصانيف التي لم يسبق إلى مثلها

قيل[1]: إن جده محمد بن الخضر حج وله امرأة حامل، ومر على درب تيماء،

---

(١) انظر هذه القصة في وفيات الأعيان لابن خلكان في ترجمة جده المترجم له هنا محمد بن الخضر (الترجمة رقم ٦٢٩)

رأى هناك جارية طفلة، قد خرجت من خباء، فلما رجع إلى حرّان وجد امرأته قد ولدت بنتاً، فلما رآها قال: يا تيمية، فلقب بذلك.

وقال ابن النجار: ذكر لنا أن محمداً هذا كانت أمه تسمى تيمية، وكانت واعظة، فنسب إليها، وعُرف بها.

وولد شيخنا بحرّان يوم الاثنين عاشر شهر ربيع، وقيل: ثاني عشر ربيع الأول سنة إحدى وستين وستمائة، وقدم مع والده وأهله إلى دمشق وهو صغير، وكانوا قد خرجوا من بلاد حرّان مهاجرين بسبب جور التتار، فساروا بالليل، ومعهم الكتب على عجلة لعدم الدواب، فكاد العدو يلحقهم، ووقفت العجلة، فابتهلوا إلى الله تعالى، واستغاثوا به، فنجوا وسلموا، وقدموا دمشق في أثناء سنة سبع وستين، فسمعوا من الشيخ زين الدين أحمد بن عبد الدائم بن نعمة المقدسي جزء ابن عرفة، وغير ذلك، وسمع شيخنا الكثير من ابن أبي اليسر، والكمال بن عبد، والشيخ شمس الدين الحنبلي، والقاضي شمس الدين بن عطاء الحنفي، والشيخ جمال الدين بن الصيرفي، ومجد الدين بن عساكر، والنجيب المقداد، وابن أبي الخير، وابن علان، وأبي بكر الهروي، والكمال عبد الرحيم، وفخر الدين بن البخاري، وابن شيبان، والشرف بن القواس، وزينب بنت مكي، وخلق كثير، وشيوخه الذين سمع منهم أزيد من مائتي شيخ، وسمع مسند الإمام أحمد مرات، ومعجم الطبراني الكبير، والكتب الكبار والأجزاء، وعني بالحديث، وقرأ بنفسه الكثير، ولازم السماع مدة سنين، وقرأ الغيلانيات في مجلس، ونسخ وانتقى وكتب الطباق والأثبات، وتعلم الخط والحساب في المكتب، واشتغل بالعلوم، وحفظ القرآن، وأقبل على الفقه، وقرأ أياما في العربية على ابن عبد القوي، ثم فهمها وأخذ يتأمل كتاب سيبويه حتى فهمه، وبرع في النحو، وأقبل على التفسير إقبالا كليا حتى حاز فيه قصب السبق، وأحكم أصول الفقه، وغير ذلك، هذا كله وهو ابن بضع

عشرة سنة ، فبهر[1] الفضلاء من فرط ذكائه ، وسيلان ذهنه ، وقوة حافظته ، وسرعة إدراكه .

نشأ في تصوّف تام ، وعفاف ، وتألّه ، واقتصاد في الملبس والمأكل ، ولم يزل على ذلك خلفا صالحا برا بوالديه ، تقيا ، ورعا عابدا ناسكا ، صواما قواما ، ذاكرا الله تعالى في كل أمر ، وعلى كل حال ، رجّاعا إلى الله تعالى في سائر الأحوال والقضايا ، وقّافا عند حدود الله تعالى وأوامره ونواهيه ، آمرا بالمعروف ، ناهيا عن المنكر ، لا تكاد نفسه تشبع من العلم ، ولا تروى من المطالعة ، ولا تمل من الاشتغال ، ولا تكلّ من البحث ، وقلّ أن يدخل في علم من العلوم في باب من أبوابه إلا و فتح له من ذلك الباب أبواب ، و يستدرك أشياء في ذلك العلم على حذّاق أهله ، وكان يحضر المجالس والمحافل في صغره ، فيتكلم ، ويناظر ، ويُفحِم الكبار ، ويأتي بما يتحير منه أعيان البلد في العلم ، وأفتى وله نحو سبع عشرة سنةً ، وشرع في الجمع والتأليف من ذلك الوقت

ومات والده ، فكان من كبار الحنابلة وأئمتهم ، ودرس بعده بوظائفه ، وله إحدى وعشرون سنة ، فاشتهر أمره ، وبَعُدَ صيته في العالم ، وأخذ في تفسير الكتاب العزيز أيام الجمع على كرسي من حفظه ، فكان يورد ما يقوله من غير توقف ولا تلعثم ، وكذا كان يورد الدروس بتؤدة وصوت جهوري فصيح

وحج سنة إحدى وتسعين ، وله ثمانون سنة ، ورجع وقد انتهت إليه الإمامة في العلم والعمل ، والزهد والورع ، والشجاعة والكرم ، والتواضع والحلم ، والأناة والجلالة والمهابة ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، مع الصدق والأمانة ، والعفة والصيانة ، وحسن القصد ، والإخلاص ، والابتهال إلى الله تعالى ، وشدّة

(١) تقول : بهر فلان فلانا يبهره — من باب فتح — إذا قهره وغلبه ، و « بهرت فلانة النساء » غلبتهن حسنا ، و « بهر القمر النجوم » غمرها بضوئه ، وانبهر مطاوع بهر

الخوف منه ، ودوام المراقبة له ، والتمسك بالأثر ، والدعاء إلى الله تعالى ، وحسن الأخلاق ، ونفع الخلق والإحسان إليهم .

وكان — رحمه الله تعالى — سيفاً مسلولاً على المخالفين ، وشجى[1] في حلوق أهل الأهواء والمبتدعين ، وإماماً قائماً ببيان الحق ونصرة الدين ، طنّت بذكره[2] الأمصار ، وضنت بمثله الأعصار .

وقال شيخنا الحافظ أبو الحجاج : ما رأيت مثله ، ولا رأى هو مثل نفسه ، وما رأيت أحداً أعلم بكتاب الله وسنة رسوله ولا أتبع لهما منه .

وقال العلامة كمال الدين بن الزملكاني : كان إذا سُئل عن فنّ من الفنون ظنّ الرائي والسامعُ أنه لا يعرف غير ذلك الفنّ ، وحكم أنّ أحداً لا يعرف مثله ، وكان الفقهاء من سائر الطوائف إذا جلسوا معه استفادوا في سائر مذاهبهم منه ما لم يكونوا عرفوه قبل ذلك ، ولا يعرف أنه ناظر أحداً فانقطع معه ، ولا تكلم في علم من العلوم سواء كان من علوم الشرع أو غيرها إلا فاق فيه أهلَه والمنسوبَ إليه ، وكانت له اليدُ الطُولى في حسن التصنيف وجودة العبارة والترتيب والتقسيم والتبيين

ووقعت مسألة فرعية في قسمةٍ جرى فيها اختلاف بين المفتين في العصر ، فكتب فيها مجلدة كبيرة ، وكذلك وقعت مسألة في حدّ من الحدود ، فكتب فيها أيضاً مجلدة كبيرة ، ولم يخرج في كل واحدة عن المسألة ، ولا طوّل بتخليط الكلام والدخول في شيء والخروج من شيء ، وأتى في كل واحدة بما لم يكن يجري في الأوهام والخواطر ، واجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهها

وقرأت بخط الشيخ كمال الدين أيضاً على كتاب « رفع الملام ، عن الأئمة الأعلام » لشيخنا : تأليف الشيخ الإمام ، العالم ، العلامة ، الأوحد ، الحافظ ،

---

(١) الشجا : كل شيء يعترض في الحلق

(٢) طنت بذكره ، تمت ، كناية عن ذيوع صيته وانتشار شهرته

المجتهد ، الزاهد ، العابد ، القدوة ، إمام الأئمة ، قدوة الأمة ، علامة العلماء ، وارث الأنبياء ، آخر المجتهدين ، أوحد علماء الدين ، بركة الإسلام ، حجة الأعلام ، برهان المتكلمين ، قامع المبتدعين ، محيي السنة ، ومن عظمت به لله علينا المنة ، وقامت به على أعدائه الحجة ، واستبانت ببركته وهديه المحجة ، تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني ، أعلى الله مناره ، وشيد به من الدين أركانه :

ماذا يقول الواصفون له وصفاته جلّتْ عن الحصر
هو حجـــــة لله قاهرة هو بيننا أعجوبة الدهر
هو آية في الخلق ظاهرة أنوارها أربَتْ على الفجر[1]

وهذا الثناء عليه وكان عمره نحو الثلاثين سنة ، وقد أثنى عليه خلق من شيوخه ومن كبار علماء عصره ، كالشيخ شمس الدين بن أبي عمر والشيخ تاج الدين الفزاري وابن منجا وابن عبد القوي والقاضي الخوبي وابن دقيق العيد وابن النحاس وغيرهم

وقال الشيخ عماد الدين الواسطي ، وكان من العلماء العارفين ، وقد ذكره « هو شيخنا السيد إمام الأئمة الهمام ، محيي السنة ، وقامع البدعة ، ناصر الحديث ، مفتي الفرق ، الفاتق عن الحقائق ، وموصلها بالأصول الشرعية للطالب الذائق ، الجامع بين الظاهر والباطن ، فهو يقضي بالحق ظاهرا ، وقلبه في العلا قاطن ، أنموذج الخلفاء الراشدين ، والأئمة المهديين ، الشيخ الإمام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية أعاد الله بركته[2] ، ورفع إلى مدارج العلياء درجته ! .

---

(١) أربت : زادت

(٢) في ث « أعاد الله بركته علينا » ولعله « أعاد الله علينا بركته » للسجع

ثم قال فى أثناء كلامه : والله ثم والله لم أر تحت أديم السماء مثله علما وعملا وحالا وخُلُقا واتباعا وكرما وحلما فى حق نفسه ، وقياما فى حق الله تعالى عند انتهاك حرماته ، ثم أطال فى الثناء عليه .

وقال الشيخ علم الدين فى معجم شيوخه : أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن عبد الله بن أبى القاسم بن محمد بن تيمية الحرانى ، الشيخ تقى الدين أبو العباس الإمام المجمع على فضائله ونبله ودينه ، قرأ الفقه ، وبرع فى العربية والأصول ، ومهرَ فى علم التفسير والحديث ، وكان إماما لا يُلحَق غباره فى كل شىء ، وبلغ رتبة الاجتهاد ، واجتمعت فيه شروط المجتهدين ، وكان إذا ذكر التفسير بُهِت الناس[1] من كثرة محفوظه وحسن إيراده وإعطائه كلّ قول مايستحقه من الترجيح والتضعيف والإبطال وخوضه فى كل فن ، كان الحاضرون يقضُون منه العجب ، هذا مع انقطاعه إلى الزهد والعبادة ، والاشتغال بالله تعالى ، والتجرد من أسباب الدنيا ، ودعاء الخلق إلى الله تعالى .

وكان يجلس فى صبيحة كل جمعة على الناس يفسِّر القرآن العظيم ، فانتفع بمجلسه وبركة دعائه وطهارة أنفاسه وصدق نيته وصفاء ظاهره وباطنه وموافقة قوله لعمله ، وأناب[2] إلى الله خلق كثير ، وجرى على طريق واحدة من اختيار الفقر والتقلل من الدنيا ورد مايفتح به عليه .

وقال علم الدين فى موضع آخر : رأيت فى إجازة لابن الشهرزورى الموصلى خط الشيخ تقى الدين ، وقد كتب تحته الشيخ شمس الدين الذهبى : هذا خط شيخنا الإمام شيخ الإسلام فريد الزمان بحر العلوم تقى الدين ، مولده عاشر ربيع الأول سنة إحدى وستين وستمائة ، وقرأ القرآن والفقه ، وناظر واستدل

---

(١) بهت الناس — بالبناء للمجهول — تحيروا ، وفى القرآن الكريم (فبهت الذى كفر)

(٢) أناب إلى الله : رجعوا وتابوا من ذنوبهم

وهو دون البلوغ ، وبَرَعَ فى العلم والتفسير ، وأفتى ودرس وله نحو العشرين ، وصنف التصانيف ، وصار من أكابر العلماء فى حياة شيوخه ، وله من المصنفات الكبار التى سارت بها الركبان ، ولعل تصانيفه فى هذا الوقت تكون أربعة آلاف كرّاس وأكثر ، وفسر كتاب الله تعالى مدة سنين من صدره أيام الجُمَع ، وكان يتوقد ذكاء ، وسماعاته من الحديث كثيرة ، وشيوخه أكثر من مائتى شيخ[1] ، ومعرفته بالتفسير إليها المنتهى ، وحفظه للحديث ورجاله وصحته وسقمه فما يُلحق فيه ، وأما نقله للفقه ولمذاهب الصحابة والتابعين فضلا عن مذاهب الأربعة فليس له فيه نظير ، وأما معرفته بالملل والنحل والأصول والكلام فلا أعلم له فيه نظيراً ، ويدرى جملة صالحة من اللغة ، وعربيته قوية جداً ، وأما معرفته بالتاريخ والسير فعجَبٌ عجيب ، وأما شجاعته وجهاده وإقدامه فأمر يتجاوز الوصف ، ويفوق النعت ، وهو أحد الأجواد الأسخياء الذين يُضرب بهم المثل ، وفيه زهد وقناعة باليسير فى المأكل والملبس .

وقال الذهبى فى موضع آخر : كان آية فى الذكاء ، وفى سرعة الإدراك ، رأساً فى معرفة الكتاب والسنة والاختلاف ، بحراً فى النقليات ، هو فى زمانه فريد عصره علماً وزهداً وشجاعة وسخاء ، وأمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر وكثرة تصانيف ، إلى أن قال : فإن ذكر التفسير فهو حامل لوائه ، وإن عد الفقهاء فهو مجتهدهم المطلق ، وإن حضر الحفاظ نَطَق وخرِسوا ، وسَرَدَ وأبلسوا[2] ، واستغنى وأفلسوا ، وإن سُمى المتكلمون فهو فردُهم وإليه مَرجِعهم ، وإن لاح ابنُ سينا يقدُم الفلاسفةَ فلّسهم وتَيّسَهم وهتك أستارهم وكشف عَوارهم ، وله

---

(١) فى نسخة « أكثر من مائة شيخ »

(٢) أبلسوا : سكتوا ، ويئسوا ، وندموا

يد طولى في معرفة العربية والصَّرْف واللغة ، وهو أعظم من أن تصفه كَلِمي ، أو تبينه إشارة قلمي ، فإن سيرته وعلومه ومعارفه ومحنه وتنقلاته يحتمل أن توضع في مجلدتين .

وقال في مكان آخر : وله خبرة تامة بالرجال وجَرْحِهم وتعديلهم وطبقاتهم ، ومعرفة بفنون الحديث وبالعالي وبالنازل وبالصحيح وبالسقيم ، مع حفظه لمتونه الذي انفرد به ، فلا يبلغ أحد في العصر رتبته ، ولا يقاربه ، وهو عجيب في استحضاره واستخراج الْحُجَجِ منه ، وإليه المُنْتَهَى في عَزْوِهِ إلى الكتب الستة والمُسْنَد بحيث يصدق عليه أن يقال : كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث ، ولكن الإحاطة لله ، غير أنه يغترف فيه من بحر وغيره يغترف من السواقي ، وأما التفسير فمسلم إليه في استحضار الآيات من القرآن وقت إقامة الدليل بها على المسألة قوة عجيبة ، وإذا رآه المقرئ تحير فيه ، ولفرط إمامته في التفسير وعَظَمة اطلاعه يبين خطأ كثيراً من أقوال المفسرين ، ويُوهِي[1] أقوالاً عديدة ، وينصر قولاً واحداً موافقاً لما دل عليه القرآن والحديث ، ويكتب في اليوم والليلة من التفسير أو من الفقه أو من الأصلين أو من الرد على الفلاسفة الأوائل نحواً من أربعة كراريس أو أزيد ، وما يبعد أن تصانيفه إلى الآن تبلغ خمسمائة مجلد ، وله في غير مسألة مصنف مفرد في مجلد

ثم ذكر بعض مصنفاته ، وقال : ومنها كتاب في الموافقة بين المعقول[2] والمنقول ، في مجلدين

قلت : هذا الكتاب وهو كتاب دفع التعارض[3] للعقل والنقل في أربع مجلدات كبار ، وبعض النسخ به في أكثر .

(١) يوهي أقوالا عديدة : يبين ضعفها

(٢) اشتهر باسم « موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول » ونقوم الآن بتحقيقه

(٣) في ب ، ث « وهو كتاب درء التعارض » ورجح ما أثبتناه

ومن مصنفاته كتاب «بيان تلبيس الجهمية، في تأسيس بدعهم الكلامية» في ست مجلدات، وبعض النسخ به في أكثر، وكتاب «جواب الاعتراضات المصرية، على الفتيا الحموية» في مجلدات، وكذلك كتاب «منهاج السنة النبوية، في نقض كلام الشيعة والقَدَرية» وكتاب في الرد على النصارى سماه «الجواب الصحيح، لمن بدل دين المسيح» ومن مصنفاته أيضاً كتاب «الاستقامة» في مجلدين، وكتاب في محنته بمصر في مجلدين، وكتاب «الإيمان» في مجلد، وكتاب «تنبيه الرجل العاقل، على تمويه الجدل الباطل» في مجلد، وكتاب الردّ على كسروان الرافضة في مجلدين، وكتاب في الردّ[1] على المنطق، وكتاب في الوسيلة، وكتاب في الاستغاثة، وكتاب «بيان الدليل، على بطلان التحليل» وكتاب «الصارم المسلول، على شاتم الرسول» وكتاب «اقتضاء الصراط المستقيم[2] مخالَفة أصحاب الجحيم» وكتاب «التحرير، في مسألة حفير» وكتاب «رفع المَلام، عن الأئمة الأعلام» وكتاب «السياسة الشرعية، في إصلاح الراعي والرَّعية» وكتاب «تفضيل صالحي الناس، على سائر الأجناس» وكتاب «التحفة العراقية، في الأعمال القلبية» وكتاب «الفرقان، بين أولياء الرحمن وحزب الشيطان» وكتاب «المسائل الإسكندرية، على الملاحدة الاتحادية السبعينية» وعدد أسماء مصنفاته يحتاج إلى أوراق كثيرة، ولذكرها موضع آخر.

وله من المؤلفات والقواعد والفتاوى والأجوبة والرسائل والتعاليق ما لا ينحصر ولا ينضبط، ولا أعلم أحداً من المتقدمين ولا من المتأخرين جمَعَ مثل ما جمع، ولا صنف نحو ما صنف ولا قريباً من ذلك، مع أن تصانيفه كان يكتبها من

---

(١) طبع باسم «الرد على المنطقيين» في الهند

(٢) في ب، ت «اقتضاء الصراط المستقيم» محرف، وطبع هذا الكتاب أكثر من مرة

حفظه ، وكتب كثيراً منها في الحبس ، وليس عنده ما يحتاج إليه ويراجعه من الكتب .

وقال الشيخ فتح الدين بن سيد الناس ، بعد أن ذكر ترجمة شيخنا الحافظ أبي الحجاج المزي رحمه الله تعالى : وهو الذي حداني[1] على رؤية الشيخ الإمام شيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، فألفيته ممن أدرك من العلوم حظا ، وكاد يستوعب السنن والآثار حفظا ، إن تكلم في التفسير فهو حامل رايته ، أو أفتى في الفقه فهو مدرك غايته ، أو ذاكر بالحديث فهو صاحب عَلَمِهِ وذو دِرَايته[2] ، أو حاضر بالنِّحل والمِلَلِ لم تَرَ أوسع من نحلته في ذلك ولا أرفع من درايته ، برز في كل فنّ على أبناء جنسه ، ولم تر عَيْنُ من رآه مثله ولا رأت عينُهُ مثلَ نفسه ، كان يتكلم في التفسير ، فيحضر مجلسه الجمّ الغفير ، ويَرِدُون من بحره العذب النمير ، ويَرْتَعُون من ربيع فضله في روضة وغدير ، إلى أن دَبَّ إليه من أهل بلاده داء الحسد ، وأكبَّ أهل النظر منهم على ما ينتقد عليه من أمور المعتقد ، فحفظوا عنه في ذلك كلاما ، فأوسعوه بسببه ملاما ، وفوّقوا لتبديعه سهاما ، وزعموا أنه خالف طريقهم ، وفرّق فريقهم ، فنازعهم ونازعوه ، وقاطع بعضهم وقاطعوه ، ثم نازعته طائفة أخرى ينتسبون من الفقراء إلى طريقة ، ويزعمون أنهم على طريق أدق باطنا منها وأجلى حقيقة ، فكشف تلك الطرائق ، وذكر لها مزاعم موابق[3] ، فآضت على الطائفة الأولى من منازعيه ، واستعانت بذوي الضغن عليه من مقاطعيه ، فوصلوا إلى الأمراء أمره ، وأعمل كل منهم في كفره فكره ، فرتبوا محاضر ، وألبوا الرويبضة للسعي بها بين الأكابر ، وسعوا

(١) حداني : بعثني وساقني

(٢) في ب ، ث « وذو روايته » وهو مكرر مع الفقرة بعده ، وفي الأصل « وذو رايته » أو « وذو درايته »

(٣) موابق : مهلكة ، واحدها موبق

فى نقله إلى حضرة المملكة بالديار المصرية فنقل ، وأودع السجن ساعة حضوره واعتُقِل ، وعقدوا لإراقة دمه مجالس ، وحَشَدوا لذلك قوما من عمار الزوايا وسكان المدارس ، من عامل فى المنازعة ، مُخاتل بالمخادعة ، ومن مُجاهر بالتكفير مُبارز بالمقاطعة ، يسيمونه ريب المنون ، وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون ، وليس المجاهر بكفره ، بأسوإ حالا من المخاتل وقد دبّت إليه عقارب مكره ، فرد الله كيد كل فى نحره ، ونجاه على يد من اصطفاه والله غالب على أمره ، ثم لم يخل بعد ذلك من فتنة بعد فتنة ، ولم ينتقل طول عمره من محنة إلا إلى محنة ، إلى أن فوض بعد أمره إلى بعض القضاة فقلد ما تقلد من اعتقاله ، ولم يزل بمحبسه ذلك إلى حين ذهابه إلى رحمة الله تعالى وانتقاله ، وإلى الله ترجع الأمور ، وهو المطلع على خائنة الأعْيُنِ وما تخفى الصدور .

وكان يوما مشهودا ضاقت بجنازته الطريق ، وانتابها المسلمون من كل فج عميق ، يتبركون بمشهده يوم تقوم الأشهاد ، ويتمسكون بشرجعه[1] حتى كسروا تلك الأعواد .

ثم ذكر يوم وفاته ومولده ، ثم قال : قرأت على الشيخ الإمام حامل راية العلوم ، ومدرك غاية الفهوم ، تقى الدين أبى العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية رحمه الله تعالى بالقاهرة ، قدم علينا ، ثم ذكر حديث من جزء ابن عرفة .

قلت : أملى شيخنا المسألة المعروفة بالحَمَوِية سنة ثمان وتسعين فى قعدة بين الظهر والعصر ، وهو جواب سؤال وَرَدَ من حَمَاة فى الصفات ، وجرى له بسبب ذلك محنة ، ونصره الله ، وأذل أعداءه ، وما حصل له بعد ذلك إلى حين وفاته من الأمور والمحن والتنقلات ، يحتاج إلى عدة مجلدات ، وذلك كقيامه فى نوبة

---

(١) الشرجع — بزنة جعفر — النعش والجنازة

غازان سنة تسع وتسعين وستمائة ، وقيامه بأعباء الأمر بنفسه ، واجتماعه هو بنائبه قطلو شاة و بولاى ، و إقدامه وجراءته على المغول ، وعظيم جهاده ، وفعله الخير من من إنفاق الأموال ، و إطعام الطعام ، ودفن الموتى .

ثم توجهه بعد ذلك بعام إلى الديار المصرية ، وسوقه على البريد إليها في جمعة لما قدم التتار إلى أطراف البلاد ، واشتد الأمر بالبلاد الشامية ، واجتماعه بأركان الدولة ، واستصراخه بهم ، وحضهم على الجهاد ، و إخباره لهم بما أعد الله للمجاهدين من الثواب ، و إبدائهم له العذر في رجوعهم ، وتعظيمهم له ، وتردد الأعيان إلى زيارته ، واجتماع ابن دقيق العيد به ، وسماعه كلامه ، وثنائه عليه الثناء العظيم ، ثم توجهه بعد أيام إلى دمشق ، و اشتغاله بالاهتمام لجهاد التتار ، وتحريضه الأمراء على ذلك ، إلى ورود الخبر بمسراهم ، وقدومه في وقعة شقحب [1] المشهورة سنة اثنتين وسبعمائة ، واجتماعه بالخليفة والسلطان وأرباب الحل والعقد وأعيان الأمراء ، وتحريضه لهم على الجهاد ، وموعظته لهم ، وما ظهر في هذه الوقعة من كراماته ، و إجابة دعائه ، وعظيم جهاده ، وقوة إيمانه ، وشدة نصحه للإسلام ، وفرط شجاعته ، ثم توجهه بعد ذلك في آخر سنة أربع لقتال الكسروانيين وجهادهم ، واستئصال شأفتهم ، ثم مناظرته للمخالفين في سنة خمس في المجالس التي عقدت له بحضرة نائب السلطنة الأفرم ، وظهوره عليهم بالحجة والبيان ، ورجوعهم إلى قوله طائعين ومكرهين ، ثم توجهه بعد ذلك في السنة المذكورة إلى الديار المصرية في صحبة قاضي الشافعية ، وعقد له مجلس حين وصوله ، بحضور القضاة وأكابر الدولة ، ثم حبسه في الجب بقلعة الجبل ومعه أخواه سنة ونصفاً ، ثم خروجه بعد ذلك ، وعقد مجلس له لخصومهم ، وظهوره [2] عليهم ، ثم إقرائه للعلم وبثه

(١) شقحب ـ بزنة جعفر ـ موضع قرب دمشق
(٢) ظهوره عليهم : غلبته لهم

ونشره ، ثم عقد مجلس له في شوال سنة سبع لكلامه في الاتحادية وطعنه ، ثم الأمر بتسفيره إلى الشام على البريد ، ثم الأمر بردّه من مرحلة وحبسه بمجلس القضاة سنة ونصفاً ، وتعليمه أهل الحبس ما يحتاجون إليه من أمور الدين ، ثم إخراجه منه وتوجهه إلى الإسكندرية ، وحبسه في بُرج حبس فيه ثمانية أشهر ، يدخل إليه من شاء ، ثم توجهه إلى مصر ، واجتماعه بالسلطان في مجلس حفل فيه القضاة وأعيان الأمراء ، وإكرامه له إكراماً عظيماً ، ومشورته له في قتل بعض أعدائه ، وامتناع الشيخ من ذلك ، وجعله كل من آذاه في حِلّ ، ثم سكناه بالقاهرة ، وعوده إلى نشر العلوم ونفع الخلق ، وما جرى بعد ذلك من قضية البكري وغيرها ، ثم توجّهه بعد ذلك إلى الشام صحبة الجيش المنصور قاصداً الغزو بعد غيبته عن دمشق سبع سنين وسبع جمع ، وتوجّهه في طريقه إلى بيت المقدس ، ثم ملازمته بعد ذلك بدمشق لنشر العلوم وتصنيف الكتب وإفتاء الخلق ، إلى أن تكلم في مسألة الحلف بالطلاق (١) ، فأشار عليه بعض القضاة بترك الإفتاء بها في سنة ثماني عشرة ، فقبل إشارته

ثم ورد كتاب السلطان بعد أيام بالمنع من الفتوى فيها ، ثم عاد الشيخ إلى الإفتاء بها ، وقال : لا يسعني كتمان العلم ، وبقي كذلك مدة إلى أن حبسوه بالقلعة خمسة أشهر وثمانية عشر يوماً ، ثم أخرج ورجع إلى عادته من الاشتغال والتعليم ، ولم يزل كذلك إلى أن ظفروا له بجواب يتعلق بمسألة شدّ الرحال إلى قبور الأنبياء والصالحين (٢) ، كان قد أجاب به من نحو عشرين سنة ، فشنّعوا عليه بسبب ذلك ، وكبرت القضية .

وورد مرسوم السلطان في شعبان من سنة ست وعشرين بجعله في القلعة ،

---

(١) هي أن من طلق امرأته ثلاث تطليقات بلفظ واحد تعد طلقة واحدة

(٢) حاصله أنه يحرم أن تشد الرحال إلا إلى المساجد الثلاثة : مسجد مكة ، ومسجد المدينة ، والمسجد الأقصى ، اتباعاً لنص الحديث

فأخليت له قاعة حسنة ، وأجرى إليها الماء ، وأقام فيها ومعه أخوه يخدمه ، وأقبل في هذه المدة على العبادة والتلاوة وتصنيف الكتب والرد على المخالفين ، وكتب على تفسير القرآن العظيم جملة كثيرة تشتمل على نفائس جليلة ونكت دقيقة ومعان لطيفة ، وأوضح مواضع كثيرة أشكلت على خلق من المفسرين ، وكتب في المسألة التي حبس بسببها مجلدات عديدة ، وظهر بعضُ ما كتبه واشتهر ، وآل الأمر إلى أن منع من الكتابة والمطالعة ، وأخرجوا ما عنده من الكتب ، ولم يتركوا دواة ولا قلماً ولا ورقة ، وكتب عقيب ذلك بفحم يقول إن إخراج الكتب من عنده من أعظم النعم ، وبقي أشهراً على ذلك ، وأقبل على التلاوة والعبادة والتهجد حتى أتاه اليقين[1] . فلم يفجأ الناس إلا نعيه ، وما علموا بمرضه ، وكان قد مرض عشرين يوماً ، فأسف الخلقُ عليه ، وحضر جمع كثير إلى القلعة ، فأذن لهم في الدخول ، وجلس جماعة عنده قبل الغسل ، وقرؤوا القرآن ، وتبركوا برؤيته وتقبيله ، ثم انصرفوا ، وحضر جماعة من النساء ففعلن مثل ذلك ، ثم انصرفن ، واقتصر على مَنْ يغسله ويعين في غسله ، ثم بعد ذلك أخرج ، وقد اجتمع الناس بالقلعة والطريق إلى جامع دمشق ، وامتلأ الجامع وصحنه والكلاسة وباب البريد وباب الساعات إلى باب اللبادين والفوارة ، وحضرت الجنازة في الساعة الرابعة من النهار ، ووضعت في الجامع والجندُ يحفظونها من الناس من شدّة الزحام ، وصلى عليه أولا بالقلعة ، تقدم في الصلاة عليه الشيخ محمد بن تمام ، ثم صلى عليه بجامع دمشق عقيب صلاة الظهر ، وحمل من باب البريد ، واشتد الزحام ، وألقى الناس على نعشه مناديلهم وعمائمهم للتبرك ، وصار النعش على الرؤوس تارة يتقدم وتارة يتأخر ، وخرج الناس من الجامع من أبوابه كلها من شدة الزحام ، وكل باب أعظم زحمةً من الآخر ، لكن كان الأعظم

---

(١) اليقين هنا : الموت ، وكذلك ورد بهذا المعنى في قوله تعالى : (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين)

من الأبواب الأربعة باب الفرج الذى أخرجت منه الجنازة و باب الفراديس و باب النصر و باب الجابية ، وعظم الأمر بسوق الخيل ، وتقدم فى الصلاة عليه هناك أخوه زين الدين ، وحمل إلى مقبرة الصوفية فدفن هناك بجانب أخيه الإمام شرف الدين رحمهما الله تعالى !

وكان دفنه وقت العصر أو قبلها بيسير ، وغلّق الناس حوانيتهم ، ولم يتخلف عن الحضور إلا من هو قليل ، ومن عجَزَ عن الزحام ، وحضرها من الرجال والنساء أكثر من مائتى ألف ، وشرب جماعة الماء الذى فضَل من غسله ، واقتسم جماعة بقية السِّدر الذى غسل به ، وقيل : إن الطاقية التى كانت على رأسه دفع فيها نحو خمسمائة درهم ، وقيل : إن الخيط الذى كان فيه الزئبق الذى كان فى عنقه لأجل القمل دفع فيه مائة وخمسون درهما ، وحصل فى الجنازة ضجيج وبكاء عظيم وتضرع كثير ، وكان وقتاً مشهوداً ، وختمت له ختم كثيرة بالصالحية والبلد ، وتردد الناس إلى قبره أياماً كثيرة ، ليلا ونهارا ، ورؤيت له منامات كثيرة حسنة ، ورثاه الناس بقصائد جمة

وكانت وفاته ليلة الاثنين العشرين من ذى القعدة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة رحمه الله تعالى ورضى عنه وأسكنه الجنة برحمته ورضوانه ! .

وهذا مانقل من تذكرة الحافظ للشيخ الإمام الحافظ شمس الدين بن عبدالهادى وأما ترجمته فى هذا الكتاب — وهو فوات الوفيات لصلاح الدين الكتبى — فهو ما يذكر إن شاء الله تعالى :

أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية ، الشيخ تقىّ الدين ، الحرّانى وذكر من مناقبه وشجاعته على نحو بعض[1] ماتقدم ، وذكر من شجاعته أنه شكا إليه إنسان من قطلو بك الكبير وظلمه له ، وكان المذكور فيه جبروت[2]

(١) فى ب ، ت « بعض ماتقدم »
(٢) جبروت : تجبر وطغيان

وأخذ أموال الناس واغتصابها ، وحكاياته فى ذلك مشهورة ، فدخل عليه الشيخ ، وتكلم معه ، فقال له قطلوبك : أنا كنت أريد أن أجىء إليك لأنك عالم زاهد، يعنى يستهزىء به ، فقال له : لا تعمل علىّ دركوان (هكذا بخط المصنف) فقال له: موسى كان خيرا منى وفرعون كان شرا منك ، وكان موسى يجىء إلى باب فرعون كل يوم ثلاث مرّات ، ويعرض عليه الإيمان

قال : وصنف فى فنون ، وتصانيفه تبلغ ثلثمائة مجلد ، وكان قوّالا بالحق ، نهّاء عن المنكر ، ذا سطوة وإقدام وعدم مُدَاراة ، وكان أبيض شديد سواد الرأس واللحية ، قليل الشيب ، شعره إلى شحمة أذنيه ، كأنّ عينيه لسانان ناطقان ، رَبْعَة من الرجال ، جهورى الصوت ، فصيح اللسان ، سريع القراءة ، توفى محبوساً فى قلعة دمشق على مسألة الزيارة ، وكانت جنازته عظيمة إلى الغاية ، صلى عليه قاضى القضاة علاء الدين القونوى ، رحمهما الله !

وذكر تصانيفه :

كتب التفسير — قاعدة فى الاستعاذة ، قاعدة فى البسملة ، الكلام على الجهر بها ، قاعدة فى إياك نعبد وإياك نستعين ، وقطعة كبيرة من سورة البقرة فى قوله تعالى (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر) ثلاث كراريس ، وفى قوله (مثلهم كمثل الذى استوقد نارا) كراسان، وفى قوله تعالى (يأيها الناس اعبدوا ربكم) ثلاث كراريس ، وفى قوله تعالى (إلا من سفه نفسه) كراسة ، آية الكرسى ، كراسان ، وفى قوله (شهد الله أنه لا إله إلا هو) ست كراريس ، وفى قوله (ما أصابك من حسنة فمن الله) عشر كراريس ، وغير ذلك من سورة آل عمران ، تفسير المائدة ، مجلد (يأيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة) ثلاث كراريس (وإذ أخذ ربك من بنى آدم) سبع كراريس ، سورة يوسف ، مجلد كبير ، سورة النور ، مجلد كبير ، سورة القلم وأنها أوّل سورة أنزلت ، مجلد ، سورة لم يكن ، سورة الكافرون ، سورة تبت والمعوّذتين ، مجلد ، سورة الإخلاص ، مجلد

كتب الأصول ـ الاعتراضات المصرية على الفتوى الحموية ، أربع مجلدات ، ما أملاه في الحبس ردًّا على تأسيس التقديس ، شرح أول المحصَّل ، مجلد ، شرح بضعَ عشرةَ مسألة من الأربعين للإمام فخر الدين ، تعارض العقل والنقل ، أربع مجلدات[1] ، جواب ما أورده كمال الدين ابن الشريشي ، مجلد ، الجواب الصحيح ردًّا على النصارى ، أربع مجلدات ، منهاج الاستقامة ، شرح عقيدة الأصبهاني ، مجلد ، شرح أول كتاب الغزنوي في أصول الدين ، مجلد ، الرد على المنطق ، مجلد ، ونحو [مجلد] لطيف ، الرد على الفلاسفة ، أربع مجلدات ، قاعدة في القضايا الوهمية ، قاعدة في قياس ما لا يتناهى ، جواب الرسالة الصفدية ، جواب في قول بعض الفلاسفة . إن معجزات الأنبياء عليهم السلام قوى نفسانية ، مجلد كبير ، إثبات المعاد والرد على ابن سينا ، شرح رسالة ابن عبدوس في كلام الإمام أحمد في الأصول ، ثبوت النبوات عقلا ونقلا والمعجزات والكرامات ، مجلدان ، قاعدة في الكليات ، مجلد لطيف ، الرسالة القبرصية ، رسالة إلى أهل طبرستان وجيلان في خلق الروح والنور ، الرسالة البعلبكية ، الرسالة الأزهرية القادرية البغدادية ، أجوبة القرآن والنطق ، إبطال الكلام النفساني أبطله من نحو ثمانين وجها ، جواب من حلف بالطلاق الثلاث أن القرآن حرف وصوت ، إثبات الصفات والعلو والاستواء مجلدان ، المراكشية صفات الكمال والضابط ، جواب في الاستواء وإبطال تأويله بالاستيلاء ، جواب من قال لا يمكن الجمع بين إثبات الصفات على ظاهرها مع نفي التشبيه ، أجوبة كون جهة السموات كرية وسبب قصد القلوب العلو ، جواب كون الشيء في جهة العلو مع كونه ليس بجوهر ولا عرض معقول أو مستحيل ، جواب هل الاستواء والنزول حقيقة ؟ وهل لازم المذهب مذهب ؟ مسألة أهل الإربلية ، مسألة النزول واختلافه باختلاف وقته

---

(١) لعل الأصل « دفع تعارض العقل والنقل » كما ذكر في ص ٦٩

و «اختلاف الأوان والمطالع» ، مجلد لطيف ، شرح حديث النزول ، مجلد كبير ، بيان حل إشكال ابن حزم الوارد على الحديث ، قاعدة فى قرب الرب من عابديه وداعيه ، مجلد ، الكلام على نقض المرشد ، المسائل الإسكندرانية فى الرد على الاتحادية والحلولية ، ماتضمنه فصوص[1] الحكم ، جواب فى لقاء الله تعالى ، جواب فى رؤية النساء ربهن فى الجنة ، الرسالة المدنية فى إثبات الصفات النقلية الحلاوونية ، جواب ورد على ابن ملك التتار ، مجلد ، قواعد فى إثبات الرد على القدرية والجبرية ، مجلد ، الرد على الروافض والإمامية وعلى ابن مطهر، أربع مجلدات ، جواب فى حق إرادة الله تعالى خلق الخلق و إنشاء الأنام لعلة أم لغير علة ، شرح حديث « تحاج آدم موسى » تنبيه الرجل العاقل عن تمويه المجادل ، مجلد ، تنائى الشدائد فى اختلاف العقائد ، مجلد ، كتب الإيمان ، مجلد ، شرح حديث جبريل فى حديث الإيمان والإسلام ، مجلد ، عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فيما يأمرونه ، مسألة فى العقل والروح ، مسألة فى المقربين : هل يسألهم منكر ونكير ؟ مسألة هل يعذب الجسد مع الروح فى القبر ، الرد على أهل الكسروان ، مجلد ، مجلد فى فضائل أبى بكر وعمر رضى الله عنهما على غيرهما ، قاعدة فى تفضيل معاوية وفى ابنه يزيد ، كتاب فى تفضيل صالحى الناس على سائر الأجناس ، مختصر فى كفر النصيرية فى جواز قتال الرافضة ، كراسة ، فى بقاء الجنة والنار وفنائهما رداً على مولانا قاضى القضاة تقى الدين السبكى .

كتب أصول الفقه — قاعدة غالب أقوال الفقهاء ، مجلدان ، قاعدة كل حمد وذم من الأقوال والأفعال لا يكون إلا بالكتاب والسنة ، شمول النصوص

---

(١) فى ب ، ت « ماتضمنه خصوص الحكم » وكتاب « فصوص الحكم » مشهور معروف

للأحكام ، معارج لطيف ، قاعدة فى الإجماع وأنه ثلاثة أقسام ، جواب فى الإجماع والخبر المتواتر ، قاعدة فى كيفية الاستدلال على الأحكام بالنص والإجماع فى الرد على من قال إن الأدلة اللفظية لا تفيد اليقين ، ثلاث مصنفات ، قاعدة فيما يظن من تعارض النص والإجماع ، مؤاخذة على ابن حزم فى الإجماع ، قاعدة فى تقرير القياس ، قاعدة فى الاجتهاد والتقليد فى الأحكام ، رفع الملام عن الأئمة الأعلام ، قاعدة فى الاستحسان فى وصف العموم والإلحاق والإطلاق ، قاعدة فى أن المخطىء فى الاجتهاد لا يأثم ، جواب هل العامى يجب عليه تقليد مذهب معين ، جواب فى ترك التقليد ، فيمن يقول مذهبى مذهب النبى عليه الصلاة والسلام وليس أنا محتاج إلى تقليد الأربعة ، جواب من تفقه فى مذهب ووجد حديثا صحيحاً هل يعمل به أم لا[1] ، جواب تقليد من قلد الشافعىّ فى الفطر والوتر ، الفتح على الإمام فى الصلاة ، تفضيل قواعد مذهب مالك وأهل المدينة ، تفضيل الأئمة الأربعة وما امتاز به كل واحد منهم ، قاعدة فى تفضيل الإمام أحمد ، جواب هل كان النبىّ صلى الله عليه وسلم قبل الرسالة نبيا ، جواب هل كان النبى صلى الله عليه وسلم متعبدًا بشرع مَنْ قبله ، قواعد أنّ النهى يقتضى الفساد

كتب الفقه — شرح المحرر فى مذهب أحمد ، ولم يبيض ، شرح العمدة لموفق الدين ، أربع مجلدات ، جواب مسائل وردت من أصفهان ، جواب مسائل وردت من الصلت ، مسائل [وردت] من بغداد ، مسائل وردت من زرع ، مسائل وردت من الرحبة ، أربعين مسألة ، مسألة الدرة المضية فى فتاوى ابن تيمية المرداوية الطرابلسية

(١) قد اشتهر عن كل واحد من الأئمة الأربعة — رضوان الله عليهم ! — أنهم قالوا ما معناه : إذا صح عندكم حديث على خلاف مذهبى فخذوا به واضربوا بقولى عرض الحائط ، وهو كلام أهل العلم المنصفين .

قاعدة في المياه والمائعات وأحكامها ، طهارة بول ما يؤكل لحمه ، قاعدة في حديث القلتين(١) وعدم رفعه ، قواعد في الاستجمار ، وتطهير الأرض بالشمس والريح ، جواز الاستجمار مع وجود الماء ، نواقض الوضوء ، قواعد في عدم نقضه بلمس النساء ، التسمية على الوضوء ، خطأ القول(٢) بجواز المسح على القدمين ، جواز المسح على الخفين المتخرقين والجوربين واللفائف ، فيمن لا يعطي أجرة الحمام ، تحريم دخول النساء بلا مئزر في الحمام والاغتسال ، ذم الوسواس ، جواز طواف الحائض(٣) ، تيسير العبادات لأرباب الضرورات بالتيمم والجمع بين الصلاتين للعذر ، كراهية التلفظ بالنية وتحريم الجهر بها في الأذكار ، كراهية تقدم بسط سجادة المصلي قبل مجيئه ، الكلم الطيب ، في الركعتين اللتين تصليان قبل الجمعة ، في الصلاة بعد أذان الجمعة ، القنوت في الصبح والوتر ، تارك الصلاة وكفره ، الجمع بين الصلاتين في السفر ، فيما يختلف حكمه بالسفر والحضر ، أهل البدع : هل يصلى خلفهم ؟ صلاة بعض أهل المذاهب خلف بعض ، الصلوات المبتدعة ، تحريم السماع ، تحريم الشبابة ، تحريم اللعب بالشطرنج ، تحريم الحشيشة المغيبة وجلد آكلها وتنجيسها ، النهي عن المشاركة في أعياد النصارى واليهود ، وإيقاد النيران في الميلاد ونصف شعبان وما يفعل في عاشوراء من الحبوب ، قاعدة في مقدار الكفارة باليمين ، في أن المطلقة ثلاثاً لا تحل إلا بنكاح زوج ثان ، بيان الحلال والحرام في الطلاق ، جواب من حلف لا يفعل شيئاً على المذاهب الأربعة ثم طلق ثلاثاً في الحيض ، الفرق المبين بين الطلاق واليمين ، لمحة مختصرة في الفرق بين اليمين والحلف ، كتاب « التحقيق ، في الفرق بين الأيمان والتطليق »(٤) ، الطلاق البدعي لا يقع ، مسائل الفرق بين الطلاق البدعي ونحو ذلك ، مناسك الحج في حجة النبي صلى الله

---

(١) في ب ، ث « قاعدة في حديث القلتين والقلتين وعدم رفعه » وحديث القلتين هو قوله عليه الصلاة والسلام « إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل الخبث »

(٢) كذا ، ولعل الأصل « خطأ القول بعدم جواز المسح على الخفين »

(٣) كذا ، ولعله « عدم جواز طواف الحائض » كما هو نصوص الأحاديث

(٤) في ب ، ث « بين أهل الأيمان والتطليق » وظاهر أن كلمة « أهل » مقحمة

عليه وسلم ، فى العمرة المكية ، فى شراء السلاح بتبوك وشرب السويق بالعقبة وأكل التمر بالروضة وما يلبس المحرم وزيارة الخليل عليه السلام عقيب الحج وزيارة بيت المقدس مطلقاً ، جبل لبنان كأمثاله من الجبال ليس فيه رجال الغيب ولا أبدال (١). جميع أيمان المسلمين مُكَفَّرة .

الكتب فى أنواع شتى – جمع بعضُ الناس فتاويه بالديار المصرية مدة مقامه بها سبع سنين فى علوم شتى ، فجاءت ثلاثين مجلداً ، الكلام على بطلان الفتوة (٢) المصطلح عليها بين العوام ، وليس لها أصل متصل بعلى رضى الله عنه ، كشف حال المشايخ الأحمدية وأحوالهم الشيطانية ، ما يقوله أهل بيت الشيخ عدى ، النجوم . هل لها تأثير عند القِرَان والمقابلة ؟ وفى المقابلة : هل يقبل قول المنجمين فيه ورؤية الأهلة أمحال ، تحريم أقسام المعزمين بالعزائم المعجمة وصرع الصحيح وصفة الخواتيم ، إبطال الكيميا وتحريمها ولو صحت وراجت .

ومن نظمه على لسان الفقراء المجردين :

والله ما فقرنا اختيار   وإنما فقرُنا اضطرار

جماعة كلنا كسالى   وأكلُنا ما له عيار

تسمع منا إذا اجتمعنا   حقيقـــة كلها فشارُ

وله أجوبة وسؤالات كان يُنشَدها نثرا فيجيب عنها نظما ، وليس هذا محل إيراد ذلك ، وأشياء لم يصل ذكرها إلينا ، ولا أسماؤها عندنا . رحمه الله تعالى !

---

(١) الأبدال : جمع بدل ، وللمتصوفة مقال يثبتون فيه البدلاء ، وهم سبعة رجال من سافر من موضع وترك جسداً على صورته حيا بحياته ظاهرا بأعمال أصله بحيث لا يعرف أنه فقد ، وذلك هو البدل لا غير . (انظر تعريفات السيد الشريف الجرجانى واصطلاحات الصوفية لمحيى الدين بن عربى)

(٢) الفتوة اصطلاح صوفى ، وهى أن تؤثر الخلق على نفسك بالدنيا والآخرة

(٣٥)

أحمد بن أبي فنن .

أحمد بن أبي فنن

من شعره :

عاش يُبْتَنَى فصار مثلي ... بئس ما قد جنت على
فنرى ما رأيت منه ... وسأدنى ما رآه منى

(٣٦)

أحمد بن صالح السنبلي .

أحمد بن صالح السنبلي

من شعره في مُكارى .

خو شئـــــــه مكاريا ... شرّد عن عيني الكرى
كأنه البـــــدر فما ... يَمَلُّ من طول السُّرى

وله في السيفِ عاملِ الجامع :

رَبْعُ المصالح دارس ... لم يبق منـــه طائل
هيهات تعمر بقعـــة ... والسيف فيها عامل

وله في زهر اللوز :

للوز زهر حسنـــه ... يُصْبِي إلى زمن التصابي
شكت الغصون من الشتا ... فأعارها بيضَ الثياب
وكأنه عَشِقَ الربيـــع شاب من قبل الشباب

وله وقد وقع مطر كثير يوم عاشوراء :

يوم عاشوراء جادت بالحيا ... سُحُبٌ تهطل بالدمع الهمول
عجبا حتى السمٰوات بكت ... رُزْءَ مولاى الحسين ابن البَتول(1)

(٣٧)

الإمام المعتضد بالله ـ أحمد بن طلحة العباسى ، أمير المؤمنين .

أمير المؤمنين المعتضد بالله

(1) البتول ـ بفتح الباء ـ هي السيدة فاطمة الزهراء بنت سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

كان شجاعاً ، مهاباً ، وافر العقل ، ظاهر الجبروت ، شديد الوطأة ، من أفراد خلفاء بني العباس ، يُقدِم على الأسد وحده لشجاعته

قال خفيف السمرقندي : كنت معه في الصيد ، فانقطع عن العسكر ، فخرج علينا أسد ، فقال : أفيك خير ؟ قلت : لا ، قال : أولا تمسك فرسي ؟ قلت : نعم ، فنزل وتحزم وسلّ سيفه ، وقصد الأسد ، وتلقاهُ بسيفه ، فقطع عضده ، ثم ضربه ضربة فلقَتْ هامته ، ومسح سيفه في صوفه ، وركب ، وصحبته إلى أن مات ما سمعته يذكر ذلك لقلة احتفاله به

وكان يبخل ويجمع المال ، وفي أيامه سكنت الفتن لفرط هيبته ، وكان يسمى السفّاح الثاني ، لأنه جدّد ملك بني العباس ، وكانت أيامه طيبة ، كثيرة الأمن والرخاء ، وأسقط المُكوس ، ونشَر العدل ، ورفع المظالم عن الرعية ، وكان مزاجه قد تغير من إفراطه في الجماع وعدم الحمية ، بحيث إنه أكل في علته زيتوناً وسمكاً ، وشكوا في موته ، فتقدّم الطبيب وجسّ نبضه ، ففتح عينه ورفس الطبيب رماه أذرعاً ، فمات الطبيب ومات المعتضد رحمه الله تعالى .

ومن شعره

غلب الشوق اصطباري لتباريح الفراق[1]
إن جسمي حيث ما سر ت وقلبي بالعراق
أملك الأرض ولا أملك دفع الاشتياق[2]

وحكى ابن حمدون النديم أن المعتضد كان قد شَرَط علينا أنا إذا رأينا منه شيئاً نكرهه نقول له ، وإن اطلعنا على عيب واجهناه به ، قال : فقلت له يوماً : يا مولانا في نفسي شيء أردت سؤالك عنه مذ سنين ، قال : ولم أخرته إلى اليوم ؟

---

(١) تباريح الفراق : آلامه

(٢) هو قريب في المعنى من قول الرشيد :

* ملك الثلاث الآنسات عناني *

الأبيات الثلاثة المشهورة .

قلت : لاستصغاري قدري وهيبة الخلافة ، قال : قل ولا تخف ، قلت : اجتاز مولانا بلاد فارس فتعرّضَ الغلمانُ للبطيخ الذي كان في تلك الأرض ، فأمرت بضربهم وحبسهم ، وكان ذلك كافيا ، ثم أمرت بصلبهم ، وكان ذنبهم لا يجوز عليه الصَّلب ، فقال : أو تحسب أن المصلوبين كانوا أولئك الغلمان ؟ وبأي وجه كنت ألقى الله تعالى يوم القيامة لو صلبتهم لأجل البطيخ ؟ وإنما أمرت بإخراج قوم من قُطّاع الطريق كان وجب عليهم القتل ، وأمرت أن يُلبَسوا أقبية[1] الغلمان وملابسهم إقامة للهيبة في قلوب العسكر ، ليقولوا : إذا صلب خواصّ عبده على غصب البطيخ فكيف يكون على غيره ؟ وأمرت بتلثيمهم لستر أمرهم على الناس

(٣٨)

ابن عبد الدائم .

أحمد زين الدين ، المقدسي ، الصدفي ، الحنبلي ، الناسخ

أحمد زين الدين المقدسي

كتب بخطه المليح الكثير مما لا يوصف لنفسه وبالأجرة ، حتى كان يكتب إذا تفرّغ في اليوم تسع كراريس ، وقيل : إنه كتب الخرقي في ليلة واحدة ، وكان ينظر في الصفحة مرّة واحدة ويكتبها ، ولازم النسخ خمسين سنة ، وخطه لا نقْط ولا ضبْط ، وكتب ألفي مجلدة .

وكان تام المروءة ، حسن الأخلاق والشكل ، وولي خطابة كفر طاب[2] ، وأنشأ خطبا كثيرة ، وحدث ستين سنة ، وكُفّ بصره في آخر عمره

ومن شعره

إن يُذهِب الله من عينيّ نورهما — فإنّ قلبي بصير ما به ضرر

والله إنّ لكم في القلب منزلةً — ما نالها غيركم أنثى ولا ذكر

وصالكم لي حياة لا نفاد لها — والهجر موت فلا عين ولا أثرُ

---

(١) الأقبية : جمع قباء ـ بفتح القاف ـ وهو ثوب يلبس فوق الثياب .

(٢) في ب «كفر بطنا» وصوابه عن ث ، وكفر طاب : بلدة بين المعرة ومدينة حلب في برية معطشة .

ومن شعره أيضا :

عجزت عن حمل قرطاس وعن قلم ... من بعد إلفيّ بالقرطاس والقلم
كتبت ألفا وألفا من مجلدة ... فيها علوم الورى من غير ما ألم
ما العلم فخر امرئ إلا لعامله ... إن لم يكن عمل فالعلم كالعدم

توفى سنة ثمان وستين وستمائة

(٣٩)

ابن عبد الدائم الشارمساحى .

ابن عبد الدائم الشارمساحى

من شعره رحمه الله تعالى :

تخشى الظُّبا والظِّبا من فتك ناظره ... وإن تَثَنّى فلا تسأل عن الأَسَلِ (١)
لا واخذ الله عينيه فقد نشطت ... إلى تلاقى وفيها غاية الكسل
ترمى القلوب فلا ندرى أهام بها ... هاروت أم ذاك رام من بنى ثُعَل (٢)
هذا الغزال الذى راقت محاسنه ... فلا عجيب عليه رقة الغزل
لما توالت من وَجْدٍ ومن شغف ... تحقق الناس أنى مغرم بعلى

ومن شعره أيضا .

لا تعجبوا للمجانيق التى رَشَقَتْ ... عكا بنار وهدتها بأحجار
بل اعجبوا لسان النار قائلة ... هذى منازل أهل النار فى النار

(٤٠)

ابن قتادة .

ابن قتاده

من شعره لغزل يوسف :

يا سائلى ما اسم الذى أحببته ... إنى بسر هواه غير مُصَرِّح

---

(١) الظبا ـ بضم الظاء ـ جمع ظبة ، وهى حد السيف ، والظبا ـ بكسر الظاء ممدود ـ الظباء جمع ظبية ، والأسل ـ الرماح

(٢) بنو ثعل من أشهر العرب فى الرمى ، وفيهم يقول امرؤ القيس

رب رام من بنى ثعل ... متلج كفيه فى قتره

لكن إذا فكرت فيه وجدته معكوس سابع لفظة فى سبح[1]

(٤١)

شهاب الدين ابن نعمة الحنبلى المقدسى، العابر

الحنبلى، شهاب الدين أحمد بن عبد الرحمن بن عبد المنعم بن نعمة بن سلطان ابن سرور، المقدسى، مفسر المنامات.

كان إليه المنتهى فى تعبير الرؤيا، واشتهر عنه فى ذلك عجائب، ويخبر بأشياء، وكان بعض الناس يعتقد فيه الكشف والكرامات، وبعضهم يقول: كهانات وإلهامات، والكل منهم فى دعواه شبه وعلامات.

قال الشيخ شمس الدين الذهبى: حدثنى الشيخ تقى الدين بن تيمية أن شهاب الدين العابر كان له تابع من الجن يخبره بالمغيبات، وكان صاحب أوراد وتعبد، وما برح كذلك حتى مات.

صنف فى التعبير مقدمة سماها « البدر المنير » وكان عارفا بالمذهب، وذكر ودرس بالجوزية، وكان شيخا حسن البشر، وافر الحرمة، سقط فى الغوص، أدام عصر مدة

وكانت وفاته بدمشق سنة سبع وسبعين وستمائة، وحضر جنازته ملك الأمراء والقضاة والأكابر.

وقال الشيخ فتح الدين بن سيد الناس: كنت يوما عنده وقد جاءه إنسان، وقال: رأيت كأنى صرت أترجة، فقال: أترجة ألف تراجم هذه، وعدها خمسة أحرف، وقال: أنت تموت بعد خمسة أيام، فإنه من رأى أنه صار ثمرة تؤكل فإنه يموت، وهذه زيادة من عنده عدد حروف الأترجة

وقال شهاب الدين بن غانم: كنت عنده يوما، فجاء إليه إنسان ومعه آخر،

---

(١) سبح: يراد بها سورة الأعلى، وأولها (سبح اسم ربك الأعلى الذى خلق فسوى) وسابع لفظة فيها هو قوله سبحانه (فسوى) ومقلوبها « يوسف »

فقال : رأيت رؤيا وقصها ، فقال له : ما رأيت شيئا ، وإنما تريد الاستخفاف ، فخرجا بعدما اعترفا ، فقيل له : من أين لك هذا ؟ قال : لما تكلم نظرت في ذيل أحدهما نقطةً من دم ، فذكرت الآية (وجاءوا على قميصه بدم كذب) فاتفق أني رأيت أحدَهما بعد ، فسألته عن القصة ، فقال : اختبرنا عليه ذكرنا أمره الغريب ، وقلنا نريد نمتحنه ، وقد صنعنا رؤيا للوقت ، فكان ما سمعت

وحكي عنه أنه جاء إليه آخر ، وقال : رأيت كأن في داري شجرة يقطين[1] ، قال : أعندك في دارك غير الزوجة ؟ قال : نعم جارية ، قال : بعني إياها ، قال : إنها ملك زوجتي ، قال : قل لها تبيعني إياها ، فراح وعاد وقال : إنها لا تبيعها ، فقال : امض إلى هذه الجارية فاعتبرها ، فمضى وعاد وقال : إنها طلعت عبدا ، وزوجتي تكتمني أمره ، وتُلْبِسه لبس النساء .

وجاء إليه إنسان وقال : رأيت كأني قد وضعت رجلي على ثديي ، فقال له : أفسر لك هذه الرؤيا بيني وبينك أو في الظاهر ؟ فقال : في الظاهر ، فقال : أنت كنت من ليلتين تشرب الخمر وسكرت ووطئت أمك ، فاستحيى ومضى .

وجاء إليه إنسان وقال له : رأيت كأنّ قائلا يقول لي : اشرب شراب المكاري فقال له : فؤادك يوجعك ؟ قال : نعم ، قال : اشرب العسل تبرأ ، فسئل : من أين لك هذا ؟ قال : سمعتهم يقولون شراب الديناري ، ولم أسمع بالمكاري ، فرجعت إلى الحروف فرأيته شراب الملك أري ، والأري : العسل ، وذكرت قوله صلى الله عليه وسلم « كذب بطن أخيك اسقه العسل »[2]

(٤٢)

أحمد ابن عبد الملك العزازي

أحمد بن عبد الملك ، العزازي ، التاجر بقيسارية جركس ، الشاعر المشهور ، كان كيسا ظريفا ، جيد النظم في الشعر .

---

(١) اليقطين : القرع

(٢) روى البخاري في كتاب الطب من صحيحه أن رجلا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فشكا له انطلاق بطن أخيه ، فقال له « اسقه عسلا » فسقاه فزاد ما بأخيه فجاء فشكا ذلك ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم « صدق الله ، وكذب بطن أخيك اسقه عسلا »

فمن شعره يمدح النبيّ صلى الله عليه وسلم :

دمى بأطلال ذات الخال مطلولُ   وجيشُ صبرى مهزومٌ ومفلول(1)

ومن يلاق العيونَ الفاتكاتِ بلا   صبر يدافع عنه فهو مخذول

لم يدرِ من سلب العشاق أعينهم   فإنه عن دم العشاق مسئول

وبى أغنّ غضيض الطرف معتدل القوام لدن مهزّ العطف مجدول

كأنه فى تثنّيه وخطرته   غصن من البان مطلول ومشمول

سُلافة منه تنسى وسالفة   وعامل منه مصقول ومعسول(2)

وكلما رمت أجفان مقلته   يصح إلاعرابى فهو مسحول

يا برقُ كيف الثنايا الغر من إضمٍ   يا برق أم كيف لى منهنّ تقبيل

ويا نسيم الصبا كرّر على أذنى   حديثهنّ فإن التكرار مملول

ويا حمامة لصابا دون ذى سلم   عوجوا بشرقىّ ذات اللوى قعدوا

منازل لأكفّ الغيث توشية   بها وللنَّوْر توشيع وتكليل

كأنما طيب رياها ونفحتها   بطيب ترب رسول الله مجبول

أزكى النبيين برهانا ومعجزةً   وخير من جاءه بالوحى جبريل

له يد وله باع برمحهما   فى السلم طولٌ وفى يوم الوغى طُولُ

سلّ الإله به سيفاً لنقمته   وذلك السيف حتى الحشر مسلول

وشاد ركناً أثيلاً من سنّته   والكفر واهٍ وعرش الشرك مثلول

وَيْلٌ لمن جحدوا برهانه وثنى   عنان رشدهم غىٌّ وتضليل

أولئك الخاسرون الخاسئون وهم   لهم من الله تعذيب وتنكيل

كتيبةٌ من هاشم أُسْدٌ ضراغمة   لها السيوف بيوت والقنا غيلُ

---

(1) الأطلال: جمع طلل، وهو ما شخص من آثار الدار. ومفلول: مهزوم

(2) السلافة: الخمر. والسالفة: صفحة العنق. والعامل: صدر الرمح وأراد منه قوامه لأنه يشبهه فى اعتداله كالرمح. والمعسول: أراد ريقه الذى يشبه العسل

إذا تفاخر أرباب العلى بهم السمرُ العوالي والصِّيدُ البهاليل
لهم على العرب العرباء فاطمة به افتخار وترجيح وتفضيل
قوم عمائمهم دلت لعزتها السقفاء تيجان كسرى والاكاليل

وله أيضا عفى عنه :

منذ عشقت الشادن الذي ... بالحسن يختال ويغتال
لم يبق في ظهري ولا راحتي ... تالله لا ماء ولا مال

وقال أيضا :

تعشقته ساحر المقلتين ... كبدر يلوح وغصن يميل
إذا احمرّ من وجنتيه الأسيل ... واحورّ من مقلتيه الكحيل
فقل للشقائق ماذا ترين ... وللنرجس الغض ماذا تقول
وقالوا : ذبول بأعطافه ... فقلت : يزين القناة الذبول
وعابوا نحول أجفانه ... فقلت : أصحّ النسيم العليل

وكتب ابن العزازي إلى ابن النقيب ملغزا في شبابة وأحسن :

وما صفراء شاحبة ، ولكن ... يزينها النضارة والشباب
مكتسية وليس لها ثياب ... منقبة وليس لها نقاب
تصيح بها إذا قبّلت فاها ... أحاديثا تلذ وتستطاب
ويحلو المدح والتشبيب فيها ... وما هي لا سعاد ولا الرباب

فأجابه ناصر الدين بن النقيب :

أتت عجمية أعربت عنها ... لسلمان يكون لها انتساب (1)
ويفهم ما تقول ولا سؤال ... إذا حققت ذاك ولا جواب

(1) سلمان : أراد به سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه ، وغرضه أن يقول : إنها صنع من بلاد فارس

يكاد لها الجماد يهز عطفا ويرقص في زجاجته الحباب

وقال الغزاري ملغزا في القوس والنشاب :

ما عجوز كبيرة بلغت عمـــرا طويلا وتقتفيها الرجال

قد علا جسمها صفار ولم تشـــك سقاما ولا عراها هزال

ولها في البنين سهم وقسم وسوها كبار قدر يسال

وسوها لم يشبهوها في الأم عوجاج وفي البنين اعتدال

وقد قال أيضا :

قال لي من أحبه عـــد ثمن وحياتي يحدث الورد عهــــد

خل عنى أما شعت ، حديـــث أرتت الحيـــاة يشيع منها

ومن موشحاته غزل له :

يا ليلة الوصل وكأس العقار دون استتار علمانى كيف خلع العذار

اغتنم اللذات قبـــل الذهاب

وجر أذيال الصبا والشباب

واشرب فقد طابت كئوس الشراب

على خدود نبت الجلنار ذات احمرار طرزها الحسن بآس العذار

الراح لاشك حياة النفوس

فحل منها عاطلات الكئوس

واشتجليها بين الندامى عروس

تجلى على خطابها في إزار من النضار حبابهـــا قام مقام النثار[1]

أما ترى وجه الهنا قد بدا

---

(١) النضار — بضم النون ، ترية الغراب — الذهب ، والحباب — بفتح الحاء — فقاقيع الماء ، والنثار — بكسر النون — ما ينثر على العروس

وطار الأشجار قد غردا
والروض قد وشاه قطر الندا
فكل لهو بكأس تدار على اقترار مباسم النوار غب القطار
أجني من الوصل ثمار المنا
وأحتسي الكأس بما أمكنا
مع شادن رقته حلو الجنا
عقلة أفتك من ذي الفقار ذات احورار منصورة الأجفان بالانكسار(١)
زار وقد حل عقود الحيا
وفتر عن ثغر أرضى ولوى
هممت والوقت له قد صفا
يا ليلة أنعم فيها وزار شمس النهار خيلت من دون الليالي القصار

وقال أيضاً (موشح) :

ما سلت لأعين الفواتر من غمد أجفانها الصفاح
إلا سالت دم المحاجر من غير حرب ولا كفاح
بالله ما حركت السواكن غير الظباء الجآذر
لما استجابت بكل طاعن من القدود النواضر
وفوقت أسهم الكنائن من كل جفن وناظر(٢)
نعرت إذا يحن بال عاشق بين سرايا من الملاح
طلت عليه من المحاجر طلائع تحمل السلاح
أخشيت منه تطلع الحتوف منها وما لدى الكلل

---

(١) ذو الفقار : سيف علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه
(٢) فوقت : صوبت وسددت ، والكنائن : جمع كنانة ، وهي وعاء السهام

من أمرها لها نصيب — وأعين رائيها تميل
هيهات أن تعدل القلوب — عنها ولو جارت العقول
لما توشح بالعذار — مسفر عن أوجه صباح
فانهزم الليل وهو عاثر — بذيله واحتوى الصباح
وأهيف ناعم الشمائل — تهزه نسمة الشمال
ينثني كالقضيب مائل — كما انثنى شارب ومال
له عذار كالند سائل — فيه صحيح من دم أسال
شُقَّت على بيته المرائر — من داخل لأنفس الصحاح
تَكِلُّ في وصفه الخواطر — وتخرس الألسنُ الفصاح
قلبي إلى الأنس لا يميل — الشمس والبدر من حلاه
والحسن قالوا ولم يقولوا — مبداه منه ومنتهاه
وطرفه الناعس الكحيل — هيهات من صنعه المحاه
أذلّ بالسحر كل ساحرْ — فهو له خافض الجناح
يجول في باطن الضمائر — كما يجول القضا المُتاح
أما ترى الصبح قد طلع — مذ غمضت أعين الغسقْ
والبدر نحو الغروب أسرع — كهارب ناله فَرَقْ[1]
والبرق بين السحاب يلمع — كصارم حين يُمتشق[2]
وتحسب الأنجم الزواهر — أسنةً ألفت الرماح
فانهزم النهرُ وهو سائر — ورد عنانه يد الرياح

---

(١) الفرق ـ بالتحريك ـ الخوف

(٢) الصارم : السيف ، ويمتشق : يسل من غمده

وقال أيضاً (موشح):

كأس رويه   جلا علينا النديم   أم سنا مصباح
أم شمس حسن   قد توجتها النجوم   في سما الأفراح
هات الكؤوسا   ممزوجة بالرضاب   من ثنايا كا
واخطب عروسا   تروق تحت الحباب   لسجايا كا
ودع الحبيسا   لحس وشراب   مثل زيتا كا
واشرب سبيه   بها النفوس تهيم   وبها ترتاح
من بنت دن   أليس نحن الجسوم   وهي الأرواح
حديثها مدام   وجر ذيل المجون   أبغيتا حرز
وأقصص قديما   لما من الزرجون   طيب النشر
حيا السداني   بها سقيم الجفون   ناحل الخصر
حر السجيه   حلو الدلال رخيم   حسن مزاح
لدن التثني   له قوام قويم   للقنا فضاح
مد الربيع   للورد أي بساط   حف بالآس
قم يا خليع   إلى الصبوح بشاطئ   نهر باناس[1]
فا المخشوع   وقد دعاك تعاطي   خدرة الكاس
في سندسيه   أجرت عليها الغيوم   مدمعا سحاح
من ماء مزن   وصاب منها النسيم   أرجا فاح
لنا حبيل   راه منذ ليالي   غائب عنا
وما الشمول   لديننا هو صالي   أليس منا

(١) الصبوح – بفتح الصاد – ماشرب من الخمر صباحا ، وباناس : من أنهار دمشق ، وقد ذكره الحسن بن عبد الله بن أبي حصينة في قوله:

ياصاحبي سق منازل جلق   عيث يروي محملات طاسها
فرواق جامعها فباب بريدها   فشارب القنوات من باناسها

قل يا رسول   بأتنا في ظلال   روضة غنّا
ر وحـــديه   ونمّ شادٍ وريم   وبقايا راح
ويوم دَجْنٍ   وقد دعاك النديم   أجب ياصاح
سُقْيًا لدهر   مضى بعَلّ ونهل   وبغزلان
وطيب عمر   قضى بليلة وصل   مالها ثاني
خلعت عذري   فيها وقلت تخلّى   وسلواني
في البابليه   لا تسمعَنّ من يوم   واهجر النصاح (١)
وشرب وعى   يا ليلة لو تدوم   دامت الأفراح

وله موشح دو بيتي :

أقسمت عليك بالأصيل القاني   أن تطرق حال الكئيب الفاني
أو تقصر عن إطالة الهجران   يا من سلب المنام من أجفاني

ما أليقَ هذا الحسن بالإحسان

والله لقد ضاعفت عندي الكمدا   مذ حزت من الهجر الطويل الأمدا
أدرك رمَقي أو هَبْ فؤادي جلَدا   يا من أخذ الروح وأبقى الجسدا

ما أصنع بعد الروح بالجثمان ؟

بالله إذ قضيت وجدا وغرام   فاسقط عذري يوم عَتْب وملام
قد كنت خليا من عذار وقوام   لا أعطي لصبوةٍ قيادًا وزمام

حتى ملكتْ بي أعين الغزلان

من لي بسقيم الجفن واهي الخصر   يرنو بعيون كحلت بالسحر
كم أوضح لي عذاره من عذر   ما مال به الدلال ميل السكر

إلا حسدتْ معاطفُ الغزلان

---

(١) البابلية : أراد الخمر ، نسبها إلى بابل ، وهو اسم ناحية منها الكوفة والحلة وينسب إليها السحر والخمر

في مرشفيه موارد القُبَـــل يحمى بفتور لحظه والكَحَل
كم قلت لمن أكثر فيه عذَلي ما دام سواد طرفه لم يَحُل
لا تطمع يا عذول في سلواني

بدري تحيا غصن ذلك القـد يسبيك بخدره في الخـد
ذو مبسم عذب وخد وَرْدي مذ عاينت العين نظم العقـد
منـه نَثَرَتْ قلائد العقيان(١)

سالم لحظات طرفه الرشق واستكف سهامه مهما من راق
أو حدك موثقا من الأحداق واستحذر من مصارع العشاق
ينبيك عن مقاتل الفرسان

وقال أيضاً (موشح):

وقفت مذ سارت الحمائل واقتربت ساعة الفراق
أكفكفُ الدمع بالأنامل والدمع يأبى إلا اندفاق
هـل لذّة بعدهم سبيل أم هل لطيف الكرى تزوار(٢)
هيهات والصبر مستحيل والقلب لا يملك القرار
إن أوحشت منهم الطلول فطالمـا آنسوا الديار
ساروا وقد زُمَّتِ الحمائل بهم وأظعانهـم تُساق
وأقلقوا أهلها نواحل ترقّ مع أدمعي تُراق
قف باللّوى تندب الربوعا على فـراق الحبايب
واسمح بأطلالها دموعا إن كنت حبّيْ وصاحب

(١) أراد بقلائد العقيان دموعه، ونثرها: سكبها
(٢) أراد الغراء فقصره حين اضطر، وهو الاضطرار والتعمد

مـــــلاعب تُنبِتُ الوُلُوعَا | سَقيًا لها من ملاعب
ما مال أفنارهـــــا أوائل | وقد محـــــا نورَها المحاق[1]
وما لبانانهـــــا ذوابل | ولونهـــــا وردة ساق[2]
بكيت من لوعتى ووجدى | حتى فتى كمر أدمعى[3]
وكان يوم الفراق ودى | سكى عيون الحيّ معى
إن لم أفِ بعدهم بعهدى | فكنت فى الحب مُدّعى
فإن جفا النوم وهو واصل | فكل شمل له افتراق
أو عاضَ دمعى وكان سائل | فحيل يعتاده احتراق
مَنْ أقىّ ساهر الأماق | قد ذل فى طاعة الهوى
يشكو إلى الله ما يلاقى | من التباريح والجوى
قد بلغت روحُه التراق | مذ سدت شُقة الهوى
صبٌّ لثقل الغرام حامل | وحمل ذلك لا يطاق
راح بكأس الفرق ناهل | وطعمها مرة المذاق

وقال أيضاً رحمه الله :

زمانَ شبابى كنتَ خيرَ زمان | فلا زلتَ مشكوراً بكل لسان
فلله كم حَرَّرْتَ ذيل بطالتى | وأطلقت للذاتِ فيك عِنانى
وقد كنتُ سباقاً إلى غاية الصبا | مجيباً إذا داعى الهوى دعانى
أقبل ثغر الكأس أبيض واضحا | وألثم خـــــد الراح أحمر قانى
ألا حبذا أيامى وتصابى فإننى | أرى فى التصابى غير ما تريان
سأملأ من طيب المدام مفارقى | وأحسب من صرف الكؤوس بنانى

---

(١) الأوائل : جمع آئل، وهو اسم الفاعل من قولهم « آل العمر و اسم يأمل أولا - كجلس يجلس جلوسا » إذا عرب ، والمحاق - مثلث الميم - استسرار القمر حتى لا يرى غدوة ولا عشية ؛ لأنه طلع مع الشمس فمحقته

(٢) بانات جمع بانة ، شجرة ، وذوابل - جمع ذابلة (٣) فى كرمى : لغة

وقال أيضا رحمه الله :

أرامة للآرام كنت مراتعا   فالك للعشاق صرت مصارعا[1]

فأين غصون كن فيك موائسا   وأين بدور كن فيك طوالعا[2]

وقفنا لتوديع الحمول عشية   نبث صبابات ونذري مدامعا

وعُدنا وما بل الوداع غليلنا   ولا ردّت منا الدموعُ الأضالعا

سألتكما ياصاحبي حادى ركابهم   لو احتبس الأظعان أو كرّ راجعا

وماذا على المستودعين فديتنا   بحبلى زرود لو رددن الودائعا

تعرضن لى يوم الكثيب كأنما   تعرض لى سربٌ من الرمل راتعا

وما كنت أدرى أن بين ستورهم   شموس الضحى حتى رفعن البراقعا

وقال أيضاً عفى عنه :

أدرك بقية نفس مت أكثرها   أصبحتَ بالهجر تطويها وتنشرها

يا من إذا نظرت عينى محاسنه   أتوه فى هواه ثم أعذرها

حسبى علاقة حب قد رثت جسدى   حتّام أكتمها والدمع يظهرها

ومهجة يتحاماها تجلدها   إذا هجرتَ ويغشاها تذكرها

يا للرجال أما فى الحب من حكم   ينهى العيون إذا جارت ويزجرها

ويا ولاةَ الهوى قوموا بنصر فتى   حقوقه ثبتت وهى تنكرها

لا تطلبنّ من الأعطاف عاطفة   فإن أعدلها فى الحب أجورها

وقال أيضا :

يا راشقَ القلب منى   أصبتَه فاكفف سهامك

ويا كثير التجنى   منعت عنى سلامك

---

(١) مراتع : جمع مرتع ، وهو موضع اللعب ، وفى القرآن الكريم : (أرسله معنا غدا يرتع ويلعب) والمصارع : جمع مصرع ، وهو المكان يصرع فيه القتيل مثلا

(٢) موائس : اسم الفاعل من « ماس الغصن يميس » أى اهتز

وحفظت ذمة صب | ما خان قط ذمامك

فاردد على منامي | فلا عدمتَ منامك

فمن رأى سوء حالي | بكى علىّ ولامك

لو أردت حياتي | لما هززت قوامك

يا من أحلت قلبي | ارفعْ قليلا لثامك

وسهم نصلي أحيا | إذا رأيت ابتسامك

يا حبذا ما أحيلى | للعاشقين التثامك

حكيت دالا وميما | لمـــا تأملت لامك(1)

(٤٣)

أحمد بن بنت الأعز (2)

ابن بنت الأعز

من شعره :

تعطلت فابيضت دوني حروفها | وقد قلّ مالي قلّ منها مدادها

وللناس مُسْوَدّةُ الناس حِدادهم | ولـكن مبيض الدواة حدادها

وقال أيضاً :

وقالوا بالعذار تسلّ عنه | وما أنا عن غزال الحسن سالي

وإن أبدت له خدّاهُ مسكا | (فإنّ المسك بعض دم الغزال)(3)

(٤٤)

أحمد الموازيني ، المعروف بالماهر الحلبي

الماهر الحلبي

من شعره يرثي :

رضى أن أعيش بعدك دهرا | قليـــلا شكره عقبيه

---

(1) حكيت دالا وميما : أراد حكيت دما ، وتأملت لامك : أراد العذار ؛ فإن الشعراء كثيراً مايشبهون العذار باللام

(2) له ترجمة في شذرات الذهب ٥/٤٤٤ واسمه أحمد بن عبد الوهاب ، ووفاته في سنة ٦٩٩

(3) عجزه عجز بيت لأبي الطيب المتنبي ، صدره :

* فإن تفق الأنام وأنت منهم *

وأن أرعى النجوم ولست فيها   وأن أطأ التراب وأنت فيه

ومنه أيضاً رحمه الله :

أرى عيني تحدثها الظنون   بأن البين بعد غد يكون
وما تركت الفراق على دمعا   يسح ولا تشح به الجفون
وجيش الصبر مهزوم فقل لى   عليك بأى دمع أستعين
كأنى من حديث النفس عندى   جُهَيْنَةُ عنده الخبر اليقين[1]

ومنه أيضاً عفى عنه :

من صح فيك فى الورى ميثاقه   حتى يصح ومن وفى حتى تفى
عرف الهوى فى الحق مذ عرف الهوى   عدلة الأهوى وعز الأصدف
يامن وقد فى الحشا بصدوده   نارى بغير وصاله لا تنطفى

(٤٥)

ابن خلكان مولانا قاضى القضاة شمس الدين أحمد بن خلكان ، الإربلى ، الشافعى[2] :

تولى قضاء الشام ، ثم عزل عنها بابن الصائغ ، ثم عزل ابن الصائغ بعد سبع سنين به ، وكان يوما مشهودا[3] ، وجلس فى منصب حكمه ، وتكلم الشعراء فقال الشيخ رشيد الدين الفارقى :

أنت فى الشام مثل يوسف فى مصـــر ، وعندى أن الكرام جناسُ
ولكل سبعٌ شداد وبعد السبع عام فيـــه يغاث الناس[4]

وقال سعد الدين الفارقى :

---

(١) يشير إلى مثل من أمثال العرب ، وهو قولهم « وعند جهينة الخبر اليقين »

(٢) له ترجمة فى شذرات الذهب ٥/ ٣٧١ وقد ترجم له فى مقدمة كتابه

(٣) فى نسخة «وكان يوما مشهوراً»

(٤) يشير إلى قوله تعالى فى قصة يوسف : (ثم يأتى من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ماقدمتم لهن إلا قليلا مما تحصنون، ثم يأتى من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون)

أذقتَ الشام سبع سنين جدبا ... غداة هجرته هجرا جميلا

فلما زرته من أرض مصر ... مددت عليه من كفيك نيلا

وقال نور الدين بن مصعب :

رأيت أهل الشآم طرا ... ما فيهم قط غير راض

نالهم الخير بعد شر ... فالوقت بسط بلا انقباض

وعوِّضوا فرحةً بحزن ... مذ أنصف الدهر في التقاضي

وسرهم بعد طول غم ... قدومُ قاض وعزلُ قاضي

فكلهم شاكر وشاك ... بحال مستقبل وماض

وكان له ميل إلى بعض أولاد الملوك ، وله فيه أشعار رائقة[1] ، فقال : إنه أول يوم رآه سقط له الطرحة ، وقال له ما عندي أعز من هذه ، ... عليها ، ... أمرها وعلم به أهله منعوه الركوب ، فقال ابن خلكان

يا سادتي إني قنعتُ وحقكم ... في حبكم منكم بأيسر مطلب

إن لم تجودوا بالوصال تعطفا ... ورأيتم هجري وفرط تجنبي

لا تمنعوا عيني القريحة أن ترى ... يوم الخميس جمالكم في موكب

لو كنت تعلم يا حبيبي ما الذي ... ألقاه من كمد إذا لم تركب

لرحمتني ورثيت لي من حالة ... لولاك لم يك حملها من مذهبي

ومن البلية والرزية أنني ... أقضي وما تدري بما قد حل بي

قسما بوجهك وهو بدر طالع ... وبليل طرتك التي كالغيهب[2]

وقوامة لك كالقضيب ركبت من ... أخطاره في الحب أعظمَ مركب

وبطيب مبسمك الشهي البارد الـ ... ـعذب النمير اللؤلؤي الأشنب[3]

ولم أكن في رتبة أرعى لها الـ ... ـعهد القديم صيانة للمنصب

لهتكت ستري في هواك ولذ لي ... خلع العذار ولو ألح مؤنبي

---

(١) في ب « أشعار رائقة » (٢) الغيهب : الليل الشديد الظلام

(٣) الأشنب : الذي فيه الشنب ، وهو برد وعذوبة في الأسنان

لكن خشيت بأن تقول عواذلي : قد جنّ هذا الشيخ في هذا الصبي
فارحم حشاشة مدنفٍ حرقة قد قاربت كشف القناع بحق ذياك النبي
لا تفضحنّ محبك الصب الذي جرعته في الحب أكدر مشرب

قال القاضي جمال الدين عبد القاهر التبريزي : كان الذي يهواه القاضي شمس الدين بن خلكان الملك المسعود بن الزاهر[1] صاحب حماة ، وكان قد تيمه حبه ، وكنت أنا عنده في العادلية ، فتحدثنا في بعض الليالي إلى أن راح الناس من عنده ، فقال : نم أنت هنا ، وألقى على فروة ، فخرج وقام يدور حول البركة في بيت العادلية ، ويكرر هذين البيتين ، إلى أن أصبح ، وتوضأنا[2] وصلينا .
والبيتان المذكوران :

أنا والله هالك آيس من سلامتي
أو أرى القامة التي قد أقامت قيامتي

ويقال : إنه سأل بعض أصحابه عما يقوله أهل دمشق فيه ، فاستعفاه ، فألح عليه ، فقال : يقولون : إنك تكذب في نسبك ، وتأكل الحشيشة ، وتحب الصبيان ، فقال : أما النسب والكذب فيه فإذا كان لا بد منه كنت أنتسب إلى العباس ، أو إلى علي بن أبي طالب ، أو إلى واحد من الصحابة ، وأما النسب إلى قوم لم يبق منهم بقية[3] ، وأصلهم قوم مجوس ، فما فيه فائدة ، وأما الحشيشة : فالكل ارتكاب محرم ، وإذا كان ولا بد فكنت أشرب الخمر ، لأنه ألذ ، وأما محبة الغلمان فإلى غدٍ أجيبك عن هذه المسألة .

وذكره الصاحب كمال الدين بن العديم ، ونسبه إلى البرامكة .
ومن شعره أيضاً

وسرب ظباء في غدير تخالهم بدوراً بأفق الماء تبدو وتغرب

---

(١) في ب « بن المظفر صاحب حماة »
(٢) في ب « وتوضينا وصلينا » بتسهيل الهمزة
(٣) يريد بهؤلاء القوم البرامكة وزراء الرشيد وأمراء دولته الذين نكبهم واستأصلهم

يقول عذولي والغرام مصاحبي : أمالك من هذي الصبابة مذهب
وفي دمك المطلول خاضوا كما ترى فقلت له ذرهم يخوضوا ويلعبوا (١)

وقال أيضاً مضمناً :

كم قلت لما أطلعت وجناته حول الشقيق الغض روضة آس
أعذاره الساري العجول بخده (ما في وقوفك ساعة من باس) (٢)

وقال أيضاً :

لما بدا العارض في خده بشرت قلبي بالسلو المقيم
قلت : هذا عارض ممطر فجاءني فيه العذاب الأليم (٣)

وقال أيضاً :

وما سرّ قلبي منذ شطّت بك النوى نعيم ولا لهو ولا متصرّف
ولا ذقتُ طعم الماء إلا وجدته سوى ذلك الماء الذي كنت أعرف
ولم أشهد اللذاتِ إلا تكلفاً وأيُّ سرور يقتضيه التكلف

وقال أيضاً :

أحبابنا لو لقيتم في إقامتكم من الصبابة مالاقيت في ظَعَني
لأصبح البحر من أنفاسكم يَبَساً والبر من أدمعي ينشق بالسفن

وقال أيضاً :

تمثلتمُ لي والديار بعيدة فخيل لي أن الفؤاد لكم مَغنى
وناجاكمُ قلبي على البعد والنوى فأوحشتم لفظاً وآنستم معنى

وقال أيضاً :

أنظر إلى عارضه فوقه لحاظه يرسل منها الحتوفْ

---

(١) أخذه من قوله تعالى : (ذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون)
(٢) ضمن هذا البيت صدر مطلع قصيدة لأبي تمام ، وعجزه :
● تقضي ذمام الأربع الأدراس ●
(٣) أخذه من قوله تعالى : (فلما رأوه عارضاً مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا ، بل هو ما استعجلتم به ، ريح فيها عذاب أليم) .

تبدو الجنة في خده ... لكنها تحت ظلال السيوف(١)

وقال في ملاح أربعة يلقب أحدهم بالسيف :

مُلاّك بلدتنا بالحسن أربعة ... بحسنهم في جميع الخلق قد فتكوا

تملكوا مهج العشاق وافتتحوا ... بالسيف قلبي ولولا السيف ما ملكوا

وقال أيضا غفر الله له :

ألا يا ساريا في عقد نُجْز ... يقاسي في السُّرى حزنا وسهلا

قطعت بنا المشيب وجُزْت عنه ... وما بعد البقا إلا المصلى

وقال أيضا رحمه الله :

أي ليل على المحب أطاله ... سائقُ الظعنِ يوم زمَّ جماله

يزجر العيس طاويا يقطع البيـ ... ـد عنفا سهولَه ورماله

أيها السائق المجدُّ ترفق ... بالمطايا فقد سئمن الرحاله

وأنخها هنيهة وأرحها ... قد برى هذه فرط السرى والكلاله

لا تطل سيرها العنيف فقد برّح بالصب في سُراها الإطاله

قد تركتم وراءكم حِلفَ وجدٍ ... ندبا في محلكم أطلاله

يسأل الربع عن ظباء المصلى ... ما على الربع لو أجاب سؤاله

ومحال من المحيل جواب ... غير أن الوقوف فيها عُلالَه(٢)

هذه سنة المحبين يبكو ... ن على كل منزل لا محاله

يا ديار الأحباب لا زالت الأد ... مُعُ في ترب ساحتيك مُذاله

وتمشى النسيم وهو عليل ... في مغانيك ساحبا أذياله

رب عيش مضى لنا فيك ما أسـ ... ـرع عنا ذهابه وزواله

---

(١) أخذه من قوله عليه الصلاة والسلام « الجنة تحت ظلال السيوف » ولكنه أراد بالسيوف هنا لحاظه ، مجازا

(٢) المحيل : المتغير ، وأراد الربع الذي كان يسكنه أحباؤه ، والعلالة ـ بالضم ـ التعلل

حيث وجه الشباب طَلْق نضير ... والتصابى غصونه ميّاله

ولنا فيك طيبُ أوقات أُنس ... أيننا فى الدنيا نلقى مثاله

وبأرجاء حولك الرحب سرب ... كل عين تراه تهوى جماله

من فتاة بديعة الحسن تزهو ... من جفون لحاظها مغتاله

ورخيم الدلال حلو المعانى ... تتثنّى أعطافه مختاله

ذو قوام تودّ كل غصون البـــان لو أنها نحت كى اعتداله

وجهه فى الظلام بدر تمام ... وعذاراه حوله كالهاله[1]

ظبية ... العيون حلالاً ... وغزال تغار منه الغزاله

يا خليلى إذا أتيت رُبى الجز ... ع وعاينت روضه وظلاله[2]

قف به ناشداً فؤادى على ثَمّ ... فؤاد أخشى عليه ضلاله

وبأعلى الكثيب بنت أغضّ الطرْف عنه مهابة وجلاله

كل من جئته لأسأل عنه ... أظهر العىّ حيرة وتباله[3]

أنا أدرى به ولكن ضنّاً ... أتعامى عنه وأبدى جهاله

منزل حبه علىّ قديم ... فى زمان الصبا وعصر البطاله

يا غريب أحبتى اعذرونى ... ما تحولت عنكم عن ملاله

حاش لله غير أنى أخشى ... من عدوّ يسىء فينا المقاله

فتأخرت عنكم فعسى من ... طيفكم فى المنام يهدى خياله

أترى فى النوم زور خيال ... وللأمانى طماعة قتّاله

يا أهيل النقا وحق ليالى الوصـــل ما صبوتى عليكم ضلاله

لى مذ غبتمُ عن العين نار ... ليس تخبو وأدمع هطاله[4]

---

(١) الهالة: دارة القمر، والطفاوة ـ بضم الطاء ـ دارة الشمس، ويقال: لا يخرج فلان من حهاله، حتى يخرج القمر من هالته

(٢) فى ب «إذا أتيت ربى الجرعا وعاينت ـ إلخ»

(٣) تباله: تصنع البله، فعل ماض (٤) خبت النار تخبو: سكنت وهدأت وطفئت

فصلونا إن شئتمُ أو تصدّوا ... لا عدمناكم على كل حالة

وقال أيضا عفى عنه :

يارب إن العبد يخفي عيبه ... فاستر بحلمك ما بدا من عيبه

ولقد أتاك وماله من شافع ... لذنوبه فاقبل شفاعة شيبه

وقال أيضا رحمه الله :

أعدمتني بالجـــوى يا فاترَ المقل ... فصح وجدي على ما بي من العلل[1]

ومِلْتَ عني إلى الواشي فلا عجب ... والغصن مازال مطبوعا على الميَلِ

يا واحد الحسن عذبني بزورة حلمٍ ... وها يدي إن نوى قد جفا مقلي

يا حيرة ما على الحبيب من إثم ... حُيِّيتُمُ نعماكم في الهوى أملي

وملتمُ عن جميل الصبر عن دنف ... أحلّ ما تشتهي سرعةَ الأجل

تجري عليه متى غبتم مدامعه ... وما عسى ينفع الباكي على طلل

وقال أيضا رحمه الله :

أيا غادرا خانت مواثيق عهده ... لقد جُرْت في حكم الغرام على الصب

وأقصيته من بعد أنس وصحبة ... وما هكذا فعل الأحبة والصحب

لله أيام تقضّتْ حميـــدة ... بقربك والعادات في المنزل الرحب

وإذ أنت في عيني ألذ من الكـــرى ... وأشهى إلى قلبي من البارد العذب

فشوقي على ذاك الزمان الذي غدت ... عليه دموع العين دائمة السّكْبِ[2]

وقد صرت ترضى بقول مخلّقٍ ... وتظهر لي بعدا أشدّ من الحرب

ثنيتُ عناني عن هواك زهادة ... وإن كنت في أعلى المراتب من قلبي

لأني رأيت القلب عندك طائعا ... تعذبه كيف اشتهيت بلا ذنب

---

(١) الجوى شدة الحزن ، والمقل جمع مقلة ، وهي العين ، وفتورها ضعف أجفانها

(٢) سكبت العين دمعها سكبه سكبا : أدرته وهطلت به

ولم تحفظ الودّ الذى هو بيننا ... ولم تَرْعَ أسباب المودّة والحب
ولا أنت فى قيد الحب إذ غدا ... تقسمه الأشواق حباً إلى حب
ولا أنت ممن يرعوى لمقلتى ... فأذنى قلبى بالشكية والعتْب
ولا رمت عنك القرب إلا جفوتنى ... وأبعدتنى حتى أيست من القرب
وأصغيت للواشى وصدقت قوله ... وضيّعتَ مابينى وبينك بالكذب
فم حق لى والله فيك إرادة ... كمالى الذى قاسيتُ فيك من الصحب
ولا لى فى حبك ما عشت رغبة ... أبى الله أن تسبى فؤادى أو تصبى
ومن ذا الذى يقوى على حمل بعض ما ... تجرعته مالقيت من حبك الصعب
فلا ترْجُ منى بعد ذا حسن صحبة ... فحسبى سُلُوًّا بعض ما قلته حسبى
فلا تعتبنّى قد قطعت مطامعى ... وحققت حتى فى الرسائل والكتب

وقال فى المعنى :

يا معرضاً عنى بغير جناية ... أما تستحى من فرط تيهك والعجب
سلوتك فاصنع ما تشاء ، فربه ... محا كثرة التقبيح حبك من قلبى

وقال أيضاً دو بيت :

هذا الصلف الزائد فى معناه ... قد حيرنى فلست أدرى ما هو[1]
كم تحملَ قلبى من تحيك ، ولا ... يدرى أحد بذاك إلا الله

وقال أيضا رحمه الله :

فى هامش خدك البديع القانى ... تصحيح غرام كل صب عانى
قد خرجها البارى فما ألطفها ... من حاشية بالقلم الريحانى[2]

---

(١) الصلف – بفتح الصاد واللام جميعا – شدة التيه والكبر

(٢) القلم الريحانى : ضرب من الخط ، وورى به هنا عن العذار الذى ينبت فى خد المحبوب

وقال أيضاً رحمه :

يا سعد عساك تطرق الحي عساك   قصداً فإذا رأيت من حلّ هناك

قل عبدك ما زال به الوجد إلى   أن مات غراما أحسن الله عزاك

(٤٦)

أحمد كتاكت الإشبيلي

أحمد الإشبيلي ، المعروف بالزمن كتاكت .

من شعره .

حضروا فقد نظروا جمالك غابوا   والكلُّ مذ سمعوا خطابك طابوا

فكأنهم في حضرة وعليهمُ   من خمر حبك طافت الأكوابُ

يا سالب الألباب يا من حسنه   لقلوبنا الوهاب والنهاب

القرب منك من يحبك جنة   قد زُخرِفتْ والبعد عنك عذاب

يا غائبا عن الفؤاد بجسمه   بت العذول عن هواك حراب

أنت الذي ناولتني كأس الهوى   فإذا سكرت فما عليّ عتاب

وعلى اللقا حرم بمعوة آمن   من حوله تُتخطّفُ الألباب(١)

لطريقها كيف الوصول ودونه   نار لها تحتاشق إلهاب(٢)

وقال أيضاً غفر له

يا بارق الحي كرّر في حديثك لي   تذكارهم وأعدْ روحي إلى بدني

وأنت يا دمع ما هذا الوقوف وقد   جرى حديث الحي السعدي في أذني

وقال أيضاً رحمه الله

أحن وأشكو حرقة في غرامه   وأصبو وأشكو نحو ثم لثامه

وأعشق ما لي غيره من حديثه   تفرّج إلا من هموم غرامه

---

(١) أخذه من قوله تعالى (أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حوله)

(٢) إلهاب : مصدر ألهبت النار أوقدتها ، وقد تقرأ بفتح الهمزة على أنه جمع لهب

وقال أيضا عفر له :

حللتم أهلى معان تقلبى ... فكل عذاب حبكم نعيم
وقد أصبحتم أكبر الأمانى ... فواجد غيركم عندى عديم

وقال أيضاً رحمه الله :

حوار الصبر فى أدنى محل ... وما للصبر فى قلبى مجالُ
شغلتم كل جارحة بحسن ... فليس لنا بغيركم اشتغال
سقى الهضبات من نجد سحاب ... مُبثُّ الغيث تحدوه الشمال
ولا برحت أثيلات المصلى ... تزف على معاطفها الظلال
منازل حيرة ما كان أهنى ... بهم لى العيش لو دام الوصالُ
تهبُّ نسيمها فأميل سكراً ... فهل هبت شمال أم شمـال[1]

(٤٧)

أحمد بن محمد الشريشى

أحمد بن محمد الشريشى ، كمال الدين[2].

كتب إلى بدر الدين بن الدهق نظراً أوصف حسن

مولاى بدرَ الدين صِلْ مُدْنَفا ... صيره حبك مثل الهلال
لا تخش من عار إذا زرتنى ... فى يعاب البدر عند الكمال

(٤٨)

صدر الدين بن وكيل بيت المال

الشيخ صدر الدين بن وكيل بيت المال .

قال لما بلغه هذان البيتان :

يا بدر لا تسمعَنَّ قول الكمال ... فكل ما نمق زور محال
فالنقص يعرو البدر فى تمه ... وربما يخسف عند الكمال

---

(١) الشمال الأولى — بفتح الشين أو كسرها — ريح الصبا ، والشمال الثانية — بالكسر — بمعنى الطبيعة والسجية، ولعله أراد بها الخمر ، فإنه يقال للخمر «مشمولة» وذلك نظرا إلى قوله « فأميل سكرا »

(٢) له ترجمة فى شذرات الذهب ٤٧/٦ وولادته فى سنة ٦٥٣ وتوفى فى سنة ٧١٨

فزار البدر المذكور ابن الشريشي ، فلم يحفل به ، فكتب :

إنّ كمال الدين إذ زرتُه أضحكه الله على كل حال

وجدتُ حظّي عنــده ناقصاً فصح أنّ النقص عند الكمال

وكتب إلى ابن الرفاق يستعفيه من وكالة بيت المال ، وقد بلغه أنه سعى له فيها :

إلى مالكَ الميمون وجّهتُ آمالي وفي فضلك المعهود قصدي وإقبالي[1]

وأنت الذي في الشام ما زال محسناً إليّ ، وفي مصر على كل أحوالي

أتتني أيادٍ منك في طيّ بعضها تملّكتُ رِقّ الحر بالنعم الغــوالي

وقمت بحق المكرمات ، وإنما هو الرزق لا يأتي بحيــلة محتال

عليّ لكم أن أصرف العمر بالثنا وبالمدح مهما عشت من غير إخلال

وقد بقيت لي بعــد ذلك حاجة لها أنت مسئول فلا تنع تسآلي

أرحنيَ من باب الوكالة عاطفاً عليّ بإحسان بدأت وإفضال

وصنْ ماء وجهي عن مشقة وري فهذا على أرض وهــذا على مال

ولا تتأول في سؤلي تركها فوالله مالي نحوها وجــه إقبال

ورزقي يأسي وإني لقــانع لراحة قلبي من زماني بإقلال

وحاليَ حال بالافتقار مصونة ولبسيَ أسمالي مع العز أسمى لي[2]

ونجبر وفي كسرة الخبز وحدها وأرضى بالي الثوب مع راحة البال

فهذي إليكم قصتي قد رفعتها أتمم أجري ، ورأيكم العالي

فقطع ابن الرفاق الأبيات كلها من الورقة ، وأبقى البيت الأخير ، وكتب تحتها :

العالي أن تعود إلى شغلك وعملك

---

(١) في ب « فضلي وإقبالي » وليس بشيء.

(٢) الأسمال : جمع سمل – بفتح السين والميم – وهو الثوب البالي الخلق ، وأسمى لي : أفعل تفضيل ، يريد أرفع منزلة لنفسي

(٤٩)

أحمد بن محمد الضبي، الحلبي، الصنوبري

أحمد الحلبي الصنوبري

من شعره في الورد :

زعم الورد أنه هو أبهى ... من جميع الأنوار والريحان
فأجابته أعين النرجس الغض ... بذل من قولها وهوان[1]
أيما أحسن التورد أم مقلة ... ريم من فصة الأجفان[2]
أم فدا زهو مخبره الحسد ... إذ لم يكن له عينان
فزهى الورد ثم قال مجيبا ... بقياس مستحسن وبيان
إن ورد الخدود أحسن من عين ... بها صفرة من اليرقان[3]

وله أيضاً رحمه الله :

أرأيت أحسن من عيون النرجس ... أم من تلاحظهن وسط المجلس
درر تشقق عن يواقيت على ... قضب الزمرد فوق بسط السندس
أجفان كافور حققن بأعين ... من زعفران ناعمات الملمس
فكأنها أقمار ليل أحدقت ... بشموس أفق فوق غصن أملس

وقال أيضاً :

يا ريم قومي الآن ويحك فانظري ... ما للربى قد أظهرت إعجابها
كانت محاسن وجهها محجوبة ... فالآن قد كشف الربيع حجابها
ورد بدا يحكي الخدود، ونرجس ... يحكي العيون إذا رأت أحبابها
ونبات باقلاء يشبه نوره ... بلق الحمام مشيلة أذنابها
والسرو تحسبه العيون غوانيا ... قد شمرت عن سوقها أثوابها

---

(١) الغض : الطرى ، والهوان – بفتح الهاء رئة السحاب : الخضوع في مذلة

(٢) الرثم ، والريم : الظبي الخالص البياض

(٣) اليرقان – بفتحات – آفة من آفات الزرع ، وقيل : دود يكون في الزرع ، وهو أيضا مرض يصيب الناس

وكأنّ إحداهنّ من نَفْح الصبا   خَوْدٌ تُلاعب موجَها أترابُها(1)

لو كنتُ أملك للرياض صيانةً   يوماً لما وطئَ اللئامُ ترابَها

وقال أيضاً :

خجل الورد حين لاحظه النر   جسُ من حسنه وغار البهارُ(2)

فعلَتْ ذاك حمرةٌ ، وعلت ذا   صفرةٌ ، واعترى البهارَ اصفرار

وغدا الأقحوان يضحك عُجْباً   عن ثنايا لثامهنّ نُضار(3)

ثم نمّ النمّام واستمع السو   سن لمّا أذيعت الأسرار

عندها أبرز الشقيق خدوداً   صار فيها من لطمه آثار

شكت فوقها دموع من الطلّ   كما تسكب الدموع الغزار

فاكتسى البنفسج الغضّ أثوا   بَ حدادٍ دخانُها الاصطبار

وأضرّ السقام بالياسمين الـ   ـغضّ حتى أودى به الإضرار

ثم نادى الخيريُّ في سائر الزهـ   ـر فوافاه جحفلٌ جرّار

فاستجاشوا على محاربة النر   جس بالجحفل الذي لا يُبار

فأتَوْا في جواشن سابغات   تحت سُجْفٍ من العجاج مُثار

ثم لما رأيت ذا النرجس الغضّ   ضعيفاً ما إن لديه انتصار

لم أزل أعمل التلطف بالجو   د حذاراً أن يغلب الـ[illegible]

جمعتهم لدى مجلسٍ فيـ   ـه تُغنّي الأطيار والأوتار

لو ترى ذا وذا لقلت خدود   تدمن اللحظ نحوه الأبصار

وله أيضاً رحمه الله :

بدر غدا يشرب شمساً غدت   وحدّها في الوصف من حدّه

---

(1) نفح الريح : هبّت ، والخود – بالفتح – المرأة الشابة ، والأتراب جمع ترب – بالكسر – وهو اللدة والسني

(2) البهار – بزنة السحاب – نبت طيب الريح جداً له فقاحة صفراء

(3) النضار – بزنة الغراب – الذهب

تعرب فى بيته ولكنها   من بعد ذا تطمع فى حذه

وله أيضاً فى عنه :

ولم أنس ما عاينته من جنده   وقد زرت فى بعض الليالى مُصلاه

ويقرأ فى المحراب والناس خلفه   (ولا تقتلوا النفس التى حرّم الله)

فقلت تأمل ما تقول : فإنه   فعالك يا من تقتل الناس عينه

(٥٠)

أحمد بن محمد بن سالم[1]، الحافظ ، أبو المواهب ، بن صصرى ، قاضى القضاة نجم الدين .

قاضى القضاة نجم الدين بن صصرى

دخل دار الإنشاء ، ونظم ونثر ، وشارك فى فنون ، وكان فصيح العبارة ، قادراً على الحفظ ، طويل الروح ، سمحاً ، محسناً إلى من أساء إليه

بلغه أن الشيخ صدرَ الدين ابن الوكيل نظم فيه بيقة[2] يهجوه ، فتحيّل إلى أن وقعت فى يده بخطه ، وسير خلف الشيخ صدر الدين ، ووضع الورقة مفتوحة على مصلاه ، فلما دخل الشيخ صدرُ الدين رأى الورقة وعرفها ، وقاضى القضاة مشغول عنه ، فلما تحقق أن الشيخ صدر الدين قد رأى الورقة قال للطواشى : أحضر الشيخ ما عندك ، فأحضر له بُقْجَة[3] قماش وصرّة فيها خمسمائة درهم ، وقال . هذه جائزة تلك البليقة[2] .

وكان يوما قد توجه إلى صلاة الصبح بالجامع ، فلما كان ببعض الطريق ضربه إنسان بمطرقة رماه للأرض ، وظن أنه قد مات ، فلما أفاق حضر إلى بيته وكان يقول : أعرفه ولا أذكره لأحد .

وكان ينطوى على دين وتعبد ، وله أموال وخدم ، وهو من بيت حشمة .

(١) له ترجمة فى شذرات الذهب ٦/٥٩

(٢) كذا ، ولم أعثر على ما أراد بالبلقة ، ولعل ظاهر السياق يدل على أنه أراد ورقة أو نحوها مما يكتب فيه أو يتفق عليه

(٣) البقجة : طرف من القماش معروف ، معرب بوغجة

وقيل . إنه قال يوم الشيخ صدر الدين فرّق ما بينا أبى أشتعل على الشمع الكافورى ، وأنا على قناديل المدارس

ودرس بالعادلية الصغرى ، والأمينية ، ثم بالغزالية ، مع قضاء العسكر ومشيخة الشيوخ ، ثم ولى قضاء القضاة سنة اثنتين وسبعمائة إلى أن مات رحمه الله تعالى ، وأذن الجماعة فى الفتوى ، وقيل : إنه لم يقدر أحد يُدلّس عليه قضية ولا يشهد زوراً ، وكان متحرياً فى أحكامه ، بصيراً بقضاياه ، وما سمع عنه أنه ارتشى فى حكومة .

وتوفى بعلة أصابته لخأة بلسانه فى نصف ربيع الأول سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة ، وكان موته مفتتحاً لموت رؤساء دمشق وعدنها .

ورثاه علماء عصره ، ورثاه المرحوم شهاب الدين محمود ، والشعراء زمانه فيه مدائح كثيرة

ووجدت منسوباً إليه من الشعر :

وقد حجبت عن مدى محاجر	غدا سقمى فى حبهم وهو ظاهر
وقد بتّ مالى فى الغرام مسامر	سوى ذكركم يا خدنك المسامر
وإنى على قرب الديار وبعدها	مقيم على عهد الأحبة صابر
ودمعى سريع والتشوق كامل	ووجدى مديد والتشعب وافر[(١)]
ومالى أنصار سوى فيض أدمعى	إذا مال من أهواه وهو مهاجر
أأحبابنا عنتم فمات مسرتى	وأصبح حزنى بعدكم وهو حاضر
وما القصد إلا أنتم ورضاكمُ	وغيّر هواكم لا تُسرّه السرائر
وما فى فؤادى موضع لسواكمُ	ولا غيرُكم فى خاطر القلب خاطر[(٢)]
وما راقنى من بعدكم حسن ناظر	ولا شاقنى زاهٍ من الروض زاهر

(١) سريع ، وكامل ، ومديد ، ووافر : من أسماء بحور الشعر

(٢) خاطر الثانى : اسم فاعل فعله « خطر بباله كذا » أي جرى

وما تَكَلُّفي بالديار إلا لأجلكم   وإلا فما تعني الرسوم الدوائر

وما حاجر إلا إذا كنتم بها   إذا غِبتمُ عنها فما هي حاجر

(٥١)

شهاب الدين أحمد بن محمد الحميري

شهاب الدين أحمد بن محمد[1] بن نصر بن حائل الزبيدي الحميري، ابن بنت القدوة الشيخ غانم.

إمام، كاتب، مترسل، نديم، أخباري، ناثر الإنشاء، يقصد وقته لزوم في كل مكان له ويتأثم مع ثواب ذلك الفقد وأمرائه، ويخرج هذرًا، وله أيضا أبيات، وكتب قدّام الصاحب شمس الدين غبريال[2]، فاتفق أنه هرب مملوك للأمير شهاب الدين قرطاي، فذهب، فظفر به الصاحب، وأمره أن يكتب عنه كتابًا إلى مخدومه يشفع فيه، فلما هرب خوفا منك، فكتب الكتاب، وجاء في معنى المقصود، فقال: قد خَشِيَ المقرّ حسن[3] المفر، فلما وقف الصاحب على ذلك أنكره، وقال: ما هذه المزحة، فطار عقل شهاب الدين لأنه ظن أن ذلك يصادف موقعًا يدهش به، فضرب الدواة في الأرض، وقال: ما نافع مع الغُلْف القُلْف[4].

وقد خرج متوجها إلى اليمن، وكتب لصاحبها، ثم خرج منها هاربا.

وقد كان خَشِن الملبس، شعث الشعر، مطرح الكلفة، يلبس الدلوج والجحم، ويلبس الطويل المفصل الإسكندراني، والقماش القصير، وكان حلو المعاشرة، أقام به القاضي فخر الدين ناظر الجيش، واستكتبه في باب السلطان.

ولما مات فخر الدين رجع إلى الشام كاتب إنشاء، واختلّ قبل موته بسنتين.

(١) له ترجمة في شذرات الذهب ٦/١١٤ وسماه أحمد بن محمد بن غانم، وذكر بعده أخاه علاء الدين

(٢) في ش «غبريال»

(٣) المقر: مكان الاستقرار، والمفر – بالفاء – الفرار والهرب

(٤) الغلف: جمع أغلف، وهو الذي لم يختن، وهو من عادة النصارى، والقلف جمع أقلف، ويقولون «فلان أقلف القلب» يريدون أنه لا يعي خيرا، وقالوا «قلوب قلف غلف»

وكان مولده سنة خمسين وستمائة بمكة ، شرّفها الله تعالى !

ووفاته بعد أخيه علاء الدين سنة تسع[1] وثلاثين وسبعمائة ، ومات وله سبع وثمانون سنة .

وكان إذا أتاه أطال فكره ، ونتف شعره ودقنه ، أو وضعه فى فمه وقرّضه بثناياه ، رحمه الله تعالى ! .

ومن شعره :

والله ما أدعو على هاجرى ... إلا بأن يُمْحَنَ بالعشق[2]

حتى يرى مقدار ماقد جرى ... منه وما قد تمّ فى حقى

وله أيضا رحمه الله تعالى :

ما حسنها من رياض ... مثل النّضار نَضاره[3]

كالزهر زَهْــوا وعنها ... حسن العبير عِبَــاره

وله أيضا فى صانع :

بأبى صانع مليح التّثنّى ... بقوام يزرى بغصون البان[4]

مسك الكلبتين بإصبع فاعجب ... لغزال بكفه كلبتان

وله أيضا رحمه الله :

طرفك هـــذا به فُتُور ... أصمى كقلبى به فتون

قد كنت لولاه فى أمان ... لله ما تفعلُ العيون

وله أيضا عفى عنه :

ما اعتكاف الفقيه أخذا بأجر ... بل لحكم قضى به رمضان

هو شهر تُغَلّ فيــــه الشياطين ، ولا شـــك أنه شيطان

---

(١) فى ب ، ت « سنة تسع وثلاثين » وأثبتنا ما فى الشذرات لأنه المتفق مع ما ذكره من عمره وسنة ميلاده هنا

(٢) يمحن : يبتلى

(٣) النضار — بالضم — الذهب ، والنضارة — بالفتح — الحسن

(٤) التثنى : الميل ، ويزرى : يقلل من قيمتها

وله أيضا عفى عنه :

أيها اللائمى لأكلى كروشاً　　أتقنوها فى غاية الإتقان

لاتلمنى على الكروش فحبى　　وطنى من دلائل الإيمان[1]

أخذ هذا المعنى من المصير الحمامى حيث قال

رأيت شخصاً آكلا كرشة　　وهو أخو ذوق وفيه فطن

وقال . ما زلت محبـــاً لها　　قلت: من الإيمان حب الوطن

وكان قد أضافه الملك الكامل ، ولما خرج تبق جُبّته عنده ، فطلبها منه ، فتعلله بها ، فكتب إليه ، أعنى شهاب الدين بن غانم .

يا ذا الذى أطعمنى　　فى بيته سبع لُقَمْ

ورام أخـذ جُبّتى　　هذا على الرطل بكم

وكتب إلى قاضى القضاة جمال الدين بن واصل ، وقد أغمده غائداً بحماة فى مكتب فيه السيف المنبرل :

مولاى قاضى القضاة يا من　　له على المجد أى منّة

إليك أشكو قرين سوء　　لبيت منه نأت محنه

شهرته سيفا عن عداه　　أغمدهُ فالسيف سيف سنه[2]

وكان ليلة فى سماع ، فرقصوا ثم جلسوا ، وقام من بينهم شخص ، وطال الحال فى استماعه ، وزاد الأمر وشهب لدين ساكت مطرق ، فقال له شخص : ايش لك مطرق ؟ كأنه يوحى إليك ، فقال : نعم ، قد أوحى إلىّ أنه استمع نفر من الجنّ .

وكان يوما عنده صاحب حَماة الملك المنصور ، وقد حضر السِّماط ، وكان

---

(١) اشتهر قولهم « حب الوطن من الإيمان »

(٢) أغمده : أراد احبسه ، وأصله « أغمد فلان سيفه » إذا أدخله فى قرابه

أكثره مرقة ، فقال شهاب الدين ، لما قيل له الصلاة : بسم الله الرحمن الرحيم ، نويت رفع الحَدَثِ واستباحةَ الصلاة ، الله أكبر .

وكان المظفر ولد المنصور يكره شهاب الدين ، فاغتنم الوقيعة فيه عند والده ، فقال اسمع ما يقول ابن غانم ، يهجو طعامنا ، ويشبهه بالماء الذى يرفع به الحدث ، فعاتبوه على ذلك ، فقال : ما قصدت ذلك ، ولكن التسمية فى كل شىء مستحبة ، والحَدَثُ الذى نويت رفعه حدث الجوع ، واستباحة الصلاة الأكل ، قال : فما معنى الله أكبر ، قال : على كل ثقيل ، فاستحسن الملك ذلك ، وخلع عليه

واجتمع ليلة عند كريم الدين الكبير فى مولد علاء الدين بن عبد الظاهر ، فجاء إليه شخص ، وقال : معاوية الخادم يقصد الاجتماع بك ، فقال : ويلك ! من يفارق عليا ويروح إلى معاوية ؟

وكان مع صاحب حماة قد خرج مرة إلى صحراء المقبرة ، وكان إذ ذاك فى خدمة الملك الظاهر ، وقد ضربت الوطاقات ، وامتلأت الصحراء خياماً ، فاحتاج شهاب الدين بن غانم إلى الخلاء ، وما كان يرى الدخول إلى الحرشت ، فقصد إلى شجرة تين ليتخلى ، والملك المنصور يشاهده ولم يعلم ما يريد ، فأرسل إليه شخصا ليرى ما يصنع ، فلما صار تحت الشجرة قال له : يامن فى هذه الشجرة أطعمنى من هذه التينة ، فقال له : خذ ، وسَنَحَ فى وجهه ، قال : ماهذا ؟ قال : أطعمتك من التينة ، فلما سمع الملك المنصور القصة وقع مغشيا عليه من الضحك

ومن شعره رحمه الله تعالى :

قالوا : ذؤابته مقصوصة حسد فقلت : قاطعها للحسن صوّاع[1]
صدغان كان فؤادى هائما بهما فكيف أسلو وكل الشعر أصداغ

---

(١) الذؤابة ـ بضم الذال ـ الناصية أى مقدم الرأس ، وقيل : هى منبت الناصية من الرأس

(٥٢)

سيف الدين السامري

أحمد بن محمد بن علي بن جعفر ، الصدر الأديب ، الرئيس ، سيف الدين ، السامُرِّيُّ ، نسبة إلى سامُرّا[١] ، نزيل دمشق .

شيخ متميز ، متمول ، ظريف ، حلو المجالسة ، مطبوع النادرة ، جيد الشعر ، طويل الباع في الهجو ، من سَرَوَات الناس ببغداد ، قدم الشام بأمواله ، وحَظِي عند الملك الناصر صاحب الشام ، وامتدحه ، وعمل تلك الأجوزة المشهورة بالسامرية التي أولها :

يا سائق العيس إلى الشـــام ومطمع الوعاد ولا كام

حط فيها على الكتاب ، وأغرى الناصر بمصادرتهم .

وكان مترسلا ، كثير الهزل ، لا يكاد يتحمل ، مع أن الصاحب بهاء الدين ابن حنا صادره وأخذ منه نحو ثلاثين ألف دينار عندما قدم أخوه نور الدولة السامري من اليمين ، ونكب في دولة المنصور ، وطلبه الشجاعي إلى مصر ، وأخذ منه دورها وغيرها ومائتا ألف درهم ، وكان يسكن داره المليحة التي وقف عليها خانقاه ووقف عليها باقي أملاكه .

وكانت وفاته سنة ست وتسعين وستمائة .

ومن شعره :

ما سرّ من رّا ومن أهلها عند اللطيف الخالق البارى ؟

وأي شيء أنا حتى بذ أذنبتُ لا يغفر أوزارى ؟

يا رب مالي غير حب الورى أرجو به العفو من النـــار !

---

(١) سامرا — ويقال سامراء ، ويقال سر من رأى ، ويقال سر من رأى ، ويقال سر من راء — مدينة على دجلة فوق بغداد بثلاثين فرسخا وقد ينسبون إليها « السرمرى » .

وكان قد سافر مع وجيه الدين بن سويد إلى الموصل ، فحصر المكاسة فعموا عن جمال الوجيه ، ومكسوا جمال السامري ، وأحجموا به ، فقال :

صحبت وجيه الدين في العمر مرة … ليحمل أثقالي ويجبر أحوالي

فواربي عن كل حق وباطل … وعن فرسي والنعل والفرس خالي

فبلغ ذلك صاحب الموصل ، فأطلق القَدْرَ بأجمعه

وقال :

قبح الله كل من بدمشق … من أصحابنا سوى ابن سعيد

هوَ معْ شحِّه وما يتعاطى … ه من اللؤم أسمحُ الموجودِ

وقال يهجو خاله وخال أبيه :

إذا ما قيل مَنْ بالكرخ نذل … لئيم الأصل مذموم الفعال

أجبتهمُ إجابة لوذعي … هو الدلال خال أبي وخالي

وكتب إلى نور الدين الإسعردي مع غلام حسن الصورة يأخذ له ورقة رواحه إلى مصر من والي دمشق ، وكان النور كاتبا عنده

أمولاي نور الدين عارض عبده … بغير كلام إن أردت يتم

فلا تخش أمراً إن خلوت ولطتَ به … حلالا فتعيير اللياط حرام

وقد رام إطلاقا إلى مصر فإنهُ … قلى فيه وجد زائد وغرام

ويحل الخطيب التاج مصر فيكه … إذا حل مصراً ليس فيه كلام

أغار على تلك الروادف إنها … تدل لعيري لائط ونمام

وليس عن المملوك إن غاب شخصه … عن العين في أرض الشآم مقام

ومولاي من عهد التفقه شيخنا … به نهتدي في الفسق وهو إمام

سقى الله أيام النظامية التي … فسقنا بها والمنكرون نيام

نغازل فيها كل أحوى مهفهف … تدار علينا من لماه مدام[1]

---

(١) الأحوى : وصف من الحوة ـ بضم الحاء وتشديد الواو مفتوحة ـ وهي حمرة الشفة ، واللمى ـ بفتح اللام مقصورا ـ الريق ، والمدام : الخمر

من الغيد يحكى الخيزرانة قامةً   على مثلها عذر المحب يقام

وإن عـــم المولى الوجيه محمد   وعاتبنى فيـــه فأنت تلام

وليس على المملوك عتب وصوله   إليك وإيصال الجواب ملام

فأجابه نور الدين الإسعردى بقوله :

عجبت لسيف الدين كيف يخوننى   بظنى له فيـــه هوًى وغرام

حبيب لقد بانت عليـــه مروءة   كعادتك الحسنى ولست تلام

فلا تخشَ من عصر عليس بصائر   إذا ما تراضوا ما عليك أثام

وذكرنى عهد النظامية الذى   أفاد المنى والمنكرون نيام

ولم أنس بالمستنصرية أنسنا   على الأنس فى دار السلام سلام

سقى نهرَ عيسى والجسور والحمى الـــرصافة والكرخ المنيع غمام

وعيشك ما ذكرى لعيش بها مضى   ووجد، ولا لوعـــة وغرام

ولكن لى قلبا لديه تحيـــة   وذكر لمن فارقتـــه وذمام(١)

ومن شعر سيف الدين السامرى :

أترى وميض البارق المتألق   يهدى إلى أهل الحمى أشواقى

ولعل أنفاس النسيم إذا سرى   يحكى تحيـــة مغرم مشتاق

أحبابنا ما آن بعدَ فراقكم   أن تسمحوا لمحبكم بتلاق

لم قصدتُ بالرقاد وطرى   أسف وجادت بالدموع مآقى

أسررت من جوى على أطلالكم   دمعا غدا وقفا على الإطلاق

أنواكم ترعون صبا رفقتمُ   أحشاءه بقطيعـــة وفراق

بين الدموع وحر نار جوانحى   عذبت بالإغراق والإحراق

بالله يا ريح الشمال تحملى   وأقرى سلام الواله المشتاق

---

(١) الذمام ـ بكسر الذال ـ العهد

وإذا مررت على الديار عبقى   أهل الكثيب بكل ما أنا لاق

فهناك لى رَشَأٌ أغنّ مهفهف   يُصْمِى القُلُوبَ بأسْهُمِ الأحداقِ

مُتَمَنِّعٌ من قَدِّهِ بمثقَّفٍ   وَمِنَ الجفونِ بأسْيُفٍ وَرِقاقِ

فإذا انثنى فضح النقا وإذا رنا   سفكت لواحظه دم العشاق

ويزين غصن القد منـــه شعره   وكذا الغصون تزان بالأوراق

ومن شعره فى ابن المقدسى لما حبس فى العرزاوية .

ورد البشير بمـــا أقرّ الأعينا   فشفى الصدور وبَلَّغَ الناس المنا

واستبشروا وتزايدت أفراحهم   فالخلق مشتركون فى هذا الهنا

ثبتت مخازى ابن القتيلة عند من   وجدت لديه فى الخيانة والخنا

بشهادة السفر الرفيع وقولها   من غير واسطة لسلطان الدنا

وبنى البناء بلا أساس ثابت   فانهار ما شاد التكبح وما بَنَى

وتقدّم الأمر الشريف بأخذ ما   نهب الأمين من البلاد وما قنى

يا سيد الأمرا ويا شمس الهدى   ياماضى العزمات يا رحب الفِنَا[2]

يا من له عزم وجأش ثابت   يغنيه عن حمل الصوارم والقنا

عَجِّل بدمغ العلج وادفنه وما   من حق علج مثله أن يُدْفَنَا

واضغط عَلَيْهِ ولا ترق، وكل ما   يلقى بما كسبت يداه وماجَنَى

فلكم يتيم مدقع وبيتيـــة   من جوره ماتا على فرش الضَّنَى

ولكم غنىّ ظـــل فى أيامه   مسترفدا للناس من بعد الغِنَى

إن أنـكر العلج المعظم فعله   بالمسلمين فأوّل الأشـــــلى أنا

(١) انثنى: انعطف، وأراد إذا ولى ناظهره، والنقا ـ بفتح النون مقصورا ـ الكثيب من الرمل؛ ورنا: نظر

(٢) الفنا ـ بكسر الفاء ـ أصله الفناء، فقصره لإقامة القافية والوزن، والفناء الساحة أمام البيت، أو هو ما امتد من جوانب البيت، و«فلان رحب الفناء» كناية عن كثرة الواردين عليه

ولما عَدَّلَ القاضي صدرُ الدين بن سناء الدولة جمال الدين بن البردى ، وخلع عليه خلعة مطَيْلسان ، وأحضرهُ مجلسه مع العدول ، وأشهد عليه ، قال السامرى :

طاب شُرْبُ المدام فى رمضان ... واصطفقَ العيدان عند الأذانِ

والزنا واللواط فى حرم الله ... وتَرْكُ الصلاة بالقرآنِ

مذ صار البردى فى مجلس الشرع يطوف الحانات بالطيلسان[1]

وقد صارت العدالة فى الفسـ ... ـق واللاعطيب بالمردانِ

فحذر بأن أكون نبيا ... ويكون الصديق لى القلساني

يا عدولَ الشآم قد سمح القا ... ضى لأصحابه بنيل الأماني

فامرحوا واشربوا وقودوا ولوطوا ... وافسقوا وألحدوا بدون أمانِ

وارفعوا عنكم التستر بالفسـ ... ـق فلا حاجة إلى الكتمانِ

قال : فلما بلغت الأبياتُ القاضيَ صدر الدين غضب عليه ، وأعرض عن البردى ، ومنعه من الشهادة ، فحضر البردى إلى سيف الدين السامرى ، ودخل عليه ، ولا زال به إلى أن عمل :

قل لقاضي القضـاة أيده الله ولا زال للخلائق ظِلَّا

قد تصدقت بعدالة حوشيت تقول لأعراضى إن يفض عدلا

ولئن أجمعوا على فسق ذلك الشيـخ والبائس الذى قل عقـلا

عدلوا عن طرائق العدل فيه ورموه بالزور والإفك نقـلا

سروه بقلة الدين والخير وترك الصلاة طلا وجهلا

وإذا لاط أوزنى وهو شاب فعليـه عار إذا صار كهلا

---

(١) الحانات : جمع حانة ، وهو بيت الخمار ، ووقع فى ث « الخانات » وهو جمع خان ــ بالخاء المعجمة ــ وهو معناه ، وأطلق على منزل المسافرين ، وعلى موضع البيع والشراء

وجهه في عماس الحكم تحدى   من رآه نشراً وكيساً وفضلا
إن تحلى بالطيلسان فبالحق   حذير بمثله يتحلى
كل من كان شاهداً عمال   أو زور لما تولى تولى
وكذا يرلا بكل اجتماع   بين حلين ماتجمع أهلا

وكتب إلى طوعان وأبذمر ، وبكل منهما أستاذ يسمى المطر سعيد وبات العز يسمى الشجاع هام .

امم الولاية للأمير ، وماله   فيه سوى الأوزار والآثام[1]
وحماية الفتق وكل مصيبة   تحيق ماعمها إلى هام
سيدين عدوانا ، وكل منهما   ماضي العزم ثم دائم الإقدام
وسعت كل منهما عن مكسل ما يجود به من الإنعام
مالناس عندهما سواس ، لا ، ولا   يريان هذ الناس كالأنعام
وقد استحلا منهم ماذ يرلى   من مالهم ودمائهم محرام
فتى أرى الدنيا بعير شاهر   والقطع والتنكيس للأعلام

(٥٣)

أمير المؤمنين المستعين بن المعتصم العباسي

أحمد بن محمد بن هارون أمير المؤمنين ، أبو العباس ، المستعين ، بن المعتصم ابن هارون الرشيد ، ابن المهدي ، بن المنصور .

كان يلثم بالسين بحطها ثاء ، وكان مُسْرفاً ، مُبذراً للخزائن ، وخُلع بالمعتز ، ثم خلع نفسه ، ويقال إنه قيل له : اختر أي بلد تكون فيه ، فاختار واسط[2] ،

---

(١) الأوزار جمع وزر — بالكسر — وهو الإثم والذنب

(٢) واسط : بلدة في الوسط بين الكوفة والبصرة ، منها إلى كل واحد منهما خمسون فرسخا ، وربما قيل لها « واسط الحجاج » لأنه الذي عمرها فيما بين سنة ٨٣ وسنة ٨٦

لما أخذوه لما قال له بعض أصحابه : لأى شيء أخذتها وهى شديدة الحر ؟ فقال : ما هى أحر من فقد الخلافة .

أورد له المَرْزُبانى فى معجم الشعراء لما خلع

أستعين الله فى أمــرى على كل العباد
وبه أدفع عــنى كيد باغ ومُعَادى

وأورد له صاحب المرآة :

أحببت ظبيا ثمين كأنه غُــصْنُ تين
بالله يا عاشــقين ما فى الهنا مثلين
من لامَنِى فى هواه وَمَّنْتُهُ بالسجــين

فمت يريد :

أحببت ظبيا سمين كأنه غصن تين
بالله يا عالمــين ما فى السما مسمين

قلت : ولا فى الأرض ، لأنهم أخذوك حاسه

وقيل : إنه كان يأمر المغنين أن يغنوه بهذا الشعر وأشباهه ، فيتضاحكون ويتغامزون عليه .

وصنع يوما هذين البيتين .

شربت كأسا أذهبت عن ناظرى الكرا
منشطتى وقــد كنت حزينا حائرا

ثم قال : أجيزوها ، فقال أحدهم :

هذا خرًا هــذا خرًا هذا خرًا هــذا خرًا

وكان لطف أخلاقه يحتمل ذلك منهم .

وقال لهم يوما ، وأومأ بيده إلى الباب : أى شىء تصحيف باب ؟ فقالوا :

لا ندرى ، فقال : ألا تقولون باب ؟ فيقولون : باسم الله عليك ، ويقول : أى شىء تصحيف محدة ؟ ويضع يده عليها ، فيقولون : باسم الله عليك !

وكان السبب فى توليته الخلافة أن الأتراك لما قتلوا المستنصر خافوا من تولية الخلافة لأحد أولاد المتوكل فيأخذ بثأر أبيه وأخيه ، فولوا المستعين ، وكان خاملا يرزق بالشح ، فجاءته الأمر منة من غير تطلع إليه قال :

هذه لطف الله بالأمر لدى لا أرتجيه

فعلى اليومَ أن أقضيَ حق الله فيه

وأعداؤه رووا أنه قال : حق الشرب فيه ، رحمه الله تعالى ورضى عنه !

(٥٤)

أبو الطيب ابن الحلاوى الموصلى ، الشاعر

أحمد بن محمد بن أبى الوفا بن الخطاب[١] بن الهزبر ، الأديب الكبير ، شرف الدين ، أبو الطيب بن الحلاوى ، الشاعر ، الموصلى

ولد سنة ثلاث وستمائة ، وقال الشعر الجيد الفائق ، ومدح الخلفاء والملوك ، وكان فى خدمة بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل ، وكان من ملاح موصل ، وبه لطف وظرف وحسن عشرة ، وخفة روح ، وله قصائد الطمانة التى رواها الدمياطى عنه :

توفى سنة ست وخمسين وستمائة .

فما رواه الشيخ شرف الدين الدمياطى له رحمه الله :

حكاه من الغصن الرطب وَرِيقُهُ	وما الخمر إلا وجنتاه وريقه[٢]
هلال ولكن أفْقُ قلبى محله	غزال ولكن سفح عينى عقيقه
وأسمر يحكى الأسمر اللدن قدُّه	غدا راشقا قلب المحب رشيقه[٣]
على خده جمر من الحسن مضرم	يشب ولكن فى فؤادى حريقه

(١) له ترجمة فى شذرات الذهب ٥/٢٧٤

(٢) «وريقه» فى صدر البيت وصف من قولهم «غصن وريق» أى كثير الورق ، و«وريقه» فى آخر البيت مؤلف من واو العطف ، ومن ريق ، ومن ضمير المتغزل به

(٣) الرشيق : وصف من الرشاقة ، والأسمر اللدن : الرمح

أقرّ له من كل حسن جليلَه … ووفّقه من كل معنى دقيقه

بديع التثني راح قلبي أسيرَه … على أن دمعي في الغرام طليقه

على سالفيه للعذار جريرة … وفي شفتيه للسلاف عتيقه

يهدد منه الطرف مَنْ ليس خصمه … ويسكر منه الريق مَنْ لا يذوقه

على مثله يستحسن الصب هتكه … وفي حبه يجفو الصديق صديقه

من الترك لا يصبيه وجد إلى الحمى … ولا ذكر ما كان الأُبيرق يسوقه

ولا حلّ في حي تموج قبابه … ولا سار في ركب يساق وسوقه

ولا بات صبا بالعذيب وأهله … ولكن إلى خاقان يعزى فريقه

له مبسم ينسي المدام بريقه … ويخجل نوار الأقاحي بريقُه(١)

تداويت من حرّ الغرام ببرده … فأضرم من حر الحريق رحيقه

إذا خفق البرق اليماني موهنًا … تذكره قلبي فزاد خفوقه

حكى وجهه بدر السماء فلو بدا … مع البدر قال الناس هذا شقيقه

رآني خيالا حين وافى خياله … فأطرق من فرط الحياء طروقه

وأشبهت منه الخصر سُقْمًا فقد غدا … يحملني كالخصر ما لا أطيقه

فما بال قلبي كل حب يهيجه … وحتّام طرفي كل حسن يشوقه

فهذا ليوم البين لم تطف ناره … وهذا لبعد الدار ما جفّ مُوقه(٢)

وقلبي قلبي ما أشدّ عناءه … وإن كان طرفي مستمرًا فسوقه

أرى الناس أضحوا جاهلية عنه … فما باله عن كل صب يعوقه

فما فاز إلا من يبيت صبوحه … مدام ثناياه وصهبا غبوقُه

وقال أيضاً رحمه الله .

أأَلقى من صُدودك في جحيم … وثغرُك كالصراط المستقيم

---

(١) الأقاحي : جمع أقحوانة ، وهو نبت له زهر أبيض في وسطه كتلة صفراء والبريق ـ بفتح الباء ـ الضياء واللمعان

(٢) الموق ـ بضم الميم ـ طرف العين مما يلي الأنف

وأسهرنى لديك رقيم حسن ... فواعجبا أأسهر بالرقيم
وحسام البكاء بكل رسم ... كأن على رسما للرسوم

واجتمعوا فى بعض الأيام عند شخص يلقب بالشمس، فقالوا: له أطعمنا شيئا، فامتنع، فقال بعضهم: الطامع فى منال قرص الشمس، فقال ابن الحلاوى
كالطامع فى مِنَالِ قُرْصِ الشمس

وأنشده بعض الأفاضل لعراقى شبابة:

وناطقة خرساء بادٍ شحوبها ... تكنفها عشر وعنهن تخبر
يَلَذُّ إلى الأسماع رَجْعُ حديثها ... (إذا صدحت سما سحر حاش مسحر)[1]

فأجابه فى الوقت:

سهاد الهوى والشيب عن وَصْل مثلها ... (وكم مثلها فارقتها وهى تصفر)[2]

وسئل أن ينظم أبياتا تكتب على مشط للملك العزيز محمد صاحب حلب، فقال رحمه الله تعالى:

حللت من الملك العزيز براحة ... غدا لثمها عندى أجلّ الفرائض
وأصبحت معـتز الثنايا لأننى ... حللت بكف بحرها غير غائض
وقبلت سامى كفه بعد جده ... فمن أجل فى خاتَبى من لثم عارض

وقال، وهو مشهور عنه:

جاء غلامى وشـكا ... أمر كميتى ومكا
وقال لى : لا شـك برذونك قد تشبكا
قد سقته اليوم فما ... مشى ولا تحركا
فقمت من غيظى له ... مجاوبا لما حكى

---

(١) عجزه عجز بيت لتأبط شرا، من كلمة له فى الحماسة صدره فى شعره.
* فذاك قريع الدهر ما عاش حول *
(٢) عجزه عجز بيت لتأبط شرا من كلمته التى منها البيت السابق، وصدره قوله:
* فأبت إلى فهم وما كدت آئبا *

تريد أن تخدعني   وأنت أشلُ المشتكى

ابن الحلاويّ أنا   حــل الرثه والنكى

فلا تخدعني ودع   حديثك المسكا

لو أنه صبير   لما غدا مشبكا

قد رأى حـلاوة الألفاظ   مني ضحِكا

وكتب إلى المحيي محيي الدين بن زكي يصف خطه :

كتبتَ ، فلولا أن هـذا مُحلَّل   وذاك حرام ، قِسْتُ خطك بالسحر

فوالله ما أدري أزهرُ خميلةٍ   بطِرْسك أم درٌّ يلوح على نحرِ

فإن كان زهراً فهو صنع سحابة   وإن كان درا فهو من لجة البحر

وقال يمدح الملك الناصر داود صاحب الكرك :

أحيا بموعـده قتيلٌ وعوده   رشأ يشب وصـاله بصدوده

قمـر يفوق على الغزالة وجهه   وعلى الغزال بمقلتيه وجيده(١)

يا ليته يعدُ الصـدود وليته   ما زال ذا لَهَج بخلف وعوده

يفترّ عن عذب الرضاب حبابُنا   في ورده والموت دون وروده

بَرَد يذيب ولا يذوب وإنمـا   أدنى زفير الوجد عذب بَرُوده

لم أنسه إذ جاء يسحب بُرْدَهُ   والليل يخطر في فضول بروده

والصبح مأسـور أحدَّ لأسره   جنحُ الظلام تأسفاً لفقيده(٢)

والليل يرفُلُ في ثياب حداده   والصبح يرسُفُ في فضول حديده

وكذلك لم تنم العيون مخافة   من أن يملك الصبحُ فكَّ قيوده

بمدامة صفراء يحمل شمسهـا   بدر يغير البدر عند سعوده

---

(١) الغزالة : أراد الشمس ، والجيد : العنق

(٢) أحد : لبس الحداد ، وفاعله « جنح الظلام » يريد أن الليل إنما اسود حدادا على أسر الصبح

كأس كأن مدامها من ريقه ... وختامها من ثغره وعقوده

ما زال يرشفها شقيقة ريقه ... طربا ولثمنا شقيق خدوده

حتى تحكم في النجوم حبابها ... والندُّ كل مسهد مجهوده

ورأى الصباح تخلصاً من أسره ... فأتى بكرّ على الدجى بعموده

قمر أطاع الحسن حسنةَ وجهه ... حتى كأن الحسن بعض عبيده

أنا في الغرام شهيدُه، ماضره ... لو أن جنة وصله لشهيده

وقال أيضاً رحمه الله.

تبدّى له في الخد من نبط خطٌّ ... وأخجل منه القدُّ ما نبت الخطّ[1]

ولم يدر لما هزّ عاملَ قده ... وصارمَ جفنيه بأيهما يسطو

رحيقُ تغر، بابلىُّ لواحظ، ... له سالف كالورد بالمسك مختط[2]

من الترك لا وادي الأراك يحله ... ولا داره رملٌ لمصلّى ولا السقط

كليث الشرى في الحرب بأساً وسطوة ... وفي السلم كالظبي الغرير إذا يعطو

يحف به لين المعاطف مائساً ... فيمنعه ثقل الروادف أن يخطو

حمى ثغره من مشرق القد عامل ... له ناظر ما العدلُ في شرعه شرطُ

له حاجب كالنون خط ابن مقلة ... يزينهما كالخال في خده نقط

فللبدر ما يثني عليه لثامه ... وللغصن منه ما حوى ذلك المِرْط[1]

يقولون يحكي البدرُ في الحسن وجهَهُ ... وبدر الدجى عن ذلك الحسن منحط

كما شبهوا غصن النقا بقوامه ... لقد بالغوا بالمدح للغصن واشتطوا

ولما توجَّه بدرُ الدين لؤلؤ صاحب الموصل إلى العجم للاجتماع بهولاكو كان ابن الحلاوىّ معه، فمرض بتبريز، وتوفى بها، وقيل: بسلماس، وهو فى حدود الستين من عمره.

---

(١) أراد بالخط فى النصف الأول العذار، والخط فى آخر النصف الثانى مرفأ تجلب منه الرماح

(٢) الرحيق: من أسماء الخمر، أراد أن رضابه كالخمر، وأن ألحاظه تسحر

ومن شعره رحمه الله تعالى :

لحاظ عينيك فاتنات ... جفونها الوُطْفُ فاترات(١)

وبين خمر ودرّ ثغر ... منك ثنايا معرّدات

يا حَسَنًا حسدُه قبيح ... لجمع شملي به شَتَاتُ

قد كنت لي واحداً ولكن ... عَدَاك عن وصليَ العداة

إن لم يكن منك لي وفاء ... دنت بهجرانك الوفاة

حياتُ صُدْغيك قاتلات ... فما لملسوعها حياة

والثغر كالثغر في امتناع ... يحميه من لحظك الرماة(٢)

يا بَدْرَ تمٍّ له عذار ... بحسنه تمّت الصفات

مُنَمْنَمُ الوَشْي في هواه ... يا طالما نمّت الوشاة

نبت صُدْغ حلاك حسنا ... والحلو في السكر النُّبات

وكان السلطان بدر الدين لؤلؤ لا ينادمه ، ولا يحضره في مجلسه ، وربما كان ينشده أيام المواسم والأعياد المدائح التي يعملها فيه ، ففي بعض الأيام رآه في الصحراء في روضة مُعْشِبة وبين يديه بِرْذَوْنٌ له مريض يرعى ، فجاء إليه ، ووقف عنده ، وقال : ما لي أرى هذا البرذون ضعيفاً ؟ فقام وقبّل الأرض ، وقال : يا مولانا السلطان حالُه مثلُ حالي ، وما تخلفت عنه في شيء ، يدي في يده في كل رزق رزقنا الله تعالى ، فقال : هل عملت في برذونك هذا شيئاً ؟ قال : نعم ، وأنشده بديهاً :

أصبح برذوني المرقَّع يا ... ذُخْري في حسرة يكابدها

رأى حمير الشعير عابرة ... عليه يوما فظلّ ينشدها

(قِفا قليلاً بها عليَّ فلا ... أقلَّ من نَظْرَةٍ أُزَوَّدُها)(٣)

---

(١) الوطف : جمع أوطف ، وهو الكثير الشعر من الحواجب

(٢) الثغر الأول الفم ، والثغر الثاني موضع المخافة مما يلي العدو

(٣) هذا البيت من كلام أبي الطيب المتنبي من قصيدة أولها :

أهلاً بدار سباك أغيدها ... أبعد ما بان عنك خُرَّدها

فأعجب السلطان بديهته، وأمر له بخمسين ديناراً وخمسين مكوكا (١) من الشعير، وقال له: هذه الدنانير لك، وهذا الشعير لبرذونك، ثم أمره بملازمة مجلسه سائر الندماء، وأقطعه إقطاعا، ولم يزل يرقى عنده إلى أن صار لا يصبر عنه رحمهما الله تعالى!.

(٥٥)

ناصر الدين ابن المنير الإسكندراني

أحمد بن محمد بن منصور، القاضي، ناصر الدين بن المنير، الإسكندراني[٢].

ولد سنة عشرين وستمائة.

وكان عالما فاضلا متفننا، له اليد الطولى في الأدب وفنونه، وله مصنفات مفيدة، وتفسير نفيس، وولي قضاء الإسكندرية وخطابتها مرتين، وكان الشيخ عز الدين بن عبد السلام يقول: ديار مصر تفتخر برجلين في طرفيها: ابن المنير بالإسكندرية، وابن دقيق العيد بقوص، وله ديوان خطب، وتفسير حديث الإسراء في مجلد على طريقة المتكلمين.

وتوفي مستهل ربيع الأول سنة ثلاث وثمانين وستمائة بالثغر.

وكتب إلى الفائزي يسأله رفع التصقيع عن الثغر:

إذا اعتلّ الزمان فمنك نرجو ... شفاء الأيام عافيـــــة الشفاء

وإن يُنزِل بساحتهم قضاء ... فأنت اللطف في ذاك القضاء

وقال فيمن نازعه الحكم:

قل لمن يدعي المناصب بالجهــــل تنحَّ عنها لمن هو أعلم

إن تكن في ربع وُليتَ يوما ... فيك القضاء أمسى محرم

---

(١) المكوك – بفتح الميم وتشديد الكاف مضمومة – اسم المكيال يختلف مقداره باختلاف الناس عليه في البلاد.

(٢) له ترجمة في شذرات الذهب ٥/٣٨١

وكتب إلى قاضى القضاة شمس الدين بن خلكان

ليس شمس الضحى كأوصاف شمس الدين قاضى القضاة حاشا وكلّا
تلك مهما علَتْ محت ظلا وهذا مهما علا زاد ظلا[1]

وقال فى ناصر الدين أبى الحسين الجزار :

قد اختبرت البرايا   فتوة وفتاوى
فمنهمُ من يساوى   شيئا ومن لا يساوى
همُ الدراهم فيها   محاسن ومساوى
من لم يكن ناصريا   فإنه مكاوى

وفيه يقول البرهان الغزولى :

أقول لخل قد غدا متكبرا   علىّ : ترفّق إنى منك أكبر
وإن كنت فى شك فعندى دليله   بأنى غزولى وأنت منير

وفيه يقول أيضا ، وقد قطع جوارى المصدّرين :

ألا يا ابن المنير لا تدارى   فذنبك ليس يُمحى باعتذار
لبست ثياب لؤم عنك شقت   ومن يكسى ثياب العار عارى
قوى حب الصيد عليك حتى   أراك سعيت فى قطع الجوارى[2]

(٥٦)

أحمد المتيم ، الإسعردى

من شعره :

تلوم على ترك الصلاة حليلتى   فقلت : اغربى عن ناظرى أنت طالق
فوالله لا صليت لله مفلسا   يصلى له الشيخ الجليل وفائق

---

(١) صدر هذا البيت غير مستقيم ، ولو قيل « تلك مهما علت محت فى الخلا ظلا » لاستقام ، واللام الثانية من « ظلا » فى النصف الثانى

(٢) قوى هنا كرى لعله فى قوى كرسى ، وفى « الجوارى » تورية ، ومعناه القريب جمع جارية وهى الأمة ، ومعناه البعيد المراد جمع جار وهو الراتب

ولا عَجَبٌ إن كان نوحاً مصليا　　لأنّ له قسراً تدين الخلائق

لما دا أصلى ؟ أين مالى ومنزلى ؟　　وأين خيولى والحلى والمناطق ؟

أصلى ولافتر من الأرض تحتوى　　عليه يميـــنى ؟ إننى لمنافق

بلى إن علىّ الله وسّع لم أزل　　أصـلى له مالاح فى الجو بارق

وقال فى مليح تركى :

قلبى أسير فى يدىْ مقلة　　تركية ضاق لها صدرى

كأنها من ضيقها عروة　　ليس لها زر سوى السّحْر

(٥٧)

أحمد بن التقى

أحمد بن التقى[1] .

كان جيد الذهن ذكيا ، ولكن أداه إلى الاستخفاف بالقرآن والشرع ، فضرب القاضى المالكى عنقه بين القصرين فى ربيع الأول من سنة إحدى وسبعمائة ، وطيف برأسه ، وقد تكهل .

ومن شعره :

الكُسُّ للعمر غدا　　معاندا من القدم

فانظره يبكى حسدا　　فى كل شهرين بدم[2]

(٥٨)

أبو عطاء أفلح ابن يسار

أفلح بن يسار[3] .

هو أبو عطاء السندى ، مولى بنى أسد ، ومنشؤه بالكوفة ، وكان من مخضرمى الدولتين ، وكان أبوه سِنْديا عجميا لا يفصح ، وكان فى لسان أبى عطاء عجمة ولثغة ، وكان إذا تكلم لايفهم كلامه ، ولذلك قال لسليم بن سليم الكلبى :

---

(١) له ذكر فى شذرات الذهب ٢/٦ وقال : قتل على الزندقة . ووصفه بالذكاء والإتقان　　(٢) لوكان « فى كل شهر من دم » لكان أدق

(٣) له ترجمة فى الشعر والشعراء (٤٨٢ أوربة) وسماه مرزوقا ، وله ترجمة فى الأغانى ١٦/٧٨ وسماه أفلح بن يسار كما ذكر المؤلف

أعوزتني الرواة يا ابن سليم   وأبى أن يقيم شعري لساني
وغَلاَ بالذي أُجَمْجِمُ صدري   وجفاني لعُجْمتي سلطاني
وازدرتني العيون إذ كان لوني   حالِكاً مُجْتَوًى من الألوان[1]
فضربت الأمور ظهراً لبطن   كيف أحتال حيلة لبياني[2]
وتمنيت أنني كنت بالشعـ   ـر فصيحاً وكان بعض بياني
ثم أصبحت قد أنخت ركابي   عند رَحْب الفناء والأعطان
فأعْطِنِي ما تضيق عنه رُوَاتي   مفصح من صالح الغلمان
يُفْهِم الناسَ ما أقول من الشعـ   ـر فإن البيان قد أعياني
واعتمدني بالشكر يا ابن سليم   في بلادي وسائر البلدان
ستري فيهـم قصائد غُرًّا   فيك سبّاقةً بكل لسان

فأمر له بوَصِيف ، سماه عطاء ، وتَبَنّاه ، وروّاهُ شعره ، فكان إذا أراد إنشاد مديح لمن يمتدحه أو يجتديه أو إنشاء شعر أمره فأنشد .

قيل : إنه قال له يوماً : تأسد داوتا وقلتَ نبيْ ما أنت تصنع ، يعنى : ويلك منذ دعوتك وقلتَ فيك ما كنت تصنع

وشهد أبو عطاء حربَ بني أمية وبني العباس ، وأبلى مع بني أمية ، وقتل غلامه عطاء مع ابن هُبَيرة ، وانهزم هو .

وحكى المدائني أن أبا عطاء كان يقاتل المسوّدة وقدّامه رجل من بني مرّة يكنى أبا يزيد قد عُقر فرسه ، فقال لأبي عطاء : أعْطِني فرسك أقاتل عنك ، وقد كانا أيقنا بالهلاك ، فأعطاه أبو عطاء فرسه ، فركبه المريُّ ومضى على وجهه ناجيا ، فقال أبو عطاء :

---

(١) تقول « أسود حالك » إذا كان شديد السواد ، والمجتوى : المكروه
(٢) ظهرا لبطن : أراد أنه قلبها على جميع وجوهها

لعمرك إنني وأبا يزيد ... لَكالسَّاعِي إلى لمع السَّرابِ

رأيت مَخِيلة فَطَمِعْتُ فيها ... وفي الطمع المذلة للرِّقاب

فما أعياك من طلب ورزق ... وما أعياك عن سَرَقِ الدواب

وأشهد أن مُرَّةَ حَيُّ صِدْقٍ ... ولكن لَسْتَ منهم في النصاب

وعن المدائني أنّ يحيى بن زياد الحارثي[1] وحمادا الراوية كان بينهما وبين مسلم ابن هبيرة ما يكون بين الشعراء من المُنافسة ، وكان مسلم يحب أن يطرح حمادا في لسان مَنْ يهجوه ، قال حماد : فقال لي يوما بحضرة يحيى بن زياد أتقول لأبي عطاء السندي أن يقول زج وجرادة ومسجد بني شيطان ؟ قلت : نعم ، فما تجعل لي على ذلك ؟ قال : بغلتي بسَرْجها ولجامها ، فأخذت عليه بالوفاء موثقا ، وجاء أبو عطاء فجلس إلينا ، فقال : مرهبا بكم ، هيا كم الله ! فرحبنا به ، وعرضنا عليه العشاء ، فأبى ، وقال : هل عندكم نبيذ ؟ فقلنا : يا سيدنا كل عندنا ، فشرب حتى احمرّت عيناه ، فقلت له : يا أبا عطاء ، كيف عِلْمُكَ باللغز ؟ فقال : جيد ، فقلت :

أبِنْ لي إن سُئِلْتَ أبا عطاء ... يقيناً ، كيف علمك بالمعاني ؟

فقال :

خبيراً عالما فاسأل تجدني ... بها طَبًّا وآياتِ المثاني[2]

فقلت

فما اسم حَدِيدة في رأس رمح ... دُوَيْنَ الكعب ليست بالسِّنان[3]

فقال :

هو الزُّجُّ الذي لو مات ضَيْفي ... بصدرك لم يزل لك عَوْلتانِ[4]

---

(١) ذكر الجاحظ في الحيوان هذه القصة وذكرها ابن قتيبة وأبو الفرج

(٢) تقول « فلان طب بكذا » يعني العا[illegible] تريد أنه عارف خبير به ، وآيات المثاني : القرآن الكريم ، أقسم به

(٣) في ب « فما اسم جريدة » تحريف

(٤) في ب « لم يزل لك عولتان » والعولة : البكاء ، وكذلك هو في الشعراء والأغاني .

قلت:

فما صَفْراء تُدْعَى أمَّ عَوْفٍ كأنّ رُجَيْلَتيها منجلان

قال:

أردتَ زَرَادةً، وأقول: حقًّا بأنك ما أردت سوى لسانى

قلت:

أتعرف مَسْجداً لبنى تَميم فُوَيْقَ الميل دون بنى أبان؟

قال:

بنو شَيطان دون بنى أبان كقرب أبيك من عبد المَدَانِ

قال حماد: فرأيت عينيه قد ازدادت حمرة، ورأيت الغضب فى وجهه، وتخوفته، فقلت: يا أبا عطاء، هذا مقام المستجير بك، ولك نصف ما أخذته، قال: فاصدقنى، فأخبرته، فقال: أَوْلَى لك، قد سَلِمتَ وقد سَلِم لك خيلك، خذه بارك الله لك فيه، لا حاجة لى إليه، وقيل يهجو عمر بن هبيرة.

وفد أبو عطاء السندى على نصر بن سيار، ثم أنشده:

قالت بُرَيكَةُ بنتى وهى عاتبة إن المُقام على الإفلاس تعذيب

ما بال همّ دخيل بات يحتضر رأسَ الفؤاد فنوم العين توجيب(1)

إنى دعانى إليك الخير من بلدى والخير عند ذوى الإحسان مطلوب

فأمر له بأربعين ألف درهم.

وتوفى بعد الثمانين والمائة، رحمه الله تعالى!

(٥٩)

علاء الدين الجاولى

الطيبغا، علاء الدين الجاولى، مملوك ابن باكل.

---

(١) «نوم العين توجيب» هكذا وقع فى كل أصول هذا الكتاب، والمراد أنه قليل جدا، وأصل هذا من قولهم «وجب فلان عياله توجيبا» إذا أطعمهم كل يوم أكلة واحدة (وجبة ـ بفتح فسكون)

كان عند الأمير علم الدين سنجر الجاولي[1] دوادار ألطنبغا لما كان بغزة كان حسن الصورة ، تام القامة ، وكان الجاولي يحسن إليه ، ويبالغ في الإنعام عليه ، وكان نادرا في أبناء جنسه : في الشكل المليح ، ولعب الرمح ، والفروسية ، والذكاء ، ولعب الشطرنج والنرد ، ونظم الشعر الجيد ، لا سيما في المقطعات فإنه يجيدها ، وله القصائد المطولة ، ويعرف الفقه على مذهب الإمام الشافعي ، ويعرف أصولا ، ويبحث جيدا ، ولكنه سال ذهنه لما اجتمع بالشيخ تقي الدين بن تيمية ، ومال إلى رأيه ، ثم تراجع عن ذلك إلا بقايا ، وكان حسن العشرة ، لطيف الأخلاق .

ومن شعره :

صَبّحْ فقد لاح برق الثغر بالبرد	واستسق كأس الطلا من كف ذي مَيَد
مستعذبَ اللفظ ، للأتراك سحنته	له على كل صب صولة الأسد
يا عاذلي خلّني فالحسن قلّده	عقدا من الدر لا حبلا من المسد
وبل لمن لامني فيه ومقلته	سالبة النَّبل لا سالبة الرقد

وله أيضا رحمه الله

خَدٌّ ردها فوق المراشف خالها	فلئن فتنت به فلستُ ألام
فكأنَّ مبسمها وأسْوَدَ خالها	مسك على كأس الرحيق ختام

وله أيضا رحمه الله .

وبارد الثغر حلو	عرشف فيه حُوّه
وخصره في انتحال	يبدى من الضعف قوه

وله أيضا

ردفه زاد في الثقالة حتى	أقعد الخصر والقوام السويّا

(١) علم الدين سنجر بن عبد الله الجاولي الشافعي ترجمه في شذرات الذهب ١٤٢/٦ وقد توفي في سنة ٧٤٥

نهض الخصر والقوام وقاما ... وضعيفان يغلبان قويا

وله أيضا :

تخاطبني خود فأبدي تصامما ... فتكثر تكرار الخطاب وتجهر

فأصغي لها أذنا وأظهر عجمة ... لكيما أرى درا من الدر ينثر

وله أيضا :

وصالك والثريا في قران ... وهجرك والجفا فرسا رهان

فديتك ما حفظت لشؤم حظي ... من القرآن إلا (لن تراني)[1]

وله أيضا :

سل وميض الأبيرق عن جفوني ... وهديل النسيم عن خفقاني

ولهيب الهجير عن نار قلبي ... وخداع الخيال عن أجفاني

وله أيضا :

إن عاد لمح البرق يخبر عنكم ... وأتى القبول مبشرا بقبولي[2]

فلأقدحن البرق من نار الحشا ... ولأحملن على النجوم نحولي

وله أيضا :

أنهلّ مدمعها درا وفي فمها ... در وبينهما فرق وتمثال

لأن ذا جامد في الثغر منتظم ... وذاك منتثر في الخد سيال

وله أيضا

جاءنا الورد في بديع زمان ... فقطعناه في منى وأمان

وهنينا فيه لذيذ وصال ... وهتكنا فيه عروس الدنان

وغلطنا فيه بعض ليال ... فخلطنا شعبان في رمضان

---

(١) يشير إلى قوله تعالى في قصة موسى عليه الصلاة والسلام : (ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك ، قال : لن تراني ، ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني ـ الآية)

(٢) القبول الأول : الريح تقابل الصبا ، والقبول الثاني مصدر قبله

وتوفى بدمشق ثامن ربيع الأول سنة أربع وأربعين وستمائة ، رحمه الله .

(٦٠)

أيدمر المحيوى

أيدَمُر المحيوى ، فخر الترك ، عتيق محيى الدين محمد بن محمد بن سعيد بن ندى.
قال ابن سعيد المغربى فى كتاب « المشرق » فى ترجمة هذا : رأى نمط أصنعه ،
ولو حشدت جيوش البلاغة لفضله لم أكن أصنعه :

نشأ فى الدوحة السعيدية فتمَّتْ أزاهره ، وطلع بالسماء النَّدية فنمَتْ
زواهره ، جمعت لأفنانه أنواع الفنون والفهوم ، حتى خرج آية فى كل فن وبرع فى المنثور
والمنظوم ، مع الطبع الفاصل لدى عصده ، وبلغه من رياسة هذا الشأن
ما قَصَدَه ، لاسيما حين سمعت قوله لدى أنى فيه بالإعراب ، وترك مهيرا مُتيقَّنا
منه بالأهداب :

لله إن جرت العُوير فلا تُبِر	بالبين منك معاطِفَ الأغصانِ[1]
واسْتُرْ شقائق وجنتيك فإنك لا	يَنْشَقّ قلبُ شقائقِ النعمانِ

وله أيضا رحمه الله :

الروض مقتبل الشبيبه مونق	خضِلٌ يكاد غَضَارَةً يتدفق
نثر النَّدَى فيه لآلىء عقده	فالزهر منه مُتوَّج وممنطق
وارتاع من مر النسيم به ضحى	فغدت كأنم بوزنه تتمنّق
وسرى شعاع الشمس فيه فالتقى	منهما ومنه سنا شموس تشرق
والغصن مَيَّاس القوام كأنه	نَشْوان يُصْبَح بالنسيم ويُغْبَق
والطير يسطق معربا عن شجوه	فيكاد يفهم عنه ذاك المنطق
غرِدًا على الغصون فينثنى	طربا جيوب الطلى منه تشقق
والنهر لما راح وهو مسلسل	لا يستطيع الرقص ظل يصفق

(١) فى ب ، ت « لله إن جرت العوير فلا تبر » بالعين المهملة فى الكلمتين
« العوير » و « تبر » وهو تحريف ما أثبتناه

وسُلافة باكرتها فى فتية ... مِنْ مثلها خُلق لهم وتَخلّقُ

شربت كنائنها الدهورُ فما ترى ... فى الكأس إلا جذوة تتألق[1]

يسعى بها ساقٍ يَهيج إلى الهوى ... ويرى سبيل العشق مَنْ لا يعشق[2]

تتقادم الألحاظ منه على سَنًا ... حدّ تكاد العين فيه تغرق[3]

رَقّ العيون غصاصة ونضارة ... فهو الحديد ورَقّ فهو ممتّقُ

ورنا كما لمع الحسام المنتضى ... ومشى كما اهتز القضيبُ المورقُ

واصَبْنا من فرقه وجبينه ... ليل تألق فيه صبح مشرق

وكأنّ مقلته ترَدّدُ لفظـــة ... بفوهها ، لكنها لا تنطق

فإذا العيون تحمّمت فى وجهه ... فاعلم بأن قلوبها تتحرق

وله أيضاً رحمه الله :

وافاك شهر الصوم بخبر أنه ... جار بأيمن طائر ميمون

ما زال يَمْحقُ بدرَهُ شوقاً إلى ... لقيك حتى عاد كالعرجون

وله أيضاً رحمه الله :

رعى الله ليلا ما تندّى عشيّه ... لأعيننا حتى تطلع صبحه

كأن تَمَشّيه لنا وانصرامه ... تقربها بطرفٍ حسن وفتحه

وقال أيضاً ، وقد ركب مولاه البحر فانكسر المركب :

عصب البحرُ من سحابٍ منيع ... حائل بينــــه وبين أخيه

دفعتْهُ حَمِيّة الشرق حتى ... خرق الحجب عَـلّه يلتقيه[4]

وقال موشحة :

بات وسُمّاره النجوم ... ساهر ، فمن ترى ... عَمّك السهدَ يا جفون

---

(١) يريد أنها معتقة قديمة العهد

(٢) فى ب « يهيجه الهوى »

(٣) فى ث « تكاد العين منه تغرق »

(٤) فى ب « رقته حية الشوق » تحريف

صبا إلى مذهب التصابى　صابى　لا يعدل
فجفنه خافق الجناب　ناب　مبلبل
والطرف من دائم السكاب　كابى　مسبل
لسانه للهوى كتوم　ساتر لما جرى　والشأن أن يكتم الشئون

سباه مستملح المعانى　عانى　به البصر
يذكر عن شدوه الأغانى　غانى　إذا ذكر
يقول ما ناظر رآنى　رانى　إلا القمر
يدنو إلى وجهه الحليم　حائر لما يرى　مرأى به تفتن العيون

من أين للبدر فى الكمال　مالى　فيوصف
والغصن هل عطفه يحالى　حالى　مزخرف
وعارض النقص للهلال　لالى　التكلف
ولا لم الشمس منه ميم　طاهر لمن قدرا　ولا من الحاسدين نون

ما كنت لولا درى شانى　شانى　أخشى افتضاح
أهدى الذى رنح المثانى　ثانى　عطف المزاح
ذنبت من الصد إذ جفانى　قانى　فلا جناح
لما لوى الجيد قلت ريم　ناعس ثم انبرى　يمشى كما تمشى الغصون

أيا ندامای إن بالى　بالى　فغردوا
صوتا أنا منه لا يقالى　قالى　فرددوا
فى رتب المجد ذا المعالى　عالى　متمجد
دام له العز والنعيم　قاهرا مقتدرا　يعز من شاء أو يهين

وقد عارض هذا الموشح السراج المحار[1] الحلي بقوله :

ما ناحت الورق في الغصون   إلا ناحت على   تغريدها لوعة الحزين

هل ما مضى لي مع الحبائب   آيب   بعد الصدود

أم هل لأيامنا الذواهب   واهب   بأن تعود

مع كل مصقولة الترائب   كاعب   هيفاء رُودْ

تفترّ من جوهر ثمين   جل أن يجلى   يحمى بنصل من الجفون

وأهيف ناعم الشمائل   مائل   في برده

في أنفس العاشقين عامل   عادل   من قده

يرنو بطرف إلى القاتل   عامل   في غمده

أمضى من الأسد في العرين   فصلا وأقتلا   لعاشقيه من المنون

قاسوه بالبدر وهو أحلى   شكلا   من القمر

فرّاش هدب الجفون نبلا   أبلى   بها البشر

وقال لي وهو قد تجلى   تجلّ   باري الصور

ينتصف البدر من جبيني   أصـــلا ضحت لا   قل، ولا السحر من عيوني

ملّكته كامل المعاني   هاني   قلبي به

مدلل البال مدحماني   فاني   في حبه

كم بت من حيث لا يراني   راني   لقربه

وبات من صُدْغه يُريني   نملا يسعى إلى   رضابه العاطر المصُونِ

بتنا وما نال منا   منا   طيب الوسن

يمص من خمره دنّا   دنا   يشفي الحزن[2]

---

(١) في ث «المحار»

(٢) في ب ، ث « يمص من خمره لدنا » ودن : اسم مكان من أعمال بغداد ، وهو بلفظ الدن الذي يجعل فيه الخل والخمر

وكلما مال أو ثنى عني بصوت حسن

لا تستمع في هوى الحزون عذلا وانهض إلى راح تقي سورة الشجون

٦١

عز الدين أيدمر الساقي

عز الدين أيدمر ، الساقي .

كان جنديا ، وله معرفة بتعبير الرؤيا والأدب .

من شعره .

ورد الورد فوردها للندامى ونح بالراح أرواحا هيامى[١]
وأخذتها بكرا على خطّابها بنت كرم قدمت إلا الكراما[٢]
ذات نشر جوهريّ وصفه في حقيق وصفه يشفي الأواما[٣]
رنقت باللؤلؤ الرطب على وجنة كالنار لا تألو اضطراما
أفتنت تسبي بها شمس الضحى تخجل البدر إذا يبدو تماما
بعيون بابليّ سحرها شفّهن هدى لي حسن السقاما[٤]
وبصير الورد في وجنتها منه أبدت في قلبي الغراما
وددت الأغصان لما خطرت لو حكت منها التثني والقواما
قل لي خالٌ على وجنتها حين ماديت أما تخشى الضراما[٥]
منذ ألقيت بنفسي في لظى خدها أمسيت بردا وسلاما[٦]

---

(١) هيامى : جمع هيمى ، مثل عطشى وعطاشى
(٢) بنت الكرم : الخمر ، ويقال للخمر بكر
(٣) الأوام : العطش
(٤) بابلي : منسوب إلى بابل ، وهي بلد ينسب إليها السحر
(٥) الضرام : الحريق (٦) لقيت ـ بالفاء ـ وجدت

حرف الباء

٦٢

بكر بن النطاح الحنفي

بكر بن النَّطَّاح[1] ، الحنفي ، قيل : هو عجلي .

كان شاعراً ، حسن الشعر ، كثير التصرف فيه ، وكان صعلوكاً يقطع الطريق ثم اقتصر عن ذلك ، وكان كثيراً ما يصف نفسه بالشجاعة والإقدام ، وهو القائل :

هنيئاً لإخواني ببغداد عيدُهم وعيدِي بحلوان قِراعُ الكتائبِ

وأنشدها أبا دُلَف ، فقال له : إنك لتصف نفسك بالشجاعة ، وما رأيت عندك لذلك أثراً ، فقال : أيها الأمير ، وما ترى عند رجل حاسرٍ أعزل ؟ فقال : أعطوه سيفاً ورمحاً ودرعاً وفرساً ، فأعطوه ذلك أجمع ، فأخذه وركب الفرس وخرج على وجهه ، فلقيه مالٌ لأبي دُلَفَ يُحْمَل إليه من بعض ضياعه ، فأخذه ، وجرح جماعة من غلمانه ، فهربوا ، وسار بالمال ، فنزل بالأعلى عشرين فرسخاً ، فلما اتصل خبره بأبي دُلَفَ قال : نحن جَنَيْنا على أنفسنا ، وكتب إليه بالأمان ، وسوّغه المال[2] ، وأمره بالقدوم عليه ، فرجع ، ولم يزل معه يمدحه حتى مات .

وكان قد لحق أبو دلف بفارس قد أردف آخر خلفه ، فطعنهما فشكّهما بالرمح ، فتحدث الناس في ذلك ، فلما عاد دخل عليه بكر بن النطاح فأنشده :

قالوا وينظِمُ فارسين بطعنة يومَ اللقاء ولا يراه جليلا
لا تعجبوا لو كان مدُّ قناته ميلاً إذاً نظم الفوارس ميلا[3]

فأمر له أبو دُلَف بعشرة آلاف درهم .

وله فيه :

له راحة لو أن مِعشار جودها على البرّ كان البرّ أندى من البحر

---

(١) لبكر بن النطاح بني وائل ترجمة في الأغاني (١٧/١٥٣ بولاق) وقد ذكر أنه عجلي من بني سعد بن عجل ، واحتج على ذلك بقوله :

فإن يك جدّ القوم فهر بن مالك فجدّي عجل قرم بكر بن وائل

(٢) سوغه المال : جعله له سائغا (٣) الأغاني « لو أن طول قناته »

أبا دُلَفٍ نورُكَ في كل بلدة ... كنورِ كُتْبٍ في شهرِها ليلةُ القَدْرِ

وله فيه أيضا :

إذا كان الشتاء فأنت شمس ... وإن كان المَصِيفُ فأنت ظلُّ

وما تدري إذا أعطيتَ مالا ... أيكثر في سماحك أم يَقِلُّ(١)

فأعطاه عشرة آلاف درهم .

وقصد مالك بن طوق ، ومَدَحه ، فأتاه ، فلم يرضه ، فخرج من عنده وكتب له رقعة وبعث بها إليه ، وفيها :

فليت جَدَى مالكٍ كله ... وما ترتجي منه من مطلب(٢)

أصيب بأضعاف أضعافه ... ولم أنتجعه ولم أرغب(٣)

أسأتُ اختياري فقل الثواب ... لي الذنبُ جهلا ولم يذنب

فلما قرأها وجه جماعة في طلبه ، وقال : الويل لكم إن فاتكم ، فلحقوه ، وردّوه إليه ، ثم قام إليه وتَلَقّاه ، وقال : يا أخي عجلت علينا ، وما كنا نقتصر على ذلك وإنما بعثت إليك نفقة ، وعوّلنا على ما يتلوها ، واعتذر إليه ، ثم أعطاه حتى أرضاه ،

فقال بكر بن النطاح يمدحه :

فتى جاد بالأموال من كل جانب ... وأوهبها في عَوْدِهِ وبدائه(٤)

فلو خذلت أمواله جود كفه ... لقاسم من يرجوه شَطْرَ حياته

فإن لم يجد في العمر قسمة باذل ... وجاز له الإعطاء من حسناته

لجاد بها من غير كفر بربه ... وشاركَهُمْ في صومه وصلاته

وله أيضا رحمه الله :

كريم إذا ما جئت طالب فضله ... حَبَاكَ بما تحوي عليه أنامله

(١) في ب ، ث « أيكثر في سماحك » وصوبنا ما ترى عن الأغاني

(٢) الجدى . العطاء (٣) انتجعه : قصده لطلب حاجته

(٤) بداته : أصلها بدأته ـ بفتح الباء وسكون الدال بعدها همزة ـ فألقى حركة الهمزة على الدال الساكنة ثم سهل الهمزة فقلبها ألفا

ولو لم يكن فى كفه غير نفسه ... لجاد بها فليتق الله سائلهُ

وله أيضا عفر له :

ملأت يدى من الدنيا مرارا ... فما طمع العواذل فى اقتصادى

وما وجبت علىّ زكاة مال ... وهل تجب الزكاة على جواد؟

٦٣

بكر بن على الصابونى

بكر بن على الصابونى .

قال ابن رشيق فى الأنموذج : كان شيخا مُعمَّرا مطبوعا صاحب نوادر وجد، حبيث ، وأقدر الناس على بديهه ، وكان نقىّ الشيبة والثياب ، حسن السمت والخطاب

من شعره رحمه الله تعالى :

أمرض بالوعظ القلوب الصحاح ... ما قاله الهاتف عند الصباح

يوقظنى من نومى فى الدجى ... شخص سمعت القول منه كصاح

يقول كم ترقد يا غافلا ... والدهر إن لم يغد الموت راح

تركن للدنيا كأن لا براح ... منها ، وتغدو لاهيا فى مزاح

ما الدهر والأيام فى مرّها ... إلا كبرق خاطف ثم راح

٦٤

أبو بكر البالسى

أبو بكر[1] بن قوام بن على بن قوام بن منصور بن معلى ، البالسى .

أحد مشايخ الشام ، كان شيخا زاهدا عابدا قانتا لله ، عديم النظير ، كثير المحاسن ، وافر النصيب من العلم والعمل ، صاحب أحوال وكرامات .

ولد بصفين[2] سنة أربع وثمانين وخمسمائة ، ونشأ ببالس[3] ، وكان حسن الأخلاق ،

---

(١) لأبى بكر بن قوام ترجمة فى شذرات الذهب ٥/٢٩٥

(٢) صفين — بزنة سكين — موضع بقرب الرقة على شاطىء الفرات من الجانب الغربى .

(٣) بالس : بلدة بالشام بين حلب والرقة

لطيف الصفات ، وافر الأدب والعقل ، دائم البشر ، كثير التواضع ، شديد الحياء ، متمسكا بالآداب الشرعية ، تخرّج به غيرُ واحدٍ من العلماء والمشايخ ، وتتلمذ له[1] خلق كثير ، وقُصِدَ بالزيارة .

قال : كنت فى بدايتى تَطْرُقنى الأحوال كثيرا ، فأخبر شيخى بها ، فينهانى عن الكلام فيها ، ويقول : متى تكلمت فى هذا ضربتك بهذا السوط ، ويقول : لاتلتفت إلى شىء من هذه الأحوال ، إلى أن قال لى : سيحدث لك فى هذه الليلة أمر عجيب ، فلا تفزع ، فذهبت إلى أبى وكانت مريرة ، فسمعت صوتا من فوق ، ونمت رأسى ، فبدا نور كأنه سلسلة متداخلٌ بعضُه فى بعض ، فالتف على ظهرى حتى أحسستُ ببرده فى ظهرى ، ورجعت إلى الشيخ ، فأخبرته ، فحمد الله تعالى ، وقبّل بين عينىّ ، وقال : الآن تمت عليك النعمة يابنى ، أتعلم ما هذه السلسلة ؟ قلت : لا ، قال : هذه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأذن لى بالكلام حينئذ .

قال حفيده : حدثنى الشيخ الإمام شمس الدين الحاورى قال : سألت الشيخ عن قوله تعالى : (إنكم وما تعبدون من دون الله حَصَبُ جهنم) فقال : غير عيسى وعزير ، بدليل (إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون) فقلت له : ياسيدى ، لاتعرف تكتب ولاتقرأ ، من أين لك هذا ؟ قال : بالأحد ، وعزّة المعبود لقد سمعتُ الجواب وبه كما سمعتُ سؤالك .

وبعث إليه الملك الكامل على يد فخر الدين خمسة عشرَ ألف درهم ، فما قبلها ، وقال : لا حاجة لنا بها ، أنفقها فى جُنْد المسلمين .

وجاءته امرأة وقالت له : عندى دابة قد ماتت ، وما لى من يجرها عنى ، قال : امضى وحَصّلى حبلا حتى أبعث من يجرها ، فمضت وعملت ، فجاء بنفسه وجرّ الدابة ، فجاء الناس وجرُّوها عنه .

---

١) تقول « تلمذ فلان لفلان » بزنة دحرج ، وتقول « تتلمذ له » كتدحرج

وكان لا يَدَعُ أحداً يقبل يديه ، ويقول : من أمكن من تقبيل يده نقص من حاله شيء .

وتوفى بقرية عم[1] سنة ثمان وخمسين وستمائة ، ودفن بها ، فأوصى أن يدفن فى تابوت ، وقال لابنه : يا بنى لا بدّ أن أنقل إلى الأرض المقدسة ، فنقل بعد اثنتى عشرة سنة إلى دمشق سنة سبعين ، ودفن بزاويته أسفل عقبة دُمَّر ، رحمه الله تعالى !.

(٦٥)

مجد الدين بهرام شاه الملك الأمجد

بهرام شاه بن فرّوخ شاه بن شاهنشاه بن أيوب ، السلطان الملك الأمجد ، مجد الدين ، أبو المظفر ، صاحب بَعْلَبَكّ[2] .

ولىَ بعلبك بعد أبيه ، وكان أديباً فاضلا شاعراً ، له ديوان شعر موجود بأيدى الناس ، أخذت منه بعلبك سنة سبع وعشرين وستمائة ، أخذها منه الأشرف موسى ، وسلّمها إلى أخيه الصالح إسماعيل ، فقدم الأمجد إلى دمشق ، وأقام بها قليلا ، وقتله مملوك له مليح فى أوائل سنة ثمان وعشرين وستمائة ، ودفن بتربة والده على الشرف[3] الشمالى ، وكان سبب قتله أنه كان له غلام محبوس فى خزانة الدار ، فجلس يلعب يلهو بالنرد ، فولع الغلام بزرّة الباب ، فقلعها ، وهجم على الأمجد وهو غافل مشتغل باللعب ، فقتله ، وهرب ، ورمى نفسه من السطح فمات ، وقيل : لحقه المماليك عند وقعته ، فقطعوه بالسيوف ، وقيل : رآه بعض أصحابه فى المنام ، فقال له : ما فعل الله بك ؟ فقال :

---

(١) عم — بفتح العين واللام جميعاً — حل فرد شرقى الحاجر فيه نخل وفيه ماء ، وهو غير عم الصادر ، يواجه القوبن بماء الحاجر ، وهو عم المعد ، أحد جبلين من دومه على يوم ، والذى فى الشذرات « وتوفى ببلاد حلب » .

(٢) البهرام شاه بن فروخ شاه ترجمة فى شذرات الذهب ٥/١٢٦ وكانت وفاته فى سنة ٦٢٨ وانظر له ترجمة فى تاريخ ابن كثير ١٣/١٣١

(٣) فى الشذرات « الشرف الشمالى »

كنت من ذنبي على وَجَلٍ ... زال عني ذلك الوجل
أمنت نفسي بَوَائقها ... عشت لما متّ يا رجل

وله أيضاً رحمه الله :

قولوا لجيران العقيق والنقا ... حمام يُهْدُون إليها القلقا
يا ما كوى قلبي قسى مبشر ... يخبرني متى يكون الملتقى
ما لقلبي بعد بُعْدِي عنكم ... معنى ، فإن لقيتكم طاب اللقا
أشقاني الدهر فإن أسعدني ... بجمع شملي بكم زال الشقا
أهوا كم وأتقى ، وقلّ من ... يجمع ما بين الغرام والتقى
حبكم سفينة ركبتها ... مأمونة فكيف أخشى الغرق
حاشى أصبح برحوا الوصل أن ... يمسى بنار هجركم محترقا

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

عجبنا لقد بالغتَ يا خلُّ في العذل ... وما هكذا فعل الأخلاء بالخل
إذا أنتَ لم تسعد خليلك في الهوى ... فذَرْهُ لقد أمسى عن العذل في شغل
ولا تحسَبَنَّ اللوم يذهب وجده ... فلومك بالمحبوب يُغْرِي ولا يسلي
وَمَا كنت ممن يذهب الوجد حَزمَه ... لعمرك لولا أسهُمُ الأعين النجل

ومن شعره أيضا عفى عنه :

دعوت بماء في إناء ، فجاءني ... غلام بها صرفا فأوسعته زجرا
فقال : هو الماء القَرَاح ، وإنما ... تجلّى لها خدّى فأوهمك الخمرا(١)

وكتب إليه الشيخُ تاج الدين الكندى :

لا تضجرنكم كُتْبى وإن كثرت ... فإن شوقى أضعاف الذى فيها

(١) الماء القراح . الذى لم يخالطه شئ

والله لو ملكت كفى مسالمة ... من الليالى التى حظى يحاكيها[1]
لما تصرم لى فى غير دركم ... عمر، ولا مت إلا فى نواحيها

فأجابه الأسعد :

إنا لنتحفنا بالأنس كتبكم ... وإن عدتم فإن الشوق يدنيها
وكيف نضجر مهاوهى مذهبة ... من وحشة البين لوعات نعانيها
فإن وصفتم لنا فيها اشتياقكم ... فعندنا منكم أضعاف مافيها
سلوا نسيم الصبا تهدى تحيتنا ... إليكم فهى تدرى كيف تهديها

ومن شعره أيضاً :

لو بى نسيما أخى على قمر ... يخلو براحته عن وجهه الكلفا[2]
أو درة كنت فى خدرها فقدا ... بمص باللطف عن أنوارها الصدفا

وأورد له القوصى[3] فى معجمه :

ما هواك وإن تقادم عهده ... لا تحسبن على التقاطع والنوى
يهواك ما هب النسيم، وحبذا ... ما كان يكلف بالرياح صبابة
تسرى إليه بنفحة من عقده ... ماذا الملام من الغرام، وفى الحشا
يروم عاذله المضلل رده ... ماذا عليه إذا تضاعف ما به
إن الهوى طمع يولد داءه ... مشغوف وجهك ما يزال يجده
يدنساك مشتاق تعاظم وجده ... نفح النسيم الحاجرى وبرده
لولا تحيته ولولا بعده ... إن المنى فيما تضمن عقده
منه لهيب هوى تصرم وقده ؟ ... عن رأيه أعيبات أحيب قصده
حتى يعود وقد تناهى حده ... أمل يقويه الهوى ويمده

---

(١) يحاكيها : يشابهها ، وأراد أن حظه كالليل

(٢) فى ب ، ث « أخى على قمر » (٣) فى ب « القاضى »

فلكم تملك رق حر عثوة أمسى وأصبح وهو فيه عبده
ومليح الوادي عزال أرا كه أصبو إليه وبي تزايد صده
يختال والأغصان يعطفها الصبا فيغار منه إذا تمايل قده
والأقحوان إذا تبسم ثغره والورد مطلول الجوانب خده
قد كان سوفني الوصال وإنه من بعد مطل أن ينجز وعده

(٦٦)

أبو وهيب بهلول بن عمرو الكوفي

بهلول بن عمرو ، أبو وهيب ، الصيرفي ، المجنون ، من أهل الكوفة[١] .

حدث عن أيمن بن نابل ، وعمرو بن دينار ، وعاصم بن أبي النجود ، وكان من عقلاء المجانين ، ووسوس ، وله كلام مليح ، ونوادر ، وأشعار ، واستقدمه الرشيد وغيره من الخلفاء ليسمع كلامه .

توفي في حدود التسعين والمائة

قال الأصمعي : رأيت بهلولا قاعدا ومعه خبيص[٢] ، فقلت له : إيش معك قال : خبيص ، فقلت : أطعمني ، قال : هو ليس لي ، قلت : لمن هو ؟ قال : هو لحمدونة ابنة الرشيد بعثته لي آكله لها

وقال محمد بن إسماعيل بن أبي فديك : قد رأيت بهلولا في بعض المقابر ، وقد أدلى رجليه في قبر ، وهو يلعب بالتراب ، فقلت : ما تصنع هنا ؟ قال : أجالس أقواما لا يؤذونني ، وإن غبت لا يغتابوني ، فقلت : قد غلا السعر مرة ، فهل تدعو الله تعالى فيكشف عن الناس ؟ فقال : والله ما أبالي ، ولو كان كل حبة بدينار ، لله علينا أن نعبده كما أمرنا ، وعليه أن يرزقنا كما وعدنا ، ثم صفق بيديه ، وأنشأ يقول :

---

(١) ترجم له الشعراني في الطبقات الكبرى (١/٧٩ بولاق) وذكر أنه كان يفد على الرشيد العباسي فيعظه

(٢) الخبيص : الحلواء المخبوصة ، وخبص الحلواء يخبصها خبصا ـ من باب ضرب ـ خلطها وعملها ، والمخبصة ـ بزنة الملعقة ـ التي يقلب بها الخبيص

يا من تمتع بالدنيا وزينتها ولا تنام عن اللذات عيناه
شغلت نفسك فيما ليست تدركه تقول لله ماذا حين تلقاه(١)

وقال الحسن بن سهل : رأيت الصبيان يرمون بهلولا بالحصى ، فأدمته حصاة ، فقال :

حسبيَ الله توكلت عليه مَنْ نواصي الخلق طُرًّا بيديه
ليس للهارب في مهربه أبداً من راحة إلا إليه
رُبَّ رامٍ لي بأحجار الأذى لم أجد بُدًّا من العطف عليه

فقلت له : تعطف عليهم وهم يرمونك ؟ فقال : اسكت لعل الله يطلع على غمي ووجعي وشدة فرح هؤلاء ، فيهب بعضنا لبعض

وقال عبد الله بن عبد الكريم : كان لبهلول صديق قبل أن يجن ، فلما أصيب بعقله فارقه صديقه ، فبينا بهلول يمشي في بعض طرقات البصرة إذ رأى صديقه ، فلما رآه صديقه عدل عنه ، فقال بهلول :

ادنُ مني ولا تخافنَّ غدري ليس يخشى الخليل غدر الخليل
إنَّ أدنى الذي ينالك مني سترُ ما ينتقي وسترُ الجميل

قال الفضل بن سليمان : كان بهلول يأتي سليمان بن علي فيضحك منه ساعة ثم ينصرف ، فجاءه يوماً ، فضحك منه ساعة ، ثم قال : عندك شيء نأكله ؟ فقال لغلامه : هات لبهلول خبزاً وزيتوناً ، فأكل ثم قام لينصرف وقال لسليمان : يا صاحب إن جئنا إلى بيتكم يوم العيد يكون عندكم لحم ؟ فخجل سليمان .

---

(١) « ماذا » معمول لتقول ، أي ماذا تقول لله حين تلقاه ؟ وهذا استعمال مولد ، وأسماء الاستفهام لا تتقدم عاملها عليها ، لأن لها صدر الكلام

وجاء إلى بعض أشراف الكوفة، وقال: أشتهي أن آكل عسلا بسرقين، فدعا بهما، فأكل من العسل، وأمسك فيه، فقال له الرجل: لم لا تأكل السرقين كما قلت؟ قال: العسل وحده أطيب.

وعبث به الصبيان يوماً ففر منهم والتجأ إلى دار بابها مفتوح، فدخلها، وصاحب الدار قائم له ضفيرتان، فصاح به: ما أدخلك داري؟ فقال: يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض.

وسأله يوماً عليّ بن عبد الصمد البغدادي: هل قلت شيئاً في رقة البشرة؟ فقال: اكتب.

أضمر أن أضمر حبي له ... فيشتكي إضمار إضماري
رقّ فلو مرّت به ذرّة ... لخضبته بدم جاري

فقال: أريد أرقّ من هذا، فقال:

أضمَرَ أن يأخذ المرآة كي ... يبصر وجهاً له فآذاها(١)
فجاز وَهْمُ الضمير منه إلى ... وجنته في الهوى فأدماها

فقال: أريد أرق من هذا أيها الأستاذ، فقال: نعم وما أظنه، اكتب:

شبّهته قمراً إذ مرّ مبتسماً ... فكاد يجرحه التشبيه أو كلما
ومرّ في خاطري تقبيلُ وجنته ... فسيّلت فكرتي في وجنتيه دما

فقال: أريد أرق من هذا، فقال: يا ابن الفاعلة أرق من هذا كيف يكون؟ ويلك لأنظر، إن كان قد طبخ في المنزل حريرة أرق من هذا، رحمه الله تعالى!

(١) المرآة: أصلها امرآة - بسكون الراء وهمزة مفتوحة بعدها ألف، فألقى حركة الهمزة على الراء ثم سهل الهمزة بقلبها ألفا، فلما التقى ألفان حذفت إحداهما

٦٧

الفرنس
الفرنسيس

الفرنسيس(1)، الإفرنجي .

لما أسر نوبة دمياط تسلّمه الطواشي جمال الدين صبيح المعظمي ، ووضع رجليه في قيد ، وسجنه في الدار التي كان فيها فخر الدين بن لُقمان كاتب الإنشاء ، فلذلك قال الصاحبُ جمالُ الدين بن مَطْروح . ولما بلغ المسلمين عودةُ الفرنسيس في المرة الثانية ، وكان في المرة الأولى قد أسره الملك المعظم تُورَان شاه ، وبقي في أيدي المسلمين مدة ، ثم أطلق بعد تسليم دمياط إلى المسلمين ، وتوجه إلى بلاده ، وفي قلبه النار مما جرى عليه من ذَهاب أمواله وقتل رجاله وأسره ، فبقيت نفسه تحدثه بالعودة إلى مصر لأخذ ثأره ، فاهتم لذلك اهتماما عظيما في مدة سنين إلى سنة ستين وستمائة ، فقصد مصر ، فقيل له : إن قصدت مصر ربما يجري لك مثل النوبة الأولى ، والصوابُ أن تقصد تونس ، وكان صاحبها محمد بن يحيى الملقب بالمستنصر ، فإنك إن ظفرت به تمكنت من قصد مصر في البر والبحر ، فقصد تونس ، وكاد يستولي عليها ، ومعه جماعة من الملوك ، فأوقع الله تعالى في عسكره وباء عظيما ، فهلك فرنسيس في سنة إحدى وستين وستمائة ، ورجع مَنْ بقي من عسكره إلى بلادهم ، ووصلت البشرى بذلك إلى الملك الظاهر ، وكان قد قال ابنُ مطروح حين بلغه عودته في المرة الثانية :

قل للفرنسيس إذا جئته ... مقال حقٍّ من مقولٍ نصيح(2)

آجرك الله على ما جرى ... من قتل عُبّاد يسوع المسيح

أتيت مصرا تبتغي ملكها ... تزعم أن الزَّمر بالطبل ريح(3)

فساقك الحَيْنُ إلى أدهم ... ضاق به عن ناظريك الفسيح

---

(1) سماه المقريزي (1/333و363) «ريدافرنس» وقال «ويقال له الفرنسيس واسمه لويس بن لويس، وريدافرنس لقب بلغة الفرنج، معناه ملك أفرانس» أي ملك فرنسا

(2) في المقريزي «من قؤول فصيح» وهو المحفوظ

(3) كذا، وفي المقريزي «أن الزمر – يا طبل – ريح»

وكل أصحابك أودتهم　　بسوء أفعالك بطن الضريح[1]
خمسون ألفا لا يُرى منهم　　إلا قتيل أو أسير أو جريح[2]
وفقك الله لأمثالها　　لعل عيسى منكم يستريح[3]
إن كان باباكم بذا راضيا　　فرب غش قد أتى من نصيح[4]
وقل لهم إن أضمروا عودة　　لأخذ ثار أو لقصد صحيح[5]
دار ابن لقمان على حالها　　والقيد باق والطواشي صبيح

واشتهرت هذه الأبيات، وسارت بها الركبان، خصوصا البيت الأخير، ولهذا قال بعض المغاربة لما قدم الفرنسيس تونس شعرا :

يافرنسيس هذه أخت مصر　　فتهيّأ لما إليه تصير[6]
لك فيها دار ابن لقمان قبر　　وطواشيك منكر ونكير

وقد قال آخر في المعنى الأول أيضا :

قل للفرنسيس إن كلا　　له من المسلمين شاكر
لأنه محسن إليهم　　بقوده نحوها العساكر
ساق إلى مصر ما اقتنته　　أمة عيسى من الذخائر
وورد الجم بحر حرب　　مصدره بالمنون آخر
أركبهم أدهما جمّا　　ورابح السر فهو خاسر
ورام بابائهم أمورا　　فأخلفت ظنه المقادر
وأذهل القوم هول حرب　　تشخص من خوفه النواظر
لم تعم أبصارهم ولكن　　قد عميت منهم البصائر
ولم يفد وفق فيلسوف　　طلسمه كاهن وساحر

(١) في المقريزى « وكل أصحابك أودعتهم ، بحسن تدبيرك »
(٢) في المقريزى « سبعون ألفا »
(٣) فيه « ألهمك الله إلى مثلها »　(٤) فيه « إن يكن الباب بذا »
(٥) فيه « إن زمعوا » وه « أو لعمل صحيح »　(٦) فيه « فتأهب لما إليه تصير »

وإن يعد طالبا لثأر   من أرض دمياط فليبادر
فذلك البحر تعرفوه   والسيف ماض والجيش حاضر
أعاده الله عن قريب   لمثلها ! إنه لقادر
بحيث لم يبق للنصارى   من بعد كسر الصليب جابر
ويستريح المسيح منهم   من كل علج وكل كافر

(٦٨)

ولص الراهب

الحبيش الراهب ولص[1]

كان كاتبا أولا ، ثم ترهب وانقطع في جبل حلوان بالديار المصرية .

يقال : إنه ظفر بمال دفين في مغارة ، فواسى به الفقراء من كل ملة ، وقام عن المصادرين بحملة وافرة .

وكان أول ظهور أمره أنه وقعت نار بحارة الباطلية سنة ثلاث وستين فأحرقت ثلاثا وستين دارا جامعة ، ثم كثر الحريق بعد ذلك حتى أحرقت ربع فرج ، وكان وقفا على أشراف المدينة ، والوجه المطل على النيل من ربع العادل ، واتهم بذلك النصارى ، فعزم الملك الظاهر على استئصال النصارى واليهود ، وأمر بوضع الحلفاء والأحطاب في حطيرة كانت في القلعة وأن تضرم النار فيها وتلقى فيها اليهود والنصارى ، فجمعوا حتى لم يبق منهم إلا من هرب ، وكتفوا ليرموا فيها . فشفع فيهم الأمراء ، فأمر أن يشتروا أنفسهم ، فقرر عليهم في كل سنة خمسمائة ألف دينار ، وضمنهم الحبيش المذكور ، وحصر موضع الجباية منهم ، فكان كل من عجز عما قرر عليه وزن الحبيش عنه ، سواء كان يهوديا أو نصرانيا ، وكان يدخل الحبوس ومن كان عليه دين وزنه عنه ، وسافر إلى الصعيد وإلى الإسكندرية ووزن عن النصارى ما قرر عليهم ، وكل الناس قد عرفوه ، فكان

---

(١) لبولص الراهب ترجمة في شذرات الذهب ٣٢٢/٥ ، وقال « المعروف بالحبيس » بالسين المهملة — وإنه عثر على كنز الحاكم » وذكر وفاته في سنة ٦٦٦

بعضُ الناس يتحيل عليه ، فإذا رآه قد دخل المدينة أخذ معه اثنين صورة أنهما
من رُسُل القاضي أو المتولي ، وأخذا يضربانه ويجذبانه ، فيستغيث به : يا أبونا
، أبونا ، فيقول : ماباله ؟ فيقولان : عليه دين ، أو اشتكت عليه زوجته ، فيقول :
على كم ؟ فيقول : على ألفين ، أو أقل ، أو أكثر ، فيكتب له على شقفة أو غيرها
إلى بعض الصيارف بذلك المبلغ ، فيقبضه منه .

وقيل : إن مبلغ ما وصل إلى السلطان وما واسى به الناس في مدة سنتين
مائة ألف دينار مضبوطة بقلم الصيرف الذي كان يضع عنده المال ، وذلك خارج
عما كان يعطي من يده .

وكان لا يأكل من هذا المال ولا يشرب ، بل النصارى يتصدقون عليه
بقوته ، فلما كان سنة ست وستين وستمائة أحضره الملك الظاهر بيبرس ، وطلب
منه المال أن يحضره أو يعرفه من أين وَصَل إليه ، فجعل يغالطه ويدافعه ولا يفصح له
عن شيء ، فعذبه حتى مات ولم يقر بشيء ، وأخرج من قلعة الجبل ورمي ظاهرها
على باب القرافة ، وكانت قد وصلت إلى الظاهر فتاوى فقهاء إسكندرية بقتله ،
وقالوا ذلك بخوف الفتنة من ضعفاء النفوس من المسلمين ، انتهى .

(٦٩)

الملك الظاهر بيبرس

الملك الظاهر بيبرس بن عبد الله .

السلطان الأعظم ، ركن الدين ، أبو الفتح الصالحي[١]

قال عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم بن شدّاد : أخبرني الأميرُ بدرُ الدين
أن مولد الملك السلطان الظاهر بيبرس بأرض القفجاق ، سنة خمس وعشرين
وستمائة تقريبا ، وكانت العيرة[٢] قد أغارت على القفجاق فأسروا جماعة ، وكنت أنا
والظاهر فيمن أسر ، فبيع فيمن بيع ، وحُمل إلى سيواس ، فاجتمعتُ به في

(١) الملك الظاهر ترجمته في شذرات الذهب ٥/٣٥٠ وذكر أنه ولد في حدود
٦٢٠ وانظر السلوك للمقريزي في المواضع المذكورة في فهرس الجزء الأول وعلى
الأخص ٦٣٦ وانظر البداية لابن كثير ١٣/٢٧٤ (٢) العيارة : يراد بها قطاع الطريق

سيواس ، ثم افترقا ، واجتمعت به بحسب بجان ابن قليج ، ثم افترقا ، وحمل إلى
القاهرة ، فشراه الأمير علاء الدين أيدكين البندقدار[١]، وبقي عنده ، فلما قبض عليه
الملك الصالح نجم الدين أيوب أخذه الملك الظاهر في جملة ما استرجعه ، وقدّمه على
طائفة من الجمدارية ، فلما مات الصالح وملك بعده المعظم وقتل وتولّوا عز الدين أيبك
التركماني ، وقتل الفارس أقطاي الجمدار ، وركب الظاهر والبحرية وقصدوا القلعة
فلم ينالوا مقصودهم ، فخرجوا من القاهرة مجاهرين بالعداوة للتركماني ، مهاجرين
إلى الملك الناصر صاحب الشام ، وكان مع الظاهر بلبان الرشيدي[٢] وأوس[٣] الدمشقي
وسنقر الرومي ، وسنقر الأشقر ، وبيسري الشمسي ، وقلاوون الألفي ، وبلبان المستعرب[٤]
وغيرهم ، فأكرمهم الملك الناصر ، وأطلق للظاهر ثلاثين ألف درهم وثلاث أقطار
جمال وثلاث أقطار بغال وخيلا وملبوسا ، وفرق في البقية الأموال والخلع ،
وكتب إليه المعز أيبك يحذره منهم ، فلم يصغ إليه ، وعين للظاهر إقطاعا بحلب ،
فسأله العوض عن ذلك بزرعين وجينين ، فأجابه ، وتوجّه إليها ، ثم خاف الناصر
فتوجه بمن معه من خوشداشيته إلى الكرك ، فجهز صاحبها معه عسكرا إلى مصر
فخرج إليهم عسكر من مصر ، فكسروهم ، وعاد الظاهر وبيبك الخازندار إلى الكرك ،
وتواترت إليه كتب المصريين يحرّضونه على قصد مصر ، وجاء إليه جماعة من
عسكر الناصر ، وخرج عسكر مصر مع الأمير سيف الدين قطز وفارس الدين أقطاي
المستعرب ، فلما وصل المغيث صاحب الكرك والظاهر إلى غزة انعزل إليهما من
عسكر مصر أيبك الرومي وبلبان الكافوري وسنقر شاه العزيزي وبدر الدين بن
خان بغدي وأيبك الحموي وهارون القيمري ، واجتمعوا وقويت شوكة الظاهر ،

---

(١) كان علاء الدين أيدكين البندقدار مملوكا للملك الصالح نجم الدين أيوب ، واعتقل مدة بحماه ، وفي أثناء هذا الاعتقال اشترى ركن الدين بيبرس ، ثم أخذه منه الملك الصالح ، فرقي عنده ، وتنقلت به الأحوال حتى ملك مصر والشام

(٢) في ب ، ث «بلبان الرشدي» (٣) كذا ، وصوابه «أزدمر عز الدين»

(٤) كذا ، وصوابه «بلبان المسعودي»

وتوجهوا إلى عسكر الصالحية، والتقوا بعسكر مصر سنة ست وخمسين، واستظهروا عليهم، ثم انكسر الظاهر والمغيث وهربا، وأسر جماعة وقتلوا صبرا ممن ذكرته أولا.

ثم حصل بين الظاهر والمغيث وحشة، ففارقه، وعاد إلى الناصر على أن يقطعه إقطاعات مائة فارس، من جملتها نابلس وجينين وزرعين[1]، فأجابه إلى ذلك، ومعه جماعة حلف لهم الناصر: منهم سنقر الشمسي، وأوتامش السعدي، وطيبرس الوزيري، وأقوش الرومي الدوادار، وكشتغدي الشمسي، ولاجين الدرفيل، وأيدغمش الحلبي، وأيبك الشيخي، وخاص ترك الصغير، وبلبان المهراني، وسنقر الإسعردي، وسنجر الهمامي، وجماعة، فأكرمهم ووفى لهم، فلما قبض على أستاذه حرّض الملك الظاهر الملك الناصر على قصد مصر، فلم يُجبه، فسأله أن يقدمه على أربعة آلاف فارس، أو يقدم غيره ليتوجه إلى شط الفرات ليمنع التتار من العبور، فلم يمكنه من ذلك، ففارقه، وتوجه إلى الشهرزورية، وتزوج منهم، ثم حضر إلى المظفر فأرسل يستحلفه له، وعاد إلى القاهرة، فدخلها سنة ثمان وخمسين، فخرج المظفر إلى لقائه، وأنزله في دار الوزارة، وأقطعه قصبة قليوب خاصته، فلما خرج المظفر للقاء التتار جهّز الظاهر في عسكر يكشف أخبارهم، فأول ما وقعت عينه عليهم ناوشهم القتال.

ولما انقضت الوقعة بعين جالوت، تبعهم الظاهر يقص آثارهم إلى حمص، وعاد، فوافى المظفر بدمشق، ولما عاد المظفر إلى مصر اتفق الظاهر مع الرشيدي، وبهادر المعزي، وبكتوت الجوكندري، وبيدغان الركني، وبلبان الهاروني، وأنس الأصبهاني، على قتل المظفر، فقتلوه على الصورة التي ذكر في ترجمته إن شاء الله تعالى.

---

(١) وقع في الأصول هنا وفيما بعده «حينين» وصوابه ما أثبتناه موافقا لما في السلوك، و«جينين» بكسر الجيم بعدها ياء ساكنة ثم نون مكسورة — بلد بين نابلس وبيسان من أرض الأردن بها عيون ومياه، وزرعين لها ذكر في السلوك (١/٨١ و٨٤ و٤٦٤)

وساقوا إلى الدهليز ، فبايع الأمير فارس الدين أتابك للملك الظاهر ، وحلف له ، ثم الرشيدى ، ثم الأمراء ، وركب معه الأتابك ، وبيسرى ، وقلاوون ، وجماعة من خواصه

ودخل قلعة الجبل سابع عشر ذى القعدة سنة ثمان وخمسين ، وجلس فى أيوان القلعة(١) ، وكتب إلى الأشرف صاحب حمص ، وإلى منصور صاحب حماه ، وإلى مظفر الدين صاحب صهيون ، وإلى الإسماعيلية ، وإلى علاء الدين بن صاحب الموصل نائب حلب ، وإلى من بالشام ، تعرفهم ما جرى ، وأفرج عمن (٢) فى الحبوس من أصحاب الجرائم .

وأقر الصاحب زين الدين بن الزبير على الوزارة ، وكان قد تلقب بالملك القاهر ، فقال له الصاحب زين الدين : ما لقب أحد بالملك القاهر وأفلح ، لقب به القاهر بن المعتضد ، فلم تطل أيامه فخلع ، وسملوا عينيه(٣) ، ولقب به الملك القاهر ابن صاحب الموصل ، فسقم ، ولم تطل أيامه ، فأبطله ، ولقب بالظاهر ، وزاد إقطاعات من رأى استحقه من الأمراء ، وخلع عليهم ، وسير أقوش البرنلى لتوقيع الأمير علم الدين الحلبى ، فوجده قد تسلطن بدمشق ، فشرع الظاهر فى استفساد من عنده ، فخرجوا عليه ، وزعوه من السلطنة ، وتوجه إلى دمشق ، فأحضروه منها ، وتوجهوا به إلى مصر .

وصفا الملك بالشام للملك الظاهر ، وضبط الأمور ، وساس الملك أتم سياسة ، وفتح الفتوحات ، وباشر الحروب بنفسه .

وكان حازماً فى الأسفار وفى المهمات والحروب ، وحفظه الأعادى من

---

(١) فى ب « وجلس فى أبواب القلعة » تحريف

(٢) فى ب « وأفرج على من فى الحبوس »

(٣) سمل عينيه : فقأهما بحديدة محماة فسالت

التتار والفرنج ، وغيرهم ؛ لأنه روّعهم بالغارات والكبسات ، وخاض الفرات بنفسه ، فألقت إليه العساكر أنفسها خلفه ، ووقع على التتار ، فقتل منهم مقتلة عظيمة ، وأسر مائتي نفس ، وفي ذلك قال محيي الدين بن عبد الظاهر :

تجمّعَ جيش الشرك من كل فرقة ... وظنوا بأنا لا نُطيقُ لهم غلبْ

وجاءوا إلى شط الفرات وبادَرُوا ... بأن جياد الخيل تقطعها وَثْبا

وجاءت جنود الله في العدد التي ... تميس بها الأبطال يوم الوغى عجبا(1)

فعمنا سدٌّ من حديد سباحة ... إليهم ، فما استطاع العدوّ له نقْبا

وقال بدر الدين يوسف بن المهمندار :

لو عاينت عيناك يوم نزالنا ... والخيلُ تطفح في العجاج الأكدر(2)

وقد اطلخمّ الأمر واحتدم الوغى ... ووَهَى الجبان وساء ظن المجترى(3)

لرأيت سدا من حديد ماريا ... فوق الفرات وفوقه نار ترى

طفرت وقد منع الفوارس مدَّها ... تجرى ولولا خيلنا لم تطفر(4)

ورأيت سيل الخيل قد بلغ الزُّبى ... ومن الفوارس أبحرا في أبحر

لما سبحنا أسهما طاشت لنا ... منهم إلينا بالخيول الضُّمَّرِ

لم يفتحوا للسهم منهم أعينا ... حتى كحلن بكل لدنٍ أسمر

فتسابقوا هربا ولكن ردهم ... دون الهزيمة رمحُ كل غضنفر

ما كان أجرى خيلنا في إثرهم ... لو أنها برؤوسهم لم تعثر

كم قد قلعنا صخرة من صخرة ... ولقد ملأنا محجراً من محجر

وجرت دماؤهُمْ على وجه الثرى ... حتى جرت منها مجارى الأنهر

(1) تميس : تتبختر ، يريد أن أبطال الحروب يأخذون عجبا في يوم الوغى لعلمهم من العدد والتسديد (2) العجاج ـ بزنة السحاب ـ الغبار

(3) اطلخم : اشتد وصعب المخرج منه ، وهو من الألفاظ التي نصوا على بعدها عن الفصاحة (4) طفرت ـ بالطاء المهملة ـ وثبت ، وفي ب «وقد مد الفوارس» محرفة

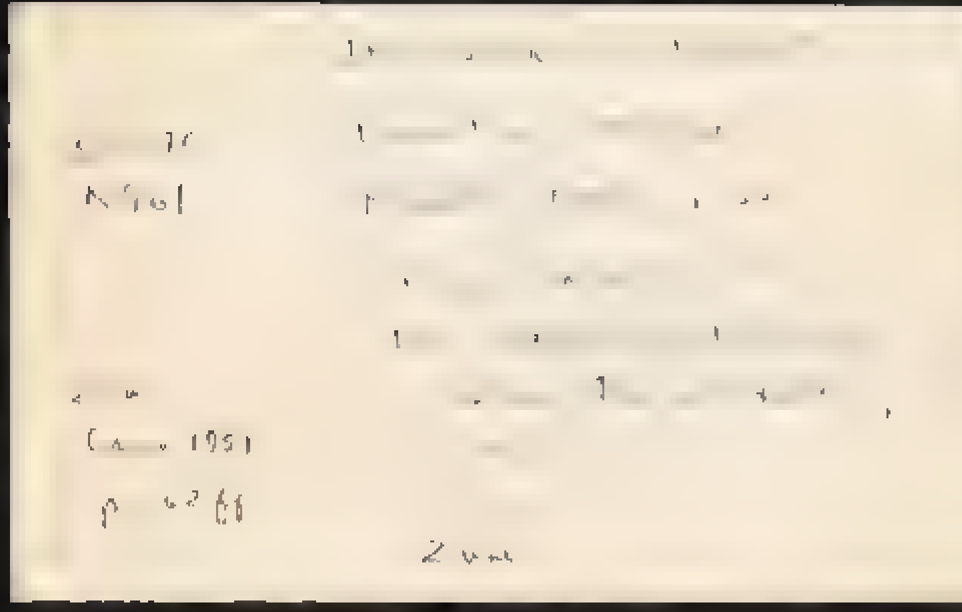

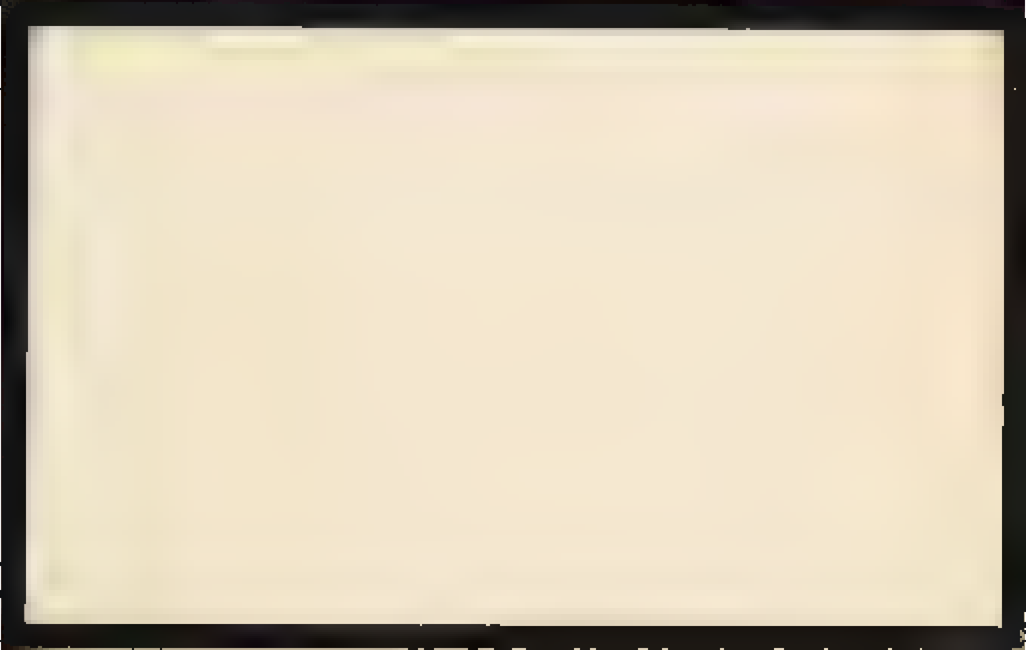

والظاهر السلطان في آثارهم   يذري الرؤوس بكل عضب أبتر[1]

ذهب الغبار مع النجيع بصقله   فكأنه في غمده لم يشهر

وقال ناصر الدين حسن بن النقيب :

ولما تراءت الفرات بخيلها   سكرناه منها بالقوى والقوائم[2]

فأوقفت التيار عن جريانه   إلى حيث عاد الماء غير ملائم

وقال الحكيم موفق الدين عبد الله بن عمر المعروف بالوران

الملك الظاهر سلطاننا   نفديه بالمال وبالأهل

اقتحم الماء ليطفي به   حرارة القلب من الغل

وقال الشيخ شهاب الدين محمود من قصيدة :

لما تراءت الرؤوسُ وحركت   من مطربات قسيك الأوتار

خضتَ الفرات بسابح أقصى مُنى   هُوج الصبا من نعله الآثار

حملتك أمواجُ الفرات ومَنْ رأى   بحراً سواك تُقِلّه الأنهار

وتقطعت فرقاً ولم يك طودها   إذ ذاك إلا جيشك الجرار

رشّتْ دماؤهم الصعيد فلم يطر   منهم على الجيش السعيد غُبَارُ

شكرت مساعيك المعاقلُ والورى   والترب والآساد والأطيار

هذي منحت ، وهؤلاء حميتهم   وسقيت تلك ، وعمّ ذي الإيثار

وعمر الحصون الباقية إلى اليوم بالساحل والأغوار ، وأمن الناس في أيامه فصعاد من وقعة إبلستين[3] أقام بالقصر الأبلق بدمشق ، فحمّ في نفسه توعكا ،

---

(١) يذري الرؤوس : يرمي بها ويطيح بها ، والعضب ـ بالفتح ـ السيف القاطع

(٢) سكر النهر يسكره سكراً ـ مثل نصر ينصر نصراً ـ أي سده ، وكل شق سد فقد سكر ، والسكر بالكسر ـ ما سد به   (٣) في ب ، ث «البلستين»

فشكا ذلك إلى الأمير شمس الدين سنقر السلحدار ، وكان قد شرب قمزا[1] ، فأشار عليه بالقيء ، فاستدعاه ، فاستعصى عليه ، فلما كان ثاني يوم — وهو يوم الجمعة ثاني عشري المحرم سنة ست وسبعين وستمائة — ركب من القصر إلى الميدان على عادته ، والألم يقوى عليه ، فلما أصبح اشتكى حرارة في باطنه ، فصنعوا له دواء ، فشربه ، فلم ينجع ، فلما حضر الأطباء أنكروا استعماله الدواء ، وأجمعوا على أن يسقوه مسهلا ، فسقوه ، فلم ينجع ، فحركوه بدواء آخر ، فأفرط الإسهال به ، ودفع دماً محتقناً ، فتضاعفت حُمّاه ، وضعفت قوته ، فتخيل خواصه أن كبده تتقطع ، وأن ذلك عن سم شربه ، فعولج بالجوهر ، وذلك يوم عاشره ، ثم أجهده المرض إلى أن توفي يوم الخميس ثامن عشري المحرم سنة ست وسبعين وستمائة ، فأخفوا موته ، وحمل إلى القلعة ليلا ، وغسلوه ، وحنطوه ، وكفنوه ، وصبروه

وتولى مهتاره[2] الشجاع عنبر ، والفقيه كمال الدين المعروف بابن المنبجي وعز الدين الأفرم ، وجعلوه في تابوت ، وعلقوه في بيت من بيوت البحرية بقلعة دمشق ، وكتب الأمير بدر الدين بيليك[3] الخزندار مطالعة بيده إلى ولده الملك السعيد .

وركب الأمراء يوم السبت ، ولم يظهروا الحزن ، وكان الظاهر قد أوصى أن يدفن على السابلة قريباً من داريا[4] ، وأن يبنى عليه هناك ، فرأى الملك السعيد أن يدفنه داخل السور ، فابتاع دار العقيقي بستين ألف درهم ، وأمر أن يبنى مدرسة للشافعية والحنفية ، ودار حديث ، وقبة للدفن ، ولما نجزت حضر الأمير علم الدين سنجر الحموي ، المعروف بأبي خرص ، والطواشي صفي الدين جوهر الهندي من مصر إلى دمشق لدفن الملك الظاهر ، وكان النائب

---

(١) القمز : نبيذ يصنع من لبن الخيل . وكان الظاهر مولعا به

(٢) المهتار : من يكون تحت يده ما يلبسه السلطان من الأقبية والكلوتة وسائر الثياب ، والسيف والخف وغير ذلك ، وتحت يده عدة غلمان (٣) في أبي الفداء بيليك .

(٤) داريا — بفتح الدال والراء وتشديد الياء — قرية كبيرة من قرى غوطة دمشق

عز الدين أيدمر ، فرثاه ما رسم به الملك السعيد ، فحمل تابوته ليلا ، ودفن خامس شهر رجب الفرد من السنة ، فقال محيي الدين بن عبد الظاهر :

صاحِ هذا ضريحُهُ بين جفنى ‌‌ قد دروه من كل فج عميق
كيف لا وَهْوَ من عقيق جفونى ‌‌ دمعه منهما بدا العقيق

وفي سنة سبع وسبعين أعملت أعزيته بالديار المصرية ، وصنعت الختم العظيمة ، وصنعت الأطعمة الفاخرة ، فاجتمع الخاص والعام ، وحضر القراء والوعاظ ، وخلع عليهم ، وأجيزوا بالجوائز السنية .

ذكر أولاده رحمه الله تعالى : الملك السعيد ناصر الدين بركة ، وأمه بنت حسام الدين بن بركة خان الخوارزمي ، والملك نجم الدين خضر ، وأمه أم ولد ، والملك بدر الدين سلامش ، وله من البنات سبع من بنت سيف الدين دماجي التتري

ذكر فتوحاته : قيسارية ، أرسوف[1] ، صفد[2] ، طبرية ، يافا ، الشقيف ، أنطاكية ، بغراس ، القصير[3] ، حصن الأكراد ، حصن عكار ، القرين[4] ، صافيثا[5] ، مرقية ، حلب :

وناصف الفرنج على المرقب ، وبانياس[6] ، وبلاد أنطرسوس[7] ، وعلى سائر ما بقى فى أيديهم من البلاد والحصون .

وولى فى نصيبه الولاة والعمال

---

(١) أرسوف ـ بفتح الهمزة وسكون الراء وضم السين المهملتين ـ مدينة على ساحل بحر الشام بين قيسارية ويافا ، وإليها ينسب أبو يحيى زكريا بن نافع الأرسوفي ووقع فى الأصول «أرشوف» بالشين المعجمة ـ تحريف ، وانظر ابن إياس ١/١١١

(٢) صفد : هو الصواب ، ووقع فى ب ، ث « صفط »

(٣) فى ب ، ث « القصر » تحريف ، والقصير هنا بلد قرب أنطاكية

(٤) القرين : فى أرض عطيا قرب صفد

(٥) فى ب ، ث « صافياه » وصافيثا ـ بكسر الفاء ـ بلد قرب عرقة شرق طرابلس الشام ‌‌ (٦) فى ب ، ث « بلياس » تحريف

(٧) فى ابن إياس « طرسوس » وفى ب « الطرسوس »

واستعاد من صاحب سيس : دربساك[1] ، ودركوش[2] ، وتلميش[3] ، وكفردبين ، ورعبان[4] ، والمرزبان .

وملك من المسلمين : دمشق ، وبعلبك ، وعجلون ، وبصرى ، وصرخد ، والصلت ، وحمص ، وتدمر ، والرحبة ، وزلبيا[5] ، وتل باشر ، وصهيون ، وبلاطنس[6] ، وبرزية ، وحصون الإسماعيلية[7] ، والشوبك ، والكرك ، وشيزر ، والبيرة .

وفتح الله تعالى عليه بلاد النوبة ودُنْقُلة وغيرها

ذكر عمائره : عمر قبة الحبس ، ودار الذهب ، وبرحبة الخارج قبة عظيمة محمولة على اثنى عشر عمودا من الرخام الملون ، وطبقتين مطلتين على رحبة الجامع ، وعمر برج الزاوية المجاور لباب السر ، وأخرج منه رواشن ، وبنى عليه قبة ، وأنشأ جواره طباقا للمماليك ، وأنشأ برحبة القلعة دارا كبيرة لولده الملك السعيد ، وأنشأ دورا كثيرة للأمراء ظاهر القاهرة مما يلى القلعة ، وإصطبلات ، وأنشأ حماما بسوق الخيل لولده ، والجسر الأعظم ، والقنطرة التى على الخليج والميدان

وجدد الجامع الأقمر ، والجامع الأزهر ، وبنى جامع العافية بالحسينية ، أنفق عليه ألف ألف درهم ، وزاوية للشيخ خضر ، وحماما ، وفرنا ، وطاحونًا ، وقبة على المقياس مزخرفة ، وعدة جوامع فى الأعمال المصرية ، وجدد قلعة الجزيرة ، وقلعة العمودين ، وقلعة السويس ، وعمّر جسرا بالقليوبية ، وجدد الجسر الأعظم على بركة الفيل ، وأنشأ القنطرة المعروفة بقنطرة السباع التى أخربها الملك الناصر محمد بن

---

(١) فى ب ، ت « دربساك » تحريف (٢) فى ب ، ت « دركيس » تحريف

(٣) فى ب ، ت « تليس » تحريف (٤) فى ب ، ت « رحبان » تحريف

(٥) لا يوجد هذا الاسم فى المقريزى (١/٦٣٨) الذى ذكر هذه العمارات كلها وأوردها على وجه الصحة كما ذكرناه فى الحواشى السابقة ، وانظر ابن إياس ١/١١١

(٦) فى ب ، ت « بلاطيش » تحريف

(٧) فى موضع « برزية وحصون الإسماعيلية » من المقريزى « وقلعة الكهف والقدموس وينقه والمنيعة والخوابى والرصافة ومصياف » وأكثرها فى ابن إياس

قلاوون بعده ، وقنطرة على بحر أبى المنجا بها سبعة أبواب ، وقنطرة بمنية السيرج ، وقنطرة عند القصر سبعة أبواب ، وستّ عشرة قنطرة يسلك منها إلى دمياط ، وقنطرة بخليج القاهرة للمرور عليها إلى الميدان ، وقنطرة عظيمة بخليج الإسكندرية ، وحفر خليج الإسكندرية ، وكان ارتدم ، وحفر بحر أشموم وقد عمى ، وحفر ترعة الصلاح وخور سخا ، وقد حفر البحارى وحفر بحر الفردوس والكافورى وترعة لشا وزاد فيها قصبة ، وحفر بحر الصمصام ، وحفر فى ترعة أبى الفضل أيضا قصبة ، وتمم عمارة حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعمل منبره ، وأحاط بالضريح درابزين ، وذهّب سقفه ، وبيضه ، وجدد البيمارستان بالمدينة ، ونقل إليه سائر المعاجين والأكحال والأشربة ، وبعث إليه طبيبا من الديار المصرية ، وجدد قبة الخليل عليه السلام ، ورمّ شعثه ، وأصلح أبوابه ومبصاته ، وبيضه ، وزاد فى راتبه الجارى عليه وعلى قوّامه ومؤذنيه ، ورتب له من مال البلد ما يجرى على الواردين عليه والمقيمين به ، وجدد بالقدس الشريف ما كان تداعى من قبة الصخرة ، وجدد قبة السلسلة وزخرفها ، وأنشأ خانا للسبيل ، وبنى به مسجدا وطاحونا وبستانا وفرنا ، وبنى على قبر موسى عليه الصلاة والسلام قبة ومسجدا ، وهو عند الكثيب الأحمر ، ووقف عليهما وقفا ، وجدد بالكرك برجين كانا صغيرين فهدمهما وكبرهما وعلاهما ، ووسع مشهد جعفر الطيار ، ووقف عليه وقفا زيادة على وقفه ، وعمر جسر دامية بالغور ، ووقف عليه وقفا برسم ما عساه ينهدم من عمارته ، وأنشأ جسورا كثيرة بالساحل والغور ، وعمر قلعة قاقون ، وبنى بها جامعا ، ووقف عليه وقفا ، وبنى حوض السبيل ، وجدد جامع الرملة ، وأصلح مصالحها ، وأصلح جامع زرعين وما عداه من جميع البلاد الساحلية ، وجدد بأسوار قلعة صفد ، وبنى بربضها جامعا حسنا ، وكانت الشقيف قلعتين متجاورتين فجمع بينهما ، وبنى بها جامعا وحماما ودار نيابة ، وجدد قلعة الصبيبة[1] بعد ما خربها التتار ، وكان التتار

(١) فى ابن إياس « قلعة الصبية » وما هنا موافق ما فى السلوك

جدد ما شُرّف به رؤوس قلعة دمشق ورؤوس أبراجها فجدد ذلك ، وبنى الطارمة[1] التي على سوق الخيل ، وبنى حماما خارج باب النصر ، وجدد ثلاث إصطبلات على الشرف الأعلى ، وبنى القصر الأبلق بالميدان ، ولم يكن مثله ، وجدد مشهد زين العابدين بجامع دمشق ، وجدد رؤوس الأعمدة والأساطين وذهّبها ، وجدد باب البريد وفرّشه بالبلاط ، ورمّ شعث مغارة الدم ، وجدد دور تلك الضيافة للرسل والمترددين مجاورة للحمام ، وجدد ما تهدم من قلعة صرخد وجوامعها ومساجدها ، وكذلك قلعتي بصرى وعجلون والصلت ، وجدد ما تهدم من قلعة صفد ، وجدد قبر نوح عليه الصلاة والسلام ، وجدد أسوار حصن الأكراد ، وعقّد قلعتها حمّاما ، وجامعين ، وبنى مدينة بجدق ، وبنى عليها أبرجة بطلاقات ، وجدد من حصن عكار ما كان تهدم ، وزاد الأبرجة ، وزاد مكان الخدمة ، وعمل بها الطرق ، وبنى من القصير إلى المدح بلى قارا إلى حمص عدة أبرجة فيها الحمام والخيراء ، وكذلك من دمشق إلى تدمر وأبرجه إلى الفرات ، وجدد سطح قلعة حمص والدور السلطانية بها ، وقلعة شميس أنشأها بجملتها ، وأصلح قلعة شيزر وفتح السبح وبكاس وقلعة بلاطنس ، وبنى قلاع الإسماعيلية الثمان ، وبنى ما تهدم من قلعة عين تاب والراوندان ، وبنى بأنطاكية جامعا مكان الكنيسة وكذلك ببغراس ، وأنشأ قلعة لبيرة ، وبنى بها الأبرجة ، ووسع خندقها ، وجدد جامعها ، وأنشأ بالميدان الأخضر شمالي حلب مصطبة كبيرة مرخمة ، وأنشأ الجسر القلعة ، وبنى في أيامه ما لم يُبْنَ في أيام غيره .

وكانت العساكر في الديار المصرية في أيام غيره عشرة آلاف فارس فضاعفها أربعة أضعاف ، وكانت ملوك قبله مقتصدين في النفقات والعُدد وعسكره بالضد من ذلك ، وكانت كُلَف لمطبخ الصالحي النجمي ألف رطل لحم بالمصري كل يوم

---

(١) الطارمة : بيت من الخشب تعمل سقفه على هيئة قبة ويعد لجلوس السلطان ، فارسية الأصل ، وتجد لها ذكرا في خطط المقريزي (٣٥/١ و ٤٤٤/٢)

وضاعفها عشر مرات، وسكّرات في الأيام الظاهرية كل يوم عشرة آلاف رطل، وتوابلها عشرة آلاف[1] درهم، ويصرف من خزانة الكسوة كل يوم عشرون ألف درهم، ويصرف في ثمن القرط لدوابه ودواب من يلوذ به كل سنة ثمانمائة ألف درهم، ويقوم بكلف الخيل والبغال والجمال والحمير كل يوم خمسة عشر ألف عليقة عنها ستمائة أردب، ويصرف للمخابز للجرايات خلا ما يصرف لأرباب المراتب لمصر خاصة كل شهر عشرون ألف إردب.

وكان رحمه الله تعالى قد منع الخمر والحشيش، وجعل الحد على ذلك السيف، فمسك ابن الكازروني وهو سكران، فصلبه، وفي حلقه جرة خمر، فقال الحكيم شمس الدين دانيال رحمه الله تعالى:

قد كان حدُّ السكر من قبل صلبه   خفيف الأذى إذ كان في شرعنا جلدا
فلما بدا المصلوبُ قلت لصاحبي: ألا تُبْ فإن الحد قد جاوز الحدا

وقال القاضي ناصر الدين بن المنير:

ليس لإبليس عندنا طمع   غيرُ بلاد الأمير مأواه
منعته الخمر والحشيش معا   أحرمته ماءه ومرعاه

وقال ناصر الدين بن النقيب القفصي:

منع الظاهر الحشيش مع الخمـ   ـر وولّى إبليس من مصر يشقى
قال: مالي والمقام بأرض   لم أمتع فيها بماء ومرعى

وقال الحكيم شمس الدين بن دانيال:

نهى السلطان عن شرب الحميّا   وصيّر حدّها حدّ اليماني[2]
فما حسرت ملوك الجن خوفا   لأجل الخمر تدخل في القناني

---

(١) في ب «عشرون ألف درهم»

(٢) الحميا — بزنة الثريا — الخمر

وقال آخر :

الجور يا إبليس إن لم تقم　　وتوسع الحيلة فى ردهـــ
لا نفقت سوق المعاصى ولا　　أفلحت يا إبليس من بعده

ولما أراد الظاهر أن يقرر القطيعة[1] على البساتين بدمشق واحتاط عليها وعلى الأملاك والقرى وهو نازل على الشقيف قال له القاضى شمس الدين بن عطاء الحنفى : هذا ما يحل ، ولا يجوز لأحد أن يتحدث فيه ، وقام مغضباً ، وتوقف الحال ، وصممت البساتين تلك السنة ، وجحدت ، وعدمت الثمار جملة كافية ، فقال فى ذلك مجد الدين بن سحنون خطيب النيرب رحمه الله تعالى :

واهاً لأعطاف الغصون وما الذى　　صنعته أيدى الجور فى أثوابهـ
صمت حمائمها الضحى وكأنها　　قد أسست أسفا على أربابها

وقال نور الدين بن مصعب :

لهفى على حلل الغصون بدت　　من بعد خضرة لونهـــا سوداً
وأظنها حزنت لفرقة أهلهـــ　　فلذاك قد لبست ثياب حداد

قال : فظن الناس أن السلطان يرحمهم بذلك ، فلما أراد التوجه إلى مصر أحضر الفقهاء ، وأخرج فتاوى الحنفية باستحقاقها ، بحكم أن دمشق فتحها عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه عنوة ، ثم قال : من كان معه كتاب عتيق أجريناه ، وإلا فنحن فتحنا هذه البلاد بسيوفنا ، ثم قرر عليهم ألف ألف درهم ، قال : فسألوه [أن] يقسطها ، فأبى ، وتمادى الحال ، فحملوا له أربعمائة ألف درهم بواسطة فخر الدين الأتابك وزير الصحبة ، ثم أسقط الباقى عنهم بتوقيع قرئ على المنبر ، رحمه الله تعالى !

---

(١) ورد لفظ القطيعة بما يفيد أنه ضرب من الجباية (الضريبة) غير العادية فى السلوك للمقريزى (١/١ ٥ و ٣٨٨)

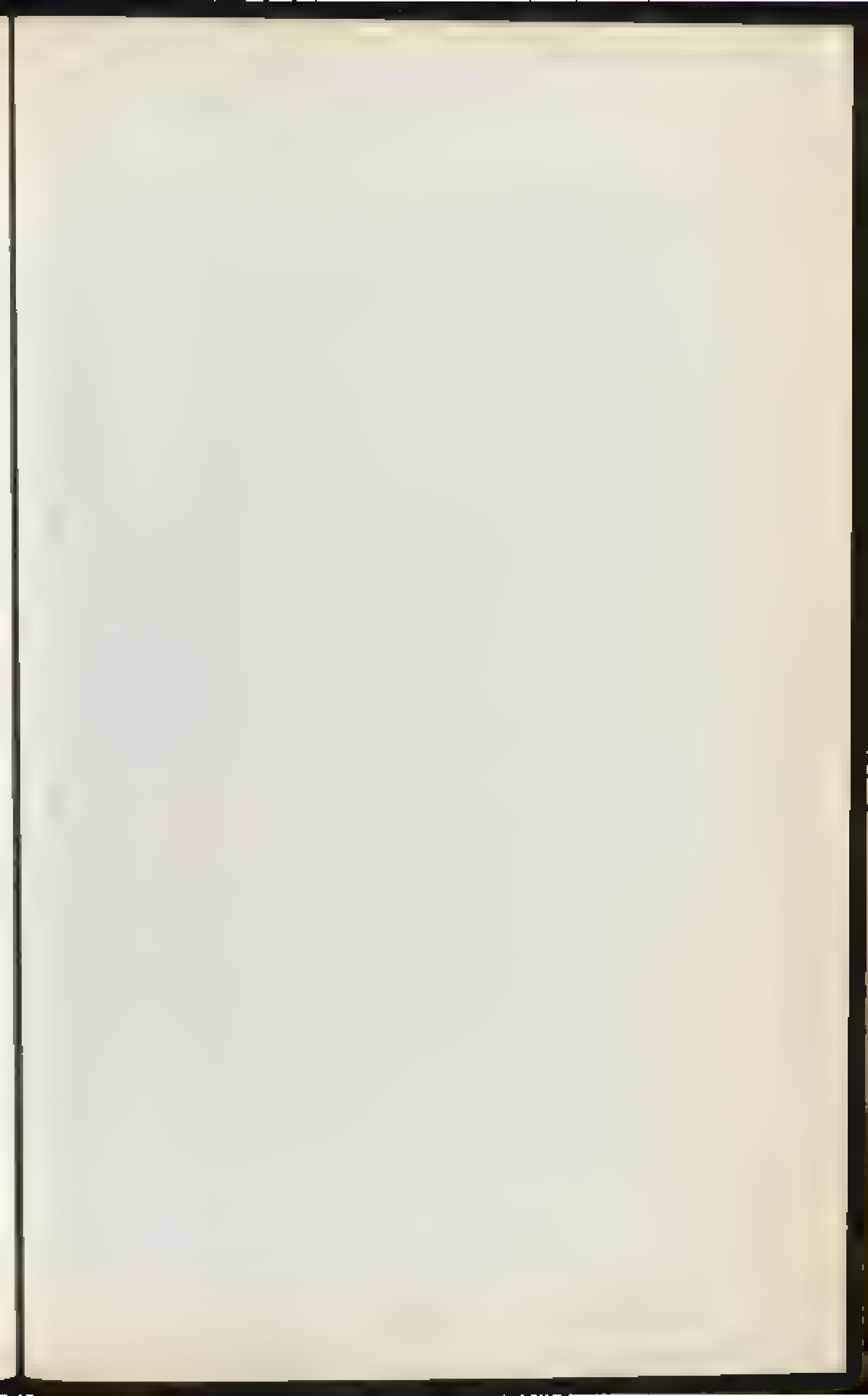

حرف التا.

(٧٠)

تنكز

تنكز[١]: الأمير الكبير، المعظم، المهيب، سيف الدين، نائب السلطنة بالشام جُلِبَ إلى مصر وهو حَدَث، فنشأ بها، وكان أبيض إلى السمرة، رشيق القد، مليح الشعر، خفيف اللحية، قليل الشيب، حسن الشكل، جَلَبه الخواجا علاء الدين السيواسى، فاشتراه الأمير حُسَام الدين لاجين، فلما قتل لاجين فى سلطنته صار من خاصكية السلطان الملك الناصر، وشهد معه وادى الخزندار[٢]، ثم وقعة شَقحب.

قال الشيخ صلاح الدين الصفدى فى تاريخه: أخبرنى القاضى شهاب الدين ابن القَيْسَرانى قال: قال لى: أمرنى الأمير سيف الدين دانيال من مماليك الأشرف أمّره الملك الناصر على عشرة قبل توجهه إلى الكرك، وكان قد سلم إقطاعه إلى الأمير صارم الدين صاروجا[٣] المظفرى، فكان على مصطبح الترك أغاه، ولما توجه السلطان إلى الكرك كان فى خدمته، وجهزه من دمشق رسولا إلى الأفرم، فاتهمه أن معه كتبا إلى أمراء الشام، فحصل له منه مهانة شديدة، وفتش، وعرض عليه العقوبة، فلما عاد إلى السلطان عرفه ما جرى له، وقال: إن عدت إلى الملك فأنت نائب دمشق، فلما عاد إلى المملكة جعل الملك سيف الدين أرغون الدوادار نائب مصر بعد إمساك الجوكندار الكبير، وقال لتنكز وسودى: احضرا كل يوم عند أرغون، وتعلما منه النيابة والأحكام، فبقيا كذلك سنة يلازمانه، ثم جهز سيف الدين سودى إلى حلب نائبا، وسيف الدين تنكز إلى دمشق نائبا، فحضر إليهما على البريد هو والحاج سيف الدين أرقطاى وحسام الدين

---

(١) فى كل الأصول «تنكز» بالزاى المهملة فى جميع الترجمة، وابن إياس ١/١٧١

(٢) «وادى الخزندار» واقع بين حماه وحمص، ووقع فى ب، ث «وادى الجرندار» تحريف

(٣) كذا، وهو فى شذرات الذهب ٦/١٣٨ صارم الدين صاروجا — بالجيم مكان الخاء — وذكر وفاته فى سنة ٧٤٣، وانظر ابن إياس ١/ ١٦٦

طرنطاى[1] الشمقدار ، فكان وصولهم إليها فى شهر ربيع الأول سنة اثنى عشرة وسبعمائة ، وتمكن فى النيابة ، وسار بالعساكر إلى مَلَطْية فافتتحها ، وعظم شأنه ، وهابه الأمراء بدمشق ونواب الشام ، وأمن الرعايا ، ولم يمكن أحدا من الأمراء ولا أرباب الجاه يقدر أن يظلم أحدا آدميا أو غيره ، خوفا من بطشه وشدة إيقاعه ، ولم يزل فى ارتفاع وعلو درجة تتضاعف إقطاعاته وإنعامه وعوائده من الخيل والقماش والطيور والجوارح حتى كتب له : أعز الله أنصار المقر[2] الكريم العالى الأميرى ، وفى الألقاب : الأتابكى الزاهدى العابدى ، وفى النعوت : معز الإسلام والمسلمين ، سيد الأمراء فى العالمين ، وهذا لم يكتب عن سلطان لنائب ولا غير نائب على اختلاف الوظائف .

وكان السلطان لا يعمل شيئا فى الغالب حتى يشاوره فيه[3] ، وقلما كتب إلى السلطان فى شىء فرده ، وكل قرره من إمرة ونيابة وإقطاع وقضاء أو غير ذلك ترد التواقيع السلطانية بمضاء ذلك .

وكان قد اعتمد شيئا ما سمع عن غيره ، وهو أنه كان له كاتب ليس له شغل ولا عمل إلا حساب ما يدخل فى خزانته من الأموال وما يستقر له ، فإذا حال الحول عمل أوراقا بما يجب صرفه من الزكاة ، فيأمر بصرفه إلى أصحاب الاستحقاقات ، وزادت أمواله وأملاكه .

وعمل الجامع المعروف به بحكر السماق بدمشق ، وأنشأ إلى جنبه تربة وحماما ، وعمّر تربة إلى جانب الخواصين لزوجته ، وعمل دارا للقرآن إلى جانب داره ، دار الذهب ، وأنشأ بالقدس رباطا ، وعمر القدس ، وساق إليه الماء وأدخله الحرم ، وعمل به حمامين وقيسارية مليحة إلى الغاية ، وعمر بصفد البيمارستان المعروف به ، وجدد القنوات

---

(١) فى ب ، ث «طرنطاى» (٢) فى ب «أعز الله أنصار المقر الكريم» محرفة

(٣) فى ب «حتى يصير يشاوره فيه» وكلمة «يصير» مقحمة وليست فى ث

بدمشق ، وكانت مياهها قد تغيرت ، وجدد عمائر المساجد والمدارس ، ووسع الطرقات بها ، واعتنى بأمرها ، وله فى سائر الشام أملاك وعمائر وآثار .

ولم يكن عنده دَهَاء ، ولا له باطن ، ولا يتحمل شيئا ، ولا يصبر على أذى ، ولم يكن عنده مداراة للأمراء ، ولا يرفع لهم رأسا[1] ، وكان الناس فى أيامه آمنين على أموالهم ووظائفهم ، وكان كل سنة يتوجه إلى الصيد بالعسكر ، وعدى فى بعض السفرات إلى نواحى الفرات ، وأقام فى تلك الفرجة أيام مصيد ، وكان الناس [يحملون[2]] قدامه إلى بلاد تورين والسلطانية ، ومن كان قصده غير الحق والعمل به ، ونصرة الشرع ، علا أنه كانت به سوداء يتخيل بها الأمر فاسداً ، ويبنى عليه ، فبات بذلك أمس ، ولا يقدر أحد من مهابته [أن][2] يوضح له الصواب ، ولا يقول الحق من معه ، وكان إذا غضب لا سبيل له إلى الرضا ولا العفو ، وإذا بطش بطش بطش الجبارين ، ويكون الذنب صغيرا فلا يزال يكبره ويزيده ويوسعه إلى أن يزيد فيه عن الحد

وكان الشيخ حسن بن دمرتاش قد أهمه أمره ، وخافه ، فقال : إنه تم عليه عند السلطان ، وقال : إنه قصد الحضور عندى والمخامرة عليك ، فتنكر السلطان ، وكان فى تلك[3] الأيام قد عزم السلطان على أن يجهز الأمير بشتاك ، ويلبغا اليحياوى[4] ، وعشرين أميرا من الخاصكية ليحضروا عرس أولاده ، ويجهز معهم ست السلطان ، فبعث يقول بالحوذ ، إنما القصد فى حضور هؤلاء الأمراء الكبار إلى دمشق ، والبلاد الشامية فى هذا العام ممحلة ، ويحتاج العسكر إلى كلفة كثيرة ، فأحضر بأولادى إلى الباب ، ويكون الدخول هناك ، فحضر إليه السلطان طاجار الدوادار ، وقال له : السلطان يسلم عليك ،

(١) فى ب « ولا يرفع بهم رأسا »

(٢) هذه الكلمة ساقطة من ب

(٣) فى ب « فى ذلك الأيام »

(٤) انظر ترجمته فى شذرات الذهب ٦/٢١٢

ويقول لك : إنه ما بقي يطلبك إلى مصر ، ولا يجهز إليك أميراً كبيراً حتى لا تتوهم ، فقال تنكز : أنا أتوجه بأولادي إليه ، فقال طاجار : لو وصلت إلى ملبس ردك ، وأنا أكفيك هذا المهم ، وأنا بعد ثمانية أيام أكون عندك بتقليد جديد وإنعام جديد ، فلثّثه[1] بهذا الكلام ، ولو كان توجه إلى السلطان لكان خيراً له ، ولكن ليقضي الله أمراً كان مفعولا

وكان أهل دمشق في تلك المدة قد أرجفوا بأنه قد عزم على التوجه إلى بلاد التتار ، فوقع هذا الكلام في سمع طاجار الدوادار ، وكان قد عامله تنكز في هذه المرة معاملة لا تليق به ، فتوجه من عنده مُغضَباً ، وكأنه حرّف الكلام ، والله أعلم ، فتغير السلطان تغيراً عظيما ، وقد جهز عشرة آلاف فارس من مصر ، وجهز بريدي[2] إلى الأمير طشتمر [المعروف] بحمص أخضر[3] نائب صفد ، وأمره بالتوجه إلى دمشق لمسك تنكز ، وكتب إلى الحاجب وإلى الأمير سيف الدين قطلوبغا الفخري ، وإلى الأمراء بالقبض عليه ، وقال : إن قدرتم على مسكه فهو المراد ، والعساكر تصل إليكم من مصر ، فوصل الأمير سيف الدين طشتمر المظفر إلى المزّة ، وجهز إلى الأمير سيف الدين الفخري ، وكان دوادار قد وصل بكرة النهار ، واجتمع بالأمراء ، واتفقوا ، وتوجه أيتمش الحاجب إلى القانون[4] ، ووعر الطريق ، ورمى الأخشاب فيه ، وأجفل الناس ، وقال للناس : إن غريم السلطان يمر عليكم الساعة ، فلا تمكنوه ، وركب الأمراء ، واجتمعوا إلى باب النصر .

هذا كله وهو في غفلة عما يُراد به ، منتظر ورود طاجار الدوادار ، وكان قد

---

(١) لثثه : جعله يتمهل وينتظر ، وقال الراجز :

* لبث قليلا يلحق الهيجا حمل *

وانظر هذه القصة في ابن إياس ١/١٧١ كذا (٢) كذا

(٣) كلمة «المعروف» ساقطة من ب ، ت وفيهما «حصر» بحاء مهملة ، وانظر ابن إياس ١/١٦٤ (٤) في ث «القانون» وفي ب «القانور» تحريف

خرج فى ذلك النهار إلى القصر الذى بناه فى القطائع ، فتوجه إليه الأمير سيف الدين قرشى[1] ، وعرفه بوصول طشتمر ، فبهت لذلك ، وسُقِط فى يده ، وقال : ما العمل ؟ قال : تدخل إلى دار السعادة ، فحضر ، ودخل إلى دار السعادة ، وغلقت أبواب المدينة ، وأراد الكبس والمحاربة

ثم علم أن الناس ينهبون ، ويعمل السيف فى البلد ، فآثر إخماد الفتنة ، ولم يجرد سلاحاً ، فحضر إلى الأمير سيف الدين طشتمر ، وقال له : فى أىّ شىء جئت ؟ قال : أنا جئتك رسولاً من عند أستاذك ، فإن خرجت إلىّ قلت لك ما قال لى ، وإن رُحْتَ إلى مطلع الشمس تبعتك ، ولا أرجع إلا إن مات أحدنا ، فخرج إليهم ، واستسلم ، فأخذ سيفه ، وقيد خلف مسجد القدم[2] ، وحمل إلى السلطان ، وعين معه الأمير ركن الدين بيبرس السلحدار ، ثالث عشر من ذى الحجة سنة أربعين وسبعمائة ، وتأسف أهلُ دمشق عليه ، وبا طول أسفهم ، فسبحان مزيل النعم ، الذى لا يزول ملكه ، ولا يتغير عزه ، ولا تطرأ عليه الحوادث ! واحتيط على حواصله ، وأودع مملوكاه وحنجاى[2] مملوكاه فى القلعة ، وبعد مدة يسيرة حضر الأمير سيف الدين بشتاك ، وطاجار الدوادار ، والحاج أرقطاى وتتمة عشرة أمراء ، ونزلوا القصر الأبلق ، وحال وصولهم حلفوا الأمراء ، وشرعوا فى عرض حواصله ، وأخرجوا ذخائره وودائعه ، وتوجه بشتاك إلى مصر ومعه من ماله ثلثمائة ألف وستة وثلاثون ألف دينار مصرية ، وألف ألف وخمسمائة ألف درهم ، وجواهر ، ومشغولات ، وأقطاع مثمنة ، ولؤلؤ غريب الحب وطرز زركش ، وكلوتات ، وحوائص ذهب ، وطاسات مرصعة ، وأطلس وغيره من القماش ما كان جملته ثمانمائة حمل ، وأقام بعده برسبغا ، وتوجه فى أثره بعد ما استخلص من الناس ومن بقايا أموال تنكز ، ومعه أربعون ألف دينار وألف

---

(١) كذا

(٢) فى نسخة « جنجاى » ولم أعثر على مايصحح اسمه

ألف وأثر بمائة ألف درهم ، وأخذ مماليكه وجواريه وحمله المثمنة إلى مصر ، وأما هو فإنه جهز إلى إسكندرية ، وحبس بها مدة دون الشهر ، ثم قضى الله تعالى فيه أمره .

فقال : إن المقدم ابن صابر(١) توجه إليه ، وكان ذلك آخر العهد به ، ثم مات ، وصلى عليه أهل الإسكندرية :

فكأنه برق تألق بالحمى ثم انطفى فكأنه لم يلمع

ثم ورد مرسوم السلطان بتقويم أملاكه ، فعمل ذلك بالعدول وأرباب الخبرة ، وحضرت محاضر إلى ديوان الإنشاء لتجهز إلى الأبواب السلطانية .

قال الشيخ صلاح الدين الصفدي . فقلت منها ما صورته : دار الذهب بمجموعها وإصطبلاتها ستمائة ألف درهم ، دار الزمرد مائتا ألف درهم ، دار بردكاش ومن معها مائتا ألف وعشرون ألف درهم ، الدار التي بجوار جامعه بدمشق مائة ألف درهم ، الحمام الذي بجوار الجامع مائة ألف درهم ، خان العرصة مائة ألف درهم ، وخمسون ألف درهم ، إصطبل حكر السماق عشرون ألف درهم ، الطبقة التي بجوار حمام ابن يمن أربعة آلاف وخمسمائة درهم ، قيسارية المرحلين مائتا ألف وخمسون ألف درهم ، العرز والحوش بالقنوات من غير أرض عشرة آلاف درهم ، حوانيت التعديل عشرة آلاف درهم ، الأهراء من إصطبل بهادر آص عشرة آلاف درهم ، خان البيض وحوانيته مائة ألف وعشرة آلاف درهم ، حوانيت باب الفرج خمسة وأربعون ألف درهم ، حمام القاقون(٢) عشرون ألف درهم ، حمام النصير المصرى ستة آلاف درهم ، الدهيشة والحمام مائة ألف وخمسون ألف

---

(١) سماه ابن إياس « الحاج إبراهيم بن صابر ، مقدم الدور » وذكر أنه خنقه بالسجن ١٧٢/١ بولاق (٢) انظر الحاشية ٤ فى ص ١٧٧

درهم ، بستان العدل مائة ألف وثمانون ألف درهم ، بستان التحيي والحمام والقرن مائة ألف وثلاثون ألف درهم ، و بستان الحلي بحرَسْتا ألف درهم ، الحدائق بحرستا مائة ألف وخمسة وأربعون ألف درهم ، بستان القوصي بحرستا ستون ألف درهم ، بستان المردود بزبدين خمسون ألف درهم ، الجنينة المعروفة بالحمام بزبدين سبعة آلاف درهم ، بستان الزرال خمسة وثلاثون ألف درهم ، الجنينة و بستان غيرها ثمانون ألف درهم ، مزرعة الوق والسبري مائة ألف درهم ، الحصة بالدعوف القدية بكفربطنا [ثمنها] ثلاثون ألف درهم، بستان السفلاطوني بالمحية خمسة وسبعون ألف درهم ، حقل البيطارية بها خمسة عشر ألف درهم ، العتيكيات والرشيدي والكروم برملكا مائة ألف وثمانون ألف درهم ، مزرعة المرقع بالقاقون مائة ألف وعشرة آلاف درهم ، الحصة من عراس غيطة الأعمام عشرون ألف درهم ، نصف الغيطة المعروف بربية خمسة آلاف درهم ، عراس قونم حور دار الحنق ألفا درهم ، النصف من عراس لهامة ثلاثون ألف درهم ، الحوانيت التي قبالة الجامع مائة ألف درهم ، الإصطبلات التي عند الجامع ثلاثون ألف درهم ، بيدرز ردن ثلاثة وأربعون ألف درهم ، أرض خارج باب الفرج ستة عشر ألف درهم ، القصر وما معه خمسمائة ألف درهم وخمسون ألف درهم ، ربع ضيعة القصرين مائة وعشرون ألف درهم ، نصف لبيطاربة مائة ألف وثمانون ألف درهم ، حصة من الويف مائة ألف وخمسة وثمانون ألف درهم ، نصف وانة مائة وثمانون ألف درهم ، السلاب بيبرون أساسها ثمانون ألف درهم ، حصة دير ابن عصرون خمسة وسبعون ألف درهم حصة دو ربالس ألف وخمسمائة درهم ، الدير الأبيض خمسون ألف درهم ، القسور اثنان وعشرون ألف درهم ، المزيل مائة ألف وثلاثون ألف درهم ، حوانيت داخل باب الفرج أربعون ألف درهم .

الأملاك التي بمدينة حمص : الحمام خمسة وعشرون ألف درهم ، الحوانيت

---

* أكثر أسماء الأماكن التي ذكرت هنا لم يتيسر لي تصحيحها فتركتها على ما هي عليه في [illegible]

سبعة آلاف درهم ، لربع ستون ألف درهم ، الطاحون الراكبة على العاصي ثلاثون ألف درهم ، ردوفحق خمسة وعشرون ألف درهم ، الخان مائة ألف درهم ، الحمام للاصقة الخان ستون ألف درهم ، الحوش الملاصق له ستون ألف درهم ، المباح ثلاثة آلاف درهم ، الأرض المحتكرة سبعة آلاف درهم .

الأملاك ببيروت الخان مائة وخمسة وثلاثون ألف درهم ، الحوانيت والفرن مائة وعشرون ألف درهم ، الصبنة[1] بآلاتها عشرة آلاف درهم ، الحمام عشرون ألف درهم ، المَسْلَخ عشرة آلاف درهم ، الطاحون خمسة آلاف درهم ، قرية يالا[2] خمسة وأربعون ألف درهم .

القرى بالبقاع : مرج الصفا سبعمائة ألف درهم ، التل الأحمر مائة ألف وعشرون ألف درهم ، المباركة خمسة وسبعون ألف درهم ، المسعودية مائة ألف وعشرون ألف درهم .

الضياع الثلاثة : المعروفة بالجوهرى أربعمائة درهم وسبعون ، السعادة أربعمائة ألف درهم ، أروطيا ستون ألف درهم ، نصف تبرود الصالحية والحواسث أربعمائة ألف درهم ، الناصرية مائة ألف درهم .

أملاك المعابر : دروس سبعة وخمسون ألف درهم ، حصة من حربة رووف ... وعشرون ألف درهم ، رأس الماء والدلى بمزارعها خمسة آلاف درهم وخمسمائة ، حمام صرخد خمسون ألف درهم ، طاحون العوار ثلاثون ألف درهم ، السالمية سبعة آلاف وخمسمائة درهم ، طاحون المدار عشرة آلاف درهم ، قيسارية أذرعات اثنا عشر ألف درهم ، قيسارية عجلون مائة ألف وعشرون ألف درهم

الأملاك بقدر الحمام خمسة وعشرون ألف درهم ، المرى ستمائة ألف درهم ، الصالحية والطاحون والأرض مائة ... وخمسة وعشرون ألف درهم ، راسليتا

---

(١) الصبنة : الموضع الذى يصنع فيه الصابون

(٢) فى نسخة « زلايا » وفى أخرى « لايا »

ومزارعها مائة وخمسة وعشرون ألف درهم ، القصبية أربعون ألف درهم ، القريتين المعروفة إحداهما بالمزرعة والأخرى بالقصبية سبعون ألف درهم

هذا جميعه خارجٌ عمّا له من الأملاك في وجوه البر بصفد وعجلون والقدس الشريف ونابلس والرملة وطاحونية والرحبة والديار المصرية

ولما كان في أوائل شهر رجب سنة أربع وأربعين وسبعمائة حضر تابوته من الإسكندرية إلى دمشق ، ودفن في تربته جوار جامعه المعروف بإنشائه ، رحمه الله تعالى ! فقال الشيخ صلاح الدين الصفدي :

في نقلِ تنكز سرّ ... أراده الله ربه[1]
أتى به نحو أرض ... يحبها وتحبه

٧١

توبة ابن الحمير

توبة بن الحمير ، الخفاجي[2]

أحد المتيمين ، صاحب ليلى الأخيلية ، ويأتي ذكرها في حرف اللام إن شاء الله تعالى .

كان يهوى ليلى ، فخطبها إلى أبيها ، فأبى أن يزوجه ، وزوجها في بني الأدلع[3] فكان يكثر زيارتها ، فشكوه إلى قومه ، فلم يُقلع ، فشكوه إلى السلطان فأهدر دمه إن أتاهم ، فعلمت بذلك ليلى ، ثم إن قومها كَمَنوا له في الموضع الذي تلقاه فيه ، فلما جاء خرجت إليه سافرة حتى جلست في طريقه ، فلما رآها سافرة فطِن لما أرادت ، فركض فرسه ونجا ، وقال قصيدته التي منها

وكنت إذا ما جئت ليلى تبرقعت ... فقد رابني منها الغداة سُفُورُها

---

(١) في ب ، ث « في نقل تنكزسر » وأثبتنا ما وقع في ابن إياس ١/١٧٢

(٢) له ترجمة في الشعر والشعراء لابن قتيبة (٢٦٩ أوربة) والأغاني (١٠ : ٦٧ بولاق) وكلمة « الخفاجي » وقعت في ب « الخفاجي » تحريف قبيح

(٣) في ب ، ث « الأولغ »

ثم إن توبة قتله سوعوف بن عقيل في حدود لتنابين من الهجرة ، رحمه الله تعالى ! فقالت ليلى ترثيه :

نظرتُ ودوني من عماية منكب — وبطن الركاء أيَّ نظرة ناظرِ[1]

وتوبة أخيي من فتاة خبيئة — وأجرأ من ليث بخفّان حادرِ[2]

ونعم الفتى الدنيا وإن كان فاجراً — ونعم الفتى إن كان ليس بفاجر

وله فيه مراثٍ أخر .

ثم إن ليلى أقبلت من سفر فمرت بقبر توبة وهي في هودج ، ومعها زوجها ، فقالت : والله لا أبرح حتى أسلّم على توبة ، فجعل الزوج يمنعها وهي تأبى إلا أن تلمّ به ، فتركها ، فصعدت أكمة عليها قبر توبة ، فقالت : السلام عليك يا توبة ، ثم حوّلت وجهها نحو القبر ، وقالت . ماعرفت له كذبة قط ، فقالوا : وكيف ذلك ؟ قالت : أليس هو القائل :

ولو أن ليلى الأخيلية سلّمت — عليّ ودوني جندل وصفائح

لسلمت تسليم البشاشة أوزقا — إليها صدًى من جانب القبر صائح

وأُغبَطُ من ليلى بما لا أناله — ألا كلُّ ماقرّتْ به العينُ صالح

فماله لم يسلّم علىّ كما قال ، وكان إلى جانب قبر توبة بومة كامنة ، فلما رأت الهودج واضطرابه فزعت وطارت في وجه الجمل ، فنفر ، ورمى ليلى على رأسها ، فماتت من وقتها ، ودفنت إلى جانبه .

قال الشيخ صلاح الدين الصفدي : ما كذب توبة قط ؛ لأنه قال : « أوزقا إليها صدى من جانب القبر » والصدى هو ذكر البوم ، وهذا من عجائب الاتفاق ، رحمهما الله تعالى !

(١) ورد في ب ، ث « نظرت ودوني من عمامة » وفيهما « وبطن الردى من أي نظرة ناظر » تحريف

(٢) خفان ـ بالخاء المعجمة ـ ووقع في ب ، ث « حفان » بحاء مهملة ، تحريف ، وخفان : مأسدة قرب الكوفة ، وحادر : ملازم العرين .

(٧٢)

توبة بن علي التكريتي الوزير

توبة[1] بن علي بن مهاجر بن شجاع بن توبة ، الصاحب ، تقي الدين ، توبة التكريتي المعروف بالبيع[2] .

ولد يوم عرفة بعرفة سنة عشرين وستمائة ، ونفق في التجارة والسفر ، وتعرّف بالسلطان حسام الدين لاجين لما كان أميرا ، وعامله ، وخدمه ، فلما صار سلطانا ولاه وزارة الشام مدة ، ثم عزله ، وصودر غير مرة ، ثم سلمه الله تعالى

وكان مع ظلمه وعسفه فيه مروءة ، وحسن إسلام ، وتقرب إلى أهل الخير ، وعدم خبث ، وهمة عالية ، وتمدح ، وحسن خلق ، ومراح ، واقتنى الخيل المسومة والدور الحسنة ، واقتنى المماليك الملاح ، وعمر لنفسه تربة حسنة تصلح للملك ، وبها دفن لما مات سنة ثمان وتسعين وستمائة ، وحضر جنازته ملك الأمراء والقضاة

يقال عنه : إنه كان عنده مملوك مليح اسمه أقطوان ، فخرج ليلة وأقطوان خدمه إلى وادي الربوة ، فمروا على مسطول وهو نائم ، فلما أحس بوقع حوافر الخيل فتح عينيه وقال يا الله توبة ؟ فقال له مالك يا قواد ، إيش تعمل بتوبة ؟ شيخ نحس مقيم الأسنان ، قل يا الله أقطوان .

ويقال إنه أتى إليه رجل من مادة تكريت ، وقال له : يا مولانا الصاحب أشتهي منك شفاعة إلى شيخ الخانقاه السميساطية حتى ينزلني فيها ، فدعا بفقيه وقال له : رح مع هذا إلى شيخ الخانقاه ، وسلم عليه من جهتي ، وقل له : تقبل شفاعتي في هذا وتنزله في الخانقاه ، فلما جاء شيخ الشيوخ وأدى الرسالة قال له : قل للصاحب هذا ما هو صوفي ، ولا ينزل غيره في خانقاه ، وهذه الخانقاه شرطها أنه لا ينزل فيها إلا صوفي مؤدب يعرف آداب القوم ، فجاء إليه الرجل باكيا ، وقال له . ياسيدي

---

(١) له ترجمة في شذرات الذهب ٥/٤٤١

(٢) في ب ، ت « المعروف بالتبع » وأثبتنا ما في الشذرات لقوله « ولما أخذ التتار بغداد حضر إلى الشام وتولى البيعة بدار الوكالة ـ إلخ »

م يسمع من رسالتك ، فغضب ، وأرسل خلف الشيخ ، وقال : يامولانا ، لأى معنى ماتنزل هذا ؟ قال : يامولاى ماهذا صوتى ، فقال الصاحب للرجل : ما تعرف تأكل رز معلفل ؟ قال : بلى والله ، قال : ماتعرف ترقص فى السماع ؟ قال : بلى ، قال : ما تعرف تلوط بالمليح ، قال : بلى والله ، قال : صوتى أنت طول عمرك .

ولشمس الدين بن منصور موقع عزة فيه ، وقد أعيد إلى الوزارة :

عتبت على الزمان وقلت مهلا	أقمت على الخنا ويئست توبه
تمادى فى التجاهل والتمادى	وعاد إلى التحقق وأتى بتوبه

ولعلاء الدين الوداعى الكندى فيه ، وقد سقط عن حصان :

فديناك لاتخش من وقعة	فإنّ وقوعك للأرض فخر
سقوط الغمام بفصل الربيع	فى البر رزق وفى البحر در

وله أيضا فيه رحمه الله تعالى :

إنى حلفت يميناً	لم آت فيها بحوبه
مذ أقعدتنى الليالى	لا قمت إلا بتوبه

(٧٣)

الملك المعظم توران شاه غياث الدين

توران شاه بن الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل محمد بن العادل الكبير ، الملك المعظم ، غياث الدين[١].

لما توفى الملك الصالح والده حلف فخر الدين بن الشيخ الأمراء ، وحلفوا له ، وكان بحصن كيفا ، وسيّروا إليه الفارس أقطاى ، فساق على البريد لايعترض عليه أحد من الملوك ، فكاد يهلك عطشاً ، حتى قدم دمشق ، ودخل بأبهة السلطنة فى أواخر رمضان ، ونزل القلعة ، وأنفق الأموال ، وأحبه الناس ، ثم سار إلى

(١) انظر تاريخ ابن إياس ١/٨٥،٨٦،٨٨،٨٩،٩٨ ، وانظر السلوك للمقريزى فى المواضع التى ذكرت فى الفهرس (المعظم غياث الدين توران شاه بن الصالح أيوب)

مصر بعد عيد الأضحى ، فاتفق كسرة الإفرنج — خذلهم الله تعالى ! — عند قدومه ، ففرح الناس ، وتيمّنوا[1] وجهه ، لكن بَدَتْ منه أمور نفرت الناس عنه .

منها . أنه كان فيه خفة وطيش .

وكان والده الصالح يقول : ولدى ما يصلح للملك ، وألحّ عليه يوماً الأمير حسام الدين بن أبى على ، وطلب إحضاره من حصن كَيْفَا ، فقال : أجيبه إليكم حتى تقتلوه ! فكان الأمر كما قال أبوه

قال سعد الدين بن حيمويه : لما قدم المعظم طالب بمن كل من كان حاصلا فى حياة أبيه ، ووجدوه مختلّ العقل ، سيء التدبير ، ورفع خبر فخر الدين شيخ الشيوخ بحواصله إلى جوهر الخادم ، ونسطر الأمر ، أن يعطيهم كما أعطى أمراء دمشق فلم يكن لذلك أثر ، وكان لا يزال يحرك كتفه الأيمن مع نصف وجهه ، وكثير ما يعبث بلحيته ، وكان إذا سكر ضرب الشمع بالسيف ، وقال : هكذا أفعل بمماليك أبى ، وتهدد الأمراء بالقتل ، فشوّش قلوب الجميع ، ومقتوه ، وصادف محله .

قال سبط ابن الجوزى : بلغنى أنه كان يقعد على السماط بدمشق ، فإذا سمع فقيهاً يقول مسألة يقول : لا نسلم ، ويصيح به[2] .

ومنها : أنه احتجب عن الناس ، وانهمك على اللذات ، والفساد مع الغلمان ، على ما قيل ، ويقال : إنه تعرض لحظايا أبيه .

ومنها : أنه قدّم الأراذل ، وأخر خوَاصّ أبيه ، وكان قد وعد الفارس أقطاى لما جاء إليه إلى حصن كَيْفَا أن يُؤمّره ، فما وفى له ، فغضب .

---

(١) فى ب « وتهنوا » تحريف

(٢) فى ب « ويصيح بها » وليس بشىء

وكانت شجرة الدر زوجة أبيه قد ذهبت من المنصورة إلى القاهرة ، فجاء هو إلى المنصورة ، وأرسل إليها يُهَدِّدها ويطالبها بالأموال ، فعملت[1] عليه ، فلما كان اليوم السابع من المحرم سنة ثمان وأربعين وستمائة ضربه بعضُ البحرية وهو على السماط ، فتلقى الضربة بيده ، فذهبت بعض أصابعه ، فقام ودخل البرج الخشب الذى هناك ، وصاح : مَنْ جَرَحنى ؟ قالوا : بعض الحشيشية ، قال : لاوالله إلا البحرية ، والله لأفنينهم ، وخاط المزين جُرْحه ، وهو يهددهم ، فقالوا : تمموه وإلا أبادنا ، فدخلوا عليه ، فهرب إلى أعلى البرج ، فرموا النار فى البرج ، ورَمَوْه بالنشاب ، فرمى نفسه ، وهرب إلى النيل ، وهو يقول : ماأريد ملكا ، دعونى أرجع إلى حصن كيفا ، يامسلمين مافيكم مَنْ يصطنعنى ؟ فما أجابه أحد ، فتعلق بذيل الفارس أقطاى ، فما أجاره ، ونزل فى البحر إلى حلقه ، فقتلوه ، وبقى ملقى على جانب النيل ثلاثة أيام ، حتى شفع فيه رسول الخليفة فواروه .

وكان الذى باشر قتله أربعة ، فلما قتل خطب على منابر الشام ومصر لأم خليل شجرة الدر .

ثم تسلطن الملك المعز أيبك التركمانى[2] .

وكان المعظم توران شاه قوىّ المشاركة فى العلوم ، حسن البحث ، ذكيا .

قال ابن واصل : لما دخل المعظم دمشق قام الشعراء ، فابتدأ العدل تاجُ الدين بن الدجاجية ، فقال :

كيف كان القدوم من حصن كيفا حين أرغمت للأعادى أنوفا

---

(١) فى ث « عملت عليه »

(٢) انظر المواضع التى ذكرت فى فهرس ابن إياس (عز الدين أيبك التركمانى)

فأجابه المعظم فى الوقت :

الطريق الطريق يا ألف نحس ... تارة آمنا وطـــورا مخوفا

وقال الصاحب جمال الدين بن مطروح يرثيه :

يا سعيد الليـــل من سَحَرِهْ ... دائمـــا يبكى على قمره[1]

حلّ ذا واندُبْ معى ملكا ... ولت الدنيـــا على أثره

كانت الدنيا تطيب لنا ... بين باديه ومُحْتَضَرِهْ

ـــلته الملك أسرتهُ ... واستَوَوْا عددا على سُرُرِهْ

حسدوه حين فاتهـــمُ ... فى الشباب الغضّ من عمره

وفيه يقول نور الدين بن سعيد :

ليت المعظم لم يَسِرْ من حصنه ... يوما ولا وافى إلى أملاكه

إن المناصر إذ رأته مكملا ... حسدته فاجتمعت على إهلاكه

واتفق يوم خروجه من دمشق[2] مطر عظيم ، فقال نور الدين بن سعيد :

إن المعظم خير أملاك الورى ... سُرَّتْ به الدنيا وتُغْدِرُ فيه[3]

ومما رأيت دمشق يوم قدومه ... ضحكت ، ويوم وداعه تبكيه

---

(١) تبع فى هذه الأبيات قول الشاعر أبى دلف العجلى

إنما الدنيا أبو دلف ... بين باديه ومحتضره

فإذا ولى أبو دلف ... ولت الدنيا على أثره

(٢) فى ب « واتفق يوم خروجه من مصر » خطأ ، ولا يتفق مع ما ذكر فى ثانى البيتين .

(٣) فى ب « وتسدر فيه »

حرف الثاء

(٧٤)

ثابت بن تاوان ، نجم الدين ، أبو البقاء ، التفليسي ، الصوفي

ثابت بن تاوان

من شعره :

اغتنم يومك هـذا إنما يومك ضيف
وانتهب فرصةَ عمرٍ حاضر، فالوقت سيف
لا تضيع هذه الأنفـــاس فالتضييع حَيفُ
عدّ عن سوف أو الـــساعة أو أين وكيف

حرف الجيم

(٧٥)

جرول بن أوس (الحطيئة)

جرول بن أوس بن مالك ، الحُطَيئة الشاعر (1)

لقب بالحُطَيئة لقربه من الأرض ، فإنه كان قصيرا

وهو من فحول الشعراء وفصحائهم ، وكان ذا شر ، وأسلم ثم ارتدّ ، وكان هَجّاء ، قال يهجو أمه :

تَنَحَّيْ فاجلسي عنى بعيدا ... أراح الله منك العالمينا

أغِرْبالاً إذا استودعتِ سرا ... وكانونا على المتحدثينا (2)

حياتُكِ ما علمتُ حياةُ سوء ... وموتك قد يَسُرُّ الصالحينا

والتمس يوما إنسانا يهجوه ، فلم يجد ، فضاق عليه ذلك ، فقال :

أبَتْ شفتاى اليوم إلا تكلما ... بشر ، فما أدرى لمن أنا قائله

وجعل يردد هذا البيت فى حَلْقه ولا يرى إنسانا ، فاطلع فى حَوْض ماء ، فرأى وجهه فيه ، فقال :

أرى لىَ وجها قَبَّحَ الله خلقه ... فقُبِّح من وجه وقُبِّح حامله

وقدم المدينة فى سنة مُجْدِبة ، فجمع أشرافها له من بينهم إلى أن تكمل له أربعمائة دينار ، وأعطوه إياها ، فلما كان يوم الجمعة استقبل الإمام ونادى : من يحملني على بغلين كفاه الله كبة جهنم

قال الأصمعى : كان الحطيئة سؤولا ، مُلْحِفا ، دنىء النفس ، كثير الشر ، قليل الخير ، بخيلا ، قبيح المنظر ، رَثّ الهيئة ، مغمور النسب ، فاسد الدين

وهجا الزبرقان بن بدر بالأبيات التى منها :

دع المكارم لا تَرْحَلْ لبغيتها ... واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسى

(1) له ترجمة فى الشعراء لابن قتيبة ١٨٠ أوربة وفى الأغانى ٢/٤٣ بولاق

(2) أراد تشبيهها بالغربال فى أنها لا تبقى شيئا حتى تذيعه ، وكانون هنا شهر من شهور الروم يأتى فيه الشتاء .

فاستعدى عليه الزبرقان إلى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، فرفعه عمر إليه واستنشده ، وقال لحسان : أتراه هجاه ؟ قال : نعم ، وسلح عليه ، فحبسه فى بئر ، وألقى عليه غطاء ، فقال :

ماذا تقول لأفراخ بذى مرخ — زغب الحواصل لا ماء ولا شجرُ
ألقيت كاسبهم فى قعر مظلمة — فاغفر عليك سلام الله يا عمر
أنت الإمام الذى من بعد صاحبه — ألقت إليك مقاليدَ النهى البَشَرُ
لم يُؤْثِروك بها إذ قدَّموك لها — لكن لأنفسهم كانت بك الأثَرُ

فأخرجه ، وقال : إياك وهجاء الناس ، قال : إذاً تموت عيالى جوعا ، هذا مكسبى ، ومنه معاشى ، قال : فإياك والمقذع ، قال : وما المقذع ؟ قال : أن تخاير بين الناس ، فتقول : فلان خير من فلان ، وآل فلان خير من آل فلان ، قال : فأنت والله أهجى منى ، فقال عمر رضى الله تعالى عنه : لولا أن يكون سُنّة لقطعت لسانه ، ولكن اذهب فأنت له يا زبرقان ، فألقى الزبرقان فى رقبته عمامته ، واقتاده بها ، فعارضته غطفان ، وقالت له : يا أبا شذرة[1] إخوتك وبنو عمك فهبه لنا ، فوهبه لهم .

وقيل : إن عمر رضى الله تعالى عنه لما أطلقه اشترى منه أعراضَ المسلمين ثلاثة آلاف درهم ، ليؤكد الحجة عليه .

ولما حضرت الحطيئةَ الوفاةُ اجتمع إليه قومه ، فقالوا : يا أبا مليكة ، أوص ، فقال : ويل للشعراء من رُواة السوء ، فقالوا له : أوص يرحمك الله ، فقال : من هو الذى يقول :

إذا أنبض الرامون عنها ترنمت — ترنم ثكلى أوجعتها الجنائزُ[2]

---

(١) فى ب ، ث « يا أبا سدرة » مهملتين ، وأثبتنا ما فى الأغانى

(٢) البيت للشماخ بن ضرار الغطفانى ، وهو فى وصف قوس ، وأنبض : أراد رمى . وترنمت : صوتت ، والثكلى : التى فقدت ولدها أو عزيزا عليها ، والجنائز : قال بفتح الجيم : هى الميت نفسه ، وبكسر الجيم : هى الخشبة التى يحمل عليها الميت إذا كان فيها الميت ، وإن لم يكن فيها الميت فسرير أو نعش

فقالوا : أوص ويحك بما ينفعك ، فقال : أبلغوا جماعة امرىء القيس أنه أشعر العرب حيث يقول :

فيالكَ من ليل كأن نجومه　　بكل مُغارِ الفتل شدت بيذبل

فقالوا : اتقِ الله ، ودع عنك هذا ، فقال : أبلغوا الأنصار أن شاعرهم هو أشعر العرب حيث يقول :

يُغشَوْنَ حتى ما تهر كلابهم　　لا يسألون عن السواد المقبلِ[1]

فقالوا : إن هذا لا يغنى عنك شيئا ، فقل غير ما أنت فيه ، فقال :

الشعر صعبٌ وطويل سُلّمه　　إذا ارتقى فيه الذى لا يعلمه

زلّتْ به إلى الحضيض قدمه　　يريد أن يعربه فيعجمهْ

فقالوا : هذا مثل ما كنت فيه ، فقال :

قدْ كُنْتُ أحيانا شديدَ المُعْتَمَدْ　　وكنتُ ذا غَرْبٍ على الخصمِ الألَدّْ

فوَرَدَتْ نفسى وما كادتْ تَرِدْ

فقالوا : يا أبا مليكة ، ألك حاجة ؟ قال : لا ، ولكنى أجزع على المدح الجيد ، يُمدَح به من ليس له أهلا ، فقالوا : مَن أشعر الناس ؟ فأومأ بيده إلى فيه ، وقال : هذا إذا طمع فى خير ، واستعبر باكيا ، فقالوا له : قل لا إله إلا الله ، فقال :

قالت وفيها حَيْدَةٌ وذُعْرُ　　عَوْذٌ بربى منكم وحجْرُ

فقالوا : ما تقول فى عبيدك وإمائك ؟ قال : هم عبيدى ، ما عاقب الليل النهار ، قالوا : فأوص للفقراء بشىء ، قال : أوصيهم بالإلحاح فى المسألة ، فإنها تجارة لا تبور ، واست المسئول أضيق ، فقالوا : فما تقول فى مالك ؟ قال : للأنثى مثل حظ الذكر ،

---

(١) البيت لحسان بن ثابت فى مدح أبناء جفنة

هو : ما هكذا قضى الله عز وجل ! قال : لكني هكذا قضيت ، قالوا : فما توصي لليتامى ؟ قال : كلوا أموالهم وانكحوا أمهاتهم ، قالوا : فهل تعهد غير هذا ؟ قال : نعم ، احملوني على أتان واتركوني راكبا حتى أموت ، فإن الكريم لا يموت على فراشه ، والأتان مركب لم يمت عليه كريم قط ، فحملوه على أتان ، وجعلوا يذهبون به ويجيئون حتى مات ، وهو يقول :

لا أحد ألأم من حُطَيِّهْ هجا بنيه وهجا المُرَيَّهْ[1]

من لؤمه مات على فُرَيِّهْ

الفُرَيَّة : الأتان .

وتوفي في حدود الثلاثين للهجرة .

(٧٦)

أبو الجمد

أبو الجمد المعروف بشعر الزنج .

كان وقاداً ببغداد ، وقصته طويلة ، وأمره عجيب[2] ، أفضت به الحال في تصرفاته إلى أن صار وقاداً في أتون حمام .

عشق غلاماً من أبناء بغداد ، ونال الشعر بجوده ، واشتد كلفه بالغلام ، وكان الغلام ظريفاً ، مغرماً بالتفاح ، لا يكاد يفارقه في أوانه ، فجاء يوماً شعر الزنج ، فقعد بإزاء الغلام ، وبيد الغلام تفاحة ، وهو يقلبها تارة ، ويشمها تارة ، ويدنيها من خده تارة ، ومن فيه تارة ، فقال شعر الزنج :

تفاحة أكرمها ربها يا ليتني لو كنت تفاحه
تقبل الحب ولا تستحي من مسكه بالكف تفاحه

---

(١) الحطية : تصغير حطيئة . والمرية : تصغير المرأة ، والفرية : تصغير فريئة ، وفي كل واحد من هذه الألفاظ الثلاثة تسهيل الهمزة بقلبها ياء وإدغامها في الياء .

(٢) في ب ، ث « أفضت به الحال »

تجرى على خديه جوالة   تمشى إلى شمك مرتاحه

فلما سمع الغلام ذلك رمى بها فى الطريق ، فأخذها شمر الزنج ، واشتد كلفه بالغلام ، واشتد إعراض الغلام عنه ، فعمد شمر الزنج إلى تفاحة حمراء عجيبة ، فكتب عليها بالذهب :

إنى لأعذركم فى طول صدكم   من راقب الله أبدى بعض ما كتما
لكن صدودكم يؤذى من علقت   به الصبابة حتى يرجع الكلما(1)

ورمى بالتفاحة إلى الغلام ، فقرأ ما فيها ، ثم قام ودخل بيته ، وأبطأ ، وعاد فرمى بها إلى شمر الزنج ، فأخذها وهو يظن أنه قد رقّ له ، وإذا هو قد كتب بالأسود تحت كل سطر :

صدَّ عنكم صدود المصمين لكم   فلا تردُّوا إلينا بعدها كلما
وما بنا الناس بوائق ربدكمُ   فاصبر فؤادك أو مت هكذا ألما

فاشتعلت نيران شمر الزنج ، وتضاعف وجده ، ثم ظنّ أن الغلام يستوضح حرفته بالوفادة فتركها ، وصار ناطوراً(2) يحفظ البساتين ، وقصد بستان التفاح الذى لا يوجد فى بغداد أكثر منه تفاحاً ، فأتى إلى صاحب له ومعه تفاح كثير ، وقال : أحب أن تهدى هذا التفاح إلى الغلام ، وتعمد المكتوب منه ، فنظر ، فإذا هو قد كتب على بعضه ببياض منذ كان فى شجره ، من جملتها مكتوب عليه هذه الأبيات فى تفاحة حمراء مكتوب عليها ببياض :

جُودُوا لمن تيّمه   حبكم فهاما(3)
وصار ضوء يومه   من حزنه ظلاما

---

(١) الصبابة : بفتح الصاد ـ شدة العشق
(٢) الناطور : حارس البستان ، وجمعه نواطير
(٣) تيمه : ذلله واستعبده ، وهام أصابه الهيام وهو شبه الجنون

وكتب على الأخرى :

مهجة نفس أبيك مرتاحه يشكو هواها بلفظ تفاحه[1]

فأهدى ذلك التفاح إليه ، فلما قرأ ما عليه قام ، وقد خجل ، وصار شمر الرخ يختار أكثر التفاح ، ويكتب عليه الشعر ، ويحتال بصنوف الحيل فى إيصاله إلى الغلام .

وقال الحاكى : كنت يوماً جالساً أنا والغلام إذ اجتاز بنا بائع فاكهة حمل معه تفاح ، فأجلسه الغلام ، وابتاع منه التفاح عما أراد دون مماكسة ، وسر الغلام برخص التفاح ، وجعل يقلبه ويعجب من حسنه ، وإذا هو تفاحة صفراء ، مكتوب عليها بالأحمر .

تفاحة تخبر عن مهجة أذابها المحزن وأضناها
يا بؤسها ماذا بها ويحها أبعدها الحب وأقصاها

ففطن حينئذ وخاطبني ، وقال : ما ترى يكتبون الناس على التفاح طلباً لمعاش ، فتغافلت عنه ، وكان شمر الرخ قد دفع التفاح إلى البائع ، وقال له : تلطف فى إيصاله إلى الغلام وبعه إياه عما أراد .

ثم إن شمر الرخ أهدى إلى يوماً تفاحاً كثيراً أحمر كالشقائق ، وأبيض كالفضة ، وأصفر كالذهب ، فمنه ما كتب عليه سواد فى حمرة ، وحمرة لا بياض ، وعلى أحدها شعر :

بت فى الأغصان معلوقة من قلب ذى شوق وأحزان
صفرنى سقم الذى لونه يخبر عن حالى وأشجانى[2]

وعلى أخرى بأحمر :

---

(١) صدر هذا البيت قلق ولا يستقيم وزنه

(٢) الأشجان : جمع شجن ، وهو الحزن

تفاحة صيغت كذا بدعة صفـــــراء في لون المحبينا
ربيبها أخو كمد مدنف بدمعه إذ ظـــــل محزونا
فامنن فقد جئت له شاكيا وُقيتَ من ســـــلواه آمينا

وعلى أخرى :

كتبتُ لما شَبّكتْ مهجتى بالدم كى ترحـــــم بلوائى
رفقت حدى فصقى اشتكى الســـــحر موقّعٌ لى بإعلانى

قال : فرحمته ، وأدركتنى رقة له ، وحفظت التفاح عندى ، وعملت دعوة ودعوت الغلام وإخوته ، واجتمعنا على مجلس أنس ، وأحضرت التفاح ، فلما أحضرته فرأوا منه شيئا لم يروا مثله ، ثم تعمدت وضع التفاح المكتوب بين يدى الغلام ، فسحب منه ، وقرأ ما عليه ، وقال لى خفية : ترى من كتب هذا الذى عليه ؟ فقلت له : الذى كتب على ذلك التفاح الذى أطعمته ذلك اليوم ، قال : ومن كتبه ؟ قلت : شمر الزنج ، قال : فخجل ، ثم استهزأ به ، فقلت : لا تستهزئ به فإنه من أجلك عمل ذلك حضر ، ثم أخذت فى رياضته على الحضور مع شمر الزنج لفكاهة(١) ، فوجدته شديد النفور منه والبغض فيه ، فتركته ومضيت إلى أبيه ، فقلت له : هل أنا عندك متهم فى ولدك ؟ فقال : حاش لله ولا فى أهلى ، فحكيت له خبر شمر الزنج مع ولده من أوله إلى آخره ، وقلت له : إن هذا الأمر إن تمادى ظهر حاله ، واشتهر ولدك ، وصار أحدوثة للخاص والعام ، وأنا أرى أن اجتماعه بى فى منزلى بحضور من أهله سواك مما يكف لسانه ويستر أمره ، فقال : افعل ما تراه مصلحة فأنت غير متهم ، قال : فعرفت شمر الزنج بما جرى له ، وقلت له : إذا كانت ليلة كذا وكذا فاحضر وادخل بلا استئذان كأنا لم نشعر بك ، واجلس إلى أن نومى إليك بالقيام ، ثم دعوت الغلام وإخوته فى الليلة المحدودة ، واجتمعـ

---

(١) فى ب ، ث « الفاكهة » وصوبنا ما أثبتناه

فى مجلس أنس، وشربنا فلم نشعر إلا وشعر الزنج داخل علينا، فلما رآه الغلام خجل، واستوحش، وهم بالخروج، فمنعه، وكان بحضرتنا تفاح كثير أحمر والفتى يكثر شمه واللعب به والتنقل منه فى أثناء شربه، فجعل شعر الزنج يتأمل الغلام، ثم قال:

يا قمرا فى سعد أرباحه	وست أحزانى وأتراحى[1]
ويا قضيبا مائلا مائلا	أكثر فى حبى له اللاحى[2]
أبصرته فى مجلس ساعة	والليل فى جملة أمداحى
فى فتية كلهمُ سيد	صالت عليهم سطوة الراح
يمصُّ تفاحا بتفاحة	ويشرب الراح على الراح

فخجل الغلام واحمر، فقال شعر الزنج عدة مقاطيع والغلام يزداد خجلا وتوريدا، فقلنا لشعر الزنج: يكفيك قد أخجلت الفتى، فأومأنا إليه بالقيام على الوقت الذى كان بيننا، فوثب وهو يبكى، وانصرف وقد انهار الليل، فلم نزل فى ذكره بقية ليلتنا إلى الصباح، رحمه الله تعالى وعفا عنه!

(٧٧)

جعفر بن محمد العلوى

جعفر بن محمد، العلوى، الأديب، المصرى.

من شعره فى مهندس مليح الصورة:

وذى هيئة يزهى بحسن وصنعة	أموت به فى كل يوم وأبعث
محيط بأشكال الملاحة وجهه	كأن به إقليدسا يتحدث
فعارضه خطٌّ استواء وخاله	به نقطة، والصدغ شكل مثلث

ومن شعره فى مليح مغن بيده طار:

غنّى بطار طار قلبى له	أنمل كالأنجم الخنّس

(١) الأتراح: جمع ترح — بفتح التاء والراء جميعا — وهو الحزن والكدر

(٢) اللاحى: اللائم العاذل

كأنه والعاز فى كمه بدر الدجى يلعب بالشمس

ومن شعره رحمه الله تعالى :

وافيت نحوكمُ لأرفع منشدا شعرى وأنصب حمص عيش أخضرا
حاشاكم أن تقطعوا صلة الذى أو تصرفوا من غير شىء جعفرا

توفى بعد الستمائة، رحمه الله تعالى !.

(٧٨)

قمر الدولة جعفر بن على

جعفر بن على بن دواس ، المعروف بقمر الدولة

من أهل مصر ، نشأ بطرابلس الشام ، وكان شاعرا رقيق الألفاظ ، عذب الإيراد ، لطيف المعانى ، وله فى الغناء وضرب العود وطريقة حسنة بديعة من شعره :

إن صار مولاى ذا يسار فإننى ذلك مقبلُ
كالشمس إن زيدت ارتفاعا يقصر فى ظلها وطل

وقال رحمه الله تعالى :

لما رأيت المشيب فى الشعر الأسود قد لاح صحت وا حربى
هذا وحق الإله أحسبه أول خيط مدى من الكفن

وقال أيضا :

أنا ممَّن إذا أتىَ صاحبُ البيتِ للكِرَى[1]
يتخافتُ جمعُهُم كلَّ وقتٍ من الكَرَى

وقال أيضا :

لا يظن العدوُّ أنْ اعتنانى كبرا عند ما عدمتُ شبابى
ضاع منى أمر ما كان منى فأنا ناظر له فى التراب

(١) الكرى ـ بكسر الكاف ـ أجرة البيت ، وأصله الكراء ، ومن حقه أن يكتب بالألف ، لكنه كتب بالياء لتكميل الجناس

وأرشقُ من هذا قولُ القائل :

وعهدى فى الصبا زمنا وقَدِّى	حكى ألِفَ ابن مُقْلة فى الكتاب
فقد أصبحت منحنيا كأنى	أفتش فى التراب على شبابى

ومن شعر قمر الدولة :

تعجبتْ دُرٌّ من شيبى فقلت لها	لا تعجبى فطلوع البدر فى السدف
وزادها عجبا أن رحت فى سمل	وما درت دُرٌّ أن الدر فى الصدف

وله أيضا :

قلت لمن يدعى ببيلة	عند التداني نحْ قصالك
فامتثل المرسوم من وقته	فقدت عند الصبح قم صالك

(٧٩)

جعفر بن محمد المتوكل على الله

جعفر بن محمد ، المتوكل على الله بن المعتصم بن الرشيد[1]

بويع له بالخلافة بعد موت أخيه الواثق ، وذلك فى ذى الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين ، وقتل سنة سبع وأربعين ومائتين .

وكان أسمر ، مليح العينين ، نحيف الجسم ، خفيف العارضين ، ولما استخلف أظهر السنة، وتكلم بها فى مجلسه ، وكتب إلى الآفاق رفع[2] المحنة ، وإظهار السنة وبسط أهلها ونصرهم .

وقال إبراهيم بن محمد التيمى قاضى البصرة . الخلفاء ثلاثة : أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه ، قاتلَ أهل الردة حتى استجابوا ، وعمر بن عبد العزيز ، ردَّ مظالم بنى أمية ، والمتوكل ، محَا البدَعَ وأظهر السنة .

وقال محمد بن عبد الملك بن أبى الشوارب : إنى جعلت دعائى فى المشاهد

(١) له ترجمة فى شذرات الذهب ٢ / ١١٤

(٢) المراد بالمحنة هنا القول بخلق القرآن ، وقد بدأت فى عهد المأمون العباسى عم المتوكل صاحب الترجمة ، وفيها أوذى قوم من كبار أئمة المسلمين وعلمائهم ، ومنهم إمام أهل السنة والحديث أحمد بن محمد بن حنبل

كلها المتوكل ، وذلك أن عمر بن العزيز جاء الله به لرد المظالم ، وجاء بالمتوكل لرد الدين .

وقال يزيد المهلبي : قال المتوكل يوما : يا مهلبي ، إن الخلفاء كانت تتصعب على الرعية لتطيعها ، وأنا ألينُ لهم ليحبوني ويطيعوني

يقال : إنه سُلِّم عليه بالخلافة ثمانية كل منهم ابن خليفة منصور بن المهدي ، والعباس بن الهادي ، وأبو أحمد بن الرشيد ، وعبد الله بن الأمين ، وموسى بن المأمون ، وأحمد بن المعتصم ، ومحمد بن الواثق ، وابنه المنتصر بن المتوكل .

وكان جوادا ممدّحا ، يقال : ما أعطى خليفةٌ ما أعطى المتوكل .

وبايع بولاية العهد لولده المنتصر ، ثم أراد عزله وتولية أخيه المعتز لمحبته لأمه وكان يتهدده ويشتمه ويحط مرتبته لأنه سأله النزول فأبى ، واتفق أن الأتراك انحرفوا عن المتوكل لأنه صادرَ وصيفا وبُغَا فاتفقوا مع المنتصر (١) على قتل أبيه ، فدخلوا عليه في مجلس لهوه فقتلوه .

ثم رُئي في النوم فقيل له : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لي بقليل من السنة أحييته

ورُئي أيضا كأنه بين يدي الله تعالى ، فقيل له : ما تصنع ها هنا ؟ قال : أنتظر محمدا ابني أخاصمه إلى الله الحكيم الكريم العظيم .

وقيل : كان له أربعة آلاف سُرِّيَّة وطئ الجميع .

ودخل دمشق ، وعزم على الإقامة بها لأنها أعجبته ، ونقلَ دواوين الملك إليها ، وأمر بالبناء بها ، فثبت عليه الأسعار ، وحال الثلج بين السابلة والميرة ، فأقام بها شهرين وأياما ثم رحل إلى سامُرّا (٢) ، وكان قد بُنيَ بأرض داريَّا قصر عظيم ، ووقعت محبته في قلبه بالموافقة .

---

(١) وقع في ب ، ب هنا « المستنصر » تحريف ، مع ذكرها « المنتصر » قبل ذلك بسطر واحد .

وكان المتوكل قد أمر فى سنة ست وثلاثين ومائتين بهدم قبر الحسين رضى الله تعالى عنه ، وهدم ما حوله من الدور ، وأن يعمل مزارع ويحرث ، ومنع الناس عن زيارته ، و بقى صحراء ، وكان معروفا بالنصب ، فتألم المسلمون لذلك ، وكتب أهل بغداد شتمه على الحيطان ، وهجاه الشعراء دعبل وغيره ، وفى ذلك يقول يعقوب ابن السكيت ، وقيل : هى للبسّامى :

تالله إن كانت أمية قد أتت   قتل ابن بنت نبيها مظلوما
فلقد أتاه بنو أبيه بمثله   هـذا لعمرك قبره مهدوما
أسفوا على أن لا يكونوا شاركوا   فى قتله فتتبعوه رميما

(٨٠)

جعفر بن حنزابه

جعفر بن حِنزابه[1] ، الوزير ، المحدث ، أبو الفضل ، البغدادى ، نزيل مصر . وزَرَ أبوه للمقتدر فى السنة التى قتل فيها ، وتقلد أبو الفضل وزارة كافور الإخشيدى بمصر ، قال الخطيب : كان يذكر أنه سمع من أبى القاسم البغوى ، وكان يُملى الحديث بمصر ، وبسببه خرج الدارقطنى إلى هناك ، وكان ابن حنزابة يريد أن يصنف مسندا ، فأقام عنده مدة ، وحصل بسببه له مال كثير ، وروى عنه الدارقطنى أحاديث .

ولد سنة ثمان وثلثمائة ، وتوفى سنة إحدى وسبعين وثلثمائة .

ومن شعره رحمه الله تعالى :

من أخمل النفس أحياها وروحها[2]   ولم يبت طاويا منها على ضجر
إن الرياح إذا اشتدت عواصفها   فليس تقصف إلا عالىَ الشجر

قال السبكى : كان ابن حنزابة من الثقات مع جلالته ورياسته .

(١) فى ب ، ث « بن حيزابة » بالخاء معجمة — تحريف ، وهو أبو الفضل جعفر بن الفضل بن جعفر بن محمد بن الفرات المعروف بابن حنزابة وقد ذكره أبو المحاسن فى النجوم الزاهرة ٣٠٣/٤ وذكر أن وفاته فى سنة ٣٩١ وله ترجمة فى ابن خلكان (رقم ١٣٠)

(٢) فى ث « وروحها » بالحاء المهملة ، ولها وجه

ولما مات كافور وَزر لأبى الفوارس أحمد بن الإخشيد ، فقبض على جماعة من أرباب الدولة ، وصادر يعقوب بن كِلِّس[1] ، فهرب إلى المغرب ، وَرَد على أبى عُبَيد[2] ، وكان قد أخذ منه أربعة آلاف دينار ، ثم إن ابن حنزابة لم يقدر على رضا الإخشيد ، فاختفى مرتين ، ونُهبت داره ، ثم قدم أمير الرملة الحسن بن عبد الله ابن طغج ، وغلب على الأمور ، فصادر الوزير ابن حنزابة وعذبه ، فنزح إلى الشام ، ثم إنه بعد ذلك رجع إلى مصر ، وممن روى عنه الحافظ عبد الغنى بن سعيد ، وكان الوزير فى أيامه ينفق على أهل الحرمين من الأشراف وغيرهم ، واشترى دارا إلى جانب المسجد من أقرب الدور إلى القبر الشريف ليس بينها وبينه إلا حائط ، وأوصى أن يدفن فيها ، وقرر عند الأشراف ذلك ، فأجابوه ، فلما مات حمل تابوته من مصر إلى الحرمين ، وخرج الأشراف من مكة ، وحملوه ، وسعَوا به وطافوا ووقفوا به بعرفة ، ثم ردوا به إلى المدينة ، ودفنوه فى الدار التى اشتراها ، وحضر جنازته القاضى الحسين بن على بن النعمان وقائد القواد وسائر الأكابر

وقال المسبحى : لما غسل جعل فى فيه ثلاث شعرات من شعر النبى صلى الله عليه وسلم كان ابتاعها بمال عظيم ، وكانت عنده فى درج مختوم الأطراف بمسك ، وأوصى أن تجعل فى فيه إذا مات ، ففعل ذلك .

وقال الشريف محمد بن أسعد الجوانى المعروف بالنحوى : كان الوزير يَهْوَى النظر إلى الحشرات من الأفاعى والحيات والعقارب وأم أربعة وأربعين وما يجرى هذا المجرى ، وكان فى داره التى تقابل دار السكاكى قاعة لطيفة مرخمة فيها تلك الحيات ، ولها قيِّم وفراش وحاوٍ يستخدمون برسم نقل تلك

(١) هو أبو الفرج يعقوب بن يوسف بن كلس ، ووفاته فى سنة ٣٨٠ وله ترجمة فى ابن خلكان (الترجمة رقم ٨٠٢ فى ٦/٢٦ تحقيقنا)

(٢) كذا ، وهو قد لقى القائد جوهر بن عبد الله قائد المعز الفاطمى ، وعاد معه إلى مصر ، ووزر للمعز الفاطمى

الحيات وحطها ، وكان كل حاو بمصر بصعيد ما يقدر عليه من الحيات ، ويتقدمون في ذوات العجب من أجناسها ، وفي الكبار ، وفي الغريب منها ، وكان يثيبهم على ذلك أجل الثواب ، ويبذل لهم الجزيل ، حتى يجتهدوا في تحصيلها ، وكان له وقت يجلس فيه على دكة مرتفعة ، ويدخل المستخدمون والحُوَاة فيخرجون مافي تلك السلل ، ويطرحونه على ذلك الرخام ، ويُحَرِّشون بين الهوام ، وهو يستصحب من ذلك ، ويستحسنه ، فلما كان ذات يوم أخذ خلف ابن المدبر الكاتب ، وكان من كتاب أيامه ودولته ، وهو عزيز عنده ، ويسكن جواره ، فأنفذ يقول له في رقعة : إنه لما كان البارحة وعرض علينا الحيات والحشرات ، على ما جرى به العادات ، انساب منها الحية البتراء وذات القرنين الكبرى والعقربان الكبير وأبو صوفة ، وما حصلوا منا إلا بعد عنت طويل وبعد مشقة وحملة بذلناها للحواة ، ونحن نأمر الشيخ وفقه الله تعالى بالتوقيع إلى حاشيته بصَوْن ما وجد منها إلى أن ينفذ الحواة ردها إلى سللها ، فلما وقف ابن المدبر عليها قلب الرقعة وكتب : أتاني أمر سيدنا الوزير ـ أدام الله تعالى نعمته ، وحرس مدته ! ـ عما أشار إليه من أمر الحشرات ، والذي أعتمد عليه في ذلك أن الطلاق يلزمه ثلاثاً إن بات هو أو أحد من أولاده في الدار ، والسلام .

(٨١)

جعفر بن محمد بن ورقاء ، الشيباني[١] .

جعفر بن محمد ابن ورقاء الشيباني

كان من بيت إمرة وتقدم وآداب ، ولد بسامرا سنة اثنتين وتسعين ومائتين ، وتوفي في شهر رمضان سنة اثنتين وخمسين وثلثمائة .

وكان المقتدر يجريه مجرى بني حمدان ، وتقلد عدة ولايات ، وكان شاعراً كاتباً ، جيد البديهة والروية ، وكان يأخذ القلم ويكتب ما أراد من نثر ونظم

(١) أنظر النجوم الزاهرة ٣/٢١٣ في حوادث سنة ٣١٣

كأنه عن حفظه ، وكان بينه وبين سيف الدولة مكاتبات بالشعر والنثر مشهورة

ومن شعره

ولمـــا عبثن بأوتارهن قبيل التبلج أيقظنني
خششن الهموم وأسمعنها نقر المثاني فهيجنني
عدن لإصلاح أوتارهنّ فأصلحتهن وأفسدنني

وله

حززتك لا أنى عدمتك ناسيا لحقى ، ولا أنى أردت التقاضيا
ولكن رأيت السيف من بعد سله إلى الهز محتاجا وإن كان ماضيا

وأنشد للمذكور

قالوا : تعزّ لقد أسرفت فى جزع فالموت كأس جميع الناس شاربه
فقلت : إن عزائى والفقيد معا مانا فقـــل أنا مشمول بمطالبه
قالوا : فبيك إحديها فقـــد رمدت من فيض دمع مليث القطر ساكبه
فقلت : مالىَ فيهـــا بعده أرب هل يحفظ المرء شيئا ليس من أربه
ما كنت أدخرها إلا لرؤيته والبكاء عليـــه إن فجعت به

(٨٢)

جعفر بن محمد ابن عبدالعزيز

جعفر بن محمد بن عبد العزيز بن أبى القاسم بن عمر بن سليمان بن إدريس ابن يحيى ، وأوصل الشيخ أثير الدين نسبه إلى الحسين بن علىّ رضى الله عنهما ، وأنشد له :

لا تَلُمْنا إذ رقصنا طربا نسيم هبّ من ذاك الجنا
طبق الأرض بنشرٍ عطرٍ فيـــه للعشاق سرٌّ وسنا[1]

---

(١) سنا : أصله سنأ — بالهمز — ومعناه الخبر ، أو المطلع منه خاصة ، ثم سهل الهمزة فصارت ألفا

يا أهيل الحى من كاظمة ... قد لقينا من هواكم عنتا
قلتم خُذ لثراها بالحمى ... وملأتم جيبكم بالرُّقتا
ليس أخشى الموت فى حبكم ... ليس قتلى فى هواكم عجبا
إنما أخشى على عرضكم ... أن يقول الناس قولا كذبا
استحلُّوا دمه فى حبهم ... فاجعلوا وصلى لقتلى سببا

توفى بعد الثمانين وستمائة تقريبا ، رحمه الله تعالى !

(٨٣)

حميران الموسوس

حميران الموسوس ، ابن على بن أصفر بن السُّرى بن عبد الرحمن ، الأسارى من ساكنى سامرا .

ومولده ببغداد ، وكان أبوه من أبناء جند خراسان ، وظهر لأبيه أنه يختلف إلى ممن شرّار به فطرده ، وحج تلك السنة ، وشكا ولده إلى موسى بن جعفر الكاظم ، فقال له موسى : إن كنت صادقا عليه فليس يموت حتى يفقد عقله ، وإن كنت قد تحققت ذلك منه فلا تساكنه فى منزلك ، ولا تطعمه شيئاً من مالك فى مدة حياتك ، وأخرجه عن ميراثك ، وسألِ الفقهاء عن حيلة تخرجه عن ميراثه ، فدلوه على الطريق فى ذلك ، وأشهد عليه أبا يوسف القاضى ؛ فلما مات أبوه أحضر الوصى للقاضى بينة عدولا تشهد على أبيه بما كان احتال على منعه ميراثه ، فلم ير أبو يوسف ذلك ، وعزم على أن يورثه ، فقال الوصى : أنا أدفع هذا عن الميراث بحجة واحدة ، فأبى أبو يوسف أن يسمع منه ، وحميران يقول : قد ثبت عندك أمرى فلا تدفعنى ، فاستمهل الوصى إلى غد ، وكتب فى رقعة خبره وما قاله موسى بن جعفر ، ورفعها لمن يدفعها إلى القاضى ، فلما قرأها دعا الوصى ، فاستحلفه على ذلك ، فحلف باليمين الغموس ، فقال : تعال غدا مع صاحبك

فصر إليه ، فحكم أبو يوسف للوصى ، فلما أمضى الحكم وسوس حيعران ، واختلط[1] ، وكان إذا ثاب إليه عقله قال الشعر الجيد

وعن عبد الله بن سليمان الكاتب عن أبيه ، قال : كنت ليلة أشرف[2] من سطح دارى على دار حيعران ، وهو فيها وحده ، وقد تحركت عليه السوداء ، وهو يدور فى الدار طول ليله ، ويقول :

طاف به طيف من الوسواس ... نفّر عنه لذة النعاس

فما يرى بأسًا بالأناس ... ولا يلذ عشرة الجلاس

• وهو غريب بين هذى الناس •

ولم يزل يرددها حتى أصبح ، ثم سقط كأنه مقلة دالية

وعنه قال : غاب عنا أياما ، وجاءنا عريانا ، والصبيان خلفه ، وهم يصيحون به : يا حيعران يا حرا فى الدار ، فلما بلغ إلىّ وقف عندى ، وتفرقوا عنه ، فقال يا أبا عبد الله :

رأيت الناس يدعونى ... بمجنون على حال

ولكن قولهم هذا ... لإفلاسى وإقلالى

ولو كنت أخا وفر ... رخىّ ناعم البال

رأونى حسنَ العقل ... أحل المنزل العالى

وماذاك على خبر ... ولكن هيبة المال

قال : فأدخلته منزلى ، فأكل ، وسقيته أقداحا ، ثم قلت له : تقدر على أن تغير تلك القافية ؟ قال : نعم ، ثم قال بديهة

---

(١) اختلط : أصيب بمس

(٢) أشرف : أنظر من عال

رأيت الناس يرموني أحياناً بوسواس
ومن يضبط يا صاح مقال الناس في الناس؟
فدع ما قاله الناس ونازع صفوة الكاس
فتى حر صحيح الود ذا بر وإيناس
وإن الخلق مغرور بأمثالي وأجناسي
ولو كنت أخا مالٍ أتوني بين جلاسي
يجيئوني يحيوني على العينين والرأس
ويدعوني عزيزاً غير ان الذل إفلاسي

ثم قام ليبول ، فقال بعضُ مَنْ حضر : أي معنى في عشرتنا لهذا المجنون العريان ؟ والله ما نأمنه وهو صاح ، فكيف وهو سكران ؟ فعطن حميران لقوله ، فخرج وهو يقول :

وندامى أكلوني إذ تغنيت قليلا
زعموا أني مجنو ن أرى العُرْىَ جميلا
كيف لا أعرى وما أبـ ـصر في الناس مثيلا
إن يكن قد ساءكم قر بي فخلوا لي السبيلا
وأتموا يومكم سرَّ كمُ الله طويلا

قال : فرضنا به ، واعتذرنا إليه ، وقلنا له : والله ما نلتذ إلا بقربك ، وأتيناه بثوب لبسه ، وأتممنا يومنا ذلك معه .

(٨٤)

شجاع الدين حلدك بن عبد الله المظفري

حلدك بن عبد الله[1] ، المظفري ، التقوى ، شجاع الدين ، والي دمياط .

---

(١) ترجم له في شذرات الذهب ٥/١٢٧ وله ذكر في السلوك ١/٢٠٢ و٢٢٤

قال شهاب الدين القوصي في معجمه : أنشدني شجاع الدين جلدك لنفسه :

حذارِ حذارِ من ساحر الطرف أغيدٍ ... فكم قتل العشاق عمداً ولا يَدِي[1]

ولا تردوا ماء بعذبة ... فليس بها ما ينقع الهائمَ الصَّدِي[2]

ولما رعينا ودي لو لم أزل ... أبلُّ ثراه لانمحى وتشوّدد

ونادى كليمُ الشوق مولاه ربه ... فلما تجلّى ذاك خرَّ تجلّدي

وخر فؤادي صعقاً لم أفق له ... فدام من سواك الجمال المحمدي

سألتكما يا أهل نجد وحاجر ... على حرمات الوجد مَنْ هو مُنْجِدِي

وكم ليلة أمسيت بالرشف ثغره ... وجدت على ذاك الشنيب المبرد[3]

ومات كما شاء اختياري على الهوى ... وبت وإياه بحرفٍ مُشَدَّدِ

وسمع جلدك كثيراً من الحديث النبوي على الحافظ السِّلَفي ، وروى عنه .
وكان مولاه تقي الدين عمر بن شاهنشاه ولي نيابة الإسكندرية ودمياط ، وشهد مصر ، وذكر أنه فتح بيده أربعاً وعشرين مدينة ، وكان شجاعاً ، جواداً ، محباً للعلماء ، مكرماً لهم ، يساعدهم بماله وجاهه ، وله غزوات مشهورة ، ومواقف مذكورة ، ومدح بالشعر ، وبنى بحماة مدرسة ، قال الفقيه أحمد القرطبي يمدحه بقصيدة منها

أحرقت يا ثغر الحبيب حشاي لما ذقتُ بردك

أظن غصن البان يعجبني وقد عاينت قدك

أوجنتَ آس عذارك الغض يحمي مسك وردك

---

(١) الأغيد : الناعم ، ولا يدي : أي لا يغرم الدية
(٢) الصدي : العطشان
(٣) الشنب والأشنب : الذي به الشنب ، وهو برد وعذوبة في الأسنان

يا قلبُ مَن لانت معاطفه عليا ما أشـــــــدّك
أظننتَ جـــــلد القوى أو أنّ لى عزمات جلدك

وتوفى فى شعبان سنة ثمان وعشرين وستمائة، رحمه الله تعالى وعفا عنه ا.

(٨٥)

جنكزخان طاغية التتار

جنكزخان(١) طاغية التتر وملكهم الأول الذى خرّب البلاد، ولم يكن للتتار قبله ذكر، إنما كانوا ببادية الصين، فملّكوه عليهم، وأطاعوه طاعة أصحاب نبى نبيهم، وكان مبدأ ملكه سنة تسع وتسعين وخمسمائة، واستولى على رى وسمرقند سنة ست عشرة، واستولى على مدن خراسان سنة ثمان عشرة، ولما رجع من حرب السلطان جلال الدين خوارزم شاه على نهر السند وصل إلى مدينة تنكت(٢) من بلاد الخطا، فمرض بها ومات فى رابع شهر رمضان سنة أربع وعشرين وستمائة، فكانت أيام مملكته خمساً وعشرين سنة، وكان اسمه قبل أن يلى الملك تمرجين، ومات على دينهم وكفرهم، وخلف من الأولاد ستة، وفوض الأمر إلى اركداى(٣) أحدهم بعد ما استشار الخمسة الذين، فلما هلك امتنع اركداى من الملك، وقال: فى إخوتى وأعمامى مَنْ هو أكبر منى، ثم لم يزالوا به بعد أربعين يوماً حتى تملك عليهم، ولقبوه القان الأعظم، ومدته خمسة فيما قيل، وبعث جنوده، وفتح الفتوحات، وطالت أيامه، وولى بعده مور كوه وهو القان الذى هولاكو بعض مقدّميه، وولى بعده أخوه قبلاى، وطالت أيام قبلاى، وبقى فى الأمر إلى سنة أربع وسبعمائة، ومات بمدينة خان بالق

(١) ترجم له فى شذرات الذهب ٥ : ١١٣ وذكر أنه هلك فى شعبان من سنة ٦٢٤، قال: وكان من دهاة العالم وأفراد الدهر وعقلاء الترك، وهو جد أبى العم ركه، وهولاكو. وقد تكرر ذكره فى السلوك (انظر المواضع المذكورة فى فهرس الجزء الأول) وورد ذكره فى النجوم الزاهرة (انظر المواضع التى وردت فى فهرس الجزء السادس) (٢) كذا، والمعروف أن جنكزخان دفن فى رحان من بلاد التركستان الصينى (٣) كذا، ولعله «أوكطاى» أحد أولاد جنكزخان

يقال : إنه لما كان السلطان خوارزم شاه يغزو هؤلاء التتار ويقتلهم ويسبى ذراريهم وأولادهم ويمنعهم من الخروج عن حدود بلادهم اجتمع[1] التتار وشكوا ما يلاقون من خوارزم شاه وما هم فيه من الضيق والبلاء ، فقال لهم جنكزخان إن ملكتمونى عليكم والتزمتم لى بالطاعة واتباع النسق الذى أضع لكم شرعه رددت خوارزم شاه عنكم ، فالتزموا له بذلك .

وكان مما وضعه لهم أنه قال : كل من أحبّ امرأة بنتاً كانت أو غيره، لم يمنع من التزوج بها ولو كان رجلا والمرأة بنت ملك ، وكان غرضه أن ينكحوا بشهوة شديدة ، ويتضاعف نسلهم ، ويكثر عددهم ، فما تقرر ذلك دخلوا على خوارزم شاه ، وعقدوا مهادنة عشرين سنة ، لم حامت العشرون سنة إلا وهم أمم لا يحصون .

وكان من جملة ما قرره أنه إذا حرّم القان[2] على أحد شيئاً فلا يحل له أن يأتيه إلى الممات ، وقرر لهم أن من رعف وهو يأكل قتل كائنا من كان ، وقرر لهم أن كل من لم يمض حكم النسق ولم يعمل به قتل أيضاً ، وأراد أن يذهب الكبار الذين فيهم ؛ لعلمه أنه يداخلهم الحسد له ويستصغرونه ، فتركهم يوما وهم على سماطه ورعف نفسه ، فلم يجسر أحـــد أن يمضى فيه حكمه لهابته وحشمته ، فتركوه ولم يطالبوه بما قرره ، وهابوه فى ذلك ، فتركهم أياما ، وجمعهم وقال : لأى شىء ما أمضيتم حكم النسق فىَّ وقد رعفت وأنا آكل بينكم ؟ فقالوا : لم نجسر على ذلك ، فقال : لم تمضوا بالنسق ، ولا أمضيتم أمره ، وقد وجب قتلكم ، فقتل أكابرهم واستراح منهم .

---

(١) فى ب « اجتمعوا التتار »
(٢) تقدم فى كلام المؤلف أن « القان » معناه الخليفة

والترك يزعمون أنه ولد الشمس ؛ لأن في صحاريهم أماكن فيها غاب ، وذلك الغاب لايقربه أحد من الذكران ، وأن أمة أعتقت فرجها وراحت إلى ذلك الغاب وغابت فيه مدة وأتتهم ، وقالت : هذا من الشمس ؛ لأن الشمس دخلت في فرجي في بعض الأيام وأنا أغتسل ، فحملت بهذا ، ويقال : إنه كان حدادا ، والله أعلم .

(٨٦)

أمين الدين جوبان بن مسعود الدنيسرى

جوبان بن مسعود بن سعد الله ، أمين الدين ، الدنيسرى ، القواس ، النورى كان من أذكياء العالم ، وكان له النظم الجيد ، وقال شمس الدين الجزرى : سمه رمضان ، وجوبان لم يكن يعرف الخط ولا النحو ، وكانت كتابته من جهة التزوير في غاية القوة بحيث إنه استعار من القاضي عماد الدين بن الشيرازى درجا بخط ابن البوّاب ونقل ما فيه إلى درج بورق التوز ، وألزق ورق التوز على خشب وأوقف عليه ابن الشيرازى ، فأعجبه ، وشهد له أن في بعض ذلك شيئا أقوى من خط ابن البواب ، واشتهر بذلك في دمشق ، وفي الناس قصدوه يتفرجون عليه وكان له ذهن حارق .

وتوفى في حدود الثمانين وستمائة ، رحمه الله تعالى ورضى عنه ! .

ومن شعره :

إذا افترّ ضحْكُ الليل عن مَبْسِم الفجر ... ولاح به ثغر من الأنجم الزهر[1]

وفاحت له من عاتق الروض سكبة ... رشفنا به برد الرضاب من الخمر[2]

وعهدى بوجه الأرض مبتسما لم ... تعرر فيهـا الدمع من مقل القطر

إذا أرجف المـاء النسيم لوقته ... كساه شعاع الشمس دِرْعًا من التبر

وبحر الرياض الخضر بالزهر مزبد ... كأنا به في فلكٍ مجلسنا يسرى

---

(١) افتر : ضحك وتبسم ، والمبسم : موضع الابتسام ، وهو الفم ، وقد جعل الليل يضحك وجعل الفجر مبسما على التجوز

(٢) الرضاب ـ بضم الراء ـ ماء الفم (الريق)

ومن شهب الكاسات بالنجم يهتدى   إذا تاه سارى العقل فى لجة السكر
تصوت الحبا فى القنانى وإنما   تصوت القنانى بالحبا ولا تدرى[1]
ولما حكى الراووق فى العين شكله   وقد علق العنقود فى ساعد الدهر
تذكر عهدا بالكروم ، فكله   عيون على أيام عهد الصبا تجرى
عجبت له والراح تبكى به ولم   تذب بحباب الكاس دمعة الشعر
إذا ما أتانى كأسها غير مترع   تحققت عين الشمس فى هالة البدر[2]
يناولنيها عطف الخصر أغيد   رقيق دلال لا غيد الخصر أحمر
ينادمنا نظما ونثرا ، ولفظه   ومبسمه يغنى عن النظم والنثر
فلم يسقنى كأس المدامة دون أن   سقانى بعينيه كئوسا من السحر
وقال وفرط السكر يثنى لسانه   إلى غير ما يرضى الشقيق وهو لا يدرى
ردوا من رضابى ما يغيض عن الطلا   إذا كان وجهى فيه يغنى عن الزهر[3]
ومن كان لا تحوى ذراعاه ميزرى   فدون الذى تحوى أنامله خصرى

وقال أيضا :

أصغى إلى قول الوشاة تملقى   مستفهما عنه بغير ملال
لتقطفى زهرات ورد حديثكم   من بين شوك ملامة العذال

وقال على طريقة الصوفية والتهكم بهم :

مت فى عشق مشوقا أنا   ففؤادى من فراق فى عنا[4]
غبت عن نفسى بنفسى   أنا من وجدى منى فى فنا
أيها السامع تدرى ما الذى   قلت والله فلا أدرى أنا

---

(١) الحبا : الخمر ، والقنانى : الزجاجات ، واحدها قنينة بزنة سكينة
(٢) أترع الكأس : ملأها
(٣) ردوا : أمر من ورد يرد ، وأصله أن يأتى الماء ليشرب أو يسقى دوابه
(٤) فى ب « فغرامى من فؤادى فى عنا » والعنا : العناء والجهد والمشقة

وقال أيضا

ألذ العشق ما قَتَلاَ ... وأشقى الناس من عذلا
إذا جار الحبيب على ... محبيه فقـــد عدَلاَ
أحاول أن يُقَال قضى ... وأحذر أن يقــال سلا
ويمكن أن أموت جوًى ... وأما أن أحول فــلا(١)
ولي قمر يغـــازلني ... على اللحظاتِ إن غفلا
فـــا لاحظتـــه إلا ... يُضَرِّجُ خــده خجلا
وإن طالبته بالعـــدل في حكم الهوى عدلا

وقال في البان(٢) :

تفتّح زهر البان إذ بانه ... واهتز عند الصبح عجبا وفاح
وقال من في الروض مثلي وقد ... تُعزى إلى غصني قدود الملاح
فحدق النرجس يهزو به ... وقال حقـــا قلتهُ أو مزاح
هل أنت يا مطول تحامقت يا ... مقصوف عدوا بالدعاوي القباح
فقال له البان : أما تستحي ... ما عنـده إلا عيون وقاح

وقال أيضا :

إذا كبرت مسنْ الفتى قلّ عقله ... وأمسى وأضحى ساخط متعتبا
وإن جاء يستقضي من الناس حاجة ... يرى أنه حق عليهم مرتبا
وإن طالبوه الناسُ يوما بحقهم ... لوى وجهه غيظا عليهم وقطّبا(٣)
يرى أن كل الناس قد خلقوا له ... عبيدا وفي كل القلوب محببا
فلا يرتضي إن لم يكن تحت أمره ... من الكون يجري ما أراد وما أبى

---

(١) الجوى – بفتح الجيم مقصوراً – الحزن (٢) البان : شجر سبط القوام ، لين ، ورقه كورق الصفصاف ، واحدته بانة ، وتشبه به قدود الملاح لطوله

(٣) طالبوه الناس – هو لغة ضعيفة اشتهرت بين النحاة باسم « لغة أكلوني البراغيث » والمشهور في العربية « طالبه الناس »

وقال أيضا :

لاح الهلال ابن يومه فذكرنى ‍ شرب المدامة تُجلى فى يد الساقى
كأن سقاة الكاس قد نقضت له ‍ بالميل والجر شفاف عن الباقى[(١)]

وقال فى شبابة :

وناطقة بأفواه ثمـــان ‍ تميل بعقل ذى اللب الحصيف
لـكل فم لسان مستعار ‍ يخالف بين تقطيع الحروف
يخاطبنا بلفظ لا يعيـــه ‍ سوى من كان ذا طبع لطيف
فصيّحة عاشق ونديم داع ‍ وهيئة موكـب ومُدامُ صُوفِ

وقال فى طاسة :

ومشوقة تـنقى الحب رُضابَها ‍ بلثم هَنِيٌّ الرشف غـير ممنع
إذا استودعت ردت بغير خيانة ‍ وإن ضربت أنت بغير توجع[(٢)]
مُبَذلة لم تحم عن لثم لاثم ‍ وصـاحبها فى غبطة بالتمتع
تجود عـا تحوى فتُحيى ببذلها ‍ وتقبل ما تعلى وتحفظ ما تعى
تقبلها الأفواه من كل جانب ‍ فما حص منها موضع دون موضع

وقال فى منكورس :

ظبى من الأتراك لا يتركنى ‍ أقطف بالمقلة ورد خـــده
نصف اسمه الأول منك لم يزد ‍ وعكس باقيـــه شبيه قدّه[(٣)]

وقال أيضا :

ازْحْ وحـــد سبئة ‍ واشرب وكُلْ وانطلْ ودافع
فأحق ماأكل الجـــا ‍ بى مالُ أرباب المطـامع

---

(١) صدر هذا البيت غير مستقيم الوزن مع عجزه والبيت قبله ، وهو مع ذلك كله غير ظاهر المعنى ‍ ‍ (٢) أنت : أراد صوتت

(٣) نصف اسمه الأول هو لفظ « منك » ونصفه الثانى « ورس » وعكسه « سرو » وهو شجر بهى المنظر

وقال فى حمام :

جئت أريد الحمام يوماً | عرى النقش والحصير
حتى إذا حزت نلت ريحا | كأنما تُنبَشُ القبور
والناس عند الصدور فيها | قد يبست منهم الصدور
يقرف هذا من حرزهذا | وقد علا منهم الهدير
أمشى خوف الوقوع رجلى | فيها كا يفعل الضرير
حمم لا يصاب فيها | وهج بل الكل زمهرير
قد عرفت بالحديث عنه | سحس أوصافها يسير
وكلما جاءها زبون | قالت : ألم يأتكم نذير

وقال أيضاً :

حموا الترك وامتهكوا حماها | ولن يبق التواصل بالصدود[1]
حموها بالصوارم والعوالى | وحاربوا باللواحظ والقدود

وقال أيضاً :

عــــذول لا يعل ولا يميل | ووجد لا يقل ولا يقيل
ومحبوب لذ له عـــذابى | وإن لم أرضه فأنا الملُولُ
جسمى مثل موثقه ضعيف | وليلى مثل موعده طويل[2]
يميل على كُلِّ الميل ظلماً | ونفس النفس ودى لا يميل
أراق دمى بناظره وألوى | ألا يرضى وقد رضى القتيل

---

(١) فى ب « ولن يبقى التواصل بالصدود » ولكل وجه

(٢) الموثق — ومثله الميثاق — العهد

وقال مواليا رحمه الله :

تيب وتبطى أقول الساعى وأقوم[1]
أجرد عليها وسيها مما ميشوم
نحى ومعها الشوا والنقل والمشموم[2]
أسكت ومن هون قال الناس ذا مطعوم

وقال مواليا عفى عنه :

أفارقه وأقول إنى قد اسليت ورحت قلبى وزال الهم وانحييت
واذكر مساويه فى حقى إذا وليت
وإذا رجع جاسبت الكل وانحليت

وقال دوبيت

يمشى مرحا بتيهه والعجب كالريم إذا خاف لحاق السرب
ما يسرع فى المشية إلا حذرا أن تزعم عينى شخصه فى قلبى

وقال دوبيت :

جاءت سحراً تشق فجر الناس كالطيف توارت فى ظلال الحلس
ما أطيب ما سمعت من منطقها لا تسل عما لقيته من حرسى

وقال دوبيت

زارت سحراً تراقب السمارا رعباً وترعى بالبيوت الفارا
بالمهجة أفدى خاطراً غرّ لما حتى ركبت من أجلى الأخطارا

---

(١) الساعى : أى الساعة

(٢) الشوا ـ بكسر الشين ـ الشواء ، ويراد به اللحم المشوى ، والنقل ـ بفتح النون وسكون القاف ـ ما ينتقل من الشراب إليه ومنه إلى الشراب من فاكهة ونحوها

وقال دو بيت :

لا أستمع الحديث من غيركم   من لذة فكرى واشتغالى بكم
أروى نظـــرى كأنى أبصره   من قائله وخاطرى عنـــدكم

وقال دو بيت :

فى صحته من مهج العشاق   ما قام دليـــله على الإحراق
والسالف قد دبَّ على حمرتها   والورد يرى من خلل الأوراق[1]

---

(١) السالف والسالفة : صفحة العنق ، وقيل : ناحية مقدمها من عند معلق القرط إلى الترقوة . وهما سالفتان .

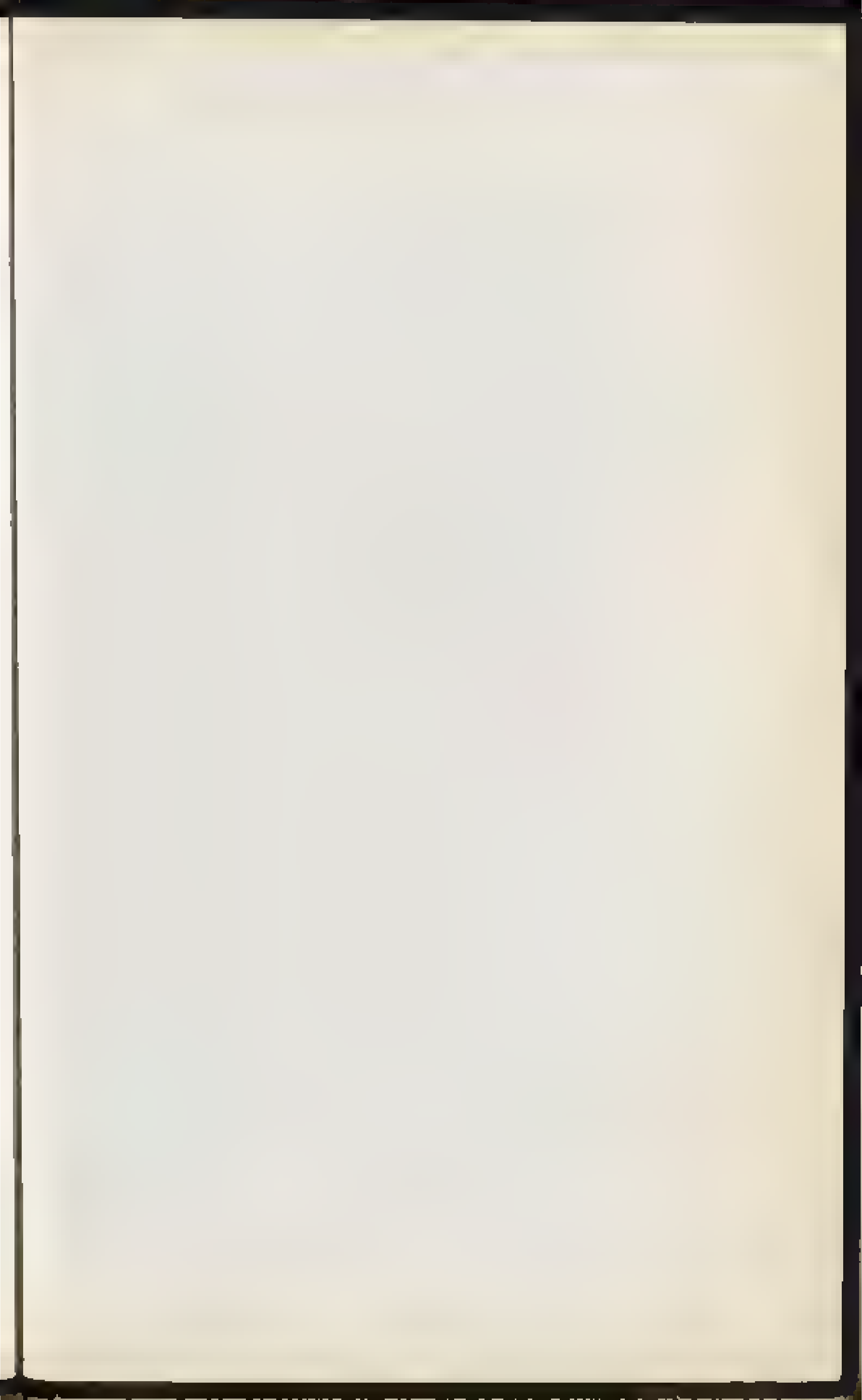

حرف الحاء

(٨٧)

حسان بن نمير ، الدمشق (عرقلة)

عرقلة الدمشقي[1] حسان بن نمير ، أبو الندى ، الكلبي ، الدمشقي ، النديم الخليع ، المطبوع .

كان من أهل دمشق ، وكان السلطان صلاح الدين قد وعده لما كان بدمشق في أول أمره ، وهو أمير من أمراء نور الدين ، أنه إن ملك مصر أعطاه ألف دينار ، فلما ملك مصر بعث إليه عرقلة يقول :

قل للصلاح مُعيني عند إعساري ... يا ألف مولاي أين الألف دينار[2]

أخشى من الأسر إن وافيت أرضكم ... وما تفي جنة الفردوس بالنار[3]

فجُدْ بها عاصـديات مُوَفَّرة ... من بعض ماخلَّف الطاغي أخو العار

حُمْراً كأسيافكم غُرّاً كخيلكم ... عتقا ثقالا كأعدائي وأشعاري

فسير له ألفا ، واحد من إخوته مثلها ، فجاءه الموت فجأة ، ولم يتمتع بمنحة الغنى ، وكانت وفاته في سنة سبع وستين وخمسمائة ، وقد قارب الثمانين وكان أعور ، رحمه الله تعالى !.

ومن شعره :

أما دمشق فجنّاتٌ مزخرفة ... للطالبين بها الولدان والحُورُ

ما صاح فيها على أوتاره قمرٌ ... إلا وغناه قمريّ وشحرور

يا حبذا ودروع الماء تنسجها ... أناملُ الريحِ إلا أنها زرد

وقال أيضاً :

ترى عند من أحببته لاعدمته ... من الشوق ماعندي ومأأنا صانع

---

(١) له ترجمة في شذرات الذهب ٤/٢٢٠

(٢) في الشذرات « قل للصلاح معيني »

(٣) في الشذرات « وإن حاولت أرضكم »

جسمي إذا حدثت عن ذاك أعين   وكلي إذا حدثت عنه مسامع

وقال أيضاً رحمه الله :

كتم الهوى فوشت عليه دموعه   من حر جمر تحتويه ضلوعه

صب تشاغل بالربيع وزهره   زمناً وفي وجه الحبيب ربيعه

يا لائمي فيمن تمنع وصله   عن صبه أحلى الهوى ممنوعه

كيف التخلص إن تجنى أو جنى   والحسن شيء لا يرد شفيعه

شمس ولكن في فؤادي حرها   قمر ولكن في الفناء طلوعه

قال العواذل : ما الذي متحسنه   منه وما يسبيك ؟ قلت جميعه

وقال أيضاً رحمه الله

يا معشر الناس حالي بينكم عجب   وليس يعلم إلا الله كيف أنا

أحب شمس الضحى من أجل مشبهها   يوما وأحسد حتى من به فطنا

تدعو أجفانه المرضى وقد زعموا   بأن كل مريض يألف الوسنا

يهوى خلافي كما أهوى رضاه فإن   دنوت منه تنائى ، أو نأيت دنا

وقال من أبيات :

أنا السموأل في حفظ الوفاء لهم   وهم إذا وعدوا بالوصل عرقوب(١)

ما في الخيام وقد سارت حمولهم   إلا محب له في الركب محبوب

كأنما يوسف في كل راحلة   والحي في كل بيت منه يعقوب(٢)

وقال أيضاً رحمه الله :

بروق الغوادي أم بروق المباسم   أشوقك وهناً أم هديل الحمائم ؟

---

(١) السموأل : هو السموأل بن عادياء ، مضرب المثل في الوفاء ، وعرقوب : رجل من أهل يثرب ، يضرب به المثل في إخلاف الوعد

(٢) يوسف : ضرب به مثلا للحسن الفارق ، ويعقوب : ضرب به مثلا للحزن

كأن بك الوجد الذي بي من الأسى · · · وقد عيل صبري بين واش ولائم
ترقّ ورق الموطنين لواحظي · · · وينحل جسمي حب غزلان جاسم (١)
أأحبابنا إن كنتمُ قد غرمتمُ · · · على البعد من أطلالكم ولمعالم
فلا ترسلوا رقاً إلى غير ساهر · · · ولا تبعثوا طيفا إلى غير نائم

وقال أيضا غفر له :

حيّ بالحيّ من قباب المصلَّى · · · منزلا مونقا وماء وظلا
فقرى جلّق قباب الفراديس · · · قباب البريد ، عيش تولى
قال لي طيفهم : سلوت هوانا · · · قلت : لا والذي دنا فتدلى
قال هل قلّ ما عهدناك فيه · · · قلت لا والذي لموسى تجلى
كل شيء يُمَلُّ منه إذا را · · · د وحاشا هوا كم أن يملا
لو رآني محبوب ليلى إذا ما · · · جنَّ ليلي لصام شكراً وصلى
يتقلّى من التسلي فلعمري · · · أي صب من التقلي ما تقلى

وقال أيضاً رحمه الله :

ميلوا إلى دار من ذاق اللمى ميلوا · · · كحلا ، وما حال في أجفانها ميل
هذا بكائي عليها وهي عامرة · · · لا برح بينا يوما ولا ميل
كأنما قدها رمح ، ومبسمها · · · دمي ودمعي على الأطلال مطلول
إني لأعشق ما يحويه مرشفها · · · ولست أعصي ما تنوي العواذيل

وقال في المروحة :

ومحبوبة في القيظ لم تخل من يد · · · وفي البرد مقلوها أكف الحبائب

(١) الموطنين : أراد الموطن ، فثناها ، والموطن : هي السكورة التي منها دمشق استدارتها ثمانية عشر ميلا يحيط بها جبال عالية من جميع جهاتها ، قاله ياقوت وجاسم : اسم قرية بينها وبين دمشق ثمانية فراسخ ، وهي بلد أبي تمام حبيب بن أوس الطائي ، واشتهرت بأنها مسكن الظباء

إذ ما هوى مقصور هيّج عاشقاً   أنت بالهوى لممدود من كل جانب

وقال رحمه الله تعالى :

دمشق حُيّيت من حي ومن نادي   وحبذا حبذا واديك من وادي

يا رائحــ [illegible] عرج على بردى   وحيّي من حدث [illegible] ساداتي(١)

كم قــد شربت به من ماء دالية   في ظل دالية [illegible] عاد

في حسن ساقية من كف ساقية   كادت تذوق [illegible] عير مياد(٢)

لها بعيني إذا ماست معاطفها   [illegible] مياسة في عين مقداد

وقال أيضاً رحمه الله

قال قوم [illegible] وحبيب   فاترٌ عنه قلت لا كيف أسه

أنا جلد على لقا أســـد عينــيه الحشى عنده وهو [illegible]

وقال أيضاً :

كثر الخوف وقلّت الإخوان   فاليوم لا حس ولا إحسان

ياليت شعري أين كنت من الدنا   والناس ناس والزمان زمان

وقال أيضاً رحمه الله :

عارضاها إن مدت عارضاها   وسلاها عن فؤاد ماسلاها(٣)

مالي جارية جائرة ما   إن شفت علة قلبي شفتاها

أ[illegible] ي قبــلة من بدها   وسوائي مل من تقبيل فاها(٤)

وقال وكان أعور وله معشوق طويل

لي حبيب قده قـــد من السمر رقيق

من [illegible] ورآني   قال : عير انتفق

(١) بردى ــ [illegible] ــ نهر دمشق   (٢) لعلها « بقد حد مياد »

(٢) سلاها الأولى ــ أمر من السؤال ، وسلاها الثانية ماض من السلو ، أي اسألاها عن فؤاد لم يسلها

(٣) « [illegible] » يجرى على لغة تلزم الأسماء الخمسة الألف في الأحوال كلها

أعور الدجال يمشي   خلف عُوج بن عناق

وقال في قوم مدحهم فأعطوه شعيرا :

يقولون لم أرخصت شعرك في الورى   فقلت لهم إذ مات أهل المكارم

أجازوا على الشعر الشعير وإنه   كثير إذا حصّلته من بهائم

وقال أيضا رحمه الله :

عسى من ديار الظاعنين بشير   ومن جور أيام الفراق مجير

لقد عيل صبري بعدهم وتكاثرت   همومي ولكنّ المحب صبور(1)

وكم بين أكناف الثغور متيّم   كئيب عليه أعين وثغور(2)

سقى الله من سطرى ومقرى منازلا   بها للندامى نضرة وسرور(3)

ولا زال ظل النيربين فإنه   طويل، وعيش المرء فيه قصير

أيا بردى لا زال مزنك باردا   عسى شيم من حافتيك عبير

أرى العيش بالأبين أكدر حقّى   وقد لاح فيها نضرة وسرور

وكم بحمى جيرون مزن حادر   [illegible] وهى سرور

ولكن سأحويه إذا كنت قاصدا   إلى بلد فيه الصلاح أمير

وقال، وقد تولّى صلاح الدين يوسف شحنكية دمشق في الأيام النورية :

رويدكُمُ يا لُصوص الشآم   فإني لكم ناصح في المقال

أتاكم سميّ النبيّ الكريم   يوسف رب الحجى والجمال

فذاك يُقطّع أيدي النساء   وهذا يقطّع أيدي الرجال

وقال أيضا رحمه الله :

عندي إليكم من الأشواق والبُرَحا   ما صيّر الجسم من فرط الضنى شبحا

---

(1) عيل صبري : ضعف

(2) الثغور الأول : جمع ثغر ، وهو موضع المخافة مما يلي بلاد العدو ، والثغور الثاني : جمع ثغر ، وهو الفم

(3) سطرى ـ بفتح فسكون ـ قرية من قرى دمشق ، ومقرى ـ بفتح فسكون أيضا ـ قرية بالشام من نواحي دمشق ، وهذا البيت أنشده ياقوت في « سطرى »

أحبابنا لا تطلبوا سلوكم الحال ما حال والتبريح ما برحا
لو كان يسمح صبٌّ في مدامعه بكيت أول من في دمعه سمحا
أو كنت أعلم أن البين يقتلني ما بت عنكم ولكن بات مادحا

(٨٨)

الحسن بن أحمد أبي سعيد ، الجنابي ، القرمطي[١] .

الحسن بن أحمد الجنابي القرمطي

مولده بالأحساء ، في قرمطة سنة ست وستين وثلثمائة

غلب على الشام ، وكان كبير القرامطة ، واستناب على دمشق وشاح بن عبد الله ، وقدم إلى دمشق ، وكسر جيش المصريين ، وقتل جعفر بن فلاح ، ثم وجه إلى مصر وحاصرها شهورا ، وكان يظهر طاعة أمير المؤمنين الطائع .

قال القاضي في كتابه « الإشعار بما للملوك من النوادر والأشعار » : إن أبا على القرمطي قال في بعض الليالي لسكاتبه أبي نصر بن كشاجم : ما يحضرك في هذه الشموع ؟ فقال : إنما يحضر مجلس السيد ليسمع كلامه ، ويستفيد من أدبه ، فقال القرمطي بديها رحمه الله تعالى :

ومجدولة مثل صدر القناة تعرّت وباطنها مكتسى
لها مقلة هي روح لها وتاج على هيئة البرنس
إذا غازلتها الصّبا حركت لسانا من الذهب الأملس
وإن رنّقت لنعاس عرا وقطت من الرأس لم تنعس
وتنتج في وقت تلقيحها ضياء يجلّى دجى الحندس
فنحن من النور في أسعد وتلك من النار في أنحس

---

(١) له ترجمة في شذرات الذهب ٣/٥٥ وضبط الجنابي بفتح الجيم — وضبط ضمها — وتشديد النون ، وآخره موحدة ، وقال نسبة إلى جنابة بلد بالبحرين ، وضبط القرمطي بكسر القاف وسكون الراء ، وكسر الميم وبعدها طاء مهملة ، وقال : والقرمطة في اللغة مقاربة الشيء بعضه من بعض ، ويقال : خط مقرمط ، ومشى مقرمط ، إذا كانا كذلك ، لأن أبا سعيد والد الحسن المذكور كان قصيرا مجتمع الخلق ، وانظر أيضا معجم البلدان لياقوت (جنابة) ٣/١٤٢

(٨٩)

الحسن بن أحمد ابن حكينا الشاعر

الحسن بن أحمد بن محمد بن حكينا ، الشاعر ، البغدادي[1].

كان من ظرفاء الشعراء ، وأكثر أشعاره مقطعات

وذكره العماد الكاتب وقال : أجمع أهل بغداد على أنه ما رُزق أحد من الشعراء لطافة شعره ، توفي سنة ثمان وعشرين وخمسمائة ، رحمه الله تعالى !

من شعره

لا تقصاحي في عوارضه سبب والناس لوّام[2]
كيف يخفى ما أكابده والذي أهواه نمّامُ

وقال أيضاً رحمه الله

تزايد القول فيه أن له وردة حسناً في صفحة الخدّ
فكرشت عارضاه تشعر أن الشوك لا بدّ منه للورد

وقال أيضاً رحمه الله :

لما بدا خط العذا ر بزين خدّيه بمشق
فظننت أن سواده فوق البياض كتاب عتق
فإذا به من سوء حظي عهدة كتبت برق

وقال أيضاً عفا الله عنه :

ولائم لام في اكتحالي يوم استباحوا دمَ الحسين
فقلت دعني أحق عضوٍ أُلبس فيه السواد عيني

---

(١) له ترجمة في شذرات الذهب ٤/٨٨

(٢) البيتان في الشذرات ، وفيه « افتضاحي في عوارضه » بدل لا ، وما هنا هو الصواب

وأحسن منه قول أبي الحسين الجزار :

ويعود عاشوراء يذكرني … رزء الحسين فليت لم يعد
فليت عيناً فيه قد كحلت … لشماتة لم تخل من رمد
ويداً به لمسرة خضبت … مقطوعة من زندها بيدي
أما وقد قتل الحسين به … فأبو الحسين أحق بالكمد

ولابن حكينا في الشريف بن الشجري صاحب الأمالي

يا سيدي والذي يعيذك من … نظم قريض يصدا به الفكر
ما فيك من جدك النبي سوى … أنك لا ينبغي لك الشعر

(٩٠)

أبو نصر الحسن بن أسد

الحسن بن أسد[1] بن الحسن بن الفارق[2]، أبو نصر

شاعر ، فيق حوشي النظم ، كثير التجنيس ، كان في أيام نظام الملك والسلطان ملك شاه ، شمله منهما جاه بعد أن أمض عليه لأنه تولى آمد وأعمالها مستبدًا بها ، فخصصه السكاملى العذيب ، وكان نحويا أديبا ، وإماما في اللغة ، وصنف في الآداب تصانيف

اتفق أنه كان شاعر من أمحر يعرف بالمصاني وفد على أحمد بن مروان ، وكانت عادته إذا وفد عليه يكرمه وينزله ، ولا يستحضره إلا بعد ثلاثة أيام ، واتفق أن المصاني لم يكن أعد شعرا يمدحه به ثقة بنفسه ، فأقام ثلاثة أيام ولم يفتح عليه شيء ، فأخذ قصيدة من شعر ابن أسد ولم يغير منها غير الاسم ، فطلب الأمير وقال : هذا لأعمى يتحرمها ، وأمر أن يكتب بذلك إلى ابن أسد ، فأعلم المصاني بعض الحاضرين بذلك ، فجهز المصاني غلاما له جلدا إلى ابن أسد

(١) له ترجمة موجزة في شذرات الذهب ٣/ ٣٨٠

(٢) في ب ، ت « الفارق » تحريف ، وأثبتنا ما في الشذرات

يدخل عليه ويُغرِيه الغدر ، فوصل الغلام إلى ابن أسد قبل وصول قاصد ابن مروان ، فلما علم ذلك كتب الجواب إلى ابن مروان أنه لم يقف على هذه القصيدة أصلا ، ولم يرها إلا في كتابه ، فلما وقف ابن مروان على الجواب أساء على الساعي وسبّه ، وقال : إنما تريد إساءتي بين الملوك ، ثم أحسن إلى الفارقي ، وأكرمه غاية الإكرام ، وعاد إلى بلاده ، فلم يمض على ذلك مدّة حتى اجتمع أهلُ ميّافارقين ودعوا ابن أسد على أن يؤمّروه عليهم ، وأقيمت[1] الخطبة للسلطان ملك شاه وإسقاط اسم ابن مروان ، فأجابهم إلى ذلك ، وحشد ابن مروان ، ونزل على ميافارقين ، فعجزه أمرها ، فسيّر إلى نظام الملك والسلطان يستمدّهم ، فأمدّ إليه جيشا ومددا مع الغساني الشاعر ، وكان قد تقدّم عند السلطان ، فصدّقوا الحملة على ميافارقين ، فملكوها عنوة ، وقبض على ابن أسد ، وجيء به إلى ابن مروان ، فأمر بقتله ، فقام الغساني وجرد العناية في الشفاعة حتى خلّصه وكفله بعد عناء شديد ، ثم اجتمع به وقال : أتعرفني ؟ قال : لا والله ، ولكن أعرف أنك مَلَك من السماء منّ الله على بك لبقاء مُهْجتي ، فقال : أنا الذي ادّعيتُ قصيدتك وسَتَرْتَ عليّ ، وما جزاء الإحسان إلا الإحسان ، فقال ابن أسد : ما سمعت بقصيدة حصّنت صاحبها إلا هذه ، فجزاك الله خيرا ، وانصرف الغساني من حيث جاء ، وأقام ابن أسد مدّة ، وتغيرت حاله ، وجفاه إخوانه ، وعاداه أعوانه ، ولم يقدر أحد على مُرافدته ، حتى أضرَّ به العيش ، فنظم قصيدة مدح بها ابن مروان ، فلما وقف عليها غضب وقال : ما يكفيه أن يخلص منا رأسه برأس حتى يريد منا الرِّفْدَ[2] ، لقد أذكرني نفسه ، أصلبوه ، فصلب سنة سبع وثمانين وأربعمائة .

---

(١) كذا ، ولعله « وإقامة الخطبة »

(٢) الرفد – بكسر الراء وسكون الفاء – العطاء

ومن شعره رحمه الله :

أريقاً من رضابك أم رحيقا   رشفتُ فلستُ من سكري مفيقا(١)

وللصهباء أسماء ، ولكن   جهلتُ بأن في الأسماء ريقا

ومنه أيضاً رحمه الله :

ورب ذي ملك تكرّه قومه   وتراه وهو عشاء عينك والقذى(٢)

فاعرف وخل محرماً هذا الورى   واترك لقومك ذا كماقا والق ذا

وقال أيضاً غفر له

يا من حلا ثغره لذ المطعم ومن   نحل أصداغه السود الصاقيدا

أعطف على مستهام صب من أسف   على هواك وفي حمل الصناقيدا(٣)

وله أيضاً رحمه الله :

لا تعرف الهم بلا شدوُ محسنة   أو مطرب حسن شهواه أو قدحُ

والراح للهم أعداها فخذ طرفاً   منه ودع أمة في شربها قدحوا

تسكن بحل إذا ما المزج خالطها   سقتهم أمهم رعداً بها قدحوا

وقال أيضاً :

تراك يا متلف جسمي ويا   مكثر إعلالي وأمراضي

من بعد ما أصبيتني ساخط   عليّ في حبك أم راضي

وقال أيضاً رحمه الله :

قد كان قلبي صحيحاً كالحصى ومنا   فقد أتحت الهوى منه الحمى مرضا

فكم سخطت على من كان شيمته   وقد أتحت له فيك الحمام رضا

يا من إذا فوقت سهمت لواحظه   أضحى لها كل قلب قلبّ غرضا

---

(١) الرحيق : من أسماء الخمر ، وكذلك الصهباء

(٢) العشا ـ بفتح العين مقصورا ـ ضعف البصر ليلا ، وقد مده هنا للضرورة

(٣) الصاقيدا : من كلمتين « الصا » أي الجهد والشقة ، و « قيدا » ماض مبني للمجهول ، والعناقيدا في البيت قبله جمع عنقود

فالذى إن يمت حبا بمت أسفا ... وما قضى فيك من أغراضه غرضا
ألبستُ ثوب سقام فيك صار له ... جسمى لدقته من سقمه عرضا
وصرت وقفا على هم يحادثنى ... أيدى الصبابة فيه كلما عرضا
ما إن قضى الله شيئا فى خليقته ... أشد من زفرات الحب حين قضى
فلا قضى كاشح بخنا فزعمني ... إن قيل إن المحب المستهام قضى

(٩١)

حسن بن شاور بن طرخان بن الحسن

نصر الدين حسن بن شاور النقيسى

هو نصر الدين بن النقيب الكنانى، المعروف بالنقيسى

قال الشيخ أثير الدين أبو حيان: جالسته بالقاهرة مرارا، وكتبت عنه، وكان نظمه حسنا، وتوفى سنة سبع وثمانين وستمائة.

روى عنه الدمياطى والشيخ فتح الدين، وغيرهما، وله كتاب سماه «منازل الأحباب، ومنازه الألباب» مجلدين، وله ديوان مقاطيع فى مجلدين، وشعره جيد على تُقسِّم فيه التورية الرائقة اللائقة المتمكنة، وهو أحد فرسان تلك الحلبة الذين كانوا من شعراء مصر فى ذلك العصر، ومقاطيعه جيدة إلى الغاية رحمه الله

من شعره

يا من أدار ريقه مشمولة ... وحبابها الثغر النقى الأشنب
تفاح خدك بالعذار ممسك ... لكنه بدم القلوب مخضب

وقال أيضا رحمه الله:

يا مالكى ولديك ذلى شافعى ... ملكتنى فما أجملت سؤلى
فوحدك النعمان إن مبتى ... وشكيتى من طرفك الغزالى[1]

---

(١) النعمان: أراد الأحمر، أو الناعم، والغزالى: أراد الناعت إلى كثرة الغزل، نسبه إلى الغزال وهو اسم للبالغة من «غزل»

وقال أيضا عفى عنه :

وما بين كفي والدراهم عامر ولست بها دون الورى ببخيل

وما استوطنتها قطُّ يوما وإنما تمر عليها عابرات سبيل[1]

وقال أيضا رحمه الله :

ما كان عيبا لو تفقدتني وقلت هل أنعم أو أسعدا

فعادة السادات من قبل أن يتفقدوا الأتباع والأعبدا

هذا سليمان على ملكه وهو بأخبار له يقتدى

تفقَّد الطير وأجناسها فقال مالى لا أرى الهدهدا

وقال أيضا عفر له :

أراد الظبي أن يحكي التفاتك وجيدك، قلت لا ياظبي هاتك

ومثّل الغصنُ قدك إذ تثنّى وقلت الله يبقى لى حياتك

ويا آس العذار فدتك نفسي وإن لم أقتطف منى نباتك

ويا ورد الخدود حماك عنى عقاربُ صدغه من سن حماتك

ويا قلبي ثبتّ على التجنى ولم يثبت له أحد ثباتك

وقال أيضا رحمه الله :

أقول لمونة تحى أركيبى ولابك منك لى ماعشت أونةْ

فقالت كيف يمكن تركُ هذا وهل يبقى لأمير بغير مونه

وقال أيضا رحمه الله :

حُدِّثْتُ عن ثغره المحلىّ فقلْ إلى حده الورد

حديث وثغر محلٌّ رب مبدع الخلق قد سرد

(١) أخذ معنى هذا البيت من قول الشاعر :

لا يألف الدرهم المضروب صرتنا لكن يمر عليها وهو منطلق

هذا عن الواقدى يروى وذاك يروى عن المبرد

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

أما العذرى فاعذرنى وسامح وجرّ علىّ بالإحسان ذيلا
ولما صرت كالمجنون عشقا كتمت زيارتى وأتيت ليلا[1]

وقال أيضا رحمه الله :

وجردت مع فقرى وشيخوختى التى تراها عتوى عن جفونى مُشرد
فلا يدّعى غيرى مقامى فإننى أنا ذلك الشيخ الفقير المجرد

وقال أيضا عفى عنه :

أحلت نفسى فى السماء وقد بدا فيهـا هلال جسمه منهوك
فكأنها هى شقة مدودة وكأنه من فوقها مكوك

وقال رحمه الله تعالى :

قالوا فلان ناظر فأجبتهم ما ناظـر إلا إلى أعطافه
لم يدر مسّح الأرض قلت أزيدكم أخرى ولا مسح على أطرافه

وقال أيضا رحمه الله :

الصب من بعدكم مفرد ودمعه النيل وتعليقه
وحدّه مما بكاكم دما مقياسه والدمع تخليقه

وقال أيضا عفا الله عنه :

وما بى سوى عين نظرت لحسنها وذاك لجهلى بالعيون وعرفتى
وقالوا به فى الحب عين ونظرة لقد صدقوا عين الحبيب ونظرتى

---

(١) قوله « وأتيت ليلا » يحتمل أنه أراد أتيت فى الليل ، وأنه أراد زرت ليلى وهو اسم معشوقة المجنون

وقال أيضا رحمه الله :

قالوا قد احترقت بالنار راحته ... وهي الغمام ومنها الوبل المدفق

وقال قوم وما ضلّوا وما وهموا ... بأنها النيل قلت النيل يحترق

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

ألم تقلدوه أمر الرعايا ... وهو في حليه الوزارة عطل

فهو بالبوق في الوزارة طبل ... وهو في دستها بمجلس صطل

وقال أيضا غفر الله له :

يا عاتبا لو قضيت من أسف ... من بعده ما قضيت من عجب

ما ترك السقم بعد سدك لي ... والله حسبا عليه أحتسب

وقال أيضا رحمه الله :

يقول جسمي لنحولي وقد ... أفرط في فرط ضنى واكتئاب

قست بي يا سقم ما لم يكن ... يمس والله عليه الثياب

وقال أيضاً رحمه الله

لا تأسفن على الشباب وفقده ... فعلى المشيب وفقده يتأسف

هذاك يخلفه سواه إذا انقضى ... ومضى ، وهذا إن مضى لا يخلف

وقال أيضا غفر الله له :

عجبت للشيب كنت أكرهه ... فأصبح القلب وهو عاشقه

وكنت لا أشتهي أراه فقد ... أصبحت لا أشتهي أفارقه

وكتب إلى السراج الوراق :

ما زلت مذ غبت عنك في بلدي ... تصبح حتى[1] أرحت عيسا

اقتُ أجرابها على عجل ... وقد هذا خرّتْ غلتها

(١) في ب ، ث « تصبح حتى إذا ما أرحت علتها » وكلمتا « إذا ما » زائدتان على الوزن ، ولا يحتاجهما المعنى

وكتب إليه ابن سعيد المغربي :

أيا ساكني مصر غدا النيل جاركم   فأكسبكم تلك الحلاوة في الشعر

وكان بتلك الأرض سحر وما بقى   سوى أثر يبدو على النظم والنثر

فأجابه ابن النقيب

وما حدث الشعر زاد حلاوة   وحليته أغلى من الشذر والدر

فرحت وبي شوق وما كنت شيقاً   للثم ذاك الثغر لولاه في الثغر(١)

فلا تطلبن سحر البيان بأرضنا   فكم فيه موسى مبطل آية السحر

ولا قوة الشعر الذي كان أولا   وكيف رقيق الشعر مع قسوة الدهر

وكتب ابن النقيب إلى السراج الوراق :

يا من كم لي وصلة أنت المشتهى   من هذه الدنيا وأنت المقتضى(٢)

ومن غدا مقدماً من الشعرا   أنت الوصيّ فيهم والمرتضى

ومن صحبت لم نزل أوده   عيد مسوّدَ الليالي أبيضا

مالي أراك قاطعاً لواصل   ومعرضاً عن مقبل ما أعرضا

فأجابه السراج الوراق :

يا سهم عتب جاء من كنانة   أصبت من سواد قلبي الغرضا

لكن أسوت ما جرحته بما   أعقبته من العتاب بالرضا

يا ابن النقيب ما أرى منقبة   إلا وأولاك الثناء الأبيضا

إن ولائي حسن في حسن   إذ ما أرى لعمر أن يرفضا

وقال أيضاً تغمده الله برحمته :

قلّدتُ يوم البين جيدَ مودعي   دررا نظمت عقودها من أدمعي

---

(١) شيقا : مشتاقا ، وملثم : مصدر ميمي بمعنى اللثم

(٢) المشتهى هنا : اسم مفعول فعله « اشتهى الشيء يشتهيه » والمشتهى اسم متنزه من متنزهات مصر وفيه يقول ابن الفارض :

وطني مصر وفيها وطري   ولعيني مشتهاها مشتهاها

وحدا بهم حادي المطيّ فلم أرى   قلبي ولا جلدي ولا صبري معي

ودّعتهم ثم انثنيت بحسرة   تركت معالم مهجتي كالبلقع(١)

ورجعت لا أدري الطريق ولا أرى   رجعت عداك بمصوب كرجعي

وأشد ما بي في القضية شدة   إذ جاءني في صورة المتوجع

يا صاحبي أنصت لأخبار الهوى   حاشاك أن تقول ولا تعي

إني أحدث في الهوى بعجائب   وغرائب حتى كأني الأصمعي

يا نفس قد فارقت يوم فراقهم   طيب الحياة ففي اللقا لا تطمعي

هيهات يرجع شملنا بالأجرع   ويعود أحبابي الذي كانوا معي(٢)

ما كان أحسننا وهم جيراننا   والشمل ملتئم بتلك الأربع

بحياتكم جودوا عليّ بنظرة   تشفي جنانكم لا تصدعي

فلقد عدمت الصبر يوم فراقكم   وتضرمت نار الأسى في أضلعي

يا راحلين فهل لكم من عودة   ريح التفرق ما سقى من مدمعي

إن لم تعودوا للديار وترجعوا   لهلكت من شوق وفرط توجعي

أترى يعود الدهر يجمع بيننا   ويلذ طيب حديثكم في مسمعي

ويقرّ قلبٌ قد أطيل خفوقه   وتنام عين بعدكم لم تهجع(٣)

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

نحن لا طاعة لأحساد   ورايات عن هذا النادي

نحن لا صحابة ومهل   وحديث لحاضر وللبادي

نحن إلا غسالة للمراق   لقدور نصبت وزنادي

نحن إلا [illegible] صنعه لنزال فوق الأكوام للوقد

(١) انثنيت : رجعت ، والبلقع ـ بزنة جعفر ـ القفر الخالي من السكان

(٢) الأجرع وأنثاه الجرعاء : مكان فيه صغار الحصى ، والذي أراد الذين

(٣) يقر : يسكن ويهدأ ويثبت

جردونا لما قطعنا فردو ... ما وقد أحسنوا إلى الإعداد

وعرضنا على برادين حبش ... ما استعدت لحملة وطراد

وأبنا من القماش إليهم ... بعليم مرقع وكداد

وسروج بطاير الجلد عنها ... كان من تحتها من الأعواد

قد تندت عنها مياثرها السـود وجاب البلدان عهد الوكاد

كشف الله ذلك الستر عنها ... فرأيت عوراتهن بوادى

ورماح لم تعتقل لطعان ... وسيوف ما جردت لجلاد

صدئت فى الجفون من كثرة اللبث وملت منها لطول الرقاد

فهو لا فرق فى يد الفارس الكشخان منها أو فى يد الحداد

أرى من يكون فى هذه الحال مطيقا منكا ذلك البلاد

ويخوض الفرات فى شهر كانون وهو شهر مصعب فى القياد[1]

ودعوى تمردى وما ذاك إلا لوحدتى وانفرادى

أنقيت خشيتى على طمرات ... نحب شاقنى حسن الجياد

كيف أوى على الجهاد وحرى ... ما أراه يبكى لسعرة زاد

وقال أيضا رحمه الله :

إذا صرصر الدرى فلا ذلك صادح ... ولا فاحت فى أيكة يترنم[2]

وما الموت إلا طيب طعمه بدا ... تدايك فروج ورتب حصرم[3]

وقال أيضا رحمه الله :

قالوا رأينا الصوفى ينفق مسرفا ... والصوفى لا شىء لديه ولا معه

فأجبتهم إنفاقه من صرمه ... قالوا صدقت فذاك ينفق من سعه

---

(١) كذا ، والبيت غير مستقيم الوزن

(٢) صرصر : صاح

(٣) الفروج : الصغير من الديوك ، وتدايك : فعل ما يفعل الديك ورتب : حصرم : جعله مثلا لمن يتشايخ قبل الأوان

وقال عفا الله عنه

ياناظرى ما خلت أنك هكذا   عونا علىّ وأنت من أعدائى
أرميتنى وفعلت بى والله ما   لا تفعل الأعداء بالأعداء
فإذا ابتلاك الله يوما باكى   والسهد فاعلم أنه بدعائى

وقال أيضا رحمه الله :

كم تمنّيت أمردا وتأبيت وكم تهت بالملاحة زند
ثم صار الحبيب إذ ضرب اللحىّ وبقى وجهها ووجهك واحد[1]

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

يا قُفْلَ باب الرزق يا ذا الذى   ما زال عبد الفتح فيه عسر
أفرطت فى العسر ولا بد أن   تمش أو تدق أو تكسر

وقال أيضا رضى الله عنه :

ألا يا أمير الملاح اتئد   فقد دلّ من ناظريك المنصر
ولا بدّ تعزل عما قليل   إذا قام عارضك المنتظر

وقال أيضا رحمه الله :

قالت بماذا قصرت شعرا   من أسود الرأس والعذار
فقلت: إن تسألى فهذى   قصارة الليل والنهار

(٩٢)

الأمير أبو الفتح ابن أبى حصينة

الحسن بن عبد الله بن أحمد بن عبد الجبار بن أبى حصينة ، الأمير أبو الفتح .

توفى فى حدود الخمسين ، رحمه الله تعالى !

---

(١) كذا ، والبيت غير مستقيم الوزن ، ولعل البيت هكذا :
ثم زال الحبيب إذ ضربت ألحى   وبقى وجهها ووجهك واحد
وألحى : أى ناحية

من شعره يمدح أسد الدولة عطية بن صالح بن مرداس

سرى طيف هند والمطيّ بنا تسرى ... فأحيى [illegible] بال وأبدى [illegible]

خليــــليّ فُكّا بى من الهم واركبا ... فجاج الموامى الشُّعْثِ والنُّوَبِ الغبر (١)

إلى ملك من عامــــر ونمتْ ... مناقبه أغنت عن الأنجم الزهر (٢)

إذا نحن أنضينا عليــــه [illegible] ... إليه [illegible] مُنضيات إلى حصـــر

وفوق سرير الملك من آل صالح ... فتىً ولدته أمه ليلــــة القدر

فتى وجهه أسنى من البدر منظراً ... وأخلاقه أشهى من الماء والخمر

أبا صالح أشكو إليــــك نوائباً ... عرتنى كما يشكو النبات إلى القطر (٣)

لتنظر نحــــوى نظرة إن نظرتها ... إلى الصخر فجّرت العيون من الصخر

وفى الدار خلفى صبية قد تركتهم ... يطلون إطلال الفراخ من الوكـر

حنيت على روحى روحى حنـــوية ... وثقلت ظهرى بالذى خف من ظهرى

فهبْ هبةً تبقى عليـــك ثناؤها ... بقاء النجوم الطالعات التى تسرى

قال الأمير أسامة بن مرشد: فما فرغ من إنشاده أحضر الأمير أسد الدولة القاضى والشهود، وأشهد على نفسه بتمليك ابن أبى حصينة ضيعة من أملاكه ذات ارتفاع كثير، وأجازه، وأحسن إليه، فأثرى، وتموّل.

ولما امتدح نصر بن أبى صالح بحلب قال له: تمنّ، فقال: أتمنى أن أكون أميراً، فجعله أميراً يجلس مع الأمراء، ويخاطَبُ بالأمير، وقرّبه، وصار يحضر مجلسه فى زمرة الأمراء، ثم وهبه يوماً أرضاً مكاناً بحلب فبنى عليه [illegible]، فجعله داراً، وعرّضها، وزخرفها، ونمّق بناءها، وكتب حائطه، ونقش على دائرة الدرابزين:

---

(١) الفجاج: جمع فج، وهو الطريق المسلوك فى الجبل، والموامى: جمع موماة وهى الصحراء. (٢) [illegible]: جمع مهمه، وهى المفازة.

(٣) عرتنى: نزلت بى، والقطر — بفتح فسكون — المطر

دار بنيناها وعشنا بها في دعة من آل مرداس[1]

قوم محوا بؤسي ولم يتركوا عليّ في الأيام من باس

قل لبني الدنيا ألا هكذا فليفعل الناس بالناس

ولما تكامل بناء الدار عمل دعوة، وأحضر إليها نصر بن صالح. فلما أكل الطعام ورأى حسن بناء الدار وفرشها وقرأ الأبيات قال: يا أمير، كم خسرت على بناء الدار؟ قال: يا مولانا مالي علم، بل هذا الرجل قد تولى عمارتها، فسأل المعمار، فقال: غرم عليها ألفي دينار مصرية، فأحضر من ساعته ألفي دينار مصرية وثوب أطلس وعمامة مذهبة وحصانا بطوق ذهب وسرفسار ذهب[2]، وقال له:

قل لبني الدنيا ألا هكذا فليحسنْ الناس بالناس[3]

وبعد أيام حضر رجل من أهل المعرة يسمى بالزقوم كان من أراذلها وفيه رجلة[2] فطلب خبز جندي، فأعطي ذلك، وجعل من أجناد المعرة، فلما وصل علم أحمد بن محمد الزويدة المعري:

أهل المعرة تحت أقبح حطة وبهم أناخ الخطب وهو جسيم

لم يكفه تأميره ابنَ حصيبة حتى تجند بعده الزقوم

يا قوم قد سئمتْ لذاك نفوسنا يا قوم أين الترك أين الروم

فاشتهرت الأبيات بالمعرة وحلب، وسمعها الأمير أبو الفتح، فهجم على باب ابن الزويدة، ففتح له، وقال: بلى والله كان عندي الزقوم وقل والله مالي من الهجو مالي من كونك قرنتني بابن أبي حصيبة، فقال له: قبحك الله! وهذا هجو ثان.

---

(١) الدعة — بفتح الدال والعين جميعا — هدوء العيش واطمئنان البال وسكون الخاطر (٢) كذا (٣) في ب، ت «فليفعل الناس بالناس» في الموضعين، ولا يستقيم وزن البيت

(٩٣)

أبو محمد شمس الدين تاج العارفين الحسن بن عدي

الحسن بن عدي[1] بن أبي البركات بن صخر بن مسافر ، الملقب بتاج العارفين ، شمس الدين ، أبو محمد ، شيخ الأكراد ، وجدّه أبو البركات هو أخو الشيخ عدي رحمهم الله تعالى !

وكان شمس الدين من رجال العالم رأيا ودهاء ، وله فضل وأدب وشعر وتصانيف في التصوّف ، وله أتباع ومريدون يبالغون فيه .

قال الشيخ شمس الدين الذهبي : وبينه وبين الشيخ عدي من الفرق ، كما بين القدم والفرق[2] ، وقد بلغ من تعظيم العدوية له أنه قدم عليه واعظ فوعظه حتى رق قلبه ، وبكى وغشي عليه ، فوثب الأكراد على الواعظ فذبحوه ، ثم أفاق الشيخ حسن فرآه يتشحط[3] في دمه ، فقال : ما هذا ؟ فقالوا : وإيش هذا من الكلاب حتى يبكي سيدنا الشيخ ؟ فسكت حفظا لدسته وحرمته ، وخاف منه بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل ، فقبض عليه وحبسه ، ثم خنقه بوتر بقلعة الموصل خوفا من الأكراد ؛ لأنهم كانوا يشنون الغارات على بلاده ، فخشي أن يأمرهم بذلك فيخربون بلاد الموصل ، وفي الأكراد طوائف إلى الآن يعتقدون أن الشيخ لا بد أن يرجع ، وقد تجمعت عندهم زكوات ونذور ينتظرون خروجه ، وما يعتقدون أنه قُتل

وكانت قتلته سنة أربع وأربعين وستمائة ، وله من العمر ثلاث وخمسون سنة ، رحمه الله تعالى ورضي عنه !

ومن شعره :

سطا بي في مذهب حب أن سطو   فبيح له في كل جارحة قسط

---

(١) له ترجمة في شذرات الذهب ٢٢٩/٥

(٢) الفرق الأول واحد الفروق ، والفرق الثاني لعله موضع فرق الشعر من الرأس ، وأراد به هنا الرأس .

(٣) يتشحط في دمه : يتضرج به ، ويضطرب فيه ، ووقع في الشذرات «يخبط» وفيه «فقالوا : وإيش هو هذا الكلب حتى يبكي سيدنا» وفي نسخة «ولا إيش»

ومن فوق صحن الخد للقط غاية تدل على ما يعمل الشكل والنقط

(٩٤)

أبو على الحسن بن على الصدى (الحمام)

الحسن بن على بن نصر بن عقيل ، أبو على ، الصدى ، الواسطى ، البغدادى ، المنعوت بالحمام .

مدح طائفة بالشام والعراق ، وأقام بدمشق ، وكان شيعيا ، وفى عصره القوصى ، واتصل بخدمة الأمجد صاحب بعلبك

توفى سنة ست وتسعين وخمسمائة

ذكره العماد الكاتب فى الخريدة

ومن شعره رحمه الله :

ذمّا مّنى قلبى وعينى فى الهوى فكلاهما متطيف بى واحيرا
ذا أيقظ النيران وهو وحينه بين الضلوع وذاك أشرف إذ سرى[1]

وقال أيضا رحمه الله

أين من يشفى قلبا صدع يوم البين منى ؟
آه لما راح يقفو أثر الظعن الأغن
لكن البيد فلى فيهما لارجيم ظن
إن هذا فى لظى حزن وذا فى روض حسن
ضمّ معى شوقا إلى البانة يا روقُ وغَنّى
كل قد علم الحب بأنا عاشق غصن

(٩٥)

القاضى المهذب الحسن بن على

الحسن بن على بن إبراهيم بن الزبير بن محمد ، الملقب بالقاضى المهذب[2] .

---

(١) وجب القلب يجب كوعد يعد ـ وجيبا فى خفق واضطرب

(٢) له ترجمة مصورة فى شذرات الذهب ـ /١٩٧ وقد أنشد له فيها ثلاثة الأبيات اللامية ، وله ترجمة فى معجم الأدباء ٩/٤٧ وله ترجمة فى الطالع السعيد ١٠٠

كان كاتباً مليح الخط ، جيد العبارة ، مليح الأدب ، واختص بالصالح ابن رُزّيك ، ويقال : إن أكثر الشعر الذى فى ديوان الصالح إنما هو من شعر المهذب ، وحصل له من مال الصالح شىء جم ، ولما مات ابن الحباب شمت به ابن المهذب ، ومشى فى جنازته بثياب مذهبة ، فاستقبح الناس فعله ، ونقص بهذا السبب ، ولم يعش بعده إلا شهراً واحداً .

ومن شعره

لقد طال هذا الليل بعد فراقه ... وعهدى به قبل الفراق قصير

وكيف أرجّى الصبح بعدهم وقد ... تولّت شموس بعدهم وبدور

وله أيضاً رحمه الله

أقصِرْ فديتك عن لومى وعن عذلى ... أولا فخذ لى أماناً من ظُبى المقل[1]

من كل طرف مريض الجفن يُنشدنى ... (يارب رام بنجد من بنى ثعل)[2]

إن كان فيه لنــــا وهو السقيم شفاً ... (فربما صحت الأجسام بالعلــــل)

وله فى ...

بليت بزفاه لواحظُ طرفــــه ... ... الوصل

يجور على العشاق والعــدل دأبه ... ويقضى علاه وصدته الوصــل

وله أيضاً رحمه الله :

ولئن ترقرق دمعــــه يوم النوى ... فى الطرف منه وما تناثر عقده

فالسيف أقطع ما يكون إذا غدا ... متحـــيراً فى صفحتيه فرنده

وقال يرثى صديقاً له وقع المطر بعد موته :

بنفسىَ من أبكى السموات فقده ... بغيث ظنَنّــــاه نوال يمينه

---

(١) الظبى : جمع ظبة ـ بضم ففتح ـ وهى حد السيف ، والمقل جمع مقلة ـ بضم الميم ـ وهى العين ، والإضافة من إضافة المشبه به إلى المشبه

(٢) فى الشذرات « ينشدنى » وهو أعلى ، أشهر العرب بالإصابة فى الرمى

فما استمررت إلا أسًى وتأسفا   وإلا فما ذا القطر في غير حينه

وله أيضا عفى عنه

لا ترجُ ذا نحس وإن أصبحت   من دونه في الرتبة الشمسُ

كيوانُ أعلى كوكب موضعا   وهو إذا أبصرته نحس(1)

وله أيضا رحمه الله

إذا أحرقت في القلب موضع سكناها   فمن ذا الذي من بعد يكرم مثواها

وما الدمع يوم البين إلا لآلئٌ   على الرسم في رسم الديار نثرناها

وما أطلع الزهرَ الربيعُ وإنما   رأى الدمع أجياد الغصون فحلاها

ولما أبان البين سر صدورنا   وأمكن فيها الأعين النجل مرماها

عددنا دموع العين لما تحدرت   دروعا من الصبر الجميل نزعناها

ولما وقفنا للوداع وترجمت   لعيني عما في الضمائر عيناها

بدت صورة في هيكل فلو أننا   ندين بأديان النصارى عبدناها

وما طربا صفقنا لتقريض، وإنما   جلا النور مرآة القرائح مرآها

وليلة سرنا في طلا وشبيبتي   سُرَاي وفي ليل الذوائب مسراها

تأرج أرواح الصبا كلما سرت   بنفحة روض آخر الليل رياها

ومهما أدرنا الكأس باتت جفوننا   من الراح تسقى الذي قد سقيناها

ومنها:

ولو لم يجد يوم الندى في يمينه   لسائله غير الشبيبة أعطاها

فيا ملك الدنيا وسائس أهلها   سياسة من ساس الأمور وواساها

ومن كلّفت الأيام ضد طباعها   وعاين أهوال الخطوب وعاناها

عسى نظرة تخلو بقلبي وخاطري   صداه فإني دائما أتصداها(2)

---

(1) كيوان: اسم زحل بالفارسية، وهو ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة

(2) أتصداها: أتعرض لها

ومنه القصيدة التي كتبها إلى الداعي لما قبض على أخيه يحيى يستعطفه على أخيه الرشيد فأطلقه، وهي :

يا رَبْعُ أين ترى الأحبة يمموا ... هل أنجدوا من بعده أو أتهموا (1)

رحلوا عن العين السواد وإن نأوا ... ومن الفؤاد مكان ما أكتم

رَحَلوا وفي القلب المعنَّى بعدهم ... وجــــد على مرّ الزمان مخيم

وتعوضت بالأنس روحي وَحْشَةً ... لا أوحش الله المنازل منهم

إني لأذكركم إذا ما أشرقت ... شمسُ الضحى من نحوكم فأسلِّم

لاتبعثوا لي في النسيم تحيــة ... إني أغار من النسيم عليكم

إني امرؤ قد بعتُ حظي راضيا ... من هــذه الدنيا بحظي منكم

فسلوت إلا عنكم وقنعت إلا منــــكم وزهــدت إلا فيــكم

ما كان بعد أخي الذي فارقته ... ليبوح إلا بالشكاية لي فم

هو ذاك لم يملك علاه مالك ... كلا ولا وجدي عليــه متمم (2)

أقْوَتْ مغانيه وعطّل ربعه ... ولربّما هجر العرين الضيغم (3)

ورمت به الأهوال همة ماجد ... كالسيف يمضي عزمه ويصمم

يا راحلا بالمجد عنــــا والعلا ... أترى يكون لكم عليه مقدَّم

يفديك قوم كنت واسط عقدهم ... ما إن لهم مذ غبت شمل يُنظَم

جهلوا فظنوا أن بعدك مغنم ... لمــــا رحلتَ وإنما هو مَغْرَم

ولقد أقر العينَ أن عِداكَ قد ... هلكوا بغيظهم وأنت مُسَلَّم

أقيال نسل حميرٍ مَنْ حل القنَا ... وملوك قحطان الذين هم هم

متواضعين ولو ترى ناديهم ... ما استنطَقت من إجلالهم تتكلم (4)

---

(1) أنجدوا: ساروا إلى نجد، وأتهموا: ساروا إلى تهامة

(2) أراد مالك بن نويرة ومتمم بن نويرة أخاه

(3) في ب « ولما رمى هجر العرين ضيغم » وفي ت « ولربما هجر العرين » وكلاهما محرف، والضيغم: الأسد، والعرين — بفتح العين — مسكنه، وهو في المعجم كما أثبتناه

(4) في معجم الأدباء « متواضعون » وكل صحيح عربية

وكفاهم شرفا ومجدا أنهم   أن أصبح الداعي لمتوج منهم

هو بدر تمٍّ في سماء علاهمُ   وهو ابنه نور وربيع أنعم

ملك جمـاله جنّةٌ لعفاته   لكنه للحاسـدين جحيم

مع أنني سيرت فيك شواهدا   كالدر بل أبهى لدى من يفهم

ممدوحها لذاريات رواكد   وتبيت تسري والكواكب نُوَّمُ

(٩٦)

الحسن بن علي الساسكوني

الحسن بن علي السَّاسكُوني[1] .

من شعره :

أيروم هـذا القلب برء جراحه   وسيوف لحظك تنتضى لكفاحه[2]

يا مستبيح دم المتيم عامـدا   أسبيت يوم البعث حمل جُناحِه[3]

نظري الذي في الحب قد أفسدته   وفساده في الحب عين صلاحه

حتّام تطرف طرف عيني بالبكى   ويلام طرفي مولع بطلاحـه

يا ويح مُودِع سره في جفنـه   فلقد أراد الستر من فضاحـه

ليت الحبيب عداة أنكر حبه   لم ينم عن عيني حتى تفضحـه

يا لائم المشتاق تبغي نصحه   ...ه سهم تشكون من نصحـه

أو فانظر الرشأ الذي خلخاله   لو شاء صيره مكان وشاحـه

يفتر عن شنب تلألأ نوره   كالروض لاح لديك نور أقاحه[4]

ويدير باطره فيسكرنا فضل   رشأ يتوب بعينه عن راحـه

ملك إذا رنح العـدا أنواءهم   كانت مدائحها رؤوس رماحه

(١) الساسكوني : نسبة إلى ساسكون ، قال ياقوت « ساسكون من قرى حماة ، ينسب إليها المهذب حسن الساسكوني شاعر شاب عصري أنشدني له بعض أصحابنا أبياتا في الخمول » اه   (٢) انتضى السيف : استله من غمده ، وقد شبه ألحاظه بالسيوف ، ثم أضاف المشبه به إلى المشبه   (٣) الجناح ـ بضم الجيم ـ الإثم   (٤) يفتر : يبتسم ويضحك ، والشنب ـ بفتح فكسر ـ أصله البارد ، وبرد الفم

يُرْخى ويخشى فانية وليٌ … مقرونتان بصفحه وصفاحه

سمح لوَ أنّ الغيث كلّم كفّه … نشرا لعنفه لفرط سماحه[1]

هو بحر جودٍ فابتعد عن لجه … لا يغرقنك وادْنُ من صحصاحه[2]

هو وسرل فارعية فصــله … كالطُّود يدفع ماءه لطاحه[3]

وقال يمدح زين الدين أتابك

أعن لؤلؤ رطب تبسّمتِ أم ثغر … ومن رقة أسكرتني أم من الخمر

وعطفك يهتزّ ماس أم خوط بانة … وطرفك أم هاروت يبعث بالسحر

فصلك هجــران لأني ولو أنه … يجوز بصحبي تذل النهى بالأمر

وهذا فما أدري إن كنت نادرة دمي … لديك، ويا شوق إلى ذلك الغدر

وإني لأهوى أن يكون تقتلي … ليعشق خصمي لك الله في الحشر

وقال أيضا يهجو عروضيا نحويا:

لا تنكروا ما ادّعى فلان من الشــعر إذا قيل إنه شــاعر

فالنحو ثم العروض قد شهدا … له على الشــعر أنه قادر

فقصر ممدوده ويرفعــه … في الجر نصب المرمول في الآخر

بزلك وهو البسيط دائرة … تجمع بين الطويل والوافر

وقال في طراحة فيروز أخضر

أنا أرض صار من السماء … إذ يطاول بخصيه الأبهاء

فاض من كمه المنى فاستدارت … في حواشيه روضة غنــاء

وقال، وقد ناوله مليح خاتما فصّه عقيق ولوزاته فضة:

وأهيفٍ ناولني خاتما … فخلتــه ناولني فاه

كأنما الفص ولوزاته … لسانه بين ثنــاياه

فصل به أنه خاتم … من فضة قد صاغه الله

---

(١) الغيث المطر، وعنفه [illegible] لأنه أشد اللوم، والسماح: الجود

(٢) الصحصاح ـ بفتح الصادين ـ الماء القريب الغور

(٣) الطود ـ بالفتح ـ الجبل

(٩٧)

أبو علي الحسن بن عضد الدولة الجذامي

الحسن بن عضد الدولة، أبي الحسن، أخي المتوكل على الله ملك الأندلس ابن يوسف بن هود، الجذامي[1]

قال الشيخ أثير الدين: رأيته بمكة، وجالسته، وكان يظهر منه الحضور مع من يكلمه، ثم لا يظهر الغيبة منه، وكان يلبس نوعا من الثياب مما لم يعهد الناس مثله بهذه البلاد، وكان يذكر أنه يعرف شيئا من علوم الأوائل، وكان له شعر، منه:

خضت الدجنة حتى لاح لي قبس ... وبان بان الحمى من ذلك القبس

فقلت للقوم هذا الربع ربعهم ... وقلت للسمع لا تخلو من الحرس

وقلت للعين غضي عن محاسنه ... وقلت للنطق هذا موضع الخرس

وقال الشيخ شمس الدين: هو الشيخ الزاهد الكبير أبو علي بن هود، المرسي، أحد الكبار في التصوف على طريقة الوحدة

مولده سنة ثلاث وثلاثين وستمائة بمرسية، وكان أبوه نائب السلطنة بها، حصل له زهد مفرط، وفراغ عن الدنيا، وسكرة عن دينه، وغفلة عن نفسه، واشتغل بالمنطق والحكمة، وبكتب الصوفية، وخلط هذا بهذا، وحج، ودخل اليمن، وقدم الشام، وكان ذا هيبة، ووقار، وشيبة، وسكون، وفنون، وتلامذة ودنيا، وكان على رأسه قبع كشف[2]، وعلى جسده دلق، كان غارقا في الفكرة، عديم اللذة، متواصل الأحزان، فيه انقباض عن الناس، وحمل مرة إلى والي البلد وهو سكران، أخذوه من حارة اليهود، فأحسن

(١) له ترجمة في شذرات الذهب ٢٤٦/٥، وسماه «بدر الدين حسن بن علي بن أمير المؤمنين أبي الحجاج يوسف، المرسي، الأندلسي، نزيل دمشق المعروف بابن هود» وقال «ووصفه الذهبي بالاتحاد والضلالة»

(٢) كذا

الوالي به الظنّ، وأطلقه، وقيل: سقاه اليهود حَشيشًا منهم ليعصوا منه بذلك، وكان قد نالهم منه أذى، وأسلم على يده جماعة، منهم سعيد، وبركات، وكان يحب الكوارع بالثومة، فدعوه إلى بيت واحد منهم، وقدموا له ذلك، فأكل، ثم غاب ذهولا على عادته، فأحضروا الخمر، فلم يشكر حضورها، فداروها، ثم ناولوه منها قدحا، فاستعمله تشبها بهم، فلما سكر أخرجوه على تلك الحالة، وبلغ الخبر الوالي، فركب وحضر إليه، وأردفه خلفه، وبقي الناس خلفه يتعجبون من أمره، وهو يقول لهم بسعد كل فترة: إيش جرى من ابن هود شرب العقار؟ يعقد القاف كافا في كلامه، وكان يشتغل اليهود عليه في كتاب «الدلالة» وهو مصنف في أصول دينهم للرئيس موسى.

قال الشيخ شمس الدين. قال شيخنا عماد الدين الواسطي: أتيت إليه وقلت له: أريد أن تسلكني، فقال: من أيّ الطرق؟ من الموسوية، أو من العيسوية، أو المحمدية؟.

وكان إذا طلعت الشمس يستقبلها ويُصلّب على وجهه.

وصحب العفيف عمر بن الطلب، والشيخ سعيد المعرى، وغيرهما، ولم يصلّ عليه إلا القاضي بدر الدين بن جماعة.

ودفن بسفح قاسيون سنة سبع وتسعين وستمائة(١)

قال الشيخ صلاح الدين الصفدي: كان بعض الأيام يقول له عبيده سعيد: أرني فاعل النهار، فيأخذ بيده ويصعد إلى سطح ويقف باهتا إلى الشمس نصف نهار، وكان يمشي في الجامع، باهت الطرف، ذاهل العقل، وهو رافع

—

(١) في الشذرات عن المناوي في طبقاته أن وفاته كانت في سنة تسع وتسعين وستمائة، واتفق مع ما هنا على أنه دفن بقاسيون

أصبعه السبابة كالمتشهد ، وكان يوضع في يده الجمر فيقبض عليه ذهولا عنه ، فإذا أحرقه رجع إلى حسه فألقاه من يده ، وكان يحفر له الحفر في طريقه فيقع فيها ذهولا وغيبة

ومن شعره عفا الله عنه :

فؤادي من محبوب قلبي لا يخلو   وسري على فكري محاسنه يجلو

ألا يا حبيب القلب يا من بذكره   على ظاهري من باطني شاهد عدل

تجليت لي من عن يمين فأصبحت   صفاتي تنادي ما المحبوب مثل

أوري بذكر الجزع عنه ورامة   ولا البان مطلوبي ولا قصدي الرمل

وأذكر سعدى في الحديث مغالطا   سلي ولا ليلى مرادي ولا جمل

ولم أر في العشاق مثلي لأنني   بدا لي الهوى وهو لي العدل

سوى معشر حلوا النظام وخرقوا الثياب فلا فرض عليهم ولا نفل

مجانين إلا أن ذل جنونهم   عزيز على أعتابهم يسجد العقل

وله قصيدة منها :

علم قومي بي جهل   إن شأني لأجل

أنا عبد أنا رب   أنا عز أنا ذل[1]

أنا دنيا أنا أخرى   أنا بعض أنا كل

أنا معشوق لذاتي   لست عن الدهر أسلو[1]

وهي طويلة جدا ، والله تعالى أعلم بحاله .

---

(١) بهذا ونحوه تمسك المحبي على أنه اتحادي

(٩٨)

بدر الدين الحسن بن على الكاتب

الحسن بن على ، الشيخ بدر الدين ، المحدث ، الكاتب المجود .

كان فاضلا ، ينظم وينثر ، وله كتاب رُبَى الحانية بدمشق ، وكان يكتب القصص للأمينية ، وكتب عليه جماعة ، وهو كتب على الشيخ نجم الدين بن البصيص .

توفى سنة اثنتين وثلاث وثلاثين وسبعمائة ، وقد ناهز السبعين .

كان الملك الأوحد له معه صحبه ، فتحدث له مع الأمراء أن يدخل ديوان الإنشاء بدمشق ، فرسم له بذلك ، فأبى ، فلامَهُ الملك الأوحد على ترك ذلك ، فقال : أنا لو دخلت إلى الديوان ما يُرتَّبُ لى أكثر من خمسة دراهم كل يوم ، ولم يخلونى فوق بنى فضل الله ، ولا بنى القلانسى ، ولا بنى القَيْسَرانى ، ولا فوق بنى غانم ، ولا يجعلونى إلا دونهم ، ولو تكلمت قالوا : أيصير الصفعة واحد كان فقيه كتاب يريد أن يقعد فوق السادة الموقعين ، وإن جاء سفر ما يخرجون غيرى ، وإن تكلمت قالوا : أيصير الصفعه ، يحتشم عن السفر فى ركاب ملك الأمراء ، وها أنا كل يوم أحصِّلُ من المكتب الثلاثين درهما والأكثر والأقل ، وأنا كبير هذه الصناعة ، وأحكم فى أولاد الرؤساء والمحتشمين .

ومن شعره فى فرحة بنت الخيالة المغنية :

ما فرحتى إلا إذا واصلت   فَرْحَةُ بين الكس والكاس

لأن أراها وَهْيَ فى مجلس   ما بين طباخ وهرّاس

ومن شعره رضى الله تعالى عنه :

وقد عنفونى فى هَوَاه بقولهم   ستقطع منه الذهن واصبر على الحزن

فقلت لهم: كفوا فإني واقع   وحقكم بالوجد فيه إلى الدفن

(٩٩)

أبو الجوائز الحسن بن علي الواسطي

الحسن بن علي بن محمد الكاتب، أبو الجوائز، الواسطي[1].

أقام ببغداد زمناً طويلاً، وذكره الخطيب في تاريخه، وقال: علقت عنه أخباراً، وحكايات، وأناشيد، وأمالي عن ابن سكرة الهاشمي، وغيره، ولم يكن ثقة، فإنه ذكر لي أنه سمع من ابن سكرة، وكان يصغر عن ذلك، وكان أديباً شاعراً.

ومن شعره:

دع الناس طراً واصرف الودّ عنهم   إذا كنت في أخلاقهم لا تسامح
ولا تبغ من دهر تظاهر رنقه   صفاء بنيه فالطباع جوامح
وشيئان معدومان في الأرض: درهم   حلال، وخل في المودة ناصح

ومن شعره أيضاً رحمه الله:

يا خجلتي من قولها   عن عهودي ولها[2]
وحق من صيرني   وقفاً عليها ولها[3]
ما خطرت بخاطري   إلا كستني ولها[4]

وكانت وفاته في سنة ستين وأربعمائة، رحمه الله تعالى!

---

(١) له ترجمة في ابن خلكان ذكر فيها كل ما ذكرناه (رقم ١٦٥) فليس هو من الفوات

(٢) ولها: الواو للعطف، ولها: ماض من اللهو، وفي ابن خلكان «واخجلتي من قولها»
(٣) ولها: الواو للعطف، واللام حرف جر، وها: ضمير الغائبة
(٤) ولها — بفتح الواو واللام: شدة العشق حتى يشبه الجنون

وقال أيضاً غفر له :

براني الهوى بري المُدَى وأذابني ... صدودك حتى صرت أنحل من أمسي

فلست أرى حتى أراك وإنما ... يبين هباء الذرّ في ألق الشمس

(١٠٠)

أبو العالية
الحسن بن مالك
الشامي

الحسن بن مالك، أبو العالية، الشامي، مولى العنبريين، وهو مولاهم، قوم من عرب نزلوا البصرة في بني تميم أيام عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه.

كان أديباً شاعراً ذا دراية من أصحاب الأصمعي، وكان إذا جلس الأصمعي أو غيره وتكلم معه تنصّف منه وزاد عليه.

ومن شعره

ولو أنني أُعطيتُ من دهري المُنى ... وما كلُّ من يُعطى المنى بِمُسدَّدِ

لقلتُ لأيامٍ مضَينَ ألا ارجعي ... وقلتُ لأيامٍ أتينَ ألا ابعُدي

حدث المبرد قال: قال الجاحظ لأبي العالية: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت على غير ما يحب الله وغير ما أحب أنا وغير ما يحب إبليس، لأن الله عز وجل يحب أن أطيعه ولا أعصيه ولست كذلك، وأنا أحب أن أكون على غاية الجدة والثروة ولست كذلك، وإبليس يحب أن أكون منهمكاً في المعاصي واللذات ولست كذلك.

ومن شعره أيضاً

أذم بغداد والمُقامَ بها ... من غير ما خبرة وتجريب

ما عند سكانها لمختبط ... رِفْدٌ ولا فرجة لمكروب[1]

قوم مواعيدهم مزخرفة ... بزخرف القول والأكاذيب

خلوا سبيل العلى لغيرهم ... ونازعوا في الفسوق والحوب

---

(١) المختبط : هو من يتعرض لك ابتغاء معروفك من غير أن تكون له وسيلة يمت بها إليك . والرفد ـ بالكسر ـ العطاء .

يحتاج راجي النوال عندهم إلى ثلاث من غير تكذيب
كنوز قارون أن تكون له وعُمْر نوح وصَبْر أيوب

وكانت وفاته يوم تمام الأربعين والمائتين، رحمه الله تعالى!

(١٠١)

أبو الحسين الحسن بن المبارك

الحسن بن المبارك بن محمد بن الخل، الفقيه، أبو الحسين[1]

كان شاعراً ظريفاً، رشيق القول، مليح المعاني، مدح وهجا، وتوسع في قول الشعر، وقال الدوبيت.

قال محب الدين بن النجار: «روى شعره أبو بكر بن كامل الخفاف وأبو القاسم علي — هو ابن الحسين بن هبة الله الدمشقي — في معجم شيوخهما، وكلاهما سماه الحسن، وسماه ابن السمعاني أحمد، ورأيت بخطه: وكتب الحسن».

وتوفي سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة.

ومن شعره رحمه الله تعالى:

رَوِّحا روحي براح ليس منه لي براح
وابكراني بالأغاني قبل إدراك الصباح
هو يوم قد بدت فيه أمارات الفلاح
يوم لهو ودنو من محبوب وراح
سيّما والغيم قد أقبل من كل النواحي
واستغاث الماء في دجلة من جور الرياح
ودعا عذّالكما لي في فسادي وصلاحي

---

(١) وقع في الأصول «أبو الحسين» وقد ذكر في شذرات الذهب ٤/١٦٤ أبا الحسن محمد بن المبارك بن محمد بن عبد الله بن محمد، المعروف بابن الخل، الفقيه الشافعي البغدادي. وذكر عقبه أخاه أبا الحسين أحمد بن المبارك، ولابن الخل ترجمة في ابن خلكان (رقم ٥٦٥) وذكر فيها أبا الحسين أحمد بن المبارك، وهو عنده، ولكنه عقدها لأخيه أبي الحسن محمد الفقيه

فساد العقل أن أسهر في د اليوم صاحي

وقال أيضاً رحمه الله :

زار طيف الخيال بعد خيال … زورةً ما تموّهت بالوصال

غير أن المحب يرضى بطيفٍ … أو بوعد مُمضٍ مطال

وعلى أنه يسر ولكن … حين يسري على بريد خيالي

آه من قلة التجلد والصبر، وويلي من كثرة العذال

ونفسي ذاك الغزال وحاشا … حسنه أن أقيسه بالغزال

والذي إذا ما قابل الأسد … ع أعدى القلوب بالنبال

ومُحيّاه كالهلال إذا أقمر في تمه ولا كالهلال

وقال أيضاً رحمه الله :

قدّها لا يقتل مدنفاً … هواه قد هيّج بلباله

ما زال يرجو منك وصلاً إلى … أن قطع الهجران أوصاله

فقسمت فيها وقالت وكم … قد قتلت عيناي أمثاله

(١٠٢)

أبو محمد الحسن ابن محمد الوزير المهلبي

الحسن بن[1] محمد بن عبد الله بن هارون، أبو محمد، الوزير المهلبي، من ولد المهلب ابن أبي صفرة

كان كاتب معز الدولة بن بويه، ولما مات الصيمري قلده معز الدولة الوزارة مكانه، وقربه، وأدناه، واختص به، وعظم جاهه عنده، وكان يلي أمر الوزارة للمطيع من غير تسمية بالوزارة، ثم خلعت له الخلع من دار الخلافة بالسواد والسيف والمنطقة، ولقبه المطيع بالوزارة، ووزر للدولتين، وكان …

(١) له ترجمة في شذرات الذهب ٣/٩ وله ترجمة في وفيات الأعيان لابن خلكان (الترجمة رقم ١٧٠ في ١/٣٩٢ محققة) فليس هو من ثواب، وله ترجمة في معجم الأدباء ١١٨/٩

ظريفاً، قد أخذ من الأدب بحظٍّ وافر، وله همة كبيرة، وصدر واسع، وكان جامعاً لخلال الرياسة، صبوراً على الشدائد.

وكان أبو الفرج الأصبهاني وسخاً في ثوبه ونفسه وفعله، فواكل الوزير المهلبي على مائدة، وقدمت سكباجة فوافقت من أبي الفرج سعلة، فبدرت من فمه قطعة بلغم وقعت في وسط الصحن، فقال المهلبي: ارفعوا هذا وهاتوا من هذا اللون في غير هذا الصحن، ولم يَبِنْ في وجهه استكراه، ولا داخل أبا الفرج حياء ولا انقباض.

وكان من ظَرْف الوزير المهلبي إذا أراد أكل شيء من أرز بلبن وهريس وحلوى ونحوه وقف إلى جانبه الأيمن غلام معه نحو من ثلاثين مِلعقة زجاجا مجروداً[1]، فيأخذ مِلعقة من الغلام الذي على يمينه ويأكل بها لقمة واحدة ثم يدفعها إلى الغلام الذي على يساره لئلا يعيد المِلعقة إلى فيه مرة ثانية.

ولما كثر على الوزير استمرار ما يجري من أبي الفرج جعل له مائدتين إحداهما كبيرة عامة، والأخرى لطيفة خاصة يواكله عليها من يدعوه إليها.

وعلى صنعه ما كان يصنعه بأبي الفرج ما خلا من هجوه، كان أبو الفرج قال:

أبعين مفتقر إليك نظرتني ... فأهنتني وقذفتني من حالق

لستَ الملومَ أنا الملوم لأنني ... أنزلت آمالي بغير الخالق

ويروى أن هذين للمتنبي، رواهما له الكندي[2]

وكان قبل وزارته قد سافر مرة، ولقي في سفره مشقة شديدة، واشتهى اللحم فلم يقدر عليه، وكان معه رفيق يقال له أبو عبد الله الصوفي، فقال المهلبي ارتجالا شعراً:

---

(١) في ب «زجاجا مجرورا»

(٢) هما في ترجمة المتنبي منسوبان إليه، وقال ابن خلكان (الترجمة رقم ٤٩) «وكان الشيخ تاج الدين الكندي – رحمه الله – يروي له بيتين لا يوجدان في ديوانه وكانت روايته لهما بالسند الصحيح المتصل، فأحببت ذكرهما، وهما» ثم ذكر هذين البيتين.

ألا موت يباع فأشتريه ... فهذا العيش ما لا خير فيه
إذا أبصرتُ قبراً من بعيد ... وددت لو أنني مما يليه
ألا موت لذيذ الطعم يأتي ... يُخَلِّصني من الموت الكريه
ألا رَحِمَ المهيمنُ نفسَ حرٍ ... تصدق بالوفاة على أخيه

فلما سمع هذه الأبيات اشترى له بدرهم لحما وطبخه وأطعمه ، وسارقاه ، وتقلبت الأحوال بالمهلبي ، وولى الوزارة ، وضاقت الأحوال برفيقه الصوفي ، فقصده وكتب إليه شعراً

ألا قل للوزير فدته نفسي ... مقال مُذَكِّر ما قد نسيه
أتذكر إذ تقول لضيق عيش ... (ألا موت يباع فأشتريه)

فلما قرأ الأبيات تذكره ، وأمر له في الحال بسبعمائة درهم ، ووقع له في رقعته (مَثَلُ الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة) ثم دعاه وخلع عليه ، وقلده عملا يليق به

ولما ترقت به الحال قال :

في زمانٍ خانقٍ ... ورزقٍ لطول تقلقي[1]
فنالني ما أرتجيه ... وحاد عما أتقي
فلأصفحنّ عما جناه ... من الذنوب لتشفّي
حتى جنايته بما ... فعل المشيب بمفرقي

ومن شعره رحمه الله

قال لي من أحبُّ والبين قد حـ ... ـدوق مهجتي لهيب الحريق
ما الذي في الطريق تصنع بعدي؟ ... قلت: أبكي عليك طول الطريق

---

(١) الخانقة : العسر . والتقلق : الاضطراب وكثرة التنقل في البلاد

قال أبو إسحاق الصابي : كنتُ يوما عند الوزير المهلبي ، وقد أخذ ورقة وكتب فيها

فقلت بديها

له يد أبدعت جوداً بنانها ومنطق دره في الطِّرسِ ينتثر(١)

فحاتم كامن في بطن راحته وفي أناملها سحبان يستتر(٢)

ومن شعره رحمه الله

الجود طبعي ولكن ليس لي مال وكيف يصنع مَنْ بالقرض يحتال

فهاك حظي فخذه منك تذكرة إلى اتساع فلي في الغيب آمال

ومنه أيضاً عفى عنه :

أتاني في قميص اللاذ يسعى عَـدُوٌّ لي يلقب بالحبيب

فقلت له بعينك كيف هذا بلا واشٍ أتيت ولا رقيب

فقال الشمس أهدت لي قميصاً كلون الشمس في شفق الغروب

فثوبي والمدامُ ولونُ خدي قريب من قريب من قريب

ومنه أيضاً رحمه الله :

تطوي ديارها الهموم كما تطوي دجى الليل بالمصابيح

ثم تفتت مخلَّفُها سمحت بروحها خلعة على روحي

وكان أبو العجيب شداد بن إبراهيم الجزري الواعظ المُلقَّب بالطاهر كثيرَ الملازمة للوزير المهلبي ، فاتفق أن غسل ثيابه ، فقصد الوزير يدعوه ، فاعتذر ، لم يقبل ، وألح في استدعائه ، فكتب إليه شعراً :

عبدك تحت الحبل عريان كأنه — لا كان ! — شيطان

---

(١) الطرس — بالكسر — الذي يكتب فيه

(٢) حاتم : مضرب المثل في الجود ، وسحبان وائل : مضرب المثل في الفصاحة

يفصل أثوابا كأن السلى | منها خليط وهى أوطان
أرق من دينى وإن كان لى | دين كما للناس أديان
كأنها حالى من قبل أن | يصبح عندى لك إحسان
يقول من يبصرنى معرضا | فيها وللأقوال برهان
هذا الذى قد نسجت ثوبه | عناكب الحيطان ، سان

فأنفذ إليه حُلّة وقميصا وعمامة وسراويل وخمسمائة درهم ، وقال : أنفذت إليك ما تلبسه ، وما تدفعه إلى خيط ، فإن كنت عملت النكتة وإلا عرفنى لأنفذ إليك عوضها

ومن شعر الوزير المهلبى :

تصارمت الأجفانُ لما هجرتنى | فما تلتقى إلا على عبرة تجرى[1]

وطوّل ياقوت ترجمته

وكانت وفاته سنة اثنتين وخمسين وثلثمائة ، بطريق واسط ، وحمل إلى بغداد ، رحمه الله تعالى !

(١٠٣)

الحسن بن محمد بن على[2] ، الأنصارى ، أبو على ، المالقى ، المعروف بابن كسرى[3]

توفى الحسن بن محمد الأنصارى المالقى (ابن كسرى)

قال ابن الأبار فى « تحفة القدوم » : توفى سنة أربع وستمائة ، رحمه الله تعالى

ومن شعره فى طفل قبّله فاحمرّت وجنته :

وأبلج رائق الشباب دنا | بهجة خديه ما أمتعها
كأننى عندما أقبلها | أمسح فى وردة لأقطفها

وقال أيضا رحمه الله

وحاق بنقصان جميع الورى نقص | فيا سوء ما تلقاه إن كنت فاضلا

(١) تصارمت الأجفان : أى صرم بعضها بعضا ، وكنى بهذه العبارة عن عدم النوم لأن النوم يحصل بانطباق أحد الجفنين على الآخر ، فإذا لم يتلاق الجفنان لم يحدث النوم

(٢) له ترجمة فى بغية الوعاة (ص ٢٢٩) (٣) فى البغية « يعرف بابن كسكرى »

ألم تر أن البـــدر يزحف ناقصاً ويترك منسياً إذا كان كاملا

وقال في ابن خلدون :

يا شاعراً ينسابي وجدّه خلدون

لم يكفِ أنك خلٌّ حتى بأنك دون

(١٠٤)

أبو الفضائل الحسن بن محمد الصاغاني

الحسن بن محمد[1] بن الحسن بن حيدر العلامة ، رضي الدين ، أبو الفضائل ، القرشي ، العدوي ، العُمَري ، المحدث ، الفقيه ، الحنفي ، اللغوي ، النحوي ، الصغاني

قال الدمياطي : كان شيخاً صالحاً ، صموتاً عن فضول الكلام ، صدُوقاً في الحديث ، إماماً في اللغة والفقه والحديث ، قرأت عليه ، وحضرت دفنه بداره بالحريم الطاهري ، ثم نقل بعد خروجي من بغداد إلى مكة ، ودفن بها ، وكان قد أوصى بذلك ، وأعدّ خمسين ديناراً لمن يحمله

وتوفي سنة خمسين وستمائة[2] .

قال العلامة قاضي القضاة تقي الدين السبكي : حكى لي الشيخ شرف الدين الدمياطي أن الصغاني كان معه ولد ، وقد حكم بموته في وقت ، وكان يترقب ذلك الوقت ، فحضر ذلك اليوم وهو معافى فلم يلبث به علة ، فعمل

---

(١) له ترجمة في بغية الوعاة (ص ٢٢٧) ومعجم الأدباء ٩ ، ١٨٩ وفي كشف الظنون ١١٢٣

(٢) في ب ، ث « وتوفي سنة خمسين وثلاثمائة » وهو تحريف ، فإن السيوطي نص على مولده في سنة سبع وسبعين وخمسمائة بمدينة لاهور ، وأنه دخل بغداد سنة خمس عشرة وستمائة ، وقال ياقوت « وفي سنة ثلاث عشرة وستمائة كان بمكة ، وقد رجع من اليمن ، وهو آخر العهد به » اهـ . ونص حاجي خليفة على وفاته في سنة ٦٥ وذكر في الكلام على مفصل الزمخشري (ص ١٧٧٦) أن الصاغاني توفي في سنة ٦٠٥ وهو خطأ يدل له ما ذكرناه عن ياقوت الذي لقيه والصاغاني صاحب التكملة على الصحاح ، وصاحب العباب في اللغة وغيرها من الكتب

لأصحابه وتلامذته طعاماً شكراً، وفارقناه، وعديت الشط، فلقيني مَنْ أخبرني بموته، فقلت له: الساعة فارقته، فقال: والساعة وقع الحمام به فحانَ، أو كما قال، رحمه الله تعالى، ورضي عنه وعفا عنه وكرمه!.

(١٠٥)

أبو علي الحسين ابن محمد الشهواجي

الحسين بن محمد[1]، الشهوَاجي، أبو علي

قال ياقوت: أديب شاعر لبيب مشهور مذكور، وشهواج: من قرى مصر، صنف كتاب «القوافي».

وتوفي بمصر سنة أربعمائة، رحمه الله تعالى!.

ومن شعره:

وقد كنت أخشى الحب لو كان دفعة ... من الحب أن أخشاه قبل وقوعه

كما يحذر الإنسان من نوم عينه ... ونام ولم يشعر أوان هجوعه

ومنه أيضاً رحمه الله

كرام المساعي في اكتساب محامد ... وأهدى إلى طرق المعالي من القطا

وأبوابهم معمورة بعفاتهم ... وأيديهم ما تستريح من العطا

ومنه أيضاً قوله:

ذكرت بها عهداً مضت إليه ... فبكيت من الفراق حبيبه

ومنه أيضاً:

قوم كرام إذا سلوا سيوفهم ... في الروع لم يغمدوها في سوى المهج

إذا دجا خطب أو ضاقت مذاهبه ... وجدت عندهم ما شئت من فرج

---

(١) في معجم البلدان (٥/١٨٧) «شهواج: بفتح أوله وسكون ثانيه ثم واو وآخره جيم - قرية من قرى مصر ينسب إليها أبو علي الحسن بن محمد الأديب صاحب كتاب القوافي» وفي معجم الأدباء (١٠/ ١٦) رجعه كما نقله عنه صاحب هذا الكتاب، وذكره في أثناء من يسمى «الحسين» فيكون ما وقع في معجم البلدان خطأ.

(١٠٦)

عز الدين الحسن بن محمد الفيلسوف الضرير

الحسن بن محمد[١] بن أحمد بن نجا، الإربلي، الفيلسوف، عز الدين، الضرير[٢].

كان بارعاً في الفنون الأدبية، رأساً في علوم الأوائل، وكان بمنزله بدمشق منقطعاً، ويقرئ المسلمين وأهل الكتاب، والفلاسفة، وله حرمة وافرة، وكان يهين الرؤساء وأولادهم بالقول، وكان مخلاً بالصلوات، يبدو منه ما يشعر بانحلاله، وكان يصرح بتفضيل عليٍّ على أبي بكر، وكان حسن المناظرة، له شعر خبيث الهجو

وتوفي في سنة ستين وستمائة[٣]

ولما قدم القاضي شمس الدين بن خلكان ذهب إليه، فلم يحتفل به، فأهمله القاضي وتركه.

وقال عز الدين بن أبي الهيجاء: لازمت العز الضرير يوم موته، فقال: هذه البِنية قد انحلت، وما بقي يرجى بقاؤها، واشتهى أرزاً بلبن، فعمل له، وأكل منه، فلما أحس بشروع طلوع الروح منه، قال: قد خرجت الروح من رجلي، ثم قال: قد وصلت إلى صدري، فلما أرادت المفارقة بالكلية تلا هذه الآية (ألا يعلمُ مَنْ خلق وهو اللطيفُ الخبير)، ثم قال: صدق الله العظيم، وكذب ابنُ سينا، ثم مات في ربيع الآخر، ودفن بسفح قاسيون

ومولده بنصيبين سنة ست وثمانين وخمسمائة

قال الشيخ شمس الدين: وكان قذراً، رديء الشكل، قبيح المنظر،

---

(١) في ب، ت «الحسن بن محمد» وهو موافق لما في بغية الوعاة (ص٢٢٦) وفي الشذرات «الحسين بن محمد»

(٢) له ترجمة في بغية الوعاة (ص ٢٢٦) وفي شذرات الذهب ٥/٣٠١

(٣) في الشذرات أنه توفي في ربيع الآخر من سنة ٦٦٠ عن أربع وسبعين سنة، ومثله في بغية الوعاة ماعدا بيان مقدار عمره

لايتوقى المحاسات ، اتلى مع العمى تقروح وطلوعات ، وكان ذكيا ، جيد الذهن .

ومن شعره دوبيت :

لو كان لى الصبر من الأنصار ما كان عليك هتكت أستار
ما ضرك يا أسمر لو بت لنا فى دهرك ليلة من السمار

ومنه أيضا :

يا منصرفى على هواه صبرى ما كنت ألذ فيه هتك الستر
خرمت السمع سوى ذكركم مالى سمر سوى حديث السمر

ومن شعره فى العماد بن أبى زهران ، وكان يلقب أولا بالشجاع :

تعمم بالطرف من طرفه وقام خطيبا لندمانه
وقال السلام على من زنى ولاط وقد لإخوانه
فردوا جميعا عليه السلام وكل يترجم عن شانه
وقال : يجوز التداوى بها وكل عليل بأشجانه

وله فيه ، وقد تلقب بالعماد :

شجاع الدين محمد فهلا كنت شمعتنا
خطيبا فتت سكرانا وبركوات عمتنا

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

توهم واشينا بليل مزاره فهم ليسعى بيننا بالتباعد(١)
فعانقته حتى اتحدنا تعانقا فلما أتانا ما رأى غير واحد

قال القاضى كمال الدين بن العديم لما سمع هذين البيتين : أمسكه مسكة أعمى
وهذا المعنى تداوله الشعراء ولهجوا به ، قال سيف الدين بن المشد :

ولما زار من أهواه ليلا وخفنا أن يلم بنا مراقب
تعانقنا لأحسبه فصرنا كأنا واحد فى عقد كاتب

---

(١) فى الشذرات «توهم واشيه قليل مزاره» تحريف

وقال مِطْوَيْه النحوى :

ولما التقينا بعد بعدٍ بمجلس — تدار فيه أعين الرجس [illegible]

جعلت اعتمادى ضمّه واعتناقه — فلم نفترق حتى وهبته بعضى

وقال عز الدين أبو بكر الإربلى :

هم الرقيب ليسعى فى تفرقنا — ليلا وقد بات من أهواه معتنقى

عانقته فاعتدنا والرقيب أتى — فذ رأى واحدا ولّى على حنقِ

ومن شعر العز الإربلى دو بيت :

إن جئتُ تكلفا وفى لى طلبا — أو حدت عهوده عهودى برعى

يبقى لى فى ذاك دوام الأسر — هذا ضرر بحسبه لى نفعا

ومنه قوله أيضا :

وكاعب قالت لأترابها — يا قوم ما أعجب هذا الضرير

هل تعشق العيون ما لا ترى — فقلت والدمع بعينى غزير[1]

إن كان طرفى لا يرى شخصها — فإنها قد صُوِّرتْ فى الضمير

وقال أيضا رحمه الله :

ذهبت بشاشة ما عهدتُ من الهوى — وتغيرت أحواله وتنكّرا

وسلوت حتى لو سَرَى من نحوكم — طيف لما حيّاه طيفى فى الكرى

وقال أيضا غفر الله له :

قالوا عشقت وأنت أعمى — ظبيا كحيل الطرف ألمى

وحلاه ما عاينتها — فتقول قد شغفتك وهما

وخياله بك فى المنام — فما أطاف ولا ألمّا

من أين أرسل للفؤاد — ولم تره العين سهما

(١) فى ب «هل تعشق عينى ما لا ترى» ولا يستقيم عليه وزن البيت ، وفى [illegible]مة لوغاه «هل تعشق العينان ما لا ترى» وهو أظرف مما أثبتناه موافقة لما فى ث

فأحنت إلى مُوسَوِىّ الشـــوق إنصـاتا ونهمـــا
أهوى مخـــارجة السما ع ولا أرى ذات المثنَّى

وشعر العز الإربلي كله جيد ، رحمه الله تعالى وعفا عنه !

(١٠٧)

قوام الدين الحسن بن محمد (ابن الطراح)

الحسن بن محمد بن جعفر بن عبد الكريم بن أبي سعد ، الصاحب ، قوام الدين ، ابن الطراح[1]

قال أثير الدين : هو من بيت رياسة وحشمة وعلم وحديث ، وله معرفة بنحو ولغة ونجوم وحساب وأدب وغير ذلك ، وكان فيه تشيع يسير ، وكان حسن الصحبة والمحاورة ، وكان لأخيه فخر الدين المظفر بن محمد تقدم عند التتار ، قدم علينا قوام الدين إلى القاهرة ، ثم سافر إلى الشام ، ثم كر منها راجعاً إلى العراق مع عرفات ، وكنت سألته أن يوجه لي شيئاً من أخباره وشيئاً من شعره ، فوجه إليّ بذلك ، وكتب لي من شعره بخطه :

عذير دمعى في الخد مطّرد ونار حبى في القلب متقد
ومهجة في هواك أتلفها الـــشوق وقلب أودى به الكمد
عهدك لا ينقضى له أمد ولا قليل المِطال منك عِدْ

ومنه أيضاً :

لقد جمعت في وجهـه محبه بدائع لم تُجمع في الشمس والبدر
حباب وخمر في عقيق ودرحس وآس وورد جار وليل على فجر

قال : وكتب إلىّ أخي أبو محمد المظفر يعاتبني على امتناعي عنه ، وهو الذي رباني وكفلني بعد الوالد ، فقال :

لو كنت بابن أخى حفظت إخائى ما طبتَ نفسـاً ساعة بجفائى
وحفظتنى حفظ الخليل خليله ورعيت لى عهدى وحسن وفائى
خلفتنى قلق المضاجع ساهراً أرعى الدجى وكواكب الجوزاء

---

(١) لم أعثر له على ترجمة في غير هذا الكتاب ، مع طويل البحث

ما كان ظنى أن تحول مجرتى ٭ وأن تكون البعد منك جزائى

فكتبت إليه الجواب :

إن عبت عنك فإن ودى حاضر ٭ زهرٌ تخصّص محبتى وولائى
ما عبت عنك لهجرة تعتده ٭ ديناً علىّ ولا لضعف وفائى
لكننى لما رأيت يد النوى ٭ ترمى الجميع بفرقة وتنائى
أشفقت من نظر الحسود فصنتها ٭ فحجبته عن أعين الرقباء

(١٠٨)

الحسن بن وهب
بن الكاتب

الحسن بن وهب بن سعيد[1] بن عمرو بن حصين ، الكاتب

من شعره :

حراك عنوى عن الذنوب فما ٭ يخف عند الذنوب إعراضى
أشد يوما أشكو نه عضبا ٭ عليك فالقلب ضاحك راضى
أنت أمـير علىّ مقتدر ٭ حكمك فى قبض مهجتى ماضى
والخصمُ لا يرتجى الفلاح له ٭ يوما إذا كان خصمه القاضى

وقال أيضا رحمه الله :

أبكى لأن أيسر ما فى البكا ٭ لأنه للوجـد تسهيل
وهـو إذا أنت تأملته ٭ حزن على الخدين مطلول

قال الصولى : كان أبو تمام يعشق غلاما خزريا للحسن بن وهب ، وكان الحسن يعشق غلاما روميا لأبى تمام ، ورآه يعبث بغلامه ، فقال : والله لئن سرت إلى الرومى لأسيرن إلى الخزرى ، فقال له الحسن : لو شئت حكمتنا واحتكمت ، فقال له أبو تمام : أنا أشبهك بداود عليه السلام ، وأشبهى بخصمه ، فقال له الحسن :

---

(١) تجد أخباره فى الأغانى (٢٠/٥٤–٥٦ بولاق) وله ترجمة فى سمط اللآلى (ص ٥٦٠) وفهرست ابن النديم (١٧٧ مصر) ولأخيه سليمان بن وهب ترجمة فى الأغانى (٢٠/٦٧–٧٣)

لو كان هذا منظوما ، فقال أبو تمام من أبيات :

أذكرتني أمر داود وكنت فتى — مُصَرَّفَ القلب في الأهواء والفكر[1]

أعندك الشمس لم يحظ المغيب بها — وأنت مشتغل الأحشاء بالقمر

إن أنت لم تترك السير الحثيث إلى — جآذر الروم أعنقت إلى الخزر

ورب أمنع منه جانبا وحمى — أمسى وتكته منه على خطر

جردت فيه جيوش الحزم فانكسرت — عنه غياهبها عن نيكة هدر

أنت المقيم فما تغدو رواحله — وأيره أبدا منه على سفر

وقيل لأبي تمام : غلامك أطوع للحسن بن وهب من غلامه لك ، قال : أجل ؛ لأنه يعطي غلامي مالا ، وأنا أعطي غلامه قيلاً وقالا .

وكان قد وقف ابن الزيات على ما يجري بينهم ، فاتفق أن عزم غلام أبي تمام على الاحتجام ، فكتب إلى الحسن بن وهب يعلمه بذلك ويستهديه مطبوخا ، فوجه إليه مائة من مطبوخ ومائة دينار ، وكتب إليه :

ليت شعري يا أسمح الناس عندي — هل تداويت بالحجامة بعدي

دفع الله عنك لي كل سوء — باكر الخير ، إن حفظت عهدي

قد كتمت الهوى بمبلغ جهدي — فبدا منه غير ما كنت أبدي

وخلعت العذار إذ علم النا — س بأني إياك أصفي بودي

فليقولوا بما أحبوا إذا كنـ — ـت وصولا ولم ترعني بصد

واتفق أنه وضع الرقعة عند مصلاه ، ووقع لمحمد بن الزيات خبرها ، فوجه إلى الحسن من شغله بالحديث ، وأمر مَنْ جاءه بتلك الرقعة ، ففكها وقرأها ، وكتب فيها على لسان أبي تمام الطائي :

---

(١) يشير إلى قصة داود عليه السلام التي أشار الله تعالى إليها في سورة ص من القرآن الكريم ، وموضع الإشارة هو قوله جل ذكره (إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ، ولي نعجة واحدة ، فقال أكفلنيها وعزني في الخطاب)

ليت شعري عن ليت شعرك هذا   أبهزل تقوله أم بجدّ

فلئن كنت في المقال مجدًّا   يا ابن وهب لقد تطرّفت بعدي

لا أحب الذي يلوم وإن كا   ن حريصا على صلاحي ورشدي

بل أحب الأخ المشارك في الحب   وإن لم يكن به مثل وجدي

كبدي أنا على وحاشا   لكبدي من مثل شقوة جدّي

إنّ مولاي عند غيري ولولا   شؤم جدّي لكان مولاي عندي

وقال: ضعوا الرقعة مكانها، فلما رآها حبس قال: إنا لله! افتضحنا عند الوزير، وأعلم أبا تمام بما جرى، ووجّه إليه بالرقعة، فلقيا محمد بن عبد الملك، فقالا له: إنا جعلنا هذين الغلامين سببا لمكاتبتنا بالأشعار، فلا يظن بنا الوزير أعزه الله تعالى إلا خيرا، فقال: ومن يظن هذا بكما؟ وكان هذا الكلام أشدّ عليهما.

ولما مات الحسن بن وهب رثاه البحتري بأبيات منها:

أصبح الدهر دولة آل وهب   ونهار الليل منهم والنهار

أعاروهم رداء العز حتى   تقاضاهم فردّوا ما استعاروا

وقد كانت وجوههم بدورا   لمختبط، وأيديهم بحار

(١٠٩)

أمير المؤمنين المستضيء بالله الحسن بن يوسف العباسي

الحسن بن يوسف[1] بن محمد بن أحمد بن عبد الله، أمير المؤمنين، المستضيء بالله، ابن المستنجد، بن المقتفي، بن القائم، بن القادر، بن إسحاق، بن المقتدر، ابن المعتضد، بن الموفق، بن المتوكل، بن المعتصم، بن الرشيد، بن المهدي، ابن المنصور.

---

(١) له ترجمة في تاريخ الخلفاء (ص ١٧٨ طبع المطبعة الميمنية في سنة ١٣٠٥هـ) وانظر ابن الأثير ١١/١٤٦ و ١٨٧

بويع بالخلافة بعد وفاة والده المستنجد يوم الأربعاء العاشر من ربيع الآخر سنة ست وستين وخمسمائة ، وعمره يومئذ عشرون سنة وتسعة أشهر ويومان ، ومولده سَحَر يوم الاثنين ثالث عشري شعبان سنة ست وثلاثين وخمسمائة ، وأمه أم ولد أرمنية اسمها غضة .

كان حليماً ، رحيماً ، شفوقاً ، لين ، سهل الأخلاق ، كريماً ، حيياً ، متيقظاً ، كثير الصدقة والمعروف ، شديد البحث عن الفقراء وأحوالهم ، ويتفقدهم بالبرّ والعطاء

وكانت أيامه مشرقة بالعطاء والعدل .

وتوفي سنة خمس وسبعين وخمسمائة .

وكان له من الولد أحمد وهو الإمام الناصر ، وهاشم أبو منصور .

ولما تولى المستضيء بعثه نادى برفع المكوس ، وردّ المظالم الكثيرة ، وفرق مالاً عظيماً على الهاشميين والعلويين والمدارس والربط ، وكان دائم البذل للمال ، وخلع على أرباب الدولة أعماماً وتنبيه فناه إريسم لما استحلف ، وحرز سبعة عشر عنوكا ، ثم احتجب عن الناس ، ولم يركب إلا مع الخدم ، ولم يدخل عليه غير قايماز .

وفي أيامه زالت دولة العبيدية [١] بمصر ، وضربت السكة باسمه ، وجاء البشير إلى بغداد ، وغلقت الأسواق ، وعملت القباب ، وصنف ابن الجوزي في ذلك كتاب « النصر ، على مصر » وخطب له بمصر وقراها والشام واليمن وبرقة ، ودانت الملوك لطاعته ، وكان يطلب ابن الجوزي ، ويأمره بعقد مجلس الوعظ ، ويجلس حيث يسمع

(١) يريد دولة الفاطميين ، نسبتهم إلى عبيد الله المهدي ، وآخرهم العاضد لدين الله عبدالله بن يوسف بن الحافظ لدين الله ، وقد خلع في سنة سبع وستين وخمسمائة ومات بها ، وعدة من ملك منهم أربعة عشر متخلفا

ووَزَرَ له عضدُ الدولة[1] ابن رئيس الرؤساء ، وأبو الفضل ظهير الدين بن جعفر ، ومحمد بن محمد بن عبد الكريم الأنبارى ، ومات [و] فى الوزارة ظهير الدين بن العطار[2] ، وكان على قضائه أبو الحسن على بن الدامغانى ، وحاجبه مجد الدين أبو الفضل بن الصاحب وأبو سعد محمد بن الفرج ، قال فيه الحَيْصَ بَيْصَ :

يا إمام هدى علوتَ عن الجو د بمال وفضة ونُضار
فوهبت الأعمار والأمنَ والبلد ان فى ساعة مضت من نهار[3]
فبماذا أثنى عليك وقد جا وزتَ فضل البحور والأمطار[4]
إنما أنت معجز مستقل خارق للعقول والأفكار
جَمَعَتْ نفسُك الشريفة بالبأ س وبالجود بين ماء ونار

(١١٠)

الحسن بن عبد الله بن الحسين ، أبو عبد الله ، بن الجصاص ، الجوهرى .

أبو عبد الله الحسن بن عبد الله بن الجصاص الجوهرى

كان من أعيان التجار ذوى الثروة الواسعة ، ولما بويع بعبد الله بن المعتز وبطل أمره وتفرق جمعه وطلبه المقتدر ختفى عند ابن الجصاص هذا ، فوشى به خادمٌ صغير لابن الجصاص ، فصادره المقتدر على ستة آلاف ألف دينار .

قال ابن الجوزى : أخذوا منه ما مقداره ستة عشر ألف ألف دينار عيناً وورِقاً وقماشاً وخيلاً ، وبقى له بعد المصادرة شىء كثير إلى الغاية من دور وقماش وأموال وضياع .

وذكر أبو القاسم على بن المحسِّن بن على التَّنُوخى عن أبيه قال : حدثنى أبو الحسن أحمد بن محمد بن حملان ، قال : حدثنى أبو على أحمد بن الحسن بن عبد الله

(١) كذا فى ب ، ث ، وفى تاريخ ابن الأثير فى الموضعين « عضد الدين أبو الفرج ابن رئيس الرؤساء » (٢) فى ب ، ث « رضى الدين » محرفا ، وأثبتنا ما فى ابن الأثير ، ونصه « ظهير الدين أبو بكر منصور بن نصر ، المعروف بابن العطار » ولم يذكر غيره بعد عضد الدين

(٣) فى السيوطى « فوهبت الأعمار والأمن والبلدان »

(٤) وفيه « فبماذا يثنى عليك » و « جاوزت فضل البحور »

ابن الجصاص الجوهري قال : قال لي أبي : كان بدء يساري أني كنت في دهليز أبي الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون ، وكنت وكيله في ابتياع الجوهر وغيره مما يحتاجون إليه ، وما كنت أفارق الدهليز لاختصاصي به ، فخرجت إليّ قهرمانة[1] الحرم في بعض الأيام ، ومعها عقد جوهر فيه مائة حبة ، لم أرَ قبله ولا بعده أفخر ولا أحسن منه ، كلّ حبة منه تساوي مائة ألف دينار عندي ، وقالت : يحتاج أن نخرط هذه حتى تصغر فتجعل في آذان اللعب وفي قلائدها ، فكدت أطير ، وأخذتها ، وقد قلت : السّمع والطاعة ، وخرجت في الحال مسرورا ، وجمعت التجار ، ولم أزل أشتري كل ما قدرت عليه ، إلى أن جمعت مائة حبة أشكالا في النوع الذي طلَبته وأرادته ، وجئت عَشِيًّا وقلت : إن خرط هذه يحتاج إلى انتظار وزمن ، وقد خرطت اليوم ما قدرت عليه ، وهو هذا ، ودفعت إليها المجتمع ، وقلت : الباقي يخرط في أيام ، فقنعت بذلك ، وأخذت الحب ، فخرجت ، وما زلت أياما في طلب الباقي حتى اجتمع ، فحملته إليها ، ووقف عليّ المائة حبة بدون المائة ألف درهم ، وأخذت منهم جوهرا يساوي ألف ألف دينار ، ثم لزمت دهليزهم ، وأخذت لي غرفة كانت فيه ، فجعلتها مسكني ، وكان يلحقني من هذا أكثر مما يحصى ، حتى كثرت النعمة ، وانتهيت إلى ما استفاض خبره .

وحكى ابن الجصاص ، قال : كنت يوم قبض عليّ المقتدر جالسا في داري وأنا ضيق الصدر ، وكانت عادتي إذا حصل لي مثلُ ذلك أن أخرج جواهر كانت عندي في درج مُعَدَّة لمثل هذا من ياقوت أحمر وأصفر وأزرق وحب كبارا ودرًّا فاخرا ما قيمته خمسون ألف دينار ، وأصبّه في صينية ، وألعب به

---

(١) أصل القهرمان : الوكيل عن الشخص ، أو الأمين على الدخل والخرج وتأنيثه القهرمانة ، وهو دخيل في العربية ، وليس منها ، والمراد قهرمانة

حتى يزول قبضي ، فاستدعيت بذلك الدرج ، فأُتي به بلا صينية ، ففرغته في
حجري ، وجلست في صحن داري في بستان في يوم بارد طيب الشمس ،
وهو مُزْهِر بصنوف الشقائق(1) والمنثور ، وأنا أصف بذلك إذ دخل الناس بالرقعات
والمكروه ، فلما رأيتهم دُهشتُ ، ونفضت جميع ما كان في حجري من الجوهر
بين ذلك الزهر في البستان ، فلم يروه ، وأُخذت وحُبِستُ وبقيت مدة في المصادرة
والحبس ، وتقلبت الفصول على البستان ، وجفّ ما فيه ، ولم يفكر أحد فيه ،
فلما فرج الله عني وجئت إلى داري ورأيت المكان الذي كنت فيه ذكرتُ
الجوهر ، فقلت : ترى بقي منه شيء ؟ ثم قلت : هيهات ! وأمسكت ، ثم قمت
بنفسي ومعي غلام يُثير التراب بين يدي ، وأنا أفتش ما يثيره ، وآخذ منه
الواحدة بعد الواحدة ، إلى أن وجدت الجميع ، ولم أفقد منه شيئاً .

وكان يُنسب إلى الحمق وأشباهه ، فيُحكى عنه أنه قال في دعائه يوماً : اللهم
اغفر لي من ذنوبي ما تعلم وما لا تعلم

ودخل يوماً على ابن الفرات الوزير فقال : يا سيدي عندنا في الحوزة كلاب
لا يتركونا ننام من الصياح ، فقال الوزير : احسبهم جَرْبى ، فقال : أيها الوزير
لا تظن ذلك كل كلب مثلي ومثلك .

ونظر يوماً في المرآة فقال لرجل آخر : أنظر ذقني ، هل كبرت أو صغرت ؟
فقال له : إن المرآة بيدك ، فقال : صدقت ، ولكن الحاضر يرى ما لا يرى الغائب .

ورُؤي وهو يبكي وينتحب ، فقيل له : مالك ؟ قال : أكلت اليوم مع
جواري خبيص بالبصل ، فآذاني ، فلما قرأت في المصحف (ويسألونك عن

---

(1) الشقائق يراد بها شقائق النعمان ، وهو زهر أحمر ، يقال : أضيف إلى النعمان بن المنذر ملك العرب في الحيرة لأنه رآه يوماً فحماه ، ويقال : بل أضيف إلى النعمان ـ وهو اسم الدم ـ لأن لونه لون الدم .

المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء فى المحيض) فقلت : ما أعظم قدرة الله ! قد بين كل شيء حتى أكل اللبن مع الجوارى !.

وأراد مرة أن يدنو من بعض جواريه ، فتمنعت عليه ، فقال : أعطى عهد الله لا أقربنكِ إلى سنة لا أنا ولا أحد من جهتى .

وقال مرة : قد جربت يدى ولو غسلتها ألف مرة ما تنظف أو أغسلها مرتين

وماتت امرأة أبى إسحاق الزجاج ، فاجتمع الناس عنده للعزاء ، فأقبل ابن الجصاص وهو يضحك ويقول : يا أبا إسحاق ، والله سرنى هذا ، فدهش أبو إسحاق والناسُ ، وقال بعضهم : يا هذا كيف سَرَّكَ ما غمه وغمنا ؟ قال : ويحك أنه هو الذى مات ، فما صح عندى أنها امرأته سرنى ذلك ، فضحك الناس .

وكان يكسر يوما لوزا ، فطفرت لوزة وأبعدت ، فقال : لا إله إلا الله ، كل الحيوان يهرب من الموت حتى اللوز .

وقد قال يوما فى دعائه : اللهم إنك تجد من تعذبه سوى ، وأنا أجد من يرحمنى سواك ، فاغفرلى .

وقال يوما : اللهم امسخنى واجعلنى حورية ، وزوجنى بعمر بن الخطاب ، فقالت له زوجته : سلِ الله أن يزوجك من النبى صلى الله عليه وسلم إن كان لا بد لك أن تصير حورية ، فقال : ما أحب أن أكون ضرة عائشة رضى الله عنها !.

وأتاه يوما غلامه بفرخ وقال : أُنظر هذا الفرخ ما أشبهه بأمه ! فقال : أمه ذكر أو أنثى ؟.

وبنى ابنه داراً وأنفق عليها ثم أدخل أباه يريها وقال له : أنظر يا أبت ، هل فيها عيب ؟ فطاف بها ودخل المستراح فاستحسنه ، وقال : فيه عيب ، وهو أن بابه ضيق لا تدخل منه المائدة .

وكتب إلى وكيل له أن يحمل إليه مائة منّ قطنا ، فما حملها إليه حلّجها فاستقلّ المحلوج ، وكتب إليه : هذا لم يجئ منه إلا الربع ، فلا يزرع بعدها قطن إلا بغير حب ، ويكون محلوجا .

وقال يوما لصديقه : وحياتك الذى لا إله إلا هو .

واشتهى له كيف ، فقال لغلامه : بادر أحضر من يصنعه لنتغدى به قبل أن يتعشى بنا

وطلب يوما من البستان الذى له بصلا بخل ، فأحضر إليه بصل بلا خل ، فقال : لأى شىء ما تزرعه بخل .

والصحيح أنه كان يتظاهر بذلك ، ليرى الوزراء منه هذا التغفل فيأمنوه على أنفسهم إذا خلا بالخلفاء .

وتوفى بعد العشرين والثلثمائة تقريبا ، عفا الله عنه ورحمه !

(١١١)

أبو على الحسين ابن عبد الله بن رواحة الأنصارى الفقيه

الحسين بن عبد الله بن رواحة (١)، أبو على ، الأنصارى ، الفقيه الشافعى ، الشاعر ، ابن خطيب حماة

من شعره

يا قلب دع عنك الهوى قسرا	ما أنت منه حامداً أمرا
أصمت دنياى بهجرانه	إن نلت وصلا صاحت الأخرى

ومنه أيضا رحمه الله تعالى :

لاموا عليك وما دَرَوْا	أن الهوى سبب السعاده
إن كان وصلا فالمنى	أو كان هجراً فالشهاده

---

(١) بعد طويل البحث لم أعثر له على ترجمة فى غير هذا الكتاب .

ومنه أيضاً :

إن كان يحلو لديك قتلى   فزد من المحرق في عذابى
عسى يطيل الوقوف بينى   وبينك الله في الحساب

(١١٢)

أبو عبد الله سعد الدين الحسين بن على الطيبى

الحسين بن على بن أحمد[1] بن عبد الواحد بن بكر بن شبيب ، الطيبى[2] ، أبو عبد الله ، الكاتب ، سعيد الدين .

كان من الأعيان الفضلاء المشهورين بالأدب وكان الظرف ، حظى بالإمام المستنجد ومنادمته[3]

دخل يوماً على المستنجد فقال له : يا ابن شبيب ! فقال له : عبدك يا أمير المؤمنين ، فأعجبه هذا التصحيف منه

وذكره العماد الكاتب في الخريدة ، فقال : ابن شبيب ، حلو التشبيب ، رقيق نسيم النسيب

ومن شعره في الإمام المستنجد بالله :

أنت الإمام الذى يحكى سيرته   من ناب بعد رسول الله أو خلفا
أصبحت لُبَّ بنى العباس كلهم   إن عُدِّدت بحروف الجمل الخلفا

المستنجد هو الثانى والثلاثون من الخلفاء ، و « لب » بحروف الجمل اثنان وثلاثون

ولد ابن شبيب سنة خمسمائة ، وتوفى سنة ثمانين وخمسمائة ، ودفن بمقبرة معروف الكرخى ، رحمه الله تعالى !

ومن شعره :

وأغيد لم يسمح لنا بوصاله   يد الدهر حتى دبَّ في عاجه النملُ

---

(١) له ترجمة في معجم الأدباء لياقوت (١٠/١٢٦) .
(٢) كذا في ب ، ث ، والذى في ياقوت « النصيبى » .
(٣) كان الجواب « عندك » فصحفه إلى « عبدك » .

تمنيت لما احتطّ فقدانَ ناظرى ‏ ‏ ‏ ولم أر إنساناً تمنى العمى قبل

ليبقى على مر الزمان حبيـــبه ‏ ‏ ‏ خيالى ، وفى عيـنى لمنظره شكل

وكان ابن شبيب مِقْدَاماً فى حل الألغاز ، ولا يكاد يتوقف عما يُسْأل عنه ، تفاوض أبو غالب بن الحصين هو وأبو منصور محمد بن سليمان بن قيلش[1] فى أمر ابن شبيب هذا وما هو عليه من حل المعمى ، فقال أبو منصور : تعال حتى نعمل لغزاً معلا ، ونسأله عنه ، فنظم أبو منصور :

وما شىء له فى الرأس رِجْلٌ ‏ ‏ ‏ وموضعُ وجهه منه قفاه

إذا غمضت عينك أبصرته ‏ ‏ ‏ وإن فتحت عينك لا تراه

ونظم أيضاً :

وجار وهو طيار ‏ ‏ ‏ ضعيف العقل خوار[2]

فلا لحم ولا ريش ‏ ‏ ‏ وَهُو فى الرمز طيَّـا

طبيع بارد جـــداً ‏ ‏ ‏ ولـكن كله نار

وأنفذا اللغزين إليه ، فكتب على الأول : هو طيف الخيال ، وكتب على الثانى : هو الزئبق ، فجاءا إليه وقالا : هب الأمر الأول هو طيف الخيال ، والبيت الثانى ساعدك عليه ، فكيف تعمل فى البيت[3] الأول ؟ فقال : لأن المنام يفسر بالعكس ؛ لأن من يبكى يفسر له[4] بالضحك ، ومن مات يفسر له بطول العمر ، وقوله فى الثانى « هو طيار » أرباب صنعة الكيمياء يرمزون للزئبق بالطيار والفرّار والآبق وما أشبه ذلك ، لأنه يناسب صفته ، وأما برده فظاهر ، ولإفراط برده ثقل جسمه

---

(١) فى المعجم « محمد بن سليمان بن قتلمش »

(٢) فى معجم الأدباء « وجار وهو تيار »

(٣) فى المعجم « فكيف تعمل بالبيت الأول »

(٤) فيه « يفسر له بكاؤه بالضحك » وفيه « ومن مات يفسر موته »

وحرمه ، ولكنه بار لسرعة حركته وتشكله فى افتراقه والتئامه ، وعلى كل حال فنى ذلك نسامح يجوز فى مثل هذه الأشياء الباطلة إذ دلت على الحقائق .

وقد ذكر ابن شرف القيروانى فى كتابه « أبكار الأفكار » عن رجل يُعْرَفُ بأبى على التونسى أنه عمل ألغازاً من هذه المادة التى لا حقيقة لها ، وأنشده إياها ، فيجيب عنها على الفور ، ويبرهنها على حقائق ، منها أنه عمل لغزاً ، وهو

ما طائر فى الأرض منقاره وجسمُهُ فى الأفق الأعلى

ما زال مشغولا به غيره ولا يرى أن له شغلا

فقال الوقت والساعة : هو الشمس ، وأخذ يتكلم على شرح ذلك ، وذكر عدة ألغاز صنعها له ، وهو يبرهن على حقائق ، ويذكر لها مناسبات تقتضى ذلك ، وسرد جميع ذلك فى « أبكار الأفكار » والله سبحانه وتعالى أعلم .

(١١٣)

أبو عبد الله الحسن بن على ابن محمويه بن قم

الحسن بن[1] على بن محمد بن محمويه أبو عبد الله ، المعروف بابن قُم[2] ولد بزبيد ، وكتب رسائله المشهورة عنه إلى أبى حمير سبأ بن أبى السعود أحمد بن المظفر بن على الصليحى ، اليمانى ، بعد انفصاله عنه ، رواها الحافظ أبو طاهر السلفى عنه سنة اثنتين وستين وخمسمائة ، والرسالة المذكورة : كتب عبد حضرة السلطان الأجل ، مولاى ربيع المجدبين ، وقريع الماجدين ، جلاء الملتمس[3] ، وذكاء المقتبس ، شهاب المجد الثاقب ، وقطب ذوى المناقب ، أطال الله بقاءه ! وأدام علوه وارتقاءه ! ما أجابت العارية المستعير[4] ، ويممت اليه التصمير ، وحل رتبته فى الأودية والرئة السمام[5] ، كحرف الاستفهام ، وكالمبتدأ

---

(١) سماه ياقوت « الحسين بن على » وهو الظاهر من صنيع مؤلف هذا الكتاب

(٢) له ترجمة فى معجم الأدباء لياقوت (١٠/١٣٠)

(٣) فى ياقوت « جلوة الملتمس ، وجذوة المقتبس »

(٤) فيه « ما خدمت العارية المستعير » (٥) فيه « غاية المقام »

فيه وإن[1] تأخر في البنية ، فإنه مُقدَّم في النية ، ولا زالت حضرته للوفود موردها ، ومن الحوادث جُنّة ، حتى يكون في العلا ، بمنزلة حرف الاستعلا ، فإنها[2] لحروف اللين حصون ، وما جاورهن عن الإمالة مَصُون ، ولا زال عدوه كالألف ، في أن حالها مختلف ، فتسقط في صلة الكلام ، لا سيما مع اللام ، ولا يكون أولا بحال ، وإن تقدم هُمِز فاستحال ، لأنه ـ أدام الله علوه ـ أحسن إلى ابتداء ، وشكر على من فضله ردء ، أرد إحصاءه ، فكشف خفاءه ، ومن شرف الإحسان سقوط ذكره عن الإنسان ، كالمفعول رفع رفع الفاعل الكامل ، لما حذف من الكلام ذكر الفاعل ، يهدي إليه سلاما من الروض ، صاحكة النوض[3] ، غرس وحرس ، وسق ، ووق ، وعيب[4] ، وصب ، فأخذ من كل نوع نصيب ، رقاه زهر ، وسقاه النهر ، جاور الأضا ، فحسن وأضا[5] ، رتع فيه العود[6] ، ومرح العصفور ، فاطلع من النوار ، وقد طار نواره ، فنظر إلى أقاحيه ، تفتر في نواحيه ، وإلى البهار ، يضاحك شمس النهار ، فجعل يلثم من ورده خدودا ، ويضم من أغصانه قدودا ، ويقتبس الدر ، من القطر ، ويلتمس العقيق ، من الشقيق ، فمرد ذلا ، وعشق حيما ورملا ، فطيبت[7] من نفحته المسكية ، أعطر من رائحته الذكية ، مع أنى وإن أهديته في كل أوان ، من أداء ما يجب عليّ عبر وان ، أعد نفسي السكيت لأحق[8] ، لما يجب على من الحق ، [أثرت] فمنرت ، وجهدت فما أثرت ، فأنا بحمد الله في حال خمول وقنوع ، وحناب عن عيّ

(١) فيه « وكالمبتدأ إن تأخر في النية فإنه مقدم ـ الخ »
(٢) وفيه « وهو من حروف اللين في حصون »
(٣) النوض ـ بفتح فسكون ـ الثمر اليانع ، وهو أيضاً مخرج الماء .
(٤) صيب : ماض مبني للمجهول ، ومعناه جاده المطر الصيب : أي الكثير
(٥) الأضا : الغدير ، وأصله الأضاة ، وأضا : أنار ، وأصله أضاء .
(٦) كذا ، وفي ياقوت « وقع فيه الشحرور » (٧) هذا حرف « ما » في قوله وما الروض »
(٨) في المعجم « السكيت في السبق ، لتقصيري فيما وجب على من الحق »

العين ممنوع(١)، فارقت المثول ولا زال، ولزمت الخمول والاعتزال، سعيي سعي الجاهد، وعيشي عيش الزاهد، بلد الأديب فيه غريب، والأريب كالمريب، إن تكلم استثقل، وإن سكت استقل، منزله كبيوت العناكب، ومعيشته كمخالة الراكب، فهو كما قال أبو تمام حيث قال:

أرض الفلاحة لو أتاها جرول … أعني الحطيئة لاغتدى حراثا

لم آتها من أي باب جئتها … إلا حسبت بيوتها أجداثا(٢)

تصدا بها الأفهام بعد صقالها … وترد ذكران العقول إناثا

رض حبست اللهو خلفي حتى … فيها وطلقت السرور ثلاثا

وأما حال عيشه بعد فرقته في الخلد، فما حال أم تسعة من الولد؟ ذكور، كأنهن عقبان وصقور(٣)، اخترم منهم ثمانية، وهي على التاسع حانية، تدعى الندير في البادية(٤)، العادية بالعادية، فما سمعت الداعي، ورأت الخيل وهي سواعي، جعلت تنادي ولدها الأناة الأناة، وهو ينادي: العياة العياة:

بطل كأن ثيابه في سرحة … يحذى نعال السبت ليس بتوأم

حين رأته يختال في غصون الزرد المصون، أنشأت تقول:

أشد أضبط يمشي … بين طرفاه وغيل(٥)

لبسه من نسج داو … د كضحضاح السيل

---

(١) في المعجم «عن عين العين ممنوع»

(٢) في المعجم «ما جئتها من أي باب جئتها»

(٣) في المعجم «كأنهم عقبان وصقور»

(٤) فيه «تادي الندير: العريان في البادية، العادية بالعادية»

(٥) البيتان هنا غير مستقيمين، وهما في ياقوت:

نشدت أضبطا يمشي … [ما] بين طرفاه وغيل

لباسه من نسج دا … ود كضحضاح يسيل

فعرض له فى البادية أسد هصور ، كأن ذراعه مسد مضفور .

فتطاعنا وتواقفت خيلاهما وكلاهما بطل اللقاء مقنع

فما سمعت صياح الرعيل ، وزرت من الصرم[1] بصبر قد عيل ، فسألت عن الواحد ، فقيل لها : لحده اللاحد :

فكرت تبتغيه فصادفته على دمه ومصرعه السباعا

عبثن به فلم يتركن إلا أديما قد تمزق أو كراعا

أشد من عندك نعيما ، ولا أعظم كدا ولا تعبا ، وإنه ليصف نفسه دائما ، ويقول له لائمه : لو فطنت لفطنت ، ولو عقلت لما غفلت ، ولو ندمت[2] لرحمت ، وما هممت :

فيم الرجال الموسرون فرصتهم وترمى النوى بالمقترين المراميا

وما تركوا أوطانهم عن ملالة ولكن حذارا من شمات الأعاديا

أيها السيد ، أين العدل والانصاف ؟ ومحاسن الشيم والأوصاف ؟ إكرام المهان ، وإذلال جواد الرهان ، يشبع فى ساجوره كلب الزبل ، ويتغضب فى خيسه أبو الشبل[3] :

إذا حل ذو نقص محلة فاضل وأصبح رب الجاه غير وجيه

فإن حياة المرء غير شهية إليه وطعم الموت غير كريه

أقول لنفسى الدنية : هي طال نومك ، واستيقظى لأمر قومك ، أرضيت بالسطاء المرور ، وقنعت بمواعيد الزور ؟ يقظة ، فإن الحد قد هجم ، وعجمة لمن أحدث التعجم ، أعجزت فى الأداء ، عن حنق الحرماء ، ولى لسان كالرشاء ؟

(١) فى المعجم « زرت من الخدر » والصرم — بكسر الصاد — جماعة البيوت

(٢) فى المعجم « ولو قنعت لرجعت وما هجعت »

(٣) الساجور : خشبة تعلق فى عنق الكلب ، ويتغضب : يجوع ، والخيس — بالكسر — موطن الأسد ، والشبل — بالكسر — ولد الأسد

ونسم أعلى الأشياء[1] ، ما حمته بالشمس ، مع بعدها عن اللمس ، أبقى من صبيق الوجار ، مرخ في الأشجار ، هو كالخطيب ، على الغصن الرطيب .

وإن صريع الحزم والرأى لامرىء إذ نعته الشمس أن تحـــولا

وقد أحبّ عنده هذه الأسطر شعراً يصرفيه عن واجب الحمد ، وإن سيت هابته على المدّ ، وما يمدّ نفسه إلا كهدى جليد سُنّتيّ الأسمر ، إلى الديباج الأحمر ، أين دو الحدب ، من ثغور الأحباب ؟ وأين السراب ، من الشراب ؟ وبركى ، ابكى[2] ، من الواد ، ذى المواد ؟ أتعدب الفصاحة من العم ؟ والفصّاحة من القنّم ؟ غلط من رأى الآل في القى[3] ، فشبهه بمهال الدبيق ! هيهات مناسج الرباط ، نسيق تنيس ودمياط ! لا أقول[4] كما قال القائل :

من يُساجِلنى يساجل ماجدا يملأ الدلو إلى عقد الكرَبْ

بل أصبع نفسى فى أقل المواضع ، وأقول مولاى قول الخاصع

فاسبل عليه ستر معروفك الذى سترت به قِدْماً مَخازِيَ عورتى

وهاهى هذه .

فيك رخّصتُ للعذول إباء وعصيت الـــوام والنصحاء

فاتنى العدلون أحيب منى يوم أزمعتَ الرحيـــل رجاء

من مجيرى من فاتر لحظ ألمى جمع الحـــ ، حدّه والماء

فيـــه لليل والنهار صفات فلهذا سَرَّ القــــلوب وساء

لازم شيمة الخلاف فإن نــــت قـاً أو دوت منه تناءى

---

(١) فى المعجم « تنسم أعلى السماء » (٢) البركى : البئر . وبكى : قليل الماء

(٣) القى ـ بكسر القاف ـ الأرض القفر

(٤) فى ب ، ث « لا أقول إلا كما قال القائل » وهو لا يريد الفخر ، لا جرم كانت كلمة « إلا » مقحمة

يا غريب الصفات حتى لمن كا ن غريبا أن يرحم الغرباء
من صدود ولوعة وتجنيـــه وإشماته بى الأعــــداء
وإذا ما كتمت مابى من الوجـــد أذاعتـــه مقلتاى بكاء
كعطايا مبار بن أحمد يخفيهـــا فتزداد شهـــرة وعلاء
أترجّى ســــده ابتدح الجو د وإن لم تمدحه جاد ابتداء
المنى يكاد يدنيك عما كان فى الغيب فطنة وذكاء
وإذا أخلف السماء نرض أخلفت راحتاه ذاك السماء
ندى يخجل الغيوث انهلالا وحدّى ينهل الرماح الظماء[1]
ما أبالى إذ أحسن الدهر فيه أحسن الدهر بالورى أم أساء
أيها الطالب الصريك وفره فعطاياه تحفـــل الأنواء[2]
ناق منه المهذب الماجد المنـ ـب الكريم المبدع الأنباء
راحة فى الندى تنيل نضارا وحسام فى الروع يجنى دماء
يا أبا جعفر دعوتك للدهـــر فكنت امرأ تجيب الدعاء
وأبى البخل أن يكون أماما وأبى الجود أن يكون وراء
أنا أشكو إليك جور زمان دأبه أن يساعد الأدنياء
أحمانى صروفـــه وكأنى ابن الوصــــل ألفيت إباء
إن سطا أرهبَ الصراغم فى الآ جام أو جاد تحل الكرماء
شيم من أبيه أحمـــد لا ينفـــك عنها سنا وانتهـــاء
قد تعاطى فى المجد شأوك قوم عجزوا واحتملت فيه العناء
شرفا شامخا ومجـــدا منيفا عدمليـــا وعزة قعساء[3]

---

(١) فى ب ، ث « وحدا نهل الرماح » وأثبتنا مافى معجم الأدباء

(٢) فى المعجم « أيها المجدب الصريك انتجعه » وهو خير كما هنا ، والصريك الذى قد اشتد فقره   (٣) عدمليا ـ أراد موروثا عن الآباء

مال عنى ما أؤمل فيـــه كلما قلت سوف يأسو أساء

رهن ست لو استقر به البر ءُ لم يرصـــه لهُ الفقاء

فعصفنى عصف الرحيم حتى خلتنى فى فم الزمان نداء

معتنى من التصرف منع العـــلل التسع صرفها الأسمـــاء[1]

يا أبا جعفر وحرمة إخـا ئك عندى ما كان حبى رياء

ما طمت الزمان سعدى عنـــك إلى أن أفارق الأحياء

غير أنى عدتك عنى من الــو د وإن قل أن تكون عداء

صح سمعى وحدثت أحاد يث ومن يتقى تلك الأسواء

واحتملت الزمان والنقص والإبـــعـــد والذل والعنـــاء والجفاء

وتحملت واصطبرت فما أبـــقى على عودى الزمانُ لحاء

أعلى هـــذه المصيبة صبرا لا ، ولو كنت صخرة صماء

ولو أنى لم أعتمد دون عيرى لتأسيتُ أن أموت وفاء

غير أن التصريح ليس يخاف عند من كان يفهم الإيماء

غير أنى متن عليك وما لـــستُ على ما لقيت إلا القضاء

وسيأتيك فى المعاد وفى القـــرب مديح يحمل الشعراء[2]

مشكر رحمتُ عنـــك وأنفـــك به بن قصى الإله القضاء

ليس حق فى الدهر عن ثناء فاكتســـب ما استطعت ذاك الثناء

(١١٤)

الحسين بن مُطَير ، الأسدي[3] .

من فحول الشعراء .

الحسين بن مطير ، الأسدى الشاعر

من شعره

---

(١) أشار إلى موانع الاسم من الصرف ، وهى علل تسع مذكورة فى كتب النحو

(٢) فى المعجم « مديح يستوقف الشعراء »

(٣) له ترجمة فى معجم الأدباء ١٠/١٦٦ والأغانى ١٤/١١٤ بولاق

لقد كنت جَلْداً قبل أن يوقِدَ الهوى ... على كبدى نارا بطيئا خُمودها

فقد حملت فى حبة القلب والحشى ... عهاد تَوَلَّاهَا شَوْقٌ يُعِيدُها[1]

فسود نواصيها وحمر أكفها ... وصفر تراقيها وبيض خدودها[2]

مُخَصَّرة الأوساط زانت عقودها ... بأحسن مما زينتها عقودها

تعيبنا حتى ترف قلوبنا ... رفيفَ الخزامى بات طَلٌّ يجودها

وكنت أذود العين أن تَرِد البكى ... فقد وردت ما كنت عنه أذودها

خليلىّ ما بالعيش عتب لو أننا ... وجدنا لأيام الحمى من يعيدها

ولى نظرة بعد الصدود من الهوى ... كنظرة ثكلى قد أصيب وحيدها

هل الله عافٍ عن ذنوب تسلفت ... أم الله إن لم يعف عنها يعيدها

وقال يرثى معن بن زائدة

ألمّا على معن فقولا لقبره ... سقتك الغوادى مَرْبَعاً ثم مربعا

فيا قبرَ معنٍ أنت أول حفرة ... من الأرض خُطَّت للسماحة مضجعا

ويا قبر معن كيف واريت جوده ... وقد كان منه البر والبحر مُتْرَعا

بلى قد وسِعْتَ الجود والجود ميت ... ولو كان حيا ضقت حتى تصدعا

فتًى عيش فى معروفه بعد موته ... كما كان بعد السيل مجراه مرتعا

أبى ذكر معنٍ أن تموت فعاله ... وإن كان قد لاقى حماما ومصرَعا

ولما مضى معن مضى الجودُ وانقضى ... وأصبح عِرْنين المكارم أجدعا

ومن شعره رحمه الله تعالى :

فيا عجباً يستشرفون برأيهم ... كأن لم يروا بعدى محبا ولا قبلى[3]

يقولون لى أصرم يرجع العقل كله ... وصرم حبيب النفس أذهب للعقل

---

(١) فى ب ، ث « عهاد الهوى تولى بشوق يعيدها » تحريف شنيع

(٢) فى غير هذا الكتاب أول البيت « وصفر تراقيها » وفى أول النصف الثانى « وسود نواصيها »

(٣) البيت فى ديوان الحماسة وشرحه (٢٢٢/٣ تحقيقنا) « فيا عجبا للناس يستشرفوننى »

وياعجبا من حب مَنْ هو قاتلى كأنىَ أجزِيه المودّة من قتلى
ومن بينات الحب أن كان أهلها أحبَّ إلى قلبى وعينىَ من أهلى

(١١٥)

الحكم بن عبدل الكوفى شاعر

الحكم بن عَبْدَل[1] ، الأسدى ثم الغاضرى ، الكوفى .

شاعر مشهور مجيد القول نجيب ، نفاه ابن الزبير من العراق ، وقدم دمشق وكان له من عبد الملك بن مروان موضع .

وقال صاحب الأغانى كان أعرج ، لا تفارقه العصا ، فترك الوقوف بباب الملوك ، وكان يكتب على عصاه حاجته ، ويبعث بها مع رسوله ، فلا يحبس له رسول ، ولا يؤخر له حاجة ، فقال فى ذلك يحيى بن نوفل :

عصا حَكَمٍ فى الدار أوّل داخل ونحن على الأبواب نُقْصَى ونُحْجَبُ
وكانت عصا موسى لفرعون آية وهذى لعَمْرُ الله أدهى وأعجب
تطاع ولا نُعْصَى ويحذر سخطها ويرغب فى المرضاة منها ويرهب[2]

وشاعت هذه الأبيات بالكوفة ، وضحك منها الناس ، فكان الحكم يقول ليحيى . يابن الزانية ماأردت من عصاى حتى صيرتهاضحكة ، واجتنب أن يكتب عليها كما كان يفعل أولا

وكان له صديق أعمى يدعى أبو علية ، وكان ابن عبدل قد أقعد ، فخرجا ليلة من منزلهما إلى منزل بعض إخوانهما ، والحكم يُحْمَلُ وأبو علية يقاد ، فلقيهماصاحب العسس بالكوفة ، فأخذهما وحبسهما ، فلما استقرا فى الحبس نظر الحكم إلى عصاه موضوعة فى الحبس بجنب عصا أبى علية ، فضحك الحكم ، وقال :

حبسى وحبس أبى علية من أعاجيب الزمان

---

(١) له ترجمة فى معجم الأدباء ٢٢٨/١٠ ، وفى الأغانى ١٤٩/٢ بولاق ، وفى تاريخ دمشق (المختصر ٣٩٦/٤)

(٢) لوكان « ويرغب فى المرضاة منها ويرهب » لكان أعرف

أعمى يقــاد ومقعَد　　لا الرجل منه ولا اليدان
هــذا بلا بصر هنا　　ك وبى تجبُّ الحاملان
يا من يرى ضَبَّ الفلا　　ة قرين حوت فى مكان
طرفى وطرف أبى عليــة دهرنا يتوافقان
من يفتخر بجواده　　فجــوادنا عُكّازتان
طِرفان　　لا علفاهما　　يُشرى ولا يتصاهلان(١)

وكان مسكويه امرأة مُوسِرة ، وكان لها على الناس ديون فى السواد ، فاستعانت بابن عَنْدَل فى دَينها ، وقالت : إنى لست بزوج ، تُعَرِّض أنها تزوجه بنفسها ، فقام ابن عندل فى دينها حتى اقتضاه ، فما طلبها بالوفاء كتب إليه شعراً :

سَيُخطيك الذى حاولتَ منى　　فقطِّع حَبْلَ وصلك من حبالى(٢)
كما أخطاك معروفُ ابن بشر　　وكنت تعدُّ ذلك رأس مال

وخرج ليلة وهو سكران محمول فى محفّة فلقيه صاحب العسس فقال له : من أنت ؟ فقال : يا بغيض ، أنت أعرف من أن تسأل عنى ، اذهب إلى شغلك فإن اللصوص لا يخرجون بالليل فى محفة ، فضحك منه وانصرف

وكانت له جارية سوداء ، فولدت له ولداً أسود ، وكان أعزم الصبيان، فقال فيه :

يا رب خال لك مسودّ القفا　　لا يشتكى من رجله مشى الحفا
كأن عينيه إذا تشوّفا　　عينا غراب فوق نيق أشرفا

وأخباره فى الأغانى كثيرة ، وشعره

وكانت وفاته فى حدود المائة ، رحمه الله تعالى !

---

(١) الطرف ـ بكسر الطاء وسكون الراء ـ الجواد . والصهيل : صوت الخيل ، وأراد بقوله « لا يتصاهلان » لا يصهلان

(٢) فى ب ، ت « بقطع حبال » تحريف

(١١٦)

الحكم بن هشام ملك الأندلس الأموي

الحكم بن[1] هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان، ملك الأندلس.

ولي الأمر بعد والده، وامتدت أيامه، ودام في الأمر بعده ستا وعشرين سنة وشهرا، ولقّب نفسه بالمرتضى[2].

وكان فارسا، شجاعا، فاتكا، جوادا، ذا حزم ودهاء، كان يتملك أولاد الناس الملاح ويخصيهم ويمسكهم لنفسه.

وتوفي سنة ست ومائتين، وهو ابن خمسين سنة، وقام بعده ولده أبو المطرف عبد الرحمن.

وله شعر، منه

قُضُبٌ من البان ماست فوق كُثبانِ ... ولَّين عني وقد أزمعن هجراني

ملكنني ملكا ذلت عزائمه ... فالحب ذلّ أسيرٍ مُوثقٍ عانِ

من لي بمغتصبات الروح من بدني ... يغصبنني في الهوى عزي وسلطاني

وكان قد تظاهر في صدر ولايته بالجور والفسق، فقامت الفقهاء والصلحاء وخلعوه سنة تسع وثمانين، ثم أعادوه لما تمكن ووثب، فقتل طائفة من الكبار وصلبهم بإزاء قصره، قيل بلغوا سبعين نفسا، وكان يوما عظيما فمقته الناس والعوام، وأضمروا له السوء، وأسمعوه الكلام المر، فتحصن، واستعد، وجرت له أمور يطول شرحها.

---

(١) له ترجمة في «المعجب، في تلخيص أخبار المغرب» ١٩ وفي نفح الطيب (٣١٧/١ تحقيقنا)

(٢) في المعجب «ولقب بالمرتضى» ولا سمي بين الحكميين، فإنه لقب نفسه بالمرتضى، ولقبه الناس بالربضي، بوقعته المشهورة بأهل الربض، وهو محلة متصلة بقصره، وفي تاريخ الخلفاء للسيوطي (ص ٢١٣) «وقام بعد هشام ابنه الحكم أبو المظفر الملقب بالمرتضى، ومات في ذي الحجة سنة ست ومائتين» اهـ وقد ذكر المقري في نفح الطيب قصة الربض وما فعله الحكم بأعيان الدولة

قال أبو محمد بن حزم : وكنا من المجاهرين بالمعاصي ، سفاكا للدماء .

(١١٧)

حمدة بنت زياد

حمدة بنت زياد بن تقى المؤدب[1] .

كانت من المقدمات المشهورات المتصرفات متعففات .

قال ابن الأبار : أنشدت حمدة بنت زياد وقد خرجت متنزهة بالرملة من وادي آش ، فرأت ذات وجه وسيم أعجبها ، فقالت :

أباح الدمع أسرارى بوادى	له للحسن آثار بوادى[2]
فمن نهر يطوف بكل روض	ومن روض يطوف بكل وادى[3]
ومن بين الظباء مهاة رمل	سبت لبى وقد ملكت قيادى[4]
لها لحظ ترقّده لأمر	وذاك اللحظ يمنعنى رقادى[5]
إذا سدلت ذوائبها عليها	رأيت البدر فى جنح السواد[6]
كأن الصبح مات له شقيق	فمن حزن تسربل بالحداد

ولها أيضا رحمها الله :

ولما أبى الواشــون إلا افتراقنا	وما لهم عندى وعندك من ثار

---

(١) لها ترجمة فى « نفح الطيب ، من غصن الأندلس الرطيب » للمقرى (٦/٣٣ تحقيقنا) وفى معجم الأدباء ١٠/٢٧٤ ، ويقال فى اسمها « حمدونة » أيضا ، وقال المقرى قبل إنشاد الأبيات الدالية « وخرجت حمدة مرة للوادى مع صبية فلما نضت عنها ثيابها وعامت قالت » وتنسب لحمدة أبيات ميمية حلقة منسوبة لمصارى

(٢) بوادى : جمع بادية ، اسم الفاعل المؤنث منه « بدا يبدو » أى ظهر

(٣) فى النفح والمعجم « ومن روض يرف بكل وادى » ويرف : يهتز

(٤) فى النفح « مهاة أنس » و « وقد ملكت فؤادى » وفى نسخة منه « وقد سلبت فؤادى »

(٥) فى ب ، ث « لحظ ترده »   (٦) فى ب ، ث « ذوائبها عليه »

وشنُّوا على أسدعنا كل غارة   وقلَّتْ حماتي عند ذاك وأنصاري
عرونهمُ من مقلتيك وأدمعي   ومن نَفَسِي بالسيف والسيل والنار

(١١٨)

حمزة بن بيض الحنفي شاعر

حمزة بن بِيض ، الحنفي ، أحد بني بكر بن وائل[1] .

كوفي ، شاعر ، مجيدٌ سائر القول ، كثير المجون .

كان منقطعاً إلى مُهلَّب بن أبي صُفْرَةَ وولده ، ثم إلى بلال بن أبي بُرْدَة[2] ، حصلت له أموال كثيرة إلى الغاية من ذهب وخيل ورقيق .

قيل : إنه حصل له ألف ألف درهم .

توفي سنة عشرين ومائة .

أتى بلال بن أبي بردة ، وكان كثير المزاح معه ، فقال لحاجبه : استأذن لحمزة بن بيض الحنفي ، فدخل الحاجب وخرج ، وقال : يقول لك : حمزة بن بيض ابن من ؟ فقال : ادخل ، وقل له : الذي جئت إليه إلى سباط الحمام وأنت أمرد ، تسأله أن يهب لك طائراً ، فأدخلك السباط ونكتك وأعطاك طائراً ، فشتمه الحاجب ، فقال : ما أنت وذا ؟ بعثك برسالة فأبلغه الجواب ، فدخل الحاجب وهو مُغْضَبٌ ، فلما رآه بلال ضحك ، وقال : ما قال لك ؟ قبحه الله تعالى ! فقال : ما كنت لأخبر الأمير عما قال ، فقال : يا هذا أنت رسول ، فأدِّ الجواب ، فأبى ، فأقسم عليه ، فأخبره بقوله ، فضحك حتى فحص برجليه ، وقال : قل له قد عرفت العلامة فادخل ، فدخل ، فأكرمه ، وسمع مديحه ،

---

(١) له ترجمة في الأغاني ١٥/١٤–٢٩ الساسي ، وتجدها في مهذب الأغاني ٣/٢٣٤ ، وفي ، معجم الأدباء ١٠/٢٨٠ .

(٢) زاد في الأغاني فيمن انقطع حمزة إليهم « أبان بن الوليد »

وأحسن صلته ، وأراد بقوله « ابن من » قول الشاعر فيه :

أنت ابن بيض لعمري لست أنكره
قد صدقت ولكن مَنْ أبو بيض

وقدم على مخلد بن المهلب ، وهو عند الكتيب ، وأنشده :

أتيناك في حاجة فاقضها — وقل مرحباً يجب المرحب
ولا تتكلنا إلى معشر — متى وعدوا عدة يكذبوا[1]
فإنك في الفرع من أسرة — لهم خضع الشرق والمغرب
بلغت لعشر مضت من سنيك ما يبلغ السيد الأشيب
فهمك فيه جسام الأمور — وهمّ لداتك أن يلعبوا[2]
وجدت فقلت : ألا سائل — فيعطى ولا راغب يرغب
فمنك العطية للسائلين — وممن ينوبك أن يطلبوا

فأمر له بمائة ألف درهم ، فأخذها ، وسأله عن حوائجه ، فأخبره ، فقضاها جميعاً له .

وأودع حمزة عند ناسك ثلاثين ألف درهم ، ومثلها عند رجل نباذ ، فأما الناسك فبنى بها داره وزوّج بنته ، وأنفقها ، وجحده ، وأما النباذ فأدّى إليه الأمانة في ماله ، فقال حمزة :

ألا لا يغرنك ذو سجدة — يظل بها دائماً يخدع[3]
كأن بجبهته حلقة — يسبح طوراً ويسترجع[4]

---

(١) في ب ، ث « ولا لا تتكلنا » وليس بشيء ، وأثبتنا ما في الأغاني

(٢) في الأغاني « فهمك فيها جسام الأمور »

(٣) في الأغاني « يظل بها دائباً يخدع »

(٤) في ب ، ث والمعجم « كأن بجبهته حبة » تحريف ، وفيهما « تسبح طوراً »

وما الفسق لونَك وجهه ولكن لبغيٌ مستودع
فلا تنفرنّ من أهل النبيذ وإن قيل يشرب لا يقلع
صدىً على ما قد جنيـ ـت إن كان علقمُه يعمع[1]
ثلاثون ألف حواها السجود فليست إلى أهله ترجع
بنى لدار من غير ماماله فأصبح في بيته يرتع
مهاجر من غير مال حواه يقاسون أرزاقهم جوّع
وأدى أخو الكأس ما عنده
وما كنت في دفعه أطمع[2]

وكان عبد الملك بن مروان بعث به ، فوجّه إليه ثقة رسولا ، وقال حتى به على أيّ حالة وجدته ، فهجم عليه ، فوجده داخلا إلى بيت الخلاء ، فقال : أجب أمير المؤمنين ، فقال : ويحك ! أكلتُ كثيراً ، وشربت نبيذاً حلواً ، وقد أخذني بطني ، فقال : لا سبيل إلى مفارقتك ، ثم أخذه ، وأتى به إلى عبد الملك ، فوجده قاعداً في طارمته ، وعنده جارية حبشية تحفظها ، وهي تسعر العود ، وتجمر أمير المؤمنين ، فجلس يحادثه ، ويعالج ما هو فيه من داء بطنه ، فعرضت له ريح ، فسمُّها حتى أن يستره البخور قال حمزة : فوالله لقد غلب ريحها ريحَ البخور والند ، فقال : ما هذا يا حمزة ؟ قال : فقلت : عليّ عهدُ الله والمشيُ إلى بيت الله والهدْيُ إن كنت فعلتها ، وما فعلها إلا هذه الجارية ، فغضب ، وخجلت الجارية ، وما قدرتْ على الكلام ، ثم جاءتني أخرى ، فسرّحتها ، وسطع والله ريحها ، فقال : ما هذا ؟

---

(١) في الأغاني والمعجم «صدى علم» وفي الأغاني «إن كان علم بها يمع» وفي المعجم «علمي بها»
(٢) في الأغاني «وأدى أبو الكأس ما عنده»

ويلك ! أنت والله الآفة ، فقلت : امرأتي طالق إن كنت فعلتها ، فقال : وهذه اليمين لازمة لي إن كنتُ فعلتُها ، ثم قال للجارية : ويلك ! ما قصتك ؟ قومي إلى الخلاء إن كنت تجدين شيئا ، وطمعتُ فيها ، فسرَّحْتُ الثالثة ، فسطعَ ريحها ما لم يكن في الحساب ، فغضب عبدُ الملك حتى كاد أن يخرج من جلده ، ثم قال : يا حمزة ، خذ بيد هذه الجارية الزانية ، فقد وهبتها لك ، وامضِ ، فقد نغّصتْ عليّ ليلتي ، فأخذتُ بيدها وخرجت ، فلقيني خادم ، فقال : ما تريد أن تصنع ؟ فقلت : أمضي بها ، فقال : والله لئن فعلت ليبغضنَّك بغضا لا تنتفع به بعد ، وهذه مائتا دينار ، فخذها ، ودَعْ هذه الجارية ، فقلت : والله لا نقصْتُكَ من خمسمائة دينار ، فقال : ليس إلا ما قلت لك ، فأخذتها منه ، وأخذ الجارية ، فلما كان بعد ثلاثٍ دعاني عبدُ الملك ، فلقيني الخادم ، فقال : هذه مائة دينار أخرى ، وتقول ما لا يضرّك ، ولعله ينفعك ، فقلت : ما هو ؟ فقال : إذا دخلتَ إليه تدّعي عنده أنّ تلك الفسَوات الثلاث أنت فعلتهنّ ، فقلت : هاتها ، فلما دخلتُ وقفتُ بين يديه ، فقلت : الأمان يا أمير المؤمنين ، فقال : قل ، فقلت : أرأيت تلك الليلة ما جرى من الفسوات ؟ قال : نعم ، قلت : عليّ وعليّ إن كان فساهنّ غيري ، فضحك حتى سقط على قفاه ، وقال : فلمَ ويحك ما خبّرتني ؟ فقلت : أردت خصالا ، منها أن قمتُ وقضيتُ حاجتي ، ومنها أخذت جاريتك ، ومنها أن قد كافأتك على أذاكَ عنه ، حيث مضى رسولُكَ من ذمّ أذاي ، قال : وأين الجارية ؟ فقلت : ما خرجت من دارك ، وأخبرته الخبر ، فسُرّ بذلك ، وأمر لي بمائة دينار أخرى ، وقال : هذه لجميل فعلك ، وتركِك أخْذَ الجارية .

وأخبار حمزة كثيرة ، وكلها طُرَف(١).

---

(١) الطرف : جمع طرفة ، ووقع في بعض الأصول « وكلها طرف »

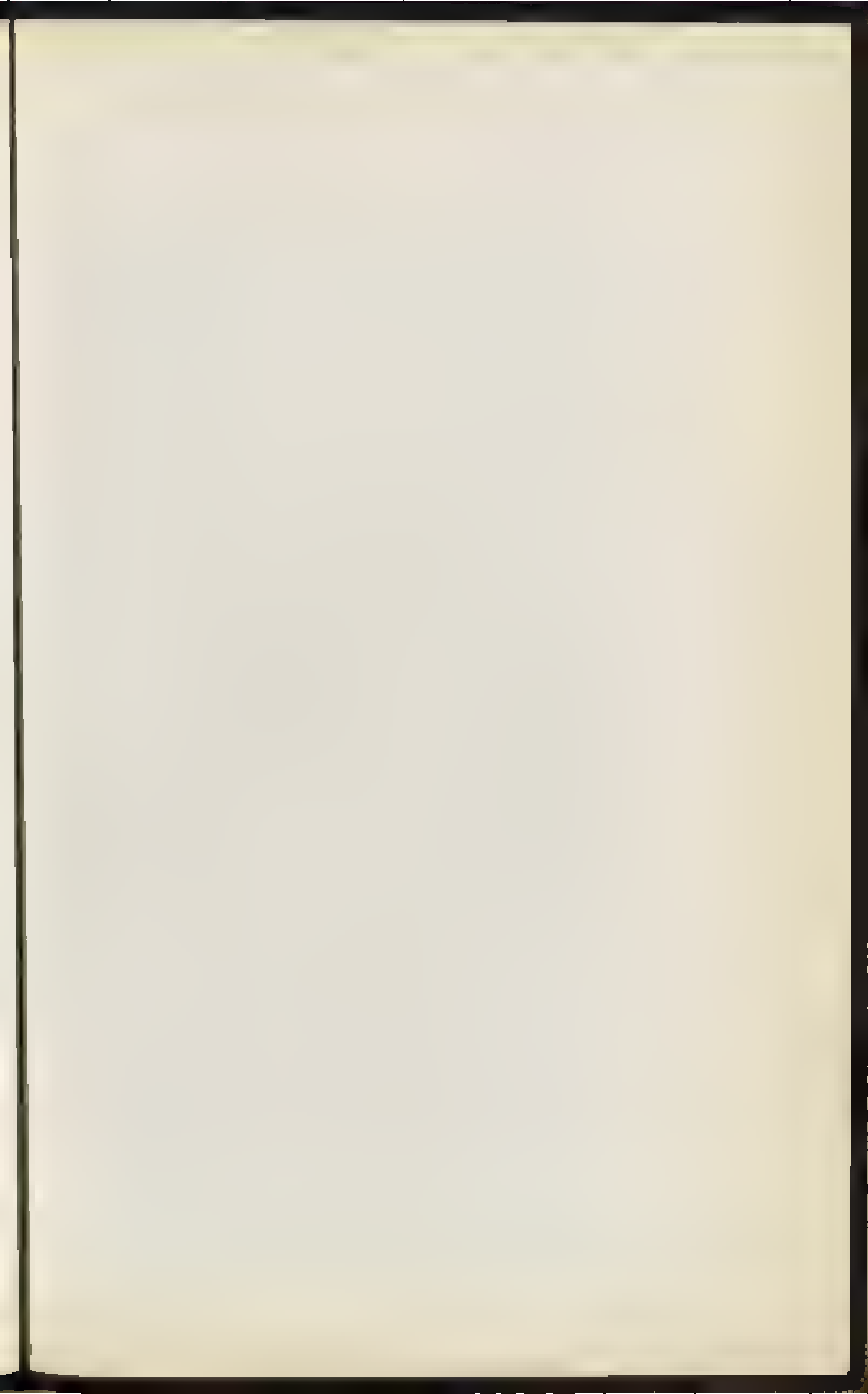

حرف الخاء

(١١٩)

خالد بن يزيد ، أبو الهيثم ، الكاتب ، البغدادى[1].

أبو الهيثم خالد بن يزيد البغدادى الكاتب

أصله من خراسان ، وكان أحد كتاب الجيش ، وولاه ابن الزيات الإعطاء[2] ببعض الثغور ، فخرج ، فسمع فى طريقه منشداً ينشد :

من كان ذا شجن ما شام يطلبه — فى سوى الشام أمسى الأهلُ والوطنُ[3]

فبكى حتى سقط مغشيا عليه ، ثم أفاق واختلط عقله ، واتصل به ذلك إلى الوسواس ، وعطل ، وكان مغرما بالمرد ، وينفق عليهم كل ما كان يستفيده ، فهوى غلاما ، يقال له عبد الله ، وكان أبو تمام يهواه ، فقال فيه خالد :

قضيبُ بانٍ جناه وردْ — يحمله وجنـــة وخدُّ[4]

لم أبن طرقي لبيـــه إلا — مت عزء وعاش وجدُ

ملّك طوع النفوس حتى — عمه الحسنُ كيف يبدو[5]

واجتمع الصدُّ فيه حتى — ليس لخلق سواه صدُّ

فبلغ ذلك أبا تمـام ، فقال :

شعرك هـــذا كله مفرط — فى برده يا خالد البـــارد

فحفظها الصبيان ، وما زالوا يصيحون به « يا خالد البارد » حتى وسوس ، وهجا أبا تمـام ، فقال :

يا معشر المردانىّ ناصـــح لكم — والمرء فى القول بين الصدق والكذب

لا ينكحن حبيبا منكم أحـــدٌ — فداء وحمائه أعدى من الجرب

لا تأمنوا أن تعودوا بعـــد ثالثة — فتركبوا عمدا ليست من الخشب

---

(١) له ترجمة فى الأغانى ١١/٣١ وتجدها فى مهذب الأغانى ٩/٢٠٣ ، وفى معجم الأدباء ١١/٤٧ وفى تاريخ بغداد ٨/٣٠٨ (٢) فى المعجم « ولاه عملا »
(٣) فى المعجم « الأهل والشجن » (٤) فى ب ، ث « قضيب » و « يحمله منه ورد » تحريف ، وأثبتنا ما فى الأغانى (٥) فى الأغانى « عمه الزهو كيف يبدو »

ومن شعره أيضا

عش بحبيك مغرماً قتلي ❊ والصَّبُّ إن لم تصلي واصل[1]
طير الشوق نفسٌ دنف ❊ فيك ، والسقمُ جسمٌ ناحل
فهما ما بين وجد وضنى ❊ تركاني كالقضيب الذابل
وبكى العاذل لي من رحمة ❊ فبكائي لبكاء العذل

ومن شعره أيضا :

عشية حيّان ورد كأنه ❊ خدود أضيفت بعضهن إلى بعض
وراح وقد مال ارتياح فى حركاته ❊ كفعل نسيم الرطب فى الغصن الغض

ومنه أيضا رحمه الله :

رقدت ولم ترث للساهر ❊ وليل المحب بلا آخر
ولم تدر بعد ذهاب الرقا ❊ د ما فعل الدمع بالناظر

وتوفى خالد فى حدود السبعين والثمانين ، رحمه الله تعالى !

(١٢٠)

زين الدين أبو البقاء خالد ابن يوسف النابلسى

خالد بن يوسف بن سعد بن الحسن بن مفرج بن بكار ، الحافظ ، المفيد ، زين الدين ، أبو البقاء ، النابلسى ، ثم الدمشقى[2] .

ولد بنابلس سنة خمس وثمانين وخمسمائة .

وتوفى سنة ثلاث وستين وستمائة .

قدم دمشق ، ونشأ بها ، وسمع من [أبى] القاسم بن عساكر ومحمد بن الخصيب وابن طبرزد ، وحنبل ، وطائفة ، وسمع ببغداد من ابن الأخضر ، وابن مينا ، وكتب ،

---

(١) فى ب ، ث « والهوى إن لم تصلي واصلى » وليس بشىء ، وأثبتنا ما فى الأغانى وسهوه

(٢) له ترجمة فى شذرات الذهب ٥/٣٢٣

وحصل الأصول المفيدة ، وتطرق في اللغة والعربية ، وكان إماماً ذكياً ، فطناً ، ظريفاً ، حلو النادرة ، حلو المزاح ، وكان يعرف جملة كبيرة من الغريب والأسماء والمختلف والمؤتلف ، وله حكايات متداولة بين الفضلاء ، وكان الملك الناصر يحبه ويكرمه ، روى عنه الشيخ محيي الدين النووي والشيخ تاج الدين الفزاري وأخوه الخطيب شرف الدين وتقي الدين بن دقيق العيد ، وكان ضعيف الكتابة جداً ، ويعرج من رجله .

حدث الشرف الناسخ أنه كان بحضرة [عند] الناصر بن العزيز ، فأنشد شاعر قصيدة يمدحه بها ، فخلع الزين خالد سراويله وخلعه على الشاعر ، فضحك الناصر ، وقال : ما حملك على هذا ؟ قال : لم يكن معي ما أستغني عنه غيره ، فضحك منه ووصله .

وولي مشيخة النورية ، وكان قصيراً شديد السمرة ، ويلبس قصيراً .

ومن شعره

أنا حسن إن إليك وإن نأت ... ركابي إلى بغداد ما عشت تائق

ولو عَنَّت الأقدار قبلي لعاشق ... لما عاقني عنك المشيئة عائق

ومنه أيضاً رحمه الله :

يا رب بالمبعوث من هاشم ... وصهره والبضعة الطهر

لا تخل اليوم الذي لا أرى ... عينيَّ تاج الدين من عمري

(١٢١)

الشيخ خضر بن أبي بكر الكردي

الشيخ خضر بن أبي بكر بن موسى ، المهراني ، العدوي ، الشيخ المشهور ، شيخ الملك الظاهر[1] .

---

(١) له ترجمة في شذرات الذهب ٢٥١/٥ . وضبط «المهراني» بكسر الميم وسكون الهاء ، وقال : إنه نسبة إلى مهران أحد أجداده . وله ترجمة في الطبقات الكبرى الشعراني ٢/٢ بولاق

كان صاحب حال ونفس قوية ، وكان له حال كاهن .

أخبر الظاهرَ بسلطنته قبل وقوعها ، فلهذا كان يعظمه وينزل إلى زيارته ويُطْلعه على غوامض أسراره ، ويستصحبه فى أسفاره .

سأله وهو محاصر أرسوف . متى تؤخذ ؟ فعين له اليوم ، فوافق ذلك ، وكذلك صَفَد وقيسارية .

ولما عاد إلى الكرك سنة خمس وستين استشاره فى قَصْدها ، فأشار عليه أن لا يقصدها ويتوجه إلى مصر ، فخالفه وتوجه ، فوقع عند بركة زيزى ، وانكسرت فخذه

وقال فى سبيك والظاهر على حصن الأكراد : يأخذه السلطان بعد أربعين يوما ، فوافق ذلك

ولما توجه السلطان إلى الروم كان الشيخ خضر فى الحبس ، فأخبر أن السلطان يظفر ويعود إلى دمشق ، وأموت ويموت بعدى بعشرين يوما ، فاتفق ذلك .

وكان السلطان قد نقم عليه واحضر مَنْ حاققه على أمور لا تَصْدُر من مسلم ، فأشاروا بقتله ، فقال هو للسلطان : أجَـلِى قريب من أجلك ، وبينى وبينك أيام يسيرة ، فوجم السلطان لها ، وتوقف عن قتله ، وحبسه ، وضيق عليه ، لكنه كان يرسل إليه الأطعمة الفاخرة والملابس ، وكان حبسه فى شوال سنة إحدى وسبعين وستمائة[1] .

ولما وصل الظاهر من الروم إلى دمشق كتب إلى مصر بإخراجه ، فوصل البريد بعد موته ، وكان قد بنى له عدة زوايا فى عدة بلاد ، وكل أحد يتقى جانبه ، حتى الصاحب بهاء الدين بن حنا وبيلبك الخازندار ،

---

(١) ذكر صاحب الشذرات أن وفاته كانت فى سادس المحرم من سنة ست وسبعين وستمائة ، كما سيأتى ذكر سنة وفاته فى ٭ تقى الدين

ورأوا ورقة تقول فيها : من حصر تلك الحارة ، وأخرج من السجن ميتاً ، وحمل إلى الحسينية ، ودفن بزاويته

قال الشيخ تقي الدين : الشيخ خضر مسلم صحيح العقيدة ، لكنه قليل الدين بالطولى ، له حال شيطاني ، وكانت وفاته سنة ست وسبعين وستمائة ، وكان قد بني له زاوية بالحسينية على الخليج مجاورة لأرض الطبالة ، ووقف عليها أحكاراً يجيء منها في السنة ثلاثون ألف درهم ، وبنى له بالقدس زاوية ، وبالمزة بدمشق زاوية ، وبظاهر بعلبك زاوية ، وبحماة زاوية ، وبحمص زاوية ، وهدم بدمشق كنيسة اليهود ، وكنيسة المصلبة التي للنصارى بالقدس ، وقتل قسيسها بيده ، وعملها زاوية ، وهدم بالإسكندرية كنيسة الروم ، وبنى بها مدرسة ، وسماها الخضراء ، وكان وسيع الصدر ، يعطي الفضة والذهب ، ويعمل الأطعمة في قدور مفرطة الكبر تحمل القدر جماعة الحمالين ، وفي ملازمته للظاهر يقول الناسخ :

ما الظاهر السلطان إلا مالك الـدنيا بذلك لنا الملاحم تخبر
ولنا دليل واضح كالشمس في وسط السماء بكل عين تبصر
لما رأينا الخضر يقدم جيشه أبداً علمنا أنه الإسكندر

(١٢٢)

الملك الأشرف خليل بن قلاوون الصالحي

خليل بن قلاوون(١) ، السلطان ، الملك الأشرف ، صلاح الدين ، ابن السلطان الملك المنصور قلاوون الصالحي

جلس على تخت الملك في ذي القعدة سنة تسع وثمانين وستمائة(٢) ، بعد موت والده ، واستفتح الملك بالجهاد ، وسار فنازل عكا وفتحها ، وأخذ نصف الشام

(١) له ترجمة في شذرات الذهب ٤٢٢/٥ وانظر النجوم الزاهرة ابتداء من مطلع الجزء الثامن ، والجزء الأول من ابن إياس

(٢) في النجوم أن ذلك كان يوم الأحد سابع ذي القعدة

كله من الفرنج ، ثم سار فى السنة الثانية فنازل قلعة الروم وحاصرها خمسة
وعشرين يوما فافتتحها ، ثم فى السنة الثالثة جاءته مفاتيح قلعة بهسنا من غير
قتال وهو سائر إلى دمشق ، ولو طالت مدته لملك العراق وغيره ، فإنه كان
شجاعا مقداما مهيبا عالى الهمة يملأ العين ويرجف القلب ، وكان ضخما سمينا ،
كبير الوجه ، بديع الجمال ، مستدير اللحية ، على صورته رونق الحسن وهيبة
السلطنة ، وكان إلى جوده وبذله الأموال فى أغراضه المنتهى ، تخافه الملوك فى
أقطارها ، أباد جماعةً من كبار الدولة ، وكان منهمكا على اللذات ، لا يعبأ بالتحرز
على نفسه لشجاعته ، خرج من القاهرة ثالث المحرم هو والوزير شمس الدين
ابن السلعوس[1] وأمراء دولته ، وفارقه الوزير من الطرانة[2] إلى الإسكندرية ، وعسف
وظلَم وصادر الناس ، ونزل الأشرف بأرض الحمامات للصيد ، وأقام إلى يوم
السبت ثالث عشر المحرم[3] ، فلما كان العصر وهو بتروجة حضر نائب السلطنة
بيدرا وجماعة من الأمراء ، وكان الأشرف أمرهم بكرة أن يتقدموا بالدهليز
ويتصيد هو ويعود عشية ، فاختلوا به ، وليس معه إلا شهاب الدين [أحمد] بن
الأشل أمير شكار ، فابتدره بيدرا فضربه بالسيف فقطع يده ، فصاح حسام الدين
لاجين عليه ، وقال : مَنْ يريد السلطنة تكون هذه ضربته ! وضربه على كتفه
فحله ، فسقط السلطان إلى الأرض ، ولم يكن معه سيف ، بل كان وسطه
مشدوداً بالبند ، ثم جاء سيف الدين بهادر رأس نوبة[4] ، فأدخل السيف من
أسفله وساقه إلى حلقه ، وتركوه طريحا فى البرية ، والتفوا على بيدرا ، وحلفوا له ،
وسار تحت العصائب يطلب القاهرة ، وتسمى بالملك الأوحد ، وبات تلك

(١) هو الصاحب شمس الدين محمد بن عثمان بن أبى الرجاء ، التنوخى
(٢) الطرانة : إحدى البلاد المصرية القديمة ، وتقع اليوم فى مركز كوم حمادة
مديرية البحيرة جنوبى محطة كفرداود (٣) فى النجوم « يوم السبت ثانى عشر المحرم »
(٤) رأس نوبة : هى إحدى وظائف أرباب السيف من الدولة الأيوبية فما
بعدها (صبح الأعشى ٤/١٨)

الليلة ، وأصبح يسير ، فلما ارتفع النهار إذا بطلب كثير قد أقبل يقدمه زين الدين كتبغا[1] وحسام الدين أستادار يطلبون بيدرا بدم أستاذهم ، وذلك بالطرّانة ، فحملوا عليه فتفرق عنه أكثر من معه ، وقتل في الحال ، وحمل رأسه على رمح ، وحملوا به إلى القاهرة ، ثم عكسهم الشجاعي من التعدية ، وكان نائب السلطنة في تلك السفرة ، فأمر بالشواني كلها فرفعت إلى الجانب الآخر ، وترك الجيش على الجانب الغربي .

ثم مشت بينهم الرسل على أن يقيموا الملك الناصر محمدا أخا الأشرف ، ففعلوا ذلك ، وأجلسوه على التخت يوم الاثنين رابع عشر محرم ، وصار أتابكه كتبغا ، ووزيره الشجاعي ، واختفى حسام الدين لاجين وقراسنقر المنصوري وغيرهما ممن شارك في قتله

قال الشيخ شمس الدين الجزري رحمه الله تعالى : حدثني الأمير سيف الدين[2] جندار قال : كان السلطان رحمه الله تعالى قد أمدني بكرة إلى بيدرا بأن يتقدم بالعساكر ، فلما قلت له ذلك هرّق[3] وقال : السمع والطاعة ، كم تستعجلني ؟ ثم إني جئت بردجمة وشقاق الذي لي ، وركبت ، فبينما أنا ورفيقي الأمير صارم الدين الصحري وركن الدين أمير جندار عند الغروب وإذا بنجاب قد أقبل فقلنا له : أين تركت السلطان ؟ فقال : يطوّل الله أعماركم فيه ، فبهتنا ، وإذا بالعصائب قد لاحت ، وأقبل الأمراء وبيدرا في الدست ، فجئنا وسلمنا ، وساق معه ركن الدين أمير جندار ، وقال له : يا خوند هذا الذي كان بمشورة الأمراء ؟ قال نعم ، أنا قتلته بمشورتهم وحضورهم ، وها هم حضور ، وكان من جملتهم حسام الدين لاجين وبهادر رأس نوبة وقراسنقر وبدر الدين بيمترى ، وشرع يعدد ذنوبه وإهماله لأمور المسلمين ، واستهتاره بالأمراء ، وتوزيره لابن السلعوس ،

---

(١) انظر في التعريف به وبما آل إليه أمره — النجوم الزاهرة ٨/٥٥

(٢) في النجوم الزاهرة ٨/١٨ « سيف الدين بن الجمقدار »

(٣) في النجوم ٨/٢٠ « فنفر في بيدرا ثم قال »

ثم قال: رأيتم الأمير زين الدين كتبغا؟ فقلنا: لا، فقال: أمير خندار عنده علم من هذه القضية؟ فقالوا: نعم، هو أول من أشار بها، فلما كان من الغد جاء كتبغا وطلب خوشداشين من الخاصكية وغيرهم، ثم قال كتبغا لبيدرا: أين السلطان؟ ورماه بالنشاب، ورموه كلهم بالنشاب، وقتلوه، وتفرق جمعه، فلما رأينا ذلك التجأنا إلى جبل، واختلطنا بالطلب الذي جاء، فعرفنا بعض أصحابنا، فقال: شدوا لنا مناديلكم في رقابكم إلى تحت الإبط، يعني شعارهم.

قال ابن الحلفدار[1]: حدثت شرف الدين [أحمد] بن الأشل: كيف كان قتل السلطان؟ قال: جاء إليه بعد دخم الدهليز[2] أن بتروجة طيراً كثيراً، فقال: امش حتى نسبق الخاصكية، فركب وسرنا، فرأى طيراً كثيراً، فرمى بالبندق وصرع كثيراً، ثم قال: أنا جيعان[3]، فهل معك شيء تطعمني؟ فقلت: ما معي سوى فروجة ورغيف في شوالقي[4]، فقال: هاته، فناولته فأكله، ثم قال: أمسك فرسي حتى أبول، ثم نزل وجعل [illegible] ويمازحني ثم ركب، وإذا بغبار عظيم، فقال: سُق واكشف الخبر، فسقت، وإذا بيبدرا والأمراء فسألتهم: ما سبب مجيئكم؟ فلم يردوا علي، وساقوا إلى السلطان وقتلوه كما ذكرنا.

ثم إن بعد موته بيومين طلع والي تروجة [ومعه أهل تروجة][5] وغسلوه وكفنوه ووضعوه في تابوت، وسيروا من القاهرة الأمير سعد الدين كوجبا الناصري فحضر التابوت ودفن في تربة والدته، وذلك في المحرم سنة ثلاث وتسعين وستمائة، وكان من أبناء الثلاثين أو أقل، رحمه الله تعالى!

---

(١) كذا في ب، ث، والذي في النجوم ٨/١٨ «ابن المحفدار» وانظر الحاشية ٢ من الصفحة السابقة.

(٢) كذا في ب، ث، وفي النجوم الزاهرة «بعد رحيل الدهليز».

(٣) الصواب عربية أن يقول «أنا جوعان».

(٤) في النجوم «صولق».

(٥) زيادة يقتضيها السياق، وهي في النجوم الزاهرة.

ذكر فتوحاته : عكا ، وصور ، وصيدا ، وبيروت ، وقلعة الروم ، وبهسنا ، وجميع السواحل[1] ، فى أقرب مدة

وكانت مدة ملكه ثلاث سنين وشهراً وخمسة أيام[2] .

وكان كرمه زائدا ، وإطلاقه عظيم ، وكانت واقعته تسمى وقعة الأيدى والأكتاف ، لأن جميع من وافق عليه قطعت أيديهم أولا ، ومنهم من سُمّر ، ومنهم من أحرق ، ومنهم من قتل ، ولم يوجد فى زمانه مظلمة ، ولااستجد ضمان مكس ، وكان يحب الشام وأهله ، وفيه يقول شمس الدين بن غانم :

فيكن فذاك يا صلاح هذا خليل وذا يوسف[3]

فيوسف لا شك فى فضله ولكن خليل هو الأشرف

وكان مُغْرًى بالهدم ، لأنه هدم أماكن ، وفيه يقول علاء الدين الوداعى لما أمر بهدم الأماكن المجاورة للميدان بدمشق ، ووزع عمارته على الأمراء :

بأمر السلطان فى خلق يهدم ما جوّر ميدانه

وفيه قد عار ما رأى عبر بيوت الله جيرانه

وقال أيضا :

أرى الأمراء قد جدوا وجدوا وشدوا فى عنائهم وشادوا

وهم متسابقون ولا عجيب فى الميدان تستبق الجياد

وقال أيضا رحمه الله :

خربتم أيها الأمراء جيرا على إنفاقكم هدى السفيه

فلا تخشوا على الميدان شيئا سوى سيل العطايا الأشرفيه

(١) فى ث « وجميع الساحل »

(٢) فى النجوم « ثلاث سنين وشهرين وخمسة أيام »

(٣) يوسف : أراد به صلاح الدين الأيوبى

ولما افتتح السلطان عكا امتدحه القاضي شهابُ الدين محمود بقصيدته البائية المشهورة ، وهي هذه :

الحمد لله ذلّتْ دولة الصُّلُبِ ... وعزَّ بالترك دينُ المصطفى العربي
هذا الذي كانت الآمال لو طلبت ... رؤياه في النوم لاستحيَتْ من الطلب
ما بعد عكا وقد هُدّتْ قواعدها ... في البحر للشرك عند البر من أرب (١)
عقيلة ذهبت أيدي الخطوب بها ... دهرا وشَدّتْ عليها كف مغتصب
لم يبق من بعدها للكفر مذ خربت ... في البحر والبر ما ينجي سوى الهرب
كانت تخيل آمالنا امرى ... أن التفكر فيها غاية العجب
أم الحروب فكم قد أنشأت فتنا ... شاب الوليد بها هولا ولم تشب
سوران بر وبحر حول ساحتها ... دارا وأدناهما أنأى من العطب (٢)
مصفح بصفاح حولها أكم ... من الرماح وأبراج من اليَلَبِ (٣)
مثل الغمائم تهدي من صواعقها ... بالنبل أضعاف ما تهدي من السحب
كأنما كل برج حوله فلك ... من المجانيق ترمي الأرض بالشهب
ففاجأتها جنود الله يقدُمُها ... غضبانُ لله لا للملك والنَّشَبِ
كم رامها ورماها قبله ملك ... جم الجيوش فلم يظفر ولم يَخِبِ
لم ترض هِمّته إلا الذي قعدت ... للعجز عنه ملوك العجم والعرب
ليث أبى أن يردّ الوجه عن أمم ... يدعون ربَّ العلى سبحانه بأب
لم يلهه ملكه، بل في أوائله ... نال الذي لم ينله الناس في الحِقَبِ
فأصبحت وهي في بحرين مائلة ... ما بين مضطرم نارا ومضطرب

(١) الأرب ـ بالتحريك ـ الحاجة والمطلب
(٢) العطب : الهلاك ، وأنأى : أبعد
(٣) اليلب ـ بفتح الياء واللام جميعا ـ الدروع

جيش من الترك ترك الحرب عندهم عار ، وراحتهم ضرب من الضرب

خصوا بهم بين الروم والنحر فاشبهه السمران واجتمعا في الحال والسبب

سموها فلم يترك سميهم في ذلك الأفق رجا غير منقضب

أتوا حماه هم تنعيم وقد نهبوا منه بحديثهم شيئاً ولم تنب

يا يوم عكا لقد أنسيت ما سبقت به الفتوح وما قد خط في الكتب

لم يبلغ النطق حد الشكر منك فما عسى يقوم به ذو الشعر والخطب

كانت تمنى بك الأيام معتدة فالحمد لله نلنا ذاك عن كثب [(١)]

أغضبت عباد عيسى إذ أبدتهم لله أي رضى في ذلك الغضب

وأطلع الله جيش النصر فابتدرت طلائع النصر بين السمر والقضب [(٢)]

وأشرف المصطفى الهادي البشير على ما أسلف لأشرف السلطان من قرب

فقر عينا بهذا الفتح وابتهجت بفتحه الكعبة الغراء في الحجب

وسار في الأرض سيراً ربح نغمته فالبر في طرب والبحر في حرب

وخاضت البيض في بحر الدماء وما أبدت من البيض إلا ساق مختضب

وغاص زرق القنا في زرق أعينهم كأنها شطن تهوي إلى قلب [(٣)]

توقدت وهي غرقى في دمائهم فزادها الطعن منها شدة اللهب

وذاب من حرها عنهم حديدهم فقيدتهم بها دعر يد الرهب

كم أزرت بطلا كالطود قد طلبت حواسمه العدا كالمنزل الخرب

أجرت إلى البحر بحراً من دمائهم فراح كالراح إذ غرقاه كالحبب [(٤)]

تحكمت وسطت فيهم قواضبه قتلا وعفت حاويها عن السلب

---

(١) عن كثب ـ بفتح الكاف والثاء ـ عن قرب

(٢) السمر : الرماح ، واحدها أسمر ، والقضب : السيوف ، واحدها قضيب

(٣) الشطن : الحبال ، والقلب : الآبار ، واحدها قليب

(٤) الحبب : الفقاقيع التي تعلو وجه الخمر عند مزجها بالماء

كأنه وسِنانُ الرمح يطلبه — برج هوى ووراه كوكب الذنب

بشراك يا ملك الدنيا لقد شرفت — بك الممالك واستعلت على الرتب

ما بعد عكا وقد لانت عريكتها — لديك شيء تلاقيه على لَغَبِ[1]

فانهض إلى الأرض فالدنيا بأجمعها — مدت إليك نواصيها بلا نَصَبِ

كم قد دعت وهي في أسر العدا زمنا — صِيدَ الملوك فلم تسمع ولم تجب[2]

أتيتها يا صلاح الدين معتقدا — بأن داعي صلاح الدين لم يجب

أسَلْتَ فيها كما سالت دماؤهم — من قبل أحرارها بحرا من الذهب

أدركت ثأر صلاح الدين إذ غُصبت — منه بسر طواه الله في اللقب[3]

وحطتها بخميس كالسيول على — أمثالها بين آجام من القصب

وحُطتها بمجانيق التي وقفت — إزاء جدرانها في جحفل لَجِبِ[4]

مرفوعة نصبوا أخفض بهم عمدا — للكسر والخفض منهم كل منتصب

ورُضْتها بضروب ذللت شمما — منها وأبدت محياها بلا نقب

وعدت البيض في الأعناق فارقصت — أزواجها لعبا منهن باللعب

وخلقت بالدم الأسوار فانقمعت — طيبا ولولا دماء الخبث لم تطب

وأبرزت كل خود كاعب زُفّت — [illegible] حين رقوها بلا طرب

بدت وقد جاورتنا ناشدا وعدت — طوع الهوى في يدي [illegible]

بل أحرزتهم ولكن السيوف لكي — لا يلتجي أحد منهم إلى الهرب

أضحت أبا لهب تلك البروج وقد — كانت تعليتها حمالة الحطب

وتمت النعمة العظمى وقد كملت — بفتح صور بلا حصر ولا نصب

---

(١) اللغب ـ بفتح اللام والغين جميعا ـ التعب والنصب والإعياء.

(٢) الصيد: جمع أصيد، وهو من يرفع رأسه تكبرا وتيها.

(٣) أراد باللقب « صلاح الدين » الذي كان من قبله يلقب به يوسف بن أيوب.

(٤) الجحفل: الجيش، واللجب: الكثير العدد والعديد.

وصارت النار في أرجائها وعست ... فأطفأت ما بصدر الدين من كرب

وأملت البحر منهم من تحير من ... تلقاه من قومه بالويل والحرب

أختين في أن كلا منهما حممت ... صيبة الكفر لا أختان في النسب

لما رأت أختها بالأمس قد حرقت ... كان الخراب لها أعدى من الجرب

الله أعطاك ملك البحر إذ جمعت ... لك السعادة ملك الشرق والغرب

من كل سوداء عكا وصور معا ... فالصين أدنى إلى كفيه من حلب

علا بك الملك حتى إن قبته ... على البرايا غدت ممدودة الطنب

فلا برحت قرير العين مبتهجا ... بكل فتح مبين المنح مرتقب

وقال أيضا يمدحه عند فتح قلعة الروم سنة إحدى وتسعين وستمائة .

لك الراية الصفراء يقدمها النصر ... فمَنْ كيقباذُ إن رآها وكيخسرو[1]

إذا خفقت في الأرض هدت بنودُها هوى الشرك واستعلى الهدى وتجلى الثغر

وإن نشرت مثل الأصائل في الوغى ... جلا النقع من لألاء طلعتها البدر

وإن يممت زرق العدا سار تحتها ... كتائب خضر تحتها البيض والسمر[2]

كأن مثار النقع ليل، وخفقها ... بروق، وأنت البدر، والفلك البحر

لها كل يوم أين سار لواؤها ... هدية تأييد مقدمها الدهر

وفتح بدا في إثر فتح كأنما ... سماء بدت تترى كواكبها الزهر

فكم وطئت طوعا وكرها معاقلا ... مضى الدهر عنها وهي عانسة بكر[3]

فبين رمت حصنا ستفتك كتائب ... من الرعب أو جيش تقدمه النصر

في كل قطر للعدى وحصونهم ... من الخوف أسياف تجرد أو حصر

فلا حصن إلا وهو سجن لأهله ... ولا جسم إلا لأرواحهم قبر

(١) كيقباذ وكيخسرو : اسمان لملكين من ملوك الفرس

(٢) الكتائب : جمع كتيبة ، وهي الجماعة من الجيش ، والبيض : السيوف ، والسمر : الرماح

(٣) العانس : التي فات سن زواجها وهي عند أهلها لم تزوج

وما قلعة الروم التي حُزْتَ قهرها ... وإن عظمت إلا إلى غيرها جسر

مُحَجبة بين الجبال كأنها ... إذا ما تبدّتْ في ستائرها سر

تفاوت وضعاها فالحوت فيهما ... عالٍ وللشعرى بينهما ذكر (1)

فبعض رسا حتى جرى الماء فوقه ... وبعض سما حتى هي دونه القطر

يحيط بها نهران تجري فيهما ... كما لاح يوما في قلائده النحر

تخاض متون السحب فيها كأنها ... إذا ما استدارت حول أبراجها نهر (2)

على هضب صخر قد تكلم صخرها ... حديد وفيها عن إجابته وَقْرُ (3)

لهـ طرق كالوهم أعيا سلوكه ... على الفكر حتى ما تخيّله الفكر

إذا خطرت فيها الرياح تعثرت ... أو الطير يوما زل عن متنه الصدر (4)

يضل القطا فيها ويخشى عقابها العـقاب ويهوى في مراقيها النسر

فصبّحْتَها بالجيش كالزهر بهجة ... صوارمه أنهاره والقنا زهر

وأدعتَ بل كالبحر والبيض موجه ... وجُرْدُ المذاكي السفنُ والخود الدر

وأغربت بل كالليل عوج سيوفه ... أهلته، والبيض أنجمه الزهر

وأطلعت لا بل كالنهار فشمسه ... جيوشك، والأصار رايتك الصفر

ليوث من الأتراك آجامها القنا ... لها كل يوم في ذرى ظفر ظفر

فلا الريح تسري بينهم لاشتباكها ... عليهم ولا يهمل من فوقهم قطْرُ

يرى الموت معقودا بهدب ساهم ... إذا ما رماها القوس والنظر الشزر

ففي كل سرج غصن بانٍ مهفهف ... وفي كل قوس مدّه ساعده بدر

إذا صدموا صم الجبال تزلزلت ... وأصبح سهلا تحت خيلهم الوعر

ولو وردت ماء الفرات خيولهم ... لقيل: هنا قد كان فيما مضى نهر

---

(1) في ب، ت «ولا سرى بينهما ذكر» وأعتقده محرفا عما أثبت

(2) في ب، ت «متون السحب» محرف عما أثبتناه

(3) وقر: صمم، وفي القرآن الكريم: (وفي آذاننا وقر)

(4) في ب، ت «زال عن متنه القر»

أداروا بها سوراً فأضحت كخنصر ... لدى خاتم أو تحت منطقة خصر

وأجروا إليها من بحار أكفهم ... سحائب رَدًى لم يخل من قطره قطر(١)

كأن المجانيق التي قُمْنَ حولها ... رواعد سخط وَبْلُها النار والصخر(٢)

فأحرزتها بالسيف قهراً ، وهكذا ... فتوحك فيما قد مضى كله قسر(٣)

غدت بشعار الأشرف الملك الذي ... له الأرض دار ، وهي من حسنه قصر

وأضحت بحمد الله ثغراً ممنعاً ... تبيد الليالي والعدا وهو مفتر(٤)

وكانت قَذًى في ناظر الدين فانجلى ... وذخراً لأهل الشرك فانعكس الأمر(٥)

---

(١) الردى : الهلاك

(٢) أصل الوبل المطر ، وقد شبه به ما رمى به المجنيق من النيران ، وذلك حين شبه المجانيق بالرياح الراعدة

(٣) أحرزتها : حصلت عليها وملكتها ، والقسر ـ بفتح القاف وسكون السين المهملة ـ القهر والغلبة

(٤) تبيد : تهلك ، وثغر مفتر : ضاحك

(٥) القذى ـ بفتح القاف مقصوراً ـ كل ما يقع في العين من غمص ونحوه ، والذخر ـ بضم الذال وسكون الخاء ـ ما يدخر ويحتفظ به لوقت الحاجة مما يضن بإنفاقه

حرف الدال المهملة

(١٢٣)

أبو المفاخر صلاح الدين الملك الناصر داود بن عيسى

داوود بن عيسى[1] بن محمد بن أيوب ، الملك الناصر ، صلاح الدين ، أبو المفاخر[2] ، ابن الملك المعظم عيسى ، بن الملك العادل الكبير ، بن أيوب .

ولد في جمادى الآخرة سنة ثلاث وستمائة ، بدمشق ، وتوفي سنة ست وخمسين وستمائة في الطاعون ، طعن في جسمه ، ودفن بسفح قاسيون في تربة والده .

وكان رحمه الله معتنيا بتحصيل الكتب النفيسة ، ووفد عليه راجح الحلي[3] ، ومدحه فوصل إليه منه ما يزيد على أربعين ألف درهم ، وأعطاه على قصيدة أخرى ألف دينار ، وكتب الملك الناصر داود إلى وزيره فخر القضاة ابن بصاقة رحمه الله تعالى :

يا ليـــلة قضّيتُ عمر ظلامها	بمدامة صفراء ذات تأجـج
بالساحل النائي روائح نشره	من روضـه المتضوع المتأرج
والبحر زاخر قد جـــرى تيّاره	من بعـد طول تقلق وتموج
طوراً تدغدغه النسيمُ وتارة	يَكْرَى فتوقظه بنات الخزرج
والبدر قد ألقى سَنا أنواره	في لجه المتجعـــــد المتدبج
فكأنه إذ قدّ صفحة متنه	بشعاعه المتوقــــد المتدبج
نهر تكوّن من نُضارٍ يانع	يجري على أرض من الفيروزج

ومن شعره رحمه الله :

ضنّحانى وجهـــــه القمرى	وَاصتبَحانى بالسلسبيل الروىّ

---

(١) له ترجمة في النجوم الزاهرة ٧/٦١ وفي شذرات الذهب ٥/٢٧٥

(٢) ويقال « أبو المظفر »

(٣) ترجمة راجح الحلي تأتي قريبا برقم ١٢٥

بدر ليل يسمى بشمس نهار   مشبها بينا بنساء شهى

واعجبا لاجتماع شمس وبدر   فى ثنايا سما كال بهى[(1)]

إن تبدت بوجهها ذهبيا   قلت هذا من وجهه الفضى

يا ولوعا بالنبل أصميت قلبى   بسهام من لحظك البابلى[(2)]

رشقته من حاجبيك بسهم   مستعاذ أخشين بها من قسى

ومن شعره أيضا رحمه الله

لو عاينت عيناك حسن معذبى   ما لمتنى ولكنت أول من عذر

عين الرشا، قد النقا، ردف النقا   شعر الدجى، شمس الضحى، وجه القمر

ومما ينسب إليه، وهو غاية:

بأبى أهيف إذا رمت منه   لثم ثغر يصدنى عن مرامى

قد حمى خده بنون عذار   مقلتاه أصبحت عليه مرامى

وله أيضاً رحمه الله :

تزحزحت عنى حين جد بى الهوى   وحرمت صبرى عندما نفد الصبر

فلو عاينت عيناك فى الليل حالتى   وقد هزنى شوق وأقلقنى الفكر

رأيت سليبا فى ثياب مسلم   ومستشعرا قد ضم شرسوفه الشعر

وقال أيضاً غفر الله له :

إذا عاينت عينى أعلام جلق   وبانت من القصر المشيد قبابه

تيقنت أن البين قد بان، والنوى   نأى شخصها، والعيش عاد شبابه

وله أيضا رحمه الله

طرفى وقلبى قاتل وشهيد   ودمى على خديك منه شهود

---

(١) كذا فى ب ، ولعله « فى ثنايا كال بهى »

(٢) أصميت قلبى : أصبت منه مقتلا ، ولحظك البابلى : أى الساحر الفاتن

يا أيها الرشأ الذي حطنه كم دونه صوارم وأسود
من لي بطيفك مذ مانع الكرى عن ناظري البعد والتسهيد
وأنا وحقك لست أضمر توبة عن صبوتي، ودع الفؤاد يبيد
والله ما لاقيت فيك منيتي وأقل ما بالنفس منك أجود
ومن العجائب أن قلبك لم يلن لي والحديد ألانه داود

وعلى الجملة فإنه لم يكن مسعود الحركات، لأنه قضى عمره في أسوإ حال، مشردا عن الأوطان، معكوس المقصد، وقيل إنه كان إذا دخل في الشراب وأخذ السكر منه يقول: أشتهي أن أرى غلامي فلانا طائرا في الهواء، فيرمى ذلك المسكين في المنجنيق وراءه وفوق الهواء، فيضحك ويشرب ويقول: أشتهي أن أشم روائح فلان وهو يشوى، فيحضر ذلك المنشر ويقطع لحمه ويشوى، وهو يضحك من تألمهم بذلك المسكين، وله من هذه الأفعال الرديئة أنواع كثيرة جمة، وفيه يقول جمال الدين ابن مطروح:

ثلاثة ليس لهم رابع عليهمُ معتمد الجود
الغيث والبحر وعزّهما بالملك الناصر داود

رحمه الله تعالى وعفا عنه!

(١٢٤)

هزبر الدين الملك المؤيد داود بن يوسف ملك اليمن

داود بن يوسف بن عمر بن رسول، التركماني، الملك المؤيد، هزبر الدين، ملك اليمن[1].

ملكه نيفا وعشرين سنة[2]، ومات في ذي الحجة سنة إحدى وعشرين وسبعمائة.

---

(١) له ترجمة في النجوم الزاهرة ٩/٢٥٣ والدرر الكامنة
(٢) تسلطن في المحرم من سنة ٦٩٦ بعد أخيه

وكان قد تعنى وحفظ « كفاية المتحفظ[1] » ومقدمة ابن باشاذ[2]، و « مختصر التنبيه »[3] وطالع وسمع من المحب الطبرى وغيره ، واشتملت خزانته على مائة ألف مجلد ، وكان محبا للخير ، يزور الصالحين ، وقدم عليه عز الدين الكولمى ومعه من المسك والحرير والصينى ما أدّى عليه ثلثمائة ألف درهم ، وأنشأ المؤيد قصرا بديع الحسن عديم المثال .

ولما مات تولى ابنه المجاهد ، واضطرب ملك اليمن مدة ، وتمكن الملك ظاهر بن المنصور وقبض على المجاهد ، ثم مات ابن المنصور ، وكان فيها رحبا ، فدار الأمر مع المجاهد ، واستولى على قلعة تعز ، ثم قوى أمره ، وأباد أضداده .

وقال الشيخ تاج الدين عبد الباقى اليمانى يمدح المؤيد وقد ركب فيلا :

الله أولاك يا داود مكرمة ورتبة ما أتاها قبل سلطان

ركبت فيلا وظل الفيل ذا رَهَج مستبشرا وهو بالسلطان فرحان

لك الإلهُ أذل الوحشَ أجمعه هل أنت داود فيه أم سليمان

---

(١) اسم الكتاب كاملا « كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ » وهو كتاب فى الألفاظ صنعه أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل بن أحمد بن عبد الله ، الطرابلسى ، المعروف بابن الأجدابى ، له ترجمة فى معجم الأدباء لياقوت وفى بغية الوعاة للسيوطى ١٧٨

(٢) هى رسالة فى النحو من تأليف أبى الحسن طاهر بن أحمد بن باشاذ بن داود بن سليمان بن إبراهيم ، النحوى ، المصرى ، المتوفى فى سنة ٤٦٩

(٣) هكذا فى ب ، ث ، والذى فى الدرر الكامنة والنجوم الزاهرة « وبحث التنبيه »

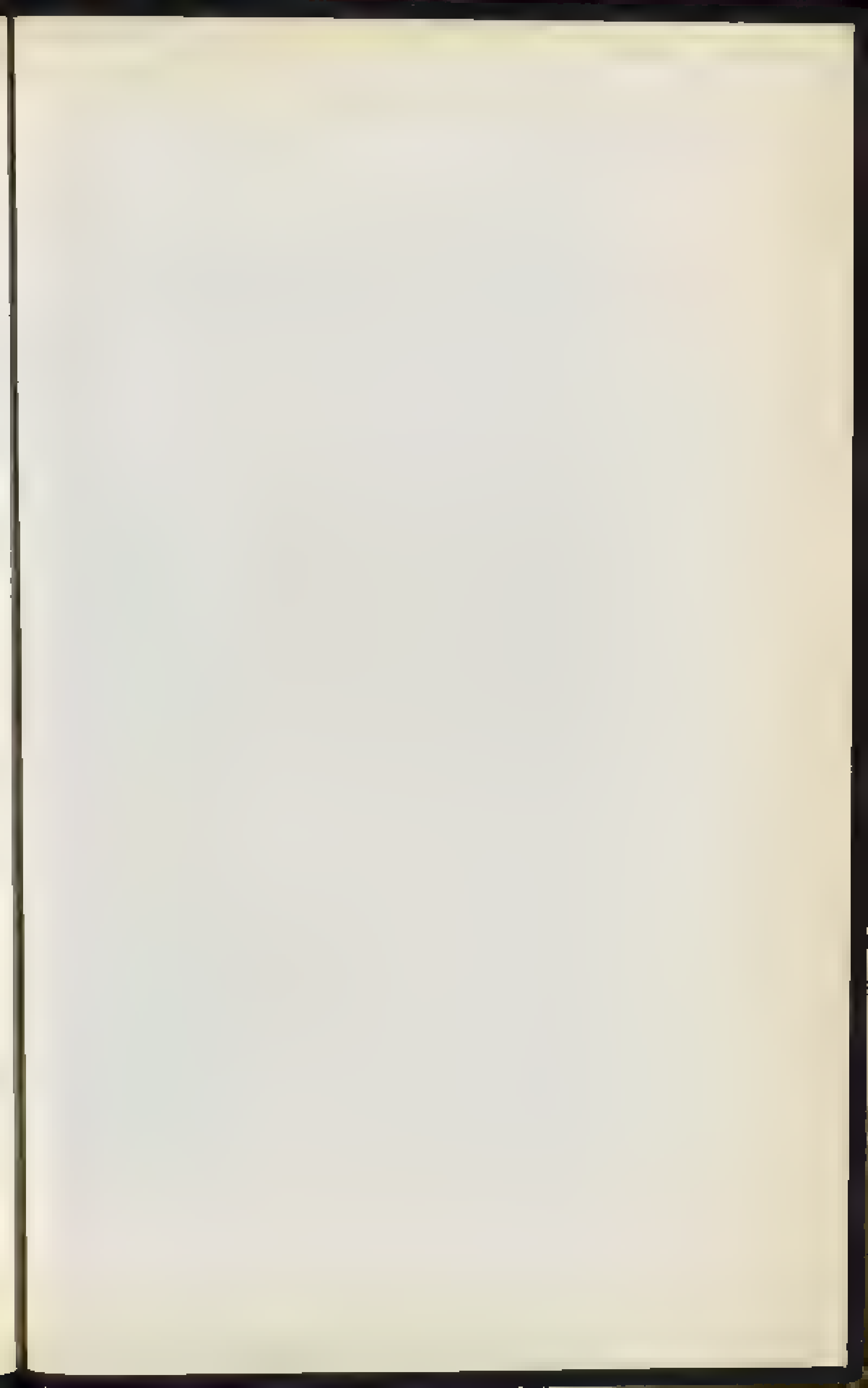

حرف الراء المهملة

(١٢٥)

راجح الحلى
الشاعر

راجح الحلى(١).

من شعره .

ماء جفون وجهه مذ أشرقا   كم ناظر بدموعه قد أشرقا

رشأ يفوّق عن قسيّ حواجب   نبلا تصيب مقاتلا لا يتّقى

ثمل المعاطف لم يزرّ قباؤه   إلا على مثل القضيب وأرشق

أنا من بدا بدى محرّه في مأتم   فاعجب لخد بالدموع مخلّقا

كالبدر يسرى في نجوم قلائد   متبسّم من فوق غصن في نقا

لم يكف صرف العصر عن إرداله   حتى اعتدى بعيونها متمنطقا

أجرى على عاداته دمعى ، ولو   كشف الظلامة رد ذاك المطلقا

وأرى دليل حقوق قلبي أنه   بسلاسل الأصداغ أضحى موثقا

حمل الغرام فرى ملاحته فكم   من أثاره وكم دم قد أهرقا

عقدت شديه بحور رضابه   حتى صفا في كأس فيه مروّقا

وبذت ما آيات حسن لم تقم   رهبانها إلا وكنت مصدقا

بمخطه وبوجنتيه وثغره   راح سكرت بشربها مستنشقا

كتب العذار على صحيفة خده   بالمسك في الكافور سطرا منمقا

أسعف الشق وهو من الهوى   على الحشى لامت حتى تعشقا

---

(١) راجح الحلى ذكر في تاريخ مصر لابن إياس ١,٨٠ و٨١، وقد ذكر أنه أقدم من صفي الدين الحلي الشاعر المعروف ، كما ذكر صلة راجح هذا بالملك الكامل ناصر الدين محمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب الخامس من ملوك الدولة الأيوبية بمصر ، ولراجح ترجمة قصيرة في شذرات الذهب ١٢٣,٥ سماه فيها شرف الدين راجح بن إسماعيل الحلي ، وذكر أن وفاته في سنة ٦٢٧ ، وله ترجمة في النجوم الزاهرة ٢٧٥/٦ ذكر فيها ما ذكره صاحب الشذرات وزاد ، فأما صفي الدين الحلي فتوفي في عام ٧٥٠ من الهجرة ببغداد ، واسمه عبد العزيز بن سرايا وكان من شعراء السلطان الناصر بن قلاوون

ورقًا بمسحه الجنىّ وقد غدا ... كالورد فى روض الملاحة مُحدقا

إنى لأظمأ ما يكون إذا جرى ... ماء الحياة بوجهه وترقرقا

قمر سقيم الطرف عقربُ صدغه ... يلوى عليه ويهصرا ما ترقّق

يا مفردًا من حسنه عطفًا على ... قلب سبيت من الصبر مملق

هل قد رأيت خضوع سائل دمعه ... أفكان عارا أن تُرى متصدّقا

سل عن سوى خدّى فإنى لم أدع ... عليه حتى قضى ، فلك البقا

ما بتّ إلا للصبابة ممسكا ... حتى غدا خدّى لدمعى منفقا

سكن الهوى جسمى سكون معبد ... وقت المرام إلى فؤادى مطلقا

فملك قلب قد ملكت قياده ... لم يُزحْ من رق الصبابة معتقا

لو كان قلبك مثل عطفك لينا ... رثى ورقّ لفيض دمع مُرهقا

ماذا تعدّ لى ... إذا ... ما طرفك اعتدل الحب لمشفقا

(١٢٦)

أبو حليمة
راشد بن
إسحاق الكاتب

أبو حليمة ، الكاتب ، راشد بن إسحاق بن راشد [١]

شاعر ، أديب ، أفق عامة شعره فى مراثى متعه .

وقال ابن المرزبان : إنه كان يقول ذلك لتهمة لحقته من عبد الله بن طاهر أيام خدمته له فى خادم لعبد الله .

ومن شعره :

ومن خادم يرنو بطرف غزال ... يدلُّ بحسنٍ فائق وجمال

دعانى إلى ما يستحل ابن أكثم ... وقد يستحل الشيخ غير حلال [٢]

وما بدالى ما يريد أجبته ... وقلت له : إنى لذلك قالٍ [٣]

---

(١) له ترجمة فى معجم الأدباء ١١/١٢٢ — ١٢٤ ، وكان راشد هذا متصلا بمحمد بن عبدالملك الزيات فى عصر أمير المؤمنين المأمون بن هرون الرشيد العباسى

(٢) ابن أكثم : القاضى يحيى بن أكثم ، وكان يرمى بالغلمان .

(٣) قال : كاره ، اسم الفاعل من « قلاه يقلوه ويقليه وبغضه ، أى كرهه »

وقفت له : حاولت ما لست قادرا ... عليـه ، ولو غاليت فيه بمالي

مليت بأير لا يخف إلى الوغى ... إذا ما التقى الزحفان يوم قتال

فأصبح لا يهفو إلى اللهو مسه ... ولا تخطر اللذات منه ببال

تدلدل فوق الخصيتين كأنه ... رِشاء على رأس الركية بال[1]

ولو قام ما أسمعك فيما طلبته ... أحق وأزرى منك أم عيالي

وقال أيضاً في المعنى :

أبا أير قد صرت أحدوثة ... لمن في البـلاد من العالم

ألم يك فيما مضى مسقطا ... أشَبِّهُهُ بالوتد القـائم

وقد كنت غلاً كف الفتاة ... فأصبحت تدخل في خاتم

وقال في المعنى رحمه الله

دعيت إلى شادن أدعج ... يشَبَّه بالقمـــر الأبلج

فأقبلت أيرك مستحدرا ... وقد يُحرَمُ المرء ما يرتجي

ترى تركه أيما حسرة ... وأنت به مستهام شجي

وصرت تَحرج من نيله ... ولو قام أيرك لم تَحرج

سواء عليك إذا ما رنوت ... إلى مثله حنثت أم لم تج[2]

وقال أيضاً سامحه الله[3] :

نام أيري والنوم ذل وهونُ ... فاعتراه بعد الحَراكِ سكونُ

بات يصوّت أبكي عليه ... إن تغنّى نعمه مغرون

كيف يلتـذ عيشةً آدميّ ... بين جنبيه صاحب محزون

---

(١) الرشاء ـ بكسر الراء ـ الحبل . والركية أراد هنا البئر

(٢) رنوت . نظرت ، رنا يرنو . ووقع في ب « رنيت » تحريف

(٣) ذكر ياقوت أنه لم يعثر لراشد هذا على شعر خال من الفحش سوى ثلاثة أبيات أنشدها له .

دَبَّ فيـه البِلَى فدقّت قُواه   وهو حىّ لم تخـترمه المنون

أيهـا الأير لم تمت ، ولـكن   عاث فيك ريب دهر خؤون

طالمـا قمت كالسارية تهـتز اهتزازا تسمو إليـه العيون

رب يوم رفَعْتَ فيه قميصى   مسكنى فى مشتى محصون

سلبتـك الأيام لذة عيش   يقصر الوصف دونها والظنون

كانت الحرّبانِ تكل منـه   وخطوب الزمان فيـه تهون

فتخليت من فنون التصابى   وتخلّى عنك الصبى والجنون

أين إقدامك الشـديد إذا ما   شمرتْ بالكَمِيّة حرب زَبُونُ

فقتَ أبطالهـا طعانًا وضربا   ولـكل الأشيـاء فوقٌ ودُونُ

كم صدوق اللقاء دارت عليه   فى غمـار الوغى رَحاه طَحُونْ[1]

وحصون لما وردْتَ عليهـا   أيقنت بالبلاء تلك الحصون

وصريع أبحت منـه مكانا   كان يحميه مرة ويصون

وشديد المراس أقصدت فيـه   طعنة يسـتلذها المطعون

تركته بعد الحماقة سمحـا   وهو صبٌّ بحبهـا مفتون

حنى قوسك الزمان وأفنتـك خطوب مضى عليها القرون

لم يدَعْ منك حادث الدهر إلا   جلدة كالرشاء فيهـا غضون[2]

يتثـنى كأنه صولجـان   أو كما عوجت من الخط نون

فإذا أبصرت خزاياك عينى   ذرفتْ بالدموع منى الجفون

فمتى أنت مفلح بعد هـذا   أترى ذاك فى حياتى يكون

وقال أيضا فى المعنى :

---

(١) هكذا فى ب ، ث « رحاة طحون » بالهاء ، وليس بشىء ، وإنما هى رحى — بفتح الراء مقصورا — وتثنى « رحيان » مثل فتى وفتيان ، وقد يكون الأصل « رحاء طحون » بالمد ، فقد زعم بعض أهل اللغة أنه يقال « رحاء » بالمد .. بدليل جمعهم إياه على أرحية   (٢) فى ب ، ث « لم يبق منك » ولا يستقيم عليه الوزن

إذا وُصِفَتْ من كل أمرٍ شجاعة ... أبى حين أبرى أن يحيط به وصف

يفر حذار الزحف من رأس فرسخ ... فكيف تراه حين يقرب في الزحف

ويكسل بين العابثين عن المدى ... يتم لإخوان السرور به القَصْفُ

ينـام على كف الفتاة ، وتارة ... له حركات ما تحس به الكف

كما يرفع الفرخُ ابن يومين رأسه ... إلى أبويه ثم يدركه الضعف

تطوق فوق الخصيتين كأنه ... رشاء على رأس الرَّكِيَّةِ ملتف[1]

تقول سليمى حين غيَّره البلى ... وأعقبه من صرف أيامه صرف

لئن دق واسترخى لقد كان مرة ... له مقبض في كَفٍّ لامسه يحفو

صبيحة يغدو للنطاح كهامة ... من الصخر لا قرنان فيها ولا قحف

إذا شئت لاقاني بمس مقوم ... ومحورة مثل السنان لها قحف[2]

فـالى أراه ضـاربا بجرانه ... كذى سكرة مالت به الخمرة الصِّرْفُ

يعز عليـه أن يقوم لحاجة ... ولو قام لم يتبعه عضو ولا عطف

تكدر عيشى مذ أبت نحضاته ... وللدهر أحداث تكدر ما يصفو

وقال أيضا رحمه الله :

ومنقبه بين الندامى رأيته ... وقد رقد الندمان دب إلى الساق

فأولج فيـه مثل أسْوَدَ سالخ ... أصم من الحيات ليس له راق

فلما انتحى فيه تحرك وانكا ... وأطرق عند الوهر أحسن إطراق

فقلت له لا تلفين مقصرا ... ولا مشفقا في غير موضع إشفاق

أحد تحت خصيه فمن سكونه ... سكوت فتى صب إلى لبيك مشتاق

فلو لم يكن يقظان ما قام أيره ... ولا لف عند النيك ساقا إلى ساق

وقال أيضا في المعنى .

---

(١) الرشاء — بكسر الراء — الحبل ، وجمعه أرشية ، والركية : البئر

(٢) في ب « إذا شئت لاقانى » و «مثل الشام لها قحف» تحريف في الموضعين

كأنى أرى من زحو معصلة حرنطة قد حلت من الكتب
أو حيـــة أرقم معارقة قد جعلت رأسها إلى الذنب

وقال فى مرضه الذى مات فيه وهو بطريق مكة :

أطبقت للموت حفنا ىمس يطلق وبت والدمع فى حديك يستبق[١]
لم يسترح من له عين مؤرقة وكيف يعرف طعم الراحة الأرق
وددت لو تم لى حتى فعرت به ما كل ما تشتهيه النفس تتفق

(١٢٧)

أمير العرب رافع بن الحسين الأقطع

رافع بن الحسين بن حماد[٢] بن لمسيب ، الأقطع ، أمير العرب بنواحى بغداد . كان فيه فروسية وأدب ، ويقول الشعر ، وكانت أمه علوية فاضلة كريمة نضمرة ، وكان فيه شح وإمساك ، وكانت تعيبه بذلك ، وإذا جرى فى صرفاته تقصير تمنته من بيوتها ، وكانت تقول : واعوثاه ، ما عرفت المشرات والحسنات إلا منكم فى هذا الزمن ، وما كنا نعرف إلا الألوف ونشأت ، وكان لما فى حيد فى الحروب وغيرها ، وكان عظيم الغيرة على حرمه وإمائه ، وكانت تسكنه البوازيج والسن[٣] وتكريت والدجيلة .

وتوفى سنة سبع وعشرين وأربعمائة ، رحمه الله !

ومن شعره

لهـا ريقة أستغفر الله إنها ألذ وأشهى فى النفوس من الخمر
وصارمُ طرفٍ لا يزايل جفنه ولم أر سيفاً قبلُ فى جفنه يبرى[٤]

---

(١) فى معجم الأدباء « وبت والدمع فى عينى يستبق »
(٢) له ترجمة فى تاريخ ابن الأثير ٩/١٦٨ بولاق ، وقد ذكر فيه هذه الأبيات التى أنشدها المؤلف ، وذكر أن اسمه « رافع بن الحسين بن معن » وإنما قيل له الأقطع لأن يده قد قطعت فصحت له يد غيرها كان يمسك بها العنان ونحوه
(٣) السن : مدينة على دجلة فوق تكريت
(٤) فى كامل ابن الأثير « ولم أر سيفا قبل فى جفنه يبرى »

فقلت لها والعيس تحدج فى النوى ... أعدِّى لفقدى ما استطعت من الصبر[1]
سأنفق ريعان الشبيبة آنفـــا ... على طلب العلياء أو طلب الأجر
أليس من الخسران أن لياليا ... تمر بلا نفع وتحسبُ من عمرى؟

وقال أيضا رحمه الله :

إن ابن حرب ما يحارب مهجة ... إلا انتضى من مقلتيه سلاحا
يا دهر إنك نلت مالم تلقه ... حرا وعارض حسده نداحا
وعزلت من عزل شبابك حوبة ... ومصائب فتقسمت أرواحا

(١٢٨)

رتن الهندى[2] .

رتن الهندى

قال الشيخ علاء الدين على بن المظفر الكندى : حدثنا القاضى جلال الدين أبو عبد الله محمد بن سليمان بن إبراهيم الكاتب من لفظه بدمشق بدار السعادة سنة إحدى عشرة وسبعمائة قال : أخبرنا قاضى القضاة نور الدين أبو الحسن على بن أبى عبد الله محمد الحسين الأبرى الحنفى من لفظه عام إحدى وسبعمائة بالقاهرة ، قال : أخبرنى جدى الحسين بن محمد ، قال : كنت فى زمن الصبا — وأنا ابن سبع عشرة سنة أو ثمان عشرة — قد سافرتُ مع عمى من خراسان إلى الهند فى تجارة ، فلما بلغنا أوائل بلاد الهند وصلنا إلى ضيعة من ضياع الهند ، فعرّج أهل القفل نحو الضَّيعة ، وضج أهل القافلة ، فسألنا عن الخبر ، فقالوا : هذه ضيعة الشيخ رتن المعمر ، فلما نزلنا الضيعة رأينا شجرة عظيمة تُظِل خلقا كثيراً ، وتحتها جمع كثير من أهل الضيعة ، فبادر الكل نحو الشجرة ، ونحن معهم ، فرأينا زنبيلا عظيما معلقا فى بعض أغصان الشجرة ، فسألنا عن ذلك ، فقالوا : هذا الزنبيل فيه الشيخ رتن المعمر الذى رأى النبى صلى الله عليه وسلم وروى عنه ، فتقدم شيخ من أهل الضيعة

(١) فى كامل ابن الأثير « والعيس تحدج فى الضحى » وفى ب « تحرج » تحريف

(٢) هذا علج هندى ، وإدراجه فى الصحابة وخوض المؤلف فى قصته مما لا يليق ، وهو رجل دجال مفتر ، كما قال الحافظ الذهبى ، فليس من شأننا أن نشق على أنفسنا وعلى المطالع بذكر المصادر التى تعرضت لذكره .

إلى الزبيل ، وكان ببَكَرة ، فأدلاه ، فإذا هو مملوء قطنا ، والشيخ في وسط القطن ، ففتح
رأس الزبيل ، وإذا الشيخ فيه كالفرخ ، فوضع فمه على أذنه وقال : يا جداه ، هؤلاء قوم
قدموا من خراسان ، وفيهم شرفاء من أولاد النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد سألوا
أن تحدثهم كيف رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ وماذا قال لك ؟ فعندها
تنفّسَ الشيخ وتكلم بصوت كصوت النحل بالفارسية ، ونحن نسمع ونفهم كلامه ،
فقال : سافرت مع أبي وأنا شاب من هذه البلاد إلى الحجاز في تجارة ، فلما
بلغنا بعض أوْدِية مكة ، وكان المطر قد ملأ الأودية بالسيل ، فرأيت غلاما
أسمرَ اللون حسن الوجه رائع الجمال وهو يرعى إبلا في تلك الأودية ، وقد حال
السيل بينه وبين إبله ، وهو يخشى من خوض السيل لقوته ، فعلمت حاله ،
فأتيت إليه وحملته وخُضت به السيل ، إلى أن جئت به عند إبله ، فلما وضعته
عند إبله نظر إليّ وقال بالعربية : بارك الله في عمرك ، ثلاثا ، فتركته ومضيتُ
إلى سبيلي ، إلى أن دخلنا مكة وقَضَينا ما كنا أتينا به من أمر التجارة ، وعُدنا إلى
الوطن ، فلما تطاولت المدّة على ذلك كنا جلوساً في فناء ضيعتنا هذه ، وكانت
ليلة البدر ، فنظرنا إليه وقد انشقّ نصفين[1] ، فغرب نصف في المشرق ونصف
في المغرب ساعة زمانية ، وأظلم الليل ، ثم طلع النصف من المشرق والنصف
الآخر من المغرب ، وسارا إلى أن التقيا في وسط السماء كما كان أول مرة ، فعجبنا
من ذلك غاية العجب ، ولم نعرف لذلك سببا ، وسألنا الركبان عن سبب ذلك ،
فأخبرونا أن رجلا هاشميا ظهر بمكة ، وادعى أنه رسول الله إلى كافة الخلق ،
وأن أهل مكة سألوه معجزة كمعجزة سائر الأنبياء ، وأنهم اقترحوا عليه أن يأمر
القمر فينشق في السماء ، ويغرب نصفه في المغرب ونصفه في المشرق ثم يعود إلى
ما كان عليه ، ففعل ذلك بقدرة الله تعالى ، فلما سمعت ذلك من السُّفّار تشوقتُ

(١) يشير إلى معجزة انشقاق القمر للنبي صلى الله عليه وسلم ، وهذه المعجزة
لا تحتاج في ثبوتها إلى الاعتماد على مثل هذه القصة

أن أراه ، فتجهزت فى تجارة ، وسافرت إلى أن دخلتُ مكة ، وسألت عن الرجل الموصوف ، فدلّونى عليه ، فأتيت إلى منزله ، واستأذنت عليه ، فأذن لى ، فدخلت عليه ، فوجدته جالساً فى صدر المنزل ، والأنوار تتلألأ فى وجهه ، وقد استنارت محاسنه ، وتغيرت صفاته التى كنت أعهدها فى السفرة الأولى ، فلم أعرفه ، فلما سلمت عليه ردَّ علىّ السلام ، وتبسم فى وجهى ، وقال : ادْنُ منى ، وكان بين يديه طبق فيه رُطَب ، وحوله جماعة من أصحابه كالنجوم يعظمونه ويبجلونه ، فقال : كُلْ من هذا الرطب ، فجلست وأكلت معه من الرطب ، وناولنى بيده المباركة ستّ رُطَبات ، سوى ما أكلت بيدى ، ثم نظر إلىّ وتبسم ، وقال لى : ألم تعرفنى ؟ فقلت : كأنى(١) غير أنى ما أحقق ، فقال : ألم تحملنى فى عام كذا وجاوزتَ بى السيل وقد حال بينى وبين إبلى ؟ قال : فعند ذلك عرفته بالعلامة ، وقلت : بَلَى والله ياصبيحَ الوجه ، فقال : مُدَّ إلىّ يدك ، فمددتُ يدى اليمنى ، فصافحنى وقال : قل أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، فقلت كذلك كما علمنى ، فسُرَّ بذلك ، وقال لى عند خروجى من عنده : بارك الله فى عمرك ، ثلاث مرات ، فودعته وأنا مستبشر بلقائه وبالإسلام ، فاستجاب الله تعالى دعاء نبيه صلى الله عليه وسلم ، وبارك فى عمرى بكل دعوة مائة سنة ، وها عمرى اليوم نيف وستمائة سنة ، وجميعُ مَنْ فى هذه الضيعة العظيمة أولاد أولادى وأولادُهم ، وفتح الله علىّ وعليهم بكل خير وبكل نعمة ببركة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انتهى

وذكر عبد الرحمن الغارى الصوفى أنه توفى فى حدود سنة ثنتين وثلاثين وستمائة ، وذكر المحب عبد الوهاب أنه سمع من الشيخ محمود خادم رتن

---

(١) يريد كأنى أعرفك ، غير أنى ما أحقق ، فحذف خبر كأن ، لدلالة السياق عليه

أنه بقي إلى سنة تسع وسبعمائة ، وأنه قدم عليهم شيراز ، وذكر أنه ابن مائة وست وسبعين[1] سنة ، وأنه تأهل ورزق أولاداً .

قال الشيخ شمس الدين الذهبي رحمه الله تعالى : من صدّق بهذه الأعجوبة وآمن ببقاء رتن فما لنا فيه طب ، وليعلم أني أولُ من كذّب بذلك ، وهذا شيخ مُفْتَر دَجّال كذاب ، كذب كذبة ضخمة لكي يصلح حانوته الضياع ، وأتى بمصيبة كبيرة ، فقاتله الله ما أجرأه على الله ! وقد أوردتُ جزءاً فيه أخبار هذا الضال ، وسميته « كسر وثن رتن » .

وقال الشيخ عز الدين البرزالي : هو من أحاديث الطُّرْقية

---

(١) هذا هو الشيخ محمود خادم الشيخ رتن الهندي — وكأنه أخذ عن مخدومه طول العمر ، والله حسيبهم !

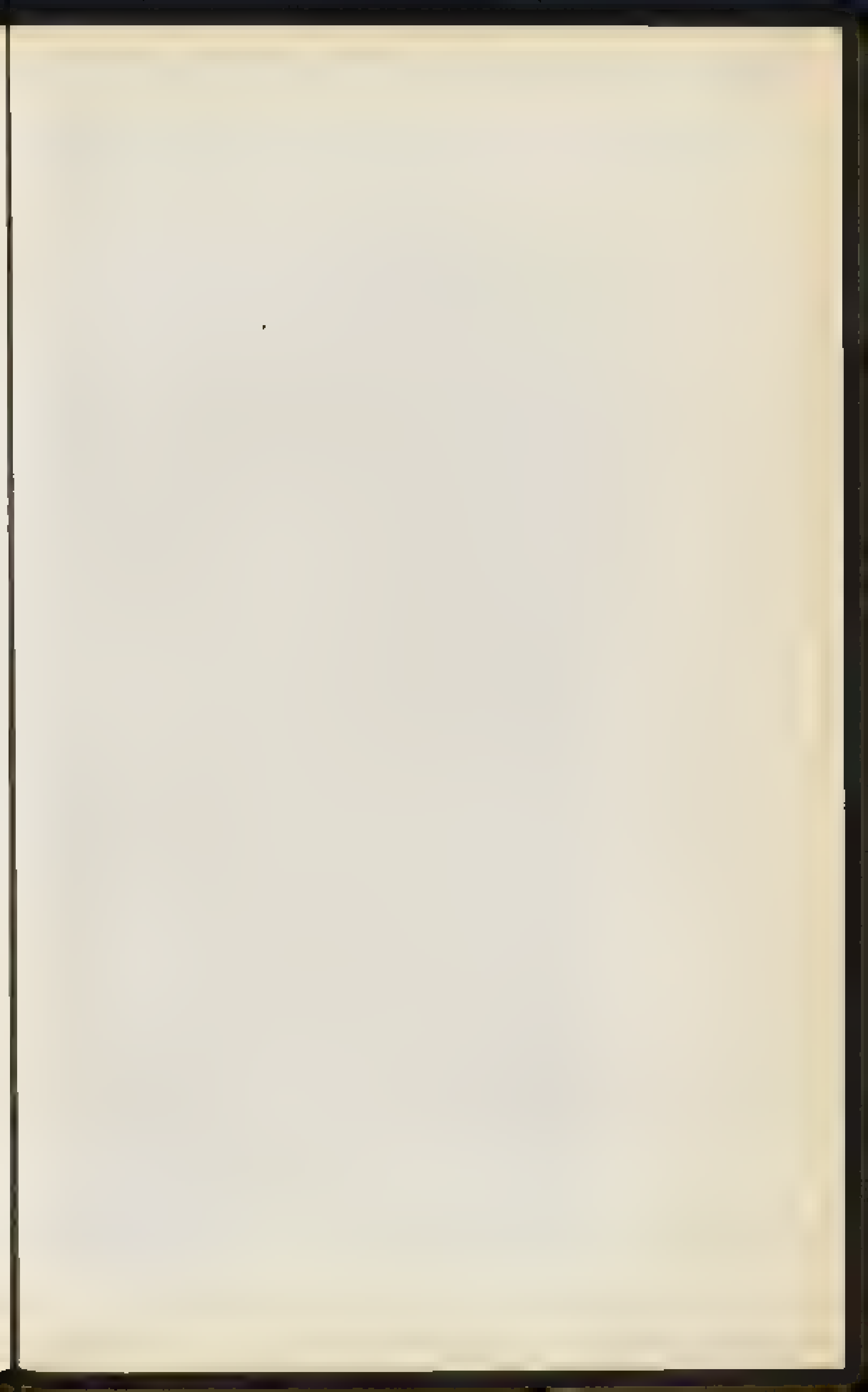

حرف الزاى المعجمة

(١٣٩)

أبو الفضائل
أسير الهوى
زاكي بن كامل
القطيفي

زاكي بن كامل[١] بن علي، القَطِيفي[٢]، أبو الفضائل، الهيتي[٣]، يلقب بالمهذب، ويعرف بأسير الهوى قتيل الريم.

كان أديبا فاضلا، وكانت وفاته في سنة ست وأربعين وخمسمائة، رحمه الله تعالى!

ومن شعره:

لي مهجـــة كادت تحرّكُها ... للناس من فرط الجوى تتكلم

لم يبق منها غير أرسم أعظـــم ... متجردات للهوى تتظلـــم

وله أيضاً رحمه الله تعالى:

عيناك حظهما أمضى من القدر ... ومهجتي منهما أضحت على خطر

يا أحسن الناس لولا أنت أظلمهم ... ماذا يضرك لو مُتّعت بالنـــظر

حدث خيال وهل ضنت يداك به ... فقد حذرت فوُقّيتُ من حذر

يا من تمكن في نفسي محبتـــه ... لا تبتلي مقلتي بالدمع والسهر[٤]

زود بتقبيـــلة أو وقفة نفسي ... تحيي به نضوَ أشواق على سفر[٥]

وله أيضاً رحمه الله تعالى:

سيدي ما عنك لي عوض ... طال بي في حبك المرضُ

كم بلا ذنب تهـــددني ... وجفـــوني ليس تغتمض

أسير الهجـــر تقتلني ... لا أبالي، هجرُكَ الغرضُ

ورضائي في رضاك فقـــل ... ما تشاء، لست أعترض

أنت لي داء أموت به ... كم أداويه وينتقض

(١) له ترجمة في معجم الأدباء ١٦١/١١ وشذرات الذهب ٤/١٤٠

(٢) في الشذرات «القطيعي» والذي في المعجم بالفاء كما هنا

(٣) في المعجم «الهبتي» بباء موحدة بعد الهاء، تحريف

(٤) في المعجم «يا من تمكن في قلبي الغرام به» (٥) في المعجم «زود بتوديعة أو وقفة»

(١٣٠)

زَبَّانُ بن العلاء بن عمار بن عبد الله بن الحصين ، التميمي ، المازني ، المقرىء ، النحوي ، أحد القراء السبعة ، وقيل : اسمه العريان ، وقيل : غير ذلك .

أبو عمرو زبان ابن العلاء التميمي المازني

اختلف في اسمه على عشرين[2] قولا : زَبَّان ، العريان ، يحيى ، محبوب ، جنيد ، عيينة ، عتبة ، عثمان ، عيار ، جبر ، جرو ، جبير ، حميد ، عقبة ، عمار ، فائد ، محمد ، أبو عمرو ، قبيصة ، والصحيح : زبان — بالزاى —

قرأ القرآن على سعيد بن جُبير ، ومجاهد ، وعلى أبي العالية الرياحي ، وعلى جماعة سواهم ، وكان لجلالته لا يُسأل عن اسمه ، وكان نقش خاتمه :

وإنَّ امرأ دنياه أكبر همه مستمسك منها بحبل غرور

ولا يروى له من الشعر إلا قولُهُ :

وأنكرتني وما كان الذي نكرت من الحوادث إلا الشَّيْبَ والصَّلَعا[3]

وحدث عن أنس بن مالك ، وأبي صالح السمان ، وعطاء بن أبي رباح ، وطائفة سواهم ، وكان رأساً في العلم في أيام الحسن البصري .

قال أبو عبيدة : كان أبو عمرو أعلم الناس بالقراآت والعربية وأيام العرب ، وكانت دفاتره ملء بيت إلى السقف ، ثم تَنَسَّكَ فأحرقها ، وكان من أشراف العرب ووجوهها ، مدحه الفرزدق وغيره .

وقال ابن معين : ثقــة ، وقال أبو حاتم : ليس به بأس ، وقال الشيخ

---

(١) له ترجمة في معجم الأدباء ١١/١٧٦ وفي طبقات القراء ، وفي شذرات الذهب ١/٢٣٧ ، وله ترجمة في وفيات الأعيان (رقم ٤٧٨) وصحح فيها أن اسمه كنيته « أبو عمرو » فليس هو من الأموات ، ولكن الأشهر في اسمه « زبان » بزاى ثم باء مشددة ، وهو الذي يقول الفرزدق حين جاءه معتذرا من هجو بلغه عنه .

هجوت زبان ثم جئت معتذرا من هجو زبان لم تهجو ولم تدع

(٢) في المعجم « على أحد وعشرين قولا » على أن المذكور هنا سبعة عشر اسما وقد وقع في ث « زياد بن العلاء » .

(٣) هذا البيت مروى في قصيدة للأعشى ميمون ، وهو من شواهد النحويين

شمس الدين الذهبي : أبو عمرو قليل الرواية للحديث ، وهو صدوق حجة في القراءة ، وقد استوفيت أخباره في طبقات القراء .

قال الأصمعي : كان لأبي عمرو كل يوم فَلْسان : فلس يشتري به ريحانا ، وفلس يشتري به كوزا ، فيشم الريحان يومه ، ويشرب من الكوز يومه ، فإذا أمسى تصدّق بالكوز ، وأمر الجارية أن تجفف الريحان وتدقه في الأشنان ، ثم يَسْتَجِدُّ غير ذلك .

وتوفي سنة أربع وخمسين ومائة ، رحمه الله تعالى !

(١٣١)

أبو أمامة زياد الأعجم[1]

أبو أمامة زياد الأعجم

دخل على عبد الله بن جعفر يسأله في خمس ديات ، فأعطاه ، ثم عاد ، فسأله في عشر ديات ، فأعطاه ، فقال :

سألناه الجزيل فما تلكّا ... وأعطى فوق مُنْيَتِنا وزادا

وأحسن ثم أحسن ثم عدنا ... فأحسن ثم عدت له فعادا

مرارا ما أعود إليه إلا ... تبسم ضاحكا وثَنَى الوسادا[2]

وقال أيضا رحمه الله[3] .

---

(١) له ترجمة في معجم الأدباء ١٦٨/١١ وسماه « زياد بن سلمى بن عبد قيس ، العبدي » وقال « قيل له الأعجم للكنة كانت فيه » اهـ وله ترجمة في الشعراء لابن قتيبة (٢٥٧ أوربة) وفي الأغاني ١٤/ ١٠٢ بولاق ، وخزانة الأدب ١٩٢/٤ بولاق وسمط اللآلي (ص٧)

(٢) في المعجم « مرارا ، لا أعود إليه إلا » وثنى الوساد : كناية عن إكرامه حين يفد عليه

(٣) هذان البيتان مرويان في معلقة زهير بن أبي سلمى المزني ، وقد أسقطهما منها التبريزي والأعلم الشنتمري وأبو العباس ثعلب ، وأثبتهما أبو عبد الله الزوزني .

وكائن ترى من صامت لك معجب ... زيادته أو نقصه في التكلم
لسان الفتى نصف، ونصف فؤاده ... فلم تبق إلا صورة اللحم والدم

وكانت وفاته في حدود المائة للهجرة النبوية، رحمه الله تعالى!

(١٣٢)

أبو الحسين زيد بن علي بن الحسين الطالبي

زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو الحسين، الهاشمي [١].

روى عن أبيه، وأخيه محمد بن علي، وأبان بن عثمان، وروى عنه جعفر الصادق، والزهري، وشعبة، وغيرهم، ووفد على هشام بن عبد الملك، فرأى منه جفوة، فكانت سبب خروجه وطلبه الخلافة، وسار إلى الكوفة، فقدم إليه منها شيعة، فظفر به يوسف بن عمر الثقفي، فقتله وصلبه وأحرقه، وعدّه ابنُ سعد في الطبقة الثالثة.

ومن حديثه أن النبي صلى الله عليه وسلم نظر إلى زيد بن حارثة وبكى، وقال: «إن المظلوم من أهل بيتي سَمِيّ هذا، وهو المقتول في الله، والمصلوب من أمتي سَمِيّ هذا».

وذكره جعفر الصادق يوماً، فقال: يرحم الله عمي، كان والله سيداً، والله ما ترك فينا لدنيا ولا آخرة مثلَه.

وسأل زيدَ بن علي بعضُ أصحابه عن قوله تعالى (والسابقون السابقون، أولئك المقربون). قال: أبو بكر وعمر، ثم قال: لا أنالني الله شفاعة جدي إن لم أوالهما.

وقال: أما والله لو كنت مكان أبي بكر لحكمت مثل ما حكم به أبو بكر في فدك [٢]

---

(١) له ترجمة في تاريخ دمشق لابن عساكر (انظر التهذيب ٦/١٥) وانظر تاريخ ابن الأثير ٥/٩٠ بولاق، وشرح نهج البلاغة ١/٣١٥ ومروج الذهب ٣/١٨ بتحقيقنا ومقالات الإسلاميين للأشعري ١/١٢٩ و١٤٤ بتحقيقنا

(٢) يشير إلى ما كان من أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه من منع فاطمة الزهراء رضي الله عنها من ميراث النبي صلى الله عليه وسلم، استناداً لما روي من قوله صلى الله عليه وسلم «نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة» وانظر أيضاً في ذلك مقالات الإسلاميين ١/٤٧ بتحقيقنا، وانظر أيضاً سنن أبي داود ٣/١٩٢ طبعة ثانية بتحقيقنا

وقال أيضاً: الرافضة حربي وحربُ أبي في الدنيا والآخرة (١).

وسئل عيسى بن يونس عن الرافضة والزيدية، فقال: أما الرافضة فأول ما ترفّضت جاءوا إلى زيد بن علي حين خرج، فقالوا له: تبرّأ من أبي بكر وعمر حتى نكون معك، فقال: بل أتولاهما، قالوا: إذن نرفضك، فسميت الرافضة والزيدية.

وقال الزبير بن بكار: حدثني عبدُ الرحمن بن عبد الله الزهري، قال: دخل زيد بن علي مسجدَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم في يوم حارّ من باب السوق، فرأى سعد بن إبراهيم في جماعة من القرشيين قد حان قيامُهم، فقاموا، فأشار إليهم، وقال: يا قوم، أنتم أضعف من أهل الحرّة؟ قالوا: لا، قال: وأنا أشهد أن يزيد ليس شرّاً من هشام، فما لكم؟ فقال سعد لأصحابه: مدة هذا قصيرة، فلم يلبث أن خرج، فقتل.

وقال الوليد بن محمد: كنا على باب الزهري، فسمع جَلَبة، فقال: ما هذا يا وليد؟ فنظرت، فإذا هو رأس زيد بن علي يُطاف به، فأخبرته، فبكى، ثم قال: أهلكَ أهلَ هذا البيت العجلةُ.

وصلبوه بكُناسة (٢) سنة ثلاث وعشرين ومائة، وله أربع وأربعون سنة، ثم أحرقوه بالنار، ولم يزل مصلوباً إلى سنة ست وعشرين، ثم أنزل بعد أربع سنين.

وقيل: كانوا يوجهون وجهه إلى جهة العراق، فيصبح وقد دار إلى القبلة، مراراً.

ونسجت العنكبوت على عورته، وكان قد صُلب عُرياناً.

وقال أبو كامل بخشنته: رأيتُ النبيّ صلى الله عليه وسلم وقد وقف على الخشبة وقال: «هكذا تصنعون بولدي من بعدي؟ يا بني، يا زيد، قتلوك قتلهم الله،

(١) وقع في ب «الرافضة حربي وحرب أبي في الدنيا والآخرة» وهو تحريف يفسد المعنى المراد، ويخالف الواقع، وما أثبتناه موافق لما في ث وما في تهذيب تاريخ ابن عساكر ٦/١٩

(٢) الكناسة — بضم الكاف وفتح النون مخففة — محلة بالكوفة هي التي أوقع فيها يوسف بن عمر الثقفي بزيد، ثم كان منه ما ذكره المؤلف، والله حسيبه!

وصلبوك صلبهم الله ، فخرج هذا في الناس ، فكتب يوسف بن عمر إلى هشام : أن عجّل إلى العراق فقد فتنوا ، فكتب إليه هشام : أن أحرقه بالنار .

قال جرير بن حازم : رأيت النبيّ صلى الله عليه وسلم مسنداً ظهره إلى خشبة زيد بن علي وهو يبكي ، ويقول : هكذا يفعلون بولدي ؟

ذكر هذا كله الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق .

وقال ابن أبي الدم في الفرق الإسلامية : الزيدية من أصحاب زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، كان زيد قد آثر تحصيل علم الأصول ، فقصد واصل بن عطاء رأس المعتزلة ، فقرأ عليه ، واقتبس منه علم الاعتزال ، وصار زيد وجميع أصحابه معتزلة في المذهب ، والاعتقاد ، وكان أخوه محمد الباقر يعيب عليه كونه قرأ على واصل بن عطاء وتلمذ له واقتبس منه ، مع كونه يجوّز الخطأ على جده علي بن أبي طالب بسبب خروجه إلى حرب الجمل والنهروان ، ولأن واصلا كان تكلم في القدر والقدر على خلاف مذهب أهل البيت .

وكان زيد يقول : علي أفضل من أبي بكر الصديق ومن بقية الصحابة ، إلا أن أبا بكر فوضت إليه الخلافة لمصلحة رآها الصحابة وقاعدة دينية راعوها من تسكين الفتنة وتطييب قلوب الرعية ، وكان يجوز إمامة المفضول مع قيام الأفضل للمصلحة

خروج يحيى ابن زيد

فلما قتل زيد في خلافة هشام قام بالأمر بعده ولده يحيى[1]، ومضى إلى خراسان ، فاجتمع بها عليه خلق كثير ، وبايعوه ، ووعدوه بالقيام معه ومقاتلة أعدائه ، وبذلوا له الطاعة ، فبلغ ذلك جعفر بن محمد الصادق ، فكتب إليه ينهاه عن ذلك ، ويعرفه أنه مقتول كما قتل أبوه ، وكان كما أخبر الصادق ، فإن أمير خراسان فيه بجوزجان[2]

(١) انظر كامل ابن الأثير ١٠٨/٥ بولاق ، ومروج الذهب للمسعودي (٢٥/٣ بتحقيقنا) ومقالات الإسلاميين للأشعري ١/١٣٠و١٤٤

(٢) كذا في ب ، ث ، والذي في معجم البلدان « جوزجان » و « جوزجانان »

فرق الزيدية

ثم تفرقت الزيدية ثلاث فرق : جارودية ، وسليمانية ، وبُتْرية ، أما الجارودية فأصحاب أبي الجارود ، وكان من أصحاب زيد بن علي ، زعموا أن النبيّ صلى الله عليه وسلم نصّ على عليّ بن أبي طالب بالوصف دون التسمية ، وأن الناس كفروا بنصب أبي بكر إماما ، ثم ساقوا الإمامة بعد علي إلى الحسن ، ثم إلى الحسين ، ثم إلى علي بن الحسين ، ثم إلى زيد بن علي

وأما السليمانية فقد ذكرتهم في ترجمة سليمان بن جرير

وأما البترية فقد ذكرتهم إن شاء الله تعالى في ترجمة كثير الأبتر

ومن شعر زيد بن علي[1] :

ومن فَضّلَ الأقوامَ يومًا برأيه فإن عليا فضّلته المناقبُ
وقولُ رسول الله والحقُّ قوله وإن رغمت منه أنوف الكواذبُ
بأنك مني يا علي معالنا كهارون من موسى، أخٌ لي وصاحبُ[2]
دعاه ببدرٍ فاستجاب لأمره فبادر في ذات الإله يضاربُ

(١) ومن شعر يحيى بن زيد بن علي ، يقوله في مقتل أبيه زيد :

خليلي عني بالمدينة بلّغا بني هاشم أهل النهى والتجارب
فحتى متى مروان يقتل منكم خياركم ، والدهر جم العجائب
وحتى متى ترضون بالخسف منهم وكنتم أباة الخسف عند التجارب
لكل قتيل معشر يطلبونه وليس لزيد بالعراقين طالب

(٢) يشير إلى قوله عليه الصلاة والسلام لعلي رضي الله تعالى عنه : « أنت مني بمنزلة هارون من موسى ، غير أنه لا نبي بعدي »

حرف السين

(١٣٣)

أبو العباس الأعمى الشاعر

السائب ، أبو العباس ، الأعمى ، الشاعر ، المكي[١] .

هو والد العلاء ، وتوفي في حدود مائة ، وكان هجّاء خبيثا فاسقا ، مبغضا لآل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مائلا إلى بني أميّة ، مدّاحا لهم ، وهو القائل لأبي الطفيل عامر بن واثلة وكان شيعيا .

لعمرك إنني وأبا طفيل ... لمختلفان ، والله الشهيدُ

لقد ضلوا بحبّ أبي تراب ... كما ضلّتْ عن الحق اليهود[٢]

(١٣٤)

سحيم بن وثيل الرياحي عبد بني الحسحاس

سحيم بن وثيل ، عبد بني الحسحاس بن هند بن سفيان ، يكنى أبا عبدالله[٣]

وهو زنجي أسود ، فصيح

توفي في حدود الأربعين من الهجرة ، وهو القائل .

أشعار عبد بني الحسحاس قمن له ... عند الفخار مقام الأهل والورِقِ

إن كنت عبدا فنفسي حرة كرما ... أو أسودَ اللون إني أبيضُ الخلقِ

عن ابن سلّام قال : أتى عثمان بن عفان رضي الله عنه بسُحَيم ، فأعجب به ، فقيل له : إنه شاعر ، وأرادوا أن يرغبوه فيه . فقال : لا حاجة لي به ، إن الشاعر لا حريم له ، إن شَبِعَ شبّب بنساء أهله ، وإن جاع هجاهم ، فاشتراه غيره ،

---

(١) له ترجمة في معجم الأدباء ١١/١٧٩ وسماه « السائب بن فروخ » وله ترجمة في نكت الهميان ١٥٣ ، وله ترجمة في الأغاني ١٥/٥٧ ساسي .

(٢) كذا في ب ، ت ، ونكت الهميان ، ولعله « لقد ضلوا بحب أبي تراب » حتى يلتئم مع ما ذكره عنه من كونه مبغضاً لآل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكذلك وجدته في المعجم

(٣) له ترجمة في الشعراء لابن قتيبة ٢٤١ والمحبر ٤٠٣ والأغاني ٢٠/٢ والإصابة ٣/١٩٣ وخزانة الأدب ١/٢٧١ ، ووقع في ب ، ت « سحيم بن أبي الحسحاس » تحريف وانظر معاهد التنصيص ١/٣٣٩ تحقيقنا

فلما رحل به قال في طريقه ، وكان الذي اشتراه رجلا من نجد والذي باعه مالك ابن الحسحاس :

وما كنت أخشى مالكا أن يبيعني ... بمال ، ولو أصبحت أنامله صفرا
أشوقا ولمّا يمض لي غير ليلة ... فكيف إذا سار المطيّ بنا عشرا[1]
أخوكم ومولى مالكم وربيبكم ... ومن قد ثوى فيكم وعاشركم دهرا

فلما سمعوا شعره رثوا له ، واشتروه ، فأخذ حينئذ يشبّب بنسائهم ، ويذكر أخت مولاه ، فمن قوله فيها وكانت مريضة

ماذا يريد السّقام من قمر ... كل جمال لوجهه تبعُ
ما يرتجي خاب من محاسنها ... أما له في القبيح متّسع
غيّر من لونها وصفّرها ... فزيد فيه الجمال والبدع
لو كان يبغي الفداء قلت له ... ها أنا دون الحبيب يا وجع

وعن المدائني قال : كان سُحَيم يسمى حبّة[2] ، وكانت لسيده بنت بكر ، فأعجبه جمالها ، وأعجبته ، فأمرته أن يتمارض ، ففعل ، وعصب رأسه ، فقالت للشيخ : اسرح [illegible] الشيخ [illegible] لاسكنها إلى العبد ، فكان عندها أياما يختصمان ؛ ثم إن سيده قال له : كيف أنت ؟ قال : صالح ، قال : فاخرج في إبلك العشية ، فخرج فيها ، فقالت الجارية لأبيها : ما أحسبك إلا قد سيبت إبلك إذ وكلتها إلى حبّة ، فخرج في أثر إبله ، فوجده مستلقيا على قفاه في ظل شجرة ، وهو يقول :

يا ربّ شجوٍ لك في الحاضر ... تذكرها وأنت في الصادر
من كل بيضاء لها كُعثُبٌ ... مثل سنام البكرة المائر

فقال الشيخ : إن لهذا لشأنا ، وانصرف ، فقال لقومه : اعلموا أن هذا قد فضحكم ، وأنشدهم شعره ، فقالوا : اقتله فنحن نطوعك ، فجاءوا ، ووثبوا عليه ، فقالوا له : قلت وفعلت ، فقال لهم : يا أهل الماء والله ما فيكم امرأة إلا أصبتها

(١) في ب ، ث «أشوقا ولم يمض لنا غير ليلة» تحريف ، وفي كثير مما ذكرنا من الأصول «فكيف إذا صاحب المطي بنا عشرا» (٢) في ب ، ث «حبة» بالباء الموحدة

إلا علاقة فأبى على موعد منها ، فلما قدّموه ليقتل قال :

شدّوا وثاق العبد لا يغلبكمُ   إنّ الحياة من الممات قريب
فلقد تحدّر من جبين فتاتكم   عَرَقٌ على جنب الفراش رطيب[1]

فقتلوه ، وكان سحيم في لسانه عجمة .

(١٣٥)

أبو النجيب شداد بن إبراهيم الجزري

شداد بن إبراهيم ، أبو النجيب ، الجَزَرِي ، الملقب بالطاهر[2] شاعر ، مدح المهلبي وزير معز الدولة ، ومدح عضد الدولة ، وكانت وفاته في حدود الأربعمائة[3] ، رحمه الله .

ومن شعره

قلت للقلب ما دهاك أجب لي   قال لي بائع الفـــراني فراني
ناظراه فيما جنى ناظراه   أو دعاني أمُتْ بما أودعاني

ومنه أيضا :

أحدثتمْ تطيري على قدر ما أرى   مد عمريَ حتى إلى أن تقدّموا
فدعو عراني بين بكر أن ترى   عين الرضى والسخط أخسنَ منكم

ومن شعره أيضا رحمه الله تعالى .

أرى جيل التصوف شر جيل   فقل لهم وأهونْ بالحلول[4]
أقال الله حين عشقتموه   كلوا أكل البهائم وارقصوا لي

(١) كذا في ب ، ت والديوان ٦٠ ، وفي الجمحي وابن قتيبة « ولقد تحدر من كريمة بعضكم » وفي الجمحي وحده « على متن الفراش » وفي الديوان « على ظهر الفراش »

(٢) كذا وقع هذا العلم وسط حرف السين المهملة ، وآثرنا إبقاءه في موضعه من الأصول مع التنبيه على أن موضعه في حرف الشين ، وله ترجمة في معجم الأدباء ٢٧٠/١١

(٣) في المعجم أن وفاته في سنة إحدى وأربعمائة

(٤) روى في معجم الأدباء هذا البيت هكذا :

أيا جيل التصوف شر جيل   لقد جئتم بأمر مستحيل

(١٣٦)

أبو الحسن سعد الله بن نصر الله الدجاجي

سعد الله بن نصر الله بن سعيد بن أبي علي ، الدجاجي ، أبو الحسن ، الواعظ النبيل[1].

كان يخالط الصوفية ، ويحضر معهم السَّماعات .

وتوفي في سنة أربع وستين وخمسمائة[2] ، رحمه الله تعالى .

ومن شعره :

سكنتمُ مهجتي بيد ومقدرة	فأنتم اليوم أغلالي وأغلى لي
علوت قدراً ولكني ضنيتُ هَوًى	بحبكم هو أعلالي وأعلى لي
أوصى لي البين أن أشقى بحبكم	فقطع البين أوصالي وأوصى لي

ومن شعره رحمه الله تعالى :

لي لذة في ذلتي وخضوعي	وأحب بين يديك سفك دموعي
وتضرعي في رأي عينك راحة	لي من هَوًى قد كنَّ بين ضلوعي
ما لذل المحبوب في شرع الهوى	عار ، ولا عار الهوى بذيع[3]
هبني أسأتُ فأين عفوك سيدي	عن زلة في عبده الموجوع
خذْ بالرضى من عطف لطفك وعنه	مجال وجهك عن سؤال شفيع

(١٣٧)

سعد الله بن مروان الفارقي الموقع

سعد الله بن مروان بن عبد الله بن حير ، الصدر الأديب ، سعد الدين ، الفارقي ، الموقِّع[4] .

(١) له ترجمة في شذرات الذهب ٤/٢١٢ . وقال « يعرف بابن الدجاجي وبابن الحيواني »

(٢) في الشذرات « توفي ثاني عشر شعبان ، ودفن بمقبرة الرباط ، ثم نقل بعد خمسة أيام فدفن على والده بمقبرة الإمام أحمد » (٣) المخطوط « ولا جور الهوى »

(٤) له ترجمة موجزة في شذرات الذهب ٥/٤١٨ وقال « توفي في رمضان من سنة ٦٩١ بدمشق وهو في عشر الستين »

كان عليما بمشط شاعرا محسنا ، سمع من ابن كريمة وابن رواحة وابن خليل وجماعة ، وحدّث بمصر ودمشق ، وبها توفى كهلا فى سنة إحدى وتسعين وستمائة ، ودفن فى سفح قاسيون ، رحمه الله تعالى !

ومن شعره :

قِفْ بى على محمد بن قبض الهوى | روحى فطالب حده بالدم
وإذا دجا ليل الوصل عنده | يا كافراً خلقت فتن لمسلم

وله أيضاً رحمه الله :

ماه على عشاقه واستطال | مذ قصر الحسن عليه وطال
كأنَّ شمس خديه أشرقت | عليها ما أشرقت للزوال
قد نصل الشعر على خده | ثوب حداد حين مات الجمال

وله أيضا فى لمى :

يقولون قد وافى الشيب مقرّبهم | فعفّرت خدى فى ترى لأرض لاثما
فلا أخروا عن منزل فخره به | ولا قدموا إلا على السعد قادما

وكتب إلى ولده عز الدين :

من بعد بعدك يا محمد شافعي | نزق إلى أسرار وجهك صادق
وحياة وجهك ما تجلى فى الدجى | قمر حكى معناه إلا شائقى
كلا ولا سامرت ذكرك فى الدجى | إلا طربت بظاهرى وبباطنى
لو كنت أخشى أن ينبك صاحبى | لى ما وجدت لما تحرك ساكنى
فعليك منى ما حييت تحية | تلهى بمقدم طيب ذكر الطاعن

وكتب إلى الصاحب بهاء الدين بن حنا

يَمِّمْ عَلِيًّا فهو بحر الندى | وناده فى المصلح المعضل[1]

---

(١) فى ب « يمم عليه » تحريف

رِفدُهُ مُجدٍ على مُجدِبٍ   ووفده مُفضٍ إلى مُفضِلِ[1]

(١٣٨)

سعدون المجنون[2].

سعدون المجنون

يقال إن اسمه سعيد، وكنيته أبو عطاء، ولقبه سعدون، من أهل البصرة كان من عقلاء المجانين وحكمائهم. له أخبار ملاح وكلام شديد ونظم ونثر يستحسن، وطوّفَ البلاد، ودُوِّنت أخباره.

استقدمه المتوكل، وسمع كلامه، وكان من المحبين لله عز وجل، صام ستين سنة فخف دماغُهُ، فسماه الناس مجنوناً

قال عطاء السلمي: احتبس عنا القطْر بالبصرة، فخرجنا نستسقي، وإذا سعدون المجنون، فلما أبصرني قال: يا عطاء، إلى أين؟ قلت: خرجنا نستسقي، قال: بقلوب سماوية أم بقلوب أرضية؟ قلت: بقلوب سماوية، قال: لا تتبهرج إن الناقد بصير، قلت: ما هو إلا ما حكيت لك، فاستسقِ لنا، فرفع رأسه إلى السماء وقال: أقسمت عليك إلا ما سقيتنا الغيث، ثم أنشأ يقول:

سبحان من لم يزل له حُجَجٌ   قامت على خلقـــه بمعرفته

قد علموا أنه مليكهم   بعجز وصف الأنام عن صفته

وقال عطاء: رأيت سعدون المجنون ذات يوم يصلّي في الشمس، فانكشفت عورته، فقلت له: استرها يا أخا الجهل، فقال: لك مثلُها فاستتر، ثم مرّ بي يوماً وأنا آكل رمّانةً في السوق، فحرّك أذني، وقال:

---

(١) في ب «وفده مجد» و«ووفده مفض» تحريف، والرفد: العطاء. ومجد: اسم فاعل من «أجدى عليه» أي نفعه، والوفد: جماعة الوافدين عليه لاستماحته، ومفض: اسم فاعل من «أفضى إلى كذا»

(٢) ذكره الشعراني في الطبقات (١/٧٩ بولاق) وقال «كان يجن ستة أشهر ويفيق ستة أشهر، وكان إذا هاج صعد السطح ونادى بالليل بصوت رفيع: يا نيام انتبهوا من رقدة الغفلة قبل انقطاع المهلة فإن الموت يأتيكم بغتة» اهـ

أرى كل إنسان يرى عَيْبَ غيره ... ويعمَى عن العيب الذى هو فيه
وما خير مَنْ تخفى عليه عيوبه ... ويبدأ بالعيب الذى لأخيــــه
وكيف أرى عيباً وعيــبيَ ظاهر ... وما يعرف السوآتِ غيرُ سفيه

وقال عبد الله بن سويد : رأيت سعدون المجنون وبيده فحمة وهو يكتب بها على قصر خراب :

يا خاطب الدنيا إلى نفسه ... إن لها فى كل يوم خليل
ما أقبح الدنيا بخُطّـــابها ... تقتلهم عمــداً قتيلا قتيل
تستنكح البعل وقد وطنت ... فى موضع آخر منه البديل
إنى لمغتر وإن البـــــلى ... يعمل فى نفسى قليلا قليل
تزودوا للموت زاداً فقــد ... نادى مناديه الرحيلَ الرحيل

وقال الفتح بن سالم : كان سعدون صاحب ليل، لهجًا بالقول، فرأيته يوماً بالفسطاط قاعداً على حلقة ذى النون المصرى وهو يقول : يا ذا النون ، متى يكون القلب أميراً بعد أن كان أسيراً ؟ فقال ذو النون : إذا اطلع الخبير على الضمير فلم يرَ فى الضمير إلا الخبير ، قال : فصرخ سعدون ، ثم خر مغشياً عليه ، ثم أفاق وهو يقول :

ولا خير فى شكوى إلى غير مشتكى ... ولا بد من شكوى إذا لم يكن صبر

ثم قال : أستغفر الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، ثم قال : يا أبا الفيض ، إن من القلوب قلوبا تستغفر قبل أن تذنب ، قال : نعم ، تلك قلوب تُثاب قبل أن تُطيع ، أولئك قوم أشرقت قلوبهم بضياء اليقين

وكانت وفاة سعدون بعد الخمسين والمائتين ، رحمه الله تعالى !

(١٣٩)

سعد بن أحمد النيلي، المؤدب

سعد بن أحمد بن مكى ، النيلى ، المؤدب[1] .

له شعر ، وأكثره مدائح فى أهل البيت ، رضى الله تعالى عنهم ! .

---

(١) له ترجمة فى معجم الأدباء ١١/١٩٠ ، وفى شذرات الذهب ٤/٢٠٩ والنيلى – بكسر النون بعدها ياء مثناة – نسبة إلى النيل ، وهو بلد على نهر الفرات

قال العماد الكاتب : كان غاليا فى التشيع ، حاما بالتورع ، عالما بالأدب، معلما فى الكتب ، مقدما فى التعصب ، ثم أسنّ حتى جاوز حد الهرم ، وذهب بصره وعاد وجوده شبيه العدم ، وأوفى على التسعين . وآخر عهدى به فى درب صالح ببغداد فى سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة[1]

ومن شعره رحمه الله تعالى

قد أقام قيامتى بقوامه ... لم لا يجود لمهجتى بذمامه[2]

ملكته كبدى فأتلف مهجتى ... بجمال بهجته وحسن كلامه

وبمبسم عذب كأن رضابه ... شهد مذاب فى عبير مدامه

وبناظر غنج وطرف أحور ... يصمى القلوب إذا رنا بسهامه[3]

وكأن خط عذاره فى حسنه ... شمس تجلت وهى تحت لثامه[4]

والظبى ليس لحاظه كلحاظه ... والغصن ليس قوامه كقوامه

قمر كأن الحسن يعشق بعضه ... بعضا فساعده على قسامه

فالحسن من تلقائه وورائه ... ويمينه وشماله وأمامه

ويكاد من ترف ودقة خصره ... ينقد بالأرداف عند قيامه

(١٤٠)

أبو عثمان سعد ابن الحسن المعروف بالناجم

سعد بن الحسن بن شداد ، التميمى ، أبو عثمان ، المعروف بالناجم[5] كان يصحب ابن الرومى، ويروى أكثر شعره ، وكان أديبا فاضلا شاعراً . وتوفى سنة أربع عشرة وثلثمائة .

---

(١) فى معجم ياقوت أنه مات سنة ٥٦٥ وقد ناهز المائة ، وذكره صاحب شذرات فى وفيات سنة ٥٩١

(٢) الذمام — بكسر الذال ، وبه الكتاب — العهد

(٣) فى معجم الأدباء « يصمى القلوب إذا رمى بسهامه »

(٤) وفيه « وكأن خط عذاره فى خده » ، وبعد هذا بيت فيه :

فالصبح يسفر من ضياء جبينه ... والليل يقبل من أثيث ظلامه

(٥) له ترجمة فى معجم الأدباء ١١/١٩٣

قال ابن الرومي يخاطبه :

أبا عثمان أنت عميـــد قومك وجودُكَ للعشـــيرة دون لومك
تمتع من أخيـــك فما أراهُ يراك ولا تراه بعـــد يومك

ومن شعر الناجم في علته التي مات فيها :

قالوا اشتكت وَجْنَتا وجهه فقلت لهم أحسن ما كانا
حمرة وَرْدِ الخد أعدَتْهُما والصِّبْغُ قد يفسد أحيانا[1]

وله أيضا رحمه الله

إن كان عن عينيّ أحمدُ غائبا فما هو عن عين الضمير بغائب
له صورة في القلب لم يَقْتَضِهَا النوى ولم تتخطفها أكفُّ النوائب[2]
إذ ساءني منه نزوحُ ديارِهِ وضاقت عليّ في نواه مذاهبي
عطفت على شخص له غير نازح محلته بين الحشـــا والترائب

(١٤١)

أبو عثمان سعد ابن هاشم الخالدي

سعد بن هاشم بن وعلة ، ينتمي إلى عبد القيس ، أبو عثمان ، الخالدي[3]

قال محمد بن إسحق النديم . قال لي الخالدي ، وقد تعجبت من كثرة حفظه : أنا أحفظ ألف سفر ، كل سفر مائة ورقة ، وكان هو وأخوه مع ذلك إذا استحسنا شيئا غصباه صاحبه ، حيا كان أو ميتا ، لا عجزا منهما عن قول الشعر ، ولكن كذا كان طبعهما ، وقد عمل أبو عثمان شعره وشعر أخيه قبل موته ، وله تصانيف ، منها « حماسة شعر المحدثين »

---

(١) في ب ، ث « والصبغ قد يعد أحيانا » تحريف ، وما أثبتناه عن معجم الأدباء

(٢) في ب ، ث « لم يقبضها النوى » بالضاد معجمة . تحريف ، وما أثبتناه عن معجم الأدباء

(٣) له ترجمة في معجم الأدباء ١١/٢٠٨ وسماه « سعد بن هاشم بن سعد » وفي الوافي بالوفيات وقال « سعد بن هاشم بن سعيد بن وعلة » وترجمه وأخاه أبا بكر في اليتيمة ٢/١٨٣ بتحقيقنا

ومن شعره :

ومن نكد الدنيا إذا ما تعذرت — أمور وإن عدت صغاراً عظائم

إذا رمت بالمنقوش نتف أشاعري — أبيحت له من نتفهن الأداهم

فأنتف ما أهوى بغير إرادتي — وأترك ما أقلى وأنفي راغم

وله أيضاً رحمه الله

سقاني حبيب بان صبري لبينه — وأودعني الأشجان ساعة ودعا

وأعلق بالهجر حتى لو أنني — قذى بين جفني أرمد ما توجعا

وقال يصف غلامه رشأ ، وهي بديعة في الحسن[1]

ما هو عبد لكنه ولد — خولنيه المهيمن الصمد

وشد أزري بحسن خدمته — فهو يدي والذراع والعضد

صغير سن كبير منفعة — تمزج الضعف فيه والجلد[2]

في سن بدر الدجى وصورته — فمثله يصطفى ويعتقد

مشق الطرف كله كحل — مفتل الجيد حبه الجيد[3]

وورد خديه والشقائق والتفاح والجلنار منتضد

روض حسن زواهره أبدا — يهب فيه النسيم مطرد[4]

وغصن بان إذا بدا وبدا — شدا قمري بأفق غرد

أنسي وهوى وكل مرتفق — مجتمع فيه لي ومنفرد

ظريف مزح مليح نادرة — جوهر حس شرارة تقد

ومنفق مشفق إذا أنا أسرفت وبذلت فهو مقتصد

---

(١) القصيدة برمتها في معاهد التنصيص ٩٠/١ منسوبة مع بعض تقديم وتأخير

(٢) في ب ، ث « تمازج الضعف » بحاء مهملة — تحريف

(٣) في المعاهد « كحله كحل » ولها وجه ، وفي ب ، ث « معتدل الجيد »

(٤) في المعاهد « مطرد »

مد إن الوجه مذ حظيت به حالى رخى وعيشى رغد

مسامرى إن دجا الظلام فلى منه حديث كأنه الشهد

خازن ما فى يدى وحافظه فليس شىء لدى يفتقد[1]

يصون كتبى فكلها حسن يطوى ثيابى فكلها جدد

ويحضر الناس بالطبيخ وكا مك القلايا والصبر الثرد

وهو بدير المدام إن حليت عروس دن نقابها الزبد

تسبح كأسى بذ أناملها تنحل من لينها وتنعقد[2]

ثقفه كيسه فلا عوج فى بعض أخلاقه ولا أود[3]

وصدق الرقص وزان دسـر ما فى الجياد منتقد[4]

يعرف الشىء مثل معرفتى وهو على أن يزيد مجتهد

وكان وحد البلاغة فى ألفاظه والصواب والرشد

وواحد فى من المحبة والرأفة أصناف ما به أحد

إذا تبسمت فهو مبتهج وإن تمرت فهو مرتعد

ذا بعض أوصافه وقد بقيت له صفات لم يحصها أحد

وللشيخ شهاب الدين محمود رحمه الله فى غلام له فكس هذا المعنى[5]، وأبدع

ما هو عبد كلا ولا ولد إلا عناء تضنى به الكبد

ومرط سقم أعيا الأساة فلا حد عليه يبقى ولا جلد

أقبح ما فيه كله فقد تساوت الروح منه والجسد

أشبه شىء بالقرد فهو له إن كان للقرد فى الورى ولد

---

(١) وفيه « معتمد » تحريف (٢) فى المعاهد « يسبح كأسى يدا أناملها »

(٣) فى ب ، ت « ثقف كذا كيسى فلا عوج » تحريف

(٤) فى المعاهد « للمانى الدقاق »

(٥) وعدد برمتها أيضاً فى معاهد التنصيص ١/ ٦٢ الى ثلاث

وجنته مثل صبغة الورس لكن ذاك صاف ولونها كمد

يقطر سما فضحكه أبدا شر بكاء وبشره حرد

ذو مقلة حشوها جفنها غمص تسيل دمعا وما بها رمد

كأنما الخد في بطاقته قذى كلت فوق صفحه عدد

يجمع كفيه من مهانته كأنه في الهجير مرتعد

يطرق لا من حياء ولا خجل كأنه للتراب منتقد

ألكن إلا في الشتم منبسط كالكلب ولو كان حصة الأسد[1]

يشتهي الناس حين يشتمهم إذ ليس يرضى بشتمه أحد[2]

كسلان إلا في الأكل فهو إذا ما حضر الأكل جمرة تقد

كالنار يوم الرياح في الحطب اليابس يأتي على الذي يجد

يرفل في حلة ممزقة من فقره رقع طرزه طرد[3]

أحمل أوصافه النميمة والكذب ونقل الحديث والحسد

كل عيوب الورى به اجتمعت وهو بوصف ذاك منفرد

إن قمت لم يدر ما أقول ولو قال كلاما في الفهم متحد

كأنه ملي إذا تسلمه منى ماء وكفه سرد[4]

حمته لي دوية حسنت كنت عليها في الطرف أعتمد[5]

كمثل زهر الرياض ما وجدت عيني لها مشبها ولا أحد[6]

فر يوما بها على رجل لديه علم اللصوص معتقد[7]

أودعها عنده فغيبها وما حواه من بعده بلد

---

(١) في المشاهد «ولو كان حصة الأسد» وهي أطرف كما هنا
(٢) في المشاهد «إذ ليس يرضى بشتمه أحد»
(٣) في ب، ث «يدحل في حلة» تحريف ما أثبتناه
(٤) في ب، ث «وكفه برد» وأثبتنا ما في المشاهد، وفيه «ماء قراح وكفه سرد»
(٥) دوية: تصغير دواة (٦) في ب، ث «لها شبها»
(٧) في المشاهد «لديه علم اللصوص يعتقد»

جاء يبكى فعدت أضحك من … فعلى ، وقلبى بالغيظ متقد(١)

وقال لى لا تخف لحيته … مشهورة الوصف حين ينتقد(٢)

عليـــــه ثوب وعمة وله … وجه وذقن وســـاعد ويد

وقال منه فلت حـــده ولا … ودون مجرى به ولا عـــدد

فى الذى قد أضاعه عوض … وهو على أن يزيد مجتهد

وكانت وفاة الخالدى فى حدود الأربعمائة رحمه الله :

(١٤٢)

شرف الدين سليمان بن سليمان الهمدانى ، الإربلى

سليمان بن بَنْيمان(٣) بن أبى الجيش بن عبد الجبار ، الأديب ، شرف الدين ، أبو الفرج ، الهمدانى ، ثم الإربلى .

شاعر محسن فى … القول ، له شعر ونوادر وزوائد ومزح حلو

كان أبوه صانعاً ، وكذلك هو ، جاء إليه مملوك من مماليك الأشرف موسى ، وقال له : عندك خاتم مليح على قدر أصبعى ؟ قال : لا ، إلا عندى إصبع مليح على قدر خاتمك .

وتوفى سنة ست وثمانين وستمائة ، وله سبعون سنة أو أزيد .

وسامر الشهاب التلعفرى بأبياته(٤) وحماقه قال ابن بنيمان(٣) وقد أنشدها للملك الناصر بن عبد العزيز

يا مليكاً فاق الأنام جميعــا … منه جوداً كالعارض الوكّافِ

---

(١) وفيه « تتقد » (٢) كذا فى ب ، وفى ث والمشاهد « حين يعتقد »

(٣) وقع فى ب ، ث « سليمان بن بنيمان » محرفا ، وصوبناه عن النجوم الزاهرة ٦٨٦/٧ ونجد له ترجمة فى شذرات الذهب ٣٩٥/٥ وفى النجوم فى الموضع الذى ذكرناه

(٤) هو شهاب الدين محمد بن يوسف بن مسعود بن بركة التلعفرى ـ بتشديد التاء وتشديد اللام مفتوحتين ـ نسبة إلى « تل أعفر » موضع ناحية الموصل ، ولد فى عام ٥٩٣ وتوفى فى عام ٦٧٥

والذى راش بالعطايا جناحى ‍ ‍ ‍ وتلافى بعد الإله تلافى

ن رأينا ولا سمعنا بشيخ ‍ ‍ ‍ قبل هذا مقامر بالخفاف

وبها كم يُدقّ فى كل يوم ‍ ‍ ‍ فى قفاه والرأس والأكتاف

أسود الوجه أبيض الشعر لكن ‍ ‍ ‍ فى شحيم وقبحة وجفاف

تدّعى نسبة بنى آل شيبا ‍ ‍ ‍ ن وبلاد القبائل الأشراف

مثل نجد لو اسطعت لقادت ‍ ‍ ‍ بيض هذا الدعاء من أكناف

ما شطّ الصدر فى عماه رقيع ‍ ‍ ‍ عادل عن طرائق الإنصاف

فلما سمع التلعفرى هذه الأبيات قال : أما أنا فحسدى [حق] أمر محقق ، قال : عرف امرأتك ، فقال : مالى امرأة ، فقال : لك مقامرة من بين الحجرين إما بالخفاف وإما بالنعال

ولما وقع ابن سُليمان من على بغلته انكسرت رجله ومشى ما بين مشدتين ، فسمع بعض الناس يقول : ما يضرب لله مصفوعين ، فقال : بلى لابن سُليمان

وروى راكبا على حمارة ، فسألوه عن ذلك ، فقال : تبت عن البغلة وأصبحت أقوم على الجحشة

ونظم فيه الشهاب التلعفرى :

سمعت لابن سُليمان وبغلته ‍ ‍ ‍ عجيبةً حلها إحدى قصائده(١)

قالوا رمته وداست بالنعال على ‍ ‍ ‍ قفاه فات لهم ذا من عوائده

لأنها فعلت فى حق والدها ‍ ‍ ‍ ما كان يفعله فى حق والده

ومن شعر ابن سُليمان رحمه الله :

اشرب فشربك هذا اليوم تحليل ‍ ‍ ‍ وأنف الهموم فقد وافاك أيلول

---

(١) فى ب ، ث « سمعت لابن شيبان » ، ولم أعثر على هذه الأبيات فى ديوان شهاب الدين التلعفرى

أما ترى الشمس وسط الكأس طالعة   مبيرة وبطوقُ البدر محـــلول
والأرض قد كسيتْ بالغيث حلتها   وناظر الروض بالأزهار مكحول

وقال أيضا رحمه الله :

أتى كتاب منك لما فضضته   تروّى من الإحسان صادٍ من الحب
فخيل لى ما أنت أنت بكثرة الـــتواضع والإحسان أو ما أنا أنا

وقال أيضا رحمه الله

خليلىّ كم أشكو إلى غير راحم   وأحمل عرضى عرضة للوائم
وأسحب ذيل الذل بين بيوتكم   وأقرع فى ناديكمُ سنّ نادم
هبونىَ ما استوجبت حقا عليكم   أما بقريكم هـــرة المكارم
كأن المعالى ما حللن لديكمُ   وقد أصبحت ممدودة فى المحارم

(١٤٣)

سليمان بن وهب القرمطى الجنابى

سليمان بن وهب[1] بن بهرام ، القرمطى، بكسر القاف وسكون الراء وكسر الميم بعدها طاء مهملة ـ الجنابى ، رئيس القرامطة

ذكر ابن الأثير فى حوادث سنة ثمان وسبعين ومائتين ، قال[2] : و فى هذه السنة تحرك قوم بسواد الكوفة يعرفون بالقرامطة ، ثم بسط القول فى بدء أمرهم وحاصله أن رجلا أظهر العبادة والزهد والتقشف وكان يخصف الخوص ، ويأكل من كسبه ، وكان يدعو الناس إلى إمام [من] أهل البيت . وأقام على ذلك مدة ، فاستجاب له خلق كثير ، وجرتْ له أحوال أوجبت حسن العقيدة فيه وانتشر بسواد الكوفة ذكره .

---

(١) تقدمت ترجمة أبى سعيد الحسن بن أحمد القرمطى (رقم ٨٨)
(٢) انظر تاريخ ابن الأثير ١٥٩/٧ بولاق

ثم قال فى سنة ست وثمانين ومائتين : وفى هذه السنة(١) ظهر رجل يعرف بالحسن الجنابى بالبحرين ، واجتمع إليه جماعة من الأعراب والقرامطة ، وقوى أمره ، وأن غلامه الصقلبى قتله سنة إحدى وثلثمائة ، وقام بعده أبو طاهر ابنه وفى سنة إحدى عشرة وثلثمائة قصد أبو طاهر البصرة ، وملكها بغير قتال ، بل صعد إليها بسلالم شعر ، فلما أحسوا بهم ثاروا إليهم ، فقتلوا والى البلد ، ووضعوا السيف فى الناس ، فهرب منهم من هرب ، وأقاموا فيها سبعة عشر يوما ، ونهب القرمطى جميع ما فيها ، وعاد إلى بلده ، ولم يزل يعيث فى البلاد ويكثر فيها الفساد — من القتل ، والسبى ، والحريق ، والنهب ، إلى سنة سبع عشرة وثلثمائة ، فحج الناس ، وسلموا فى طريقهم ثم إن القرمطى وافاهم بمكة يوم التروية فنهب أموال الحاج ، وقتلهم حتى فى المسجد الحرام ، وفى البيت نفسه ، وقلع الحجر الأسود ، وأنفذه إلى هجر ، فخرج إليه أمير مكة فى جماعة من الأشراف فقاتلوه فقتلهم أجمعين ، وقلع باب الكعبة ، وأصعد رجلا ليقلع الميزاب فسقط ومات وألقى القتلى فى بئر زمزم وترك الباقى فى المسجد الحرام ، وأخذ كسوة البيت وقسمها بين أصحابه ، ونهب دور أهل مكة ، فلما بلغ ذلك المهدى عبد الله ، صاحب إفريقية ، كتب إليه ينكر عليه ويلومه ويلعنه ، ويقول : حققت على شيعتنا ودعاة دولتنا الكفر واسم الإلحاد بما فعلت ، وإن لم ترد على أهل مكة والحجاج ما أخذت منهم ، وترد الحجر الأسود إلى مكانه ، وترد الكسوة ، وإلا فأنا برىء منك فى الدنيا والآخرة ، فلما وصل هذا الكتاب أعاد الحجر الأسود

---

(١) انظره ٧/١٧٥ وفيه « يعرف بأبى سعيد الجنابى — إلخ » وقد ترك المؤلف كلاما كثيراً فارجع إليه هناك . وانظره أيضاً ٧/١٧٧ و ١٨٢ و ١٨٦ و ١٨٨ و ١٩٢ و ١٩٥ — ٨/٢٩ وفيها ذكر مقتل أبى سعيد الحسن بن بهرام الجنابى ، ٤٩ وفيها ذكر أبى طاهر سليمان بن أبى سعيد القرمطى وقصده البصرة و ٥٠ و ٥٣ و ٥٧ و ٦١ و ٦٣ و ٧١

وما أمكنه من أموال أهل مكة ، وقال - أخذناه بأمر ، ورددناه بأمر ، وكان بحكم التركي أمير العراق وبغداد قد بذل لهم فيه خمسين ألف دينار فلم يردوه [1] .

قال ابن الأثير . ردوه إلى الكعبة لخمس خلون من ذي القعدة سنة تسع وثلاثين وثلثمائة في خلافة المطيع ، وأنهم لما أخذوه تسلخ تحته ثلاث جمال قوية من ثقله ، ولما أعادوه حملوه على جمل واحد ووصل سالما

قال ابن أبي الدم في الفرق الإسلامية : إن الخليفة راسل أبا طاهر في ابتياعه ، فأجاب إلى ذلك ، فباعه من المسلمين بخمسين ألف دينار ، وجهز الخليفة إليهم عبد الله بن حكيم ، المحدث ، وجماعة معه ، فأحضر أبو طاهر شهوداً ليشهدوا على نواب الخليفة بتسليمه ، ثم أخرج لهم أحد الحجرين المصنوعين ، فقال لهم عبد الله بن حكيم : إن لنا في حجرنا علامة : إنه لا يسخن بالنار ، والثانية أنه لا يغوص في الماء ، فأحضروا ماء ونارا ، فألقاه في الماء وغاص ، ثم ألقاه في النار ، فحمي ، وكاد ينشقق ، فقال : ليس هذا بحجرنا ، ثم أحضر الحجر الثاني المصنوع ، وقد ضمخه بالطيب ، وغشاه بالديباج ليظهر كرامته ، فصنع به عبد الله كما صنع بالأول ، وقال . ليس هذا بحجرنا ، فأحضر الحجر الأسود بعينه ، فوضعه في الماء ، فطفا ، ولم يغص ، وجعله في النار ، فلم يسخن ، فقال : هذا

---

(١) هذا الكلام كله من أول الترجمة إلى آخرها أصله كلام ابن الأثير في المواضع التي أشرنا إليها من قبل ، وقد لخصه ابن خلكان في وفيات الأعيان (١/٤٠٩ وما بعدها ، تحقيقنا) ثم نقله المؤلف هنا فترك ما ترك ابن خلكان وذكر ما ذكره ، وليس لهذه كبير شيء ، وقد اعترض ابن خلكان كلام ابن الأثير في هذا الموضع قائلا .

« قلت : وهذا الذي ذكره شيخنا ـ من كتاب المهدي إلى القرمطي ، وأخذه الحجر ، وأنه ردة لذلك ـ لا يستقيم ، لأن المهدي توفي سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة ، وكان رد الحجر في سنة تسع وثلاثين ، فقد ردوه بعد موته بسبع عشرة سنة ، والله أعلم » .

حجرنا ، فتعجب أبو طاهر ، وسأله عن طريق معرفته ، فقال عبدالله بن حكيم : حدثنا فلان عن فلان ، أن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، قال : « الحجر الأسود يمين الله تعالى فى أرضه ، خلقه الله تعالى من درّة بيضاء فى الجنة ، وإنما اسودّ من ذنوب الناس ، يحشر يوم القيامة له عينان ينظر بهما ، ولسان يتكلم به ، يشهد لكل من استلمه وقبله بالإيمان ، وأنه حجر يطفو على الماء ، ولا يسخن بالنار إذا وقدت عليه » ، فقال أبو طاهر : هذا دين مضبوط بالنقل .

وقال صلاح الدين الصفدى فى تاريخه : قال بعضهم : إن القرامطة أخذوا الحجر الأسود مرتين ، فيحتمل أن المرّة الأولى ردّوه بكتاب المهدى ، والثانية ردّوه لما اشترى منه ، أو بالعكس ، والله أعلم .

وقصد القرامطة أطراف الشام ، وفتحوا سلمية ، وبعلبك ، وقتلوا غالب من بهما من المسلمين ، وخرج مكتفى بنفسه فى جيش عظيم لما عزموا على حصار دمشق ، وكثر الصجيج بمدينة السلام ، وسار حتى نزل بالرقة ، وبث الجيوش بين حلب وحَمَاة وحمص ، وعادت القرامطة تقصد حصار حلب ، فالتقى الجمعان بموضع بينه وبين حماة اثنا عشر ميلا ، وكان ذلك سنة إحدى وتسعين ومائتين أيام والده أبى سعيد ، فانهزم جميع القرامطة ، وتبعهم المسلمون ، وأفنوا عامتهم .

ثم قام القرامطة أيضا ، وكثر حربهم ، ولم يزالوا إلى أن مات أبو سعيد ، وقام أبو طاهر ابنه .

وقيل : إنه ملك دمشق ، وقتل جعفر بن فلاح نائب المصريين .

ثم بلغ عسكر القرامطة إلى عين شمس ، وهى على باب القاهرة ، وظهروا عليهم ، ثم انتصر أهل مصر عليهم ، فرحموا عنهم ، ولم يزل الناس معهم فى شدة وبلاء إلى أن قتل أبو طاهر سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة[1] ، والله تعالى أعلم بغيبه وأحكم .

---

(١) أبو طاهر هو سليمان الذى عقد المؤلف الترجمة له ، وهو ابن أبى سعيد الجنابى فيكون « سليمان بن الحسن » لا « ابن وهب »

(١٤٤)

المستعين سليمان بن الحكم الأموي

سليمان بن الحكم[1] بن سليمان بن الناصر عبد الرحمن، الأموي، الملقب بالمستعين.

من شعره رحمه الله تعالى

عجبًا يهاب الليث حدّ سناني ... وأهاب سحر فواتر الأجفان

وأقارع الأهوال لا متهيبًا ... منها سوى الإعراض والهجران

وتملكت نفسي ثلاث كالدمى ... زُهْرُ الوجوه نواعم الأبدان

ككواكب الظلماء لحن لناظر ... من فوق أغصان على كُثْبانِ

حَكَّمْتُ فيهن السلو إلى الصبا ... فقضى بسلطان على سلطاني

فأبحن من قلبي الحمى، وتركنني ... في عز ملكي كالأسير العاني

لا تعذلوا ملكا تذلّل للهوى ... ذل الهوى عز وملك ثاني

ما ضرّ أني عبدهنّ صبابةً ... وبنو الزمان وهنّ من عُبْدانِي

إن لم أطع فيهنّ سلطان الهوى ... كلفا بهنّ فلست من مروانِ

(١٤٥)

أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي القرطبي

سليمان بن خلف[2] بن سعد بن أيوب بن وارث، أبو الوليد[3]، الباجي، الأندلسي، القرطبي، صاحب التصانيف.

---

(١) ذكر ولايته على الأندلس في «المعجب» ٤٣ مصر، وأنه ولي لست خلون من شوال سنة ٣٩٩ وتلقب بالمستعين بالله، ثم دخل قرطبة في ربيع الآخر سنة ٤٠٠ فتلقب بالظافر بحول الله مضافا إلى المستعين بالله. وانظر نفح الطيب ١/ ٤٠٦ بتحقيقنا

(٢) له ترجمة في تاريخ دمشق (المختصر ٦/ ٢٤٨) وفي شذرات الذهب ٣/ ٣٤٤ وله ترجمة في نفح الطيب للمقرى ٢/ ٢٧٢ بتحقيقنا

(٣) في ب، ث «بن الوليد» وصوبته عن الأصول التي ذكرناها

توفي سنة أربع وتسعين وأربعمائة[1]

ومن شعره رحمه الله تعالى

إذا كنت أعلم علماً يقيناً ... بأنّ جميعَ حياتي كساعه

فلِمْ لا أكون ضنيناً بها ... وأجعلها في صلاح وطاعه

وله أيضاً رحمه الله تعالى

إذا كنت تعلم أنْ لا تحيد ... لدى الدست عن هول يوم الحساب

فأعرض لأنّه مقدار ما ... تجنّ لنفسك سوء العذاب

(١٤٦)

أسد الدين سليمان بن داود (الأمير)

سليمان بن داود بن موسك، الأمير أسد الدين بن الأمير عماد الدين بن الأمير الكبير عز الدين الهذباني[2].

ولد في حدود الستمائة بالقدس، وتوفي سنة سبع وستين وستمائة، وكانت له يد في النظم، وعنده فضيلة، وترك الخدم، وتزهد، ولبس الخشن، وجالس الفقراء، وأذهب معظم نعمته، وافتقر.

وكان أبوه أحد الأمراء بالأشرف بن العادل، وجده الأمير عز الدين موسك[3] ابن خال السلطان صلاح الدين.

ومن شعر أسد الدين سليمان قوله:

ما الحب إلا لوعة وغرام ... حاشا أن يشغلك عنه ملامُ

(١) كذا في ب، ث وليس بشيء، وفي الشذرات أنه توفي سنة ٤٧٤ بالمرية عن إحدى وسبعين سنة

(٢) له ترجمة وخبره في السلوك ١/٥٨٢ في حوادث سنة ٦٦٧ ووقع في ب، ث «الهذباني» محرف

(٣) هو مشيد قنطرة الموسكي بالقاهرة، قال المقريزي في الخطط (١٤٧/٢): «قنطرة الموسكي ـ أنشأها الأمير عز الدين موسك قريب السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، وكان خيراً، يحفظ القرآن ويواظب على تلاوته، ويحب أهل العلم والصلاح ويؤثرهم، ومات بدمشق يوم الأربعاء ثامن عشري شعبان سنة ٥٨٤ هـ»

العشق لعشاق نار حرها | برد على أكبادهم وسلام
تلتذ فيه جفونهم بسهادها | وجسومهم إذ شفها الأسقام
ولهم مذاهب في الغرام وملة | أنا في شريعتها الهداة إمام
ولهم وللأحباب في لحظاتهم | خوف الوشاة رسائل وكلام
لطفت إشاراتهم ورقت في الهوى | معنى فحارت دونها الأفهام
ونحجبت أسرارها عن غيرهم | وحمت لهم أسرارهن الأوهام
فإليك عن عذلى فإن مسامعي | ما للملام بطرقها إلمام
أنا من يرى حب الحبيب حياته | فلأم في حب الحياة ألام

(١٤٧)

عون الدين سليمان بن عبد المجيد الحلبي

سليمان بن عبد المجيد بن الحسن بن عبد الله بن الحسن، الأديب، البارع، عون الدين بن العجمي، الحلبي، الكاتب[1].

ولد سنة ست وستمائة، وتوفي سنة ست وخمسين وستمائة، بدمشق، وشيعه الأعيان والسلطان.

وكان متأهلا للوزارة، كامل الرياسة، لطيف الشمائل.

ومن شعره، رحمه الله تعالى:

لهيب الخد حين بدا لعيني | هوى قلبي عليه كالفراش
فأحرقه فصار عليه خالا | وها أثر الدخان على الحواشي

وحضر يوما مجلس مخدومه الملك الناصر، وأسند ظهره إلى طراحة، فقال له أستاذ الدار: المخدة وراءك، فقال له الملك الناصر: سليمان من أهل البيت، فقال

---

(١) له ترجمة في المنهل الصافي، وفيه «سليمان بن عبد المجيد بن الحسن بن أبي غالب بن عبد الله بن الحسن بن عبد الرحمن، الأديب البارع، عون الدين، ابن العجمي، الحلبي، الكاتب، توفي سنة ٦٥٦ بدمشق» وردت كلمة «بن» في قوله «أبي غالب بن عبد الله» زائدة، فيتفق مع ما هنا.

رعى الله مَلْكاً ماله من مُشَبِّهٍ ... يَمُنُّ على العافي ولم يكُ مَنّانا

لإحسانه أمسيت حَسّانَ مدحه ... وكنت سليمانا فأصبحتُ سَلْمانا(1)

ومن شعر عون الدين :

يا سائقاً يقطع البيداء معتسفاً ... بضامرٍ لم يكن في سيره وانِ

إن جُزْتَ بالشام شِمْ تلك البروقَ ولا ... تعدل بلغت المنى عن دير مُرّانِ

واقصد علالي قلاليه تُلاقِ بها ... ما تشتهي النفس من حور وولدان

من كل بيضاء هيفاء القوام بدت ... ماست في حلة لرآن والنا...

وكل أسمر قد دان الجمال له ... وكمّل الحسنُ منه فرط إحسان

ورب صُدغ بدا في الخد مرسله ... في فترة فتنت من سحر أجفان

فبت ريق فيه وردي ، ووجنته ... وردي ، ومن صُدْغه آسي وريحاني

وعُجْ على دير متّى ثمّ حيِّ به السّريان بطرس ، فالرهبانُ رُبّاني

فهمت منه بشارات فهمت بها ... وصحت منشورها في طي كتماني

واعبر بدير حنينا وانتهز فرص اللذات ما بين قسّيسٍ ومطران

واستجل راحاً تجلّى لنفوس إذا ... دارت براح شمامس ورهبان

حمراء صفراء بعد المزج كم قدحت ... شررها من هوى كلُّ شيطان

كم رحت في الأدير أسقيها وأشربها ... حتى انقضى ونديمي غيرُ ندمان

سألت يونس عن كان عاصرَها ... أجاب رمزاً ولم يسمح بتبيان

وقال : أخبرني شمعون يرفعه ... عن ابن مريم عن موسى بن عمران

بأنها شَعَّرَتْ بطور مشرقة ... أنوارها فكنوا عنها بنيران

وهْيَ المدام التي كانت معتقة ... من عهد هرمس من قبل ابن كنعان

---

(1) أراد سليمان هنا الوصف ، أي كنت صغير القدر . وأراد من سلمان الوصف أيضاً ، أي صرت كبير القدر . وذلك لأن سليمان تصغير سلمان

وهى التى عبـــدتها فارس فحكى ... عنها شمس الضحى فى قومه مانى

سكرت منها فلا صحو وخذت بها ... على الندى وليس الشح من شانى

وسوف أسقيها أهـــلا وأنشده ... ما قيل فيها بترجيـــع وألحان

حتى تميل لهـــا أعطافه طربا ... وينتشى السكون من أوصاف نشوان

خير الملــــوك صلاح الدين ليس له ... فى الجود ثان ولا عن جوده ثانى

(١٤٨)

سليمان بن عبد الملك بن مروان (١)

سليمان بن عبد الملك ابن مروان

كان من أحسن ملوك بنى أمية، ولى الخلافة فى جمادى الآخرة سنة ست وتسعين، بعد الوليد، بالعهد من أبيه، وكانت داره موضع سقاية جيرون، وكان فصيحا مفوّها، مؤثر العدل، محبّ الغزو.

ومولده سنة ستين، وتوفى عاشر صفر سنة تسع وتسعين بمرج دابق، شغل وهو يخطب، فنزل وهو محموم، فما جاءت الجمعة الأخرى حتى مات، وولى عمر ابن عبد العزيز، وكان جميل الوجه، وعزل عمال الحجاج، وأخرج من فى سجون العراق، وهمّ بالإقامة فى القدس، وحج سنة سبع وتسعين، وقال لعمر بن عبد العزيز لما رأى الناس فى الموسم: أما ترى هذا الخلق الذى لا يحصى عددهم إلا الله تعالى، ولا يسع رزقهم غيره؟ فقال: يا أمير المؤمنين، هؤلاء اليوم رعيتك، وغدا خصماؤك، فبكى بكاء شديدا، ثم قال: بالله أستعين.

وكان من الأكلة، قال ابنه: أكل أبى أربعين دجاجة تشوى على النار، وأكل أربعا وثمانين كلوة بشحمها وثمانين جردقة، وأكل تسعين رمانة وخروفا وأتى بمكوك زبيب طائفى فأكله أجمع.

---

(١) انظر ترجمته فى التنبيه والإشراف ٢٧٥ مصر، وفى شذرات الذهب ١/١١٦ وتاريخ ابن الأثير ٥/١٥ ومروج الذهب ٣/١٨٣ — ١٩١ طبعة ثانية تحقيقنا، وتاريخ ابن كثير ٩/١٧٧ — ١٨٤ وتاريخ اليعقوبى ٢/٣٦ النجف. والفخرى لابن طباطبا ١٥٢ أوربة، وتاريخ الخلفاء للسيوطى ٨٧

وقيل: إنه جلس في بيت أخضر، وتحته وطاء أخضر، عليه ثياب خُضْر، ثم نظر في المرآة فأعجبته نفسه، وقال: كان النبي صلى الله عليه وسلم نبياً، وكان أبو بكر صديقاً، وكان عمر فاروقاً، وكان عثمان حيياً، وكان معاوية حليماً، وكان يزيد صبوراً، وكان عبدالملك سائساً، وكان الوليد جباراً، وأنا الملك الشاب، فما دار عليه الشهر حتى مات.

وقال سعيد بن عبدالعزيز: إنّ سليمان ولي وهو إلى الشباب والترف ما هو، فقال لعمر بن عبد العزيز: يا أبا حفص إنا قد وُلّينا ما ترى، ولم يكن لنا بتدبيره علم فما رأيت من مصلحة العامة فمُر به يكتب، فكان من ذلك عزل عمال الحجاج، وأخرج من في سجون العراق، وكان يسمع من عمر بن عبدالعزيز فيما يأمره به.

وقدِمَ عليه موسى بن نُصير(1) من ناحية المغرب، ومسلمة بن عبدالملك، فبينا هو على ذلك إذ جاءه الخبر من الروم أنها قد خرجت على ساحل حمص فسبت امرأةً وجماعة، فغضب سليمان، وقال: والله لأغزونهم غزوة أفتح فيها القسطنطينية أو أموت دون ذلك، وأغزى جماعة أهل الشام والجزيرة والموصل في البر في نحو مائة وعشرين ألفاً، وأغزى أهل مصر وإفريقية في البحر في ألف مركب، وعلى جماعة الناس مسلمة بن عبد الملك، وأغزى داود بن سليمان في جماعة من أهل بيته، وقدم سليمان من القدس إلى دمشق، ومضى حتى نزل مرج دابق، فمضى البعث وأقام بالمرج.

قال عبد الغني: وسمي سليمان بن عبدالملك «مفتاح الخير» لأنه استخلف عمر بن عبد العزيز.

وقال ابن سيرين: رحم الله سليمان بن عبد الملك! افتتح خلافته بخير، وختمها بخير، افتتح خلافته بإحياء الصلاة لمواقيتها، وختمها بأن استخلف عمر ابن عبد العزيز، رحمهما الله تعالى!

---

(1) هو أبو عبد الرحمن موسى بن نصير القائد المظفر الذي فتح الله على يديه وبين أتباعه بلاد الأندلس وأكثر بلاد المغرب، ولم يهزم له جيش قط، وكان من رجال العالم رأياً وحزماً وهمة ونبلاً وشجاعة وإقداماً، توفي بوادي القرى وهو حاج مع الخليفة سليمان بن عبدالملك في سنة ٩٧هـ

(١٤٩)

سليمان بن علي ابن عبد الله الهاشمي العباسي

سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس ، الهاشمي ، أحد أعمام السفاح والمنصور[1]
ولد سنة ثنتين وثمانين ، وتوفي سنة اثنتين وأربعين ومائة .

وكان سليمان كريماً ، جواداً ، مرّ برجل يسأل قد تحمل عشر ديات ، فحملها عنه ، وكان يعتق في كل موسم عشية عرفة مائة نسمة ، وبلغ عطاؤه في الموسم على قريش والأنصار خمسة آلاف ألف درهم .

(١٥٠)

معين الدين سليمان بن علي الصاحب البرواناه

سليمان بن علي ، الصاحب ، معين الدين ، البرواناه[2]
كان أبوه مهذب الدين علي بن محمد أعجمياً سكن الروم ، وكان يقرأ القرآن ، فتوصل حتى صار يقرئ أولاد مستوفي الروم ، ثم ناب عنه ، ثم ولي موضعه في أيام السلطان علاء الدين ، وظهرت كفايته ، فاستوزره ، ثم وزر لولده غياث الدين إلى أن مات سنة اثنتين وأربعين ، فعظم أمره إلى أن استولى على ممالك الروم ، وصانع التتار ، وعمر الدنيا ، وكاتب الملك الظاهر ، ثم نم عليه أبغا ، ونسبه إلى أنه هو الذي حسن الظاهر على بلاد الروم ، وحصل ما وقع من قتل أعيان المغل ، فبكت خواتين ، وشقت الثياب بين يدي أبغا ، وقالوا : البرواناه هو الذي قتل رجالنا ، ولا بد من قتله ، فقتله .

وكان من دهاة العالم وشجعانهم ، وله إقدام على الأهوال ، وخبرة بتحصيل الأموال ، فقطعت أربعته وهو حي ، وألقي في مرجل ، وسلق وأكل المغل لحمه من غيظهم ، وصلى عليه من الروم أمم وخلائق ، وذلك سنة ست وسبعين وستمائة ، رحمه الله تعالى !

---

(١) له ترجمة في تاريخ دمشق (مختصر ٦/ ٢٨١) وورد في شذرات الذهب ١/ ٢١٠ وذكر أنه ابن عم المنصور ، وليس بصحيح .

(٢) له ترجمة في شذرات الذهب ٥/ ٣١٢ وله ترجمة في المنهل الصافي ، والبرواناه كلمة فارسية أصل معناها الحاجب وقد أطلق هذا اللقب في دولة السلاجقة على الوزير الأكبر

(١٥١)

عفيف الدين سليمان بن علي ابن عبد الله التلمساني

سليمان بن علي بن عبد الله بن علي، الشيخ الأديب البارع، عفيف الدين، التِّلِمْساني[1] .

كان كوفي الأصل[2]، وكان يدّعي العرفان، ويتكلم على اصطلاح القوم.

قال قطب الدين اليونيني: رأيت جماعة ينسبونه إلى رقة الدين والميل إلى مذهب النصيرية.

وكان حسن العشرة، كريم الأخلاق، له حرمة ووجاهة، خَدَم في عدة جهات.

وقال الجزري في تاريخه: إنه عمل ببلاد الروم أربعين خلوة، يخرج من واحدة ويدخل في أخرى، وله في كل علم تصنيف.

وحكى بعضهم قال: طلعت إليه يوم قبض، فقلت له: كيف حالك؟ قال: بخير، مَنْ عرف الله كيف يخافه؟ والله منذ عرفته ما خفته، وأنا فرحان بلقائه.

قال الشيخ صلاح الدين الصفدي: وحكى لي الشيخ علي الحنفي قال: كان عفيف الدين مباشر استيفاء الخزانة بدمشق، فحضر الأسعد بن السديد الأعز إلى دمشق صحبة السلطان الملك المنصور، فقال له يوما: يا عفيف الدين، أريد منك أن تعمل لي أوراقا بمصروف الخزانة وحاصلها، قال: نعم، وطلبها منه مرة أخرى ومرة وهو يقول: نعم، فقال في الآخر: إنك كلما أطلب منك الأوراق تقول لي نعم، وأغلظ له في القول، فغضب الشيخ عفيف الدين وقال له: ويلك! لمن تقول هذا الكلام؟ أي كلب يا ابن الكلب، يا خنزير، وهذا من عجز المسلمين

---

(١) له ترجمة في شذرات الذهب ٥/٤١٢ وقال عنه « أحد زنادقة الصوفية، وقيل له مرة: أأنت نصيري؟ فقال: النصيري بعض مني » وله ترجمة في النجوم الزاهرة ٨/٢٩ وقال في آخرها « وقد استوعبنا من ذكر العفيف هذا في ترجمته في تاريخنا المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي بنبذة كبيرة، فلينظر هناك »

(٢) في النجوم « العابدي ثم الكوفي ثم التلمساني، كان فاضلا، ويدعي العرفان ويتكلم في ذلك على اصطلاح القوم »

وإلا لو صفقوا عليك صفقة لأعرفوك ، ثم شق ثيابه ، وقام يهمُّ بالدخول على السلطان ، فقام الناس إليه ، وقالوا . هذا ما هو كاتب ، هذا الشيخ عفيف الدين التلمساني ، وهو معروف بالجلالة والإكرام بين الناس ، ومتى دخل إلى السلطان آذاك ، فسكن [غضبه] ، وقال له يا مولانا ، ما بقيت أطلب منك لا أوراق ولا غيرها .

وقال الشيخ أثير الدين [أبو حيان] المذكور : أديب ماهر جيد النظم ، تكون شيخ صوفية وتارة كاتباً وتارة مجرداً ، قدم علينا القاهرة ، ونزل بخانقاه سعيد السعداء عند صاحبه شيخها الشيخ شمس الدين الأيكي ، وكان متحيلاً في أقواله وأفعاله طريقة ابن العربي .

وتوفي الشيخ عفيف الدين بدمشق في شهور سنة تسعين وستمائة ، ودفن بمقابر الصوفية .

ومن نظمه :

وقفنا على المغنى قديماً فما أغنى	ولا دلت الأطلال منه على معنى[1]
وكم فيه أمسينا وبتنا برَبعه	حيارى ، وأصبحنا حيارى كما تمّا
فلم نر للغيد الحسان بهم سنا	ولولا المصرى ما نُعمت ولا علّا[2]
تمنى ونمسى والدموع مدامه	ومن أجل بدر التم في حسنها أسنا
سائل هالات الحمى عن قدودهم	ولا سيما في بهجة البانة الغنّا[3]
ولم يرَ بالأرض أن قد مشت بها	سليمى وأمى لا سليمى ولا لُبنَى
فوا أسفا فيه على يوسف الحمى	ويعقوبه تبيضُّ أعينه حزنا
وليس الشجيّ مثل الخليّ لأجل ذا	به نحن نُحنا والحمام بنا غنّى

(١) المغنى : أصله اسم مكان من قولهم « غنى في المكان يغنى » بمعنى أقام ، فهو مكان الإقامة ، والمراد به دار أحبابه ، وما أغنى : أي ما أجاب جوابا مفيدا

(٢) عَلّ : شرب حتى تريع

(٣) الغنا : أصله الغناء ، فقصره حين اضطر ، والغناء : الملتفة الأغصان

ينادي مناديهم ويُصغِي إلى الصدى ... ويسألنا عنهم بمثل الذي قلنا

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

إن كان قتلى في الهوى يتعين ... يا قاتلي فبسيف لحظك أهون

حسبي وحسبك أن تكون مدامعي ... غسلي ، وفي ثوب السقام أكفَّنُ

عجبا لخدك وردةً في بانة ... ولورده فوق الدن مالا يمكنُ

أدنته لي سِنَةُ الكرى فلثمته ... حتى تبدل بالشقيق السوسنُ

ووردتُ كوثر ثغره فحسبتني ... في جنة من وجنتيه أسكنُ

ما راعني إلا بلال الخال هو ... في الخد في صبح الجبين يؤذن[1]

فشربت من خوف الصباح ذؤابة ... هي كالدجى وظللت فيها أكمنُ

يا طرة كم رمت أسرق أختها ... من مقلة هي للنعاس معيدنْ

وقال أيضا رحمه الله :

رياضٌ تكاها المزن فهي بواسم ... وباحت بسر الحزن فيها الحمائم

وأودعتِ الأنواء فيهنّ سرّها ... فنمت عليهنّ رياح النواسم

يبيت الندى في أنفها وهو ناثر ... ويضحي على أحيائه وهو ناظم

كأن الأقاحي والشقيق تقابلا ... خدودٌ جلاهنّ الصبا ومباسم

كأن بها للنرجس الغض أعينا ... تنبه منها البعض والبعض نائم

كأن ظلال القُضبِ فوق غديرها ... إذا اضطربت تحت الرياح أراقم

كأن مياه الوُرْقِ ألحانُ معبدٍ ... إذا رقصت تلك القدود النواعم

كأن نثار الشمس تحت غصونها ... دنانيرُ في وقت ووقت دراهمُ

كأن ثمارا في غصون توسوست ... لعارض حماق النسيم تمائم

---

(١) بلال : أصله اسم مؤذن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو حبشي ، وأراد منه هنا الوصف ، وهو السمرة ، والخال : نكتة سوداء في الخد ، وهي مما يستملحه العرب ، وهذا المعنى مأخوذ من قول الحاجري :

أظن بلال الخال في صحن خده ... يراقب من لألاء غرته الفجرا

كأن القطوف الدانيات مواهب   فني كل غصن مائس في الدَّوح خاتمُ

وقال أيضاً غفر الله له :

أشتاق من ساكني ذاك الحي سَكَنَا   عليه خَفَقُ فؤادي قطُّ ما سكنا
ولي غرام وصـــــبر في محبته   هــذا أقام بأحشائي وذا ظَعَنَا
أطلعتمُ يا أُهَيْل المحـــى قمراً   بدا على الكون منــه بهجة وسنا
سَبَى عيون محبيهِ الكَرَى فغدا   أحداقه لم تزل مغلوبة وَسَــنَا
إن قدت غصن تحــلى وجهه قمرا   أوقات بدر تثنى قده غُصُـــنَا
نادى ضَنَى خصره من يشترى سَقَماً   مني ليفنى به في الحب قلت أنا
فيا غـــنىٌّ جمالٍ بات مفتقراً   لحسنه البــدر مالي عن هواك غِنَى

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

لائمٌ صبوتي فرحتُ يَصْبُو   إنما يرحم المحبَّ المحبُّ
كيف لا يوقد النسيمُ غرامي   وله في ديار ليــلى مَهَبُّ
ما اعتذاري إذا حنتْ لي نار   وحبيبي أنواره ليس تخبو

وشعره جيد إلى الغاية ، رحمه الله تعالى وعفا عنه وعن جميع المسلمين !

(١٥٢)

سليمان بن موسى بن سالم البلنسي الكلاعي

سليمان بن موسى (١) بن سالم بن حسان ، الحميري ، الكَلاعي ، الأندلسي ، البَلَنْسي .

ومن شعره :

أشجاه ما دمل العـــذار بخده   قلبي شجا وهواه فيـــه هيجا
بدا به والحسنُ يمزج ورده   آسا ويخلط بالشقيق بنفسجــا
ولقد علمت بأنــه قبي صار   كرة لصدغيه غـــداة تصوّلجا

---

(١) له ترجمة في شذرات الذهب ٥/١٦٤ قال في مطلعها « أبو الربيع الكلاعي سليمان بن موسى بن سالم ، البلنسي ، الحافظ الكبير ، الثقة ، صاحب التصانيف ، وبقية أعلام الأندلس ، ولد سنة خمس وستين وخمسمائة ٥٦٥ هـ » وذكره في وفيات سنة ٦٣٤ وقال « استشهد بكائنة إنيشة بقرب بلنسية مقبلا غير مدبر ، في ذي الحجة »

ومنه أيضاً رحمه الله :

قالوا أكنست بالعـذار وحنته هل في الذي قالوه من باس؟
أكنفٌ ملو د وهو منفـــرد فكيف أسلو إذا ماشب بالآس ؟

(١٥٣)

صدر الدين أبو الفضل سليمان بن هلال الحوراني

سليمان بن هلال بن أسيد[1] بن فلاح ، الشيخ الإمام الفقيه المفتي القدوة الزاهد العابد القاضي الخطيب ، صدر الدين ، أبو الفضل ، القرشي ، الجعفري ، الحوراني ، الشافعي ، صاحب النواوي .

ولد سنة اثنين وأربعين بقرية بصرى من السواد ، وتوفي سنة خمس وعشرين وسبعمائة[2] .

قدم دمشق مراهقا ، وحفظ القرآن بمدرسة أبي عمر على الشيخ نصر بن عبيد، ورجع إلى البلاد ، ثم قدم بعد سبع سنين ، وتفقه بالشيخ تاج الدين وبالشيخ محيي الدين ، وأتقن الفقه ، وأعاد بالناصرية ، وناب في القضاء لابن صَصْرى مدة، ولم يغير ثوبه القطن ولا عمامته الصغيرة ، ويحكى عنه حكايات في رفقه بالخصوم ، يقال : إنه كان إذا علم أن الغريم ضعيف يعجز عن أجرة رسول القاضي قام مع الغريم ، ومشى إلى بيت الغريم أو حانوته ، وكان خيراً متواضعاً ، وكان يمشي إلى بعض العدول ليؤدي عنه الشهادة ، وولي خطابة العقيبة ، واكتفى بها ، وعينه الأمير سيف الدين تنكز للاستسقاء بالناس سنة تسع عشرة ، فسقوا ، وقد كان خطيباً بداريّا يدخل إلى دمشق على بهيم ضعيف ، وكان لا يدخل حماماً ، ولا يتنعم ، وناب عن ابن الشريشي في دار الحديث ، وشيع جنازته خلق كثير ، رحمه الله تعالى !.

---

(١) له ترجمة في شذرات الذهب ٦/٦٧ وفيها « صدر الدين سليمان بن هلال بن شبل بن فلاح بن خصيب ، القاضي العالم الزاهد الورع ، أبو الربيع ، الهاشمي ، المعروف بخطيب داريا ، ولد سنة ٦٤٢ وسمع الحديث وتفقه على الشيخ تاج الدين الفزاري والشيخ محيي الدين النووي ، وولي خطابة داريا ـ إلخ »

(٢) في ب « سنة خمس وعشرين وستمائة » والصواب ما أثبتناه موافقا للأصل والشذرات

(١٥٤)

تقي الدين أبو الفضل سليمان بن حمزة الجماعيلي

سليمان[1] بن حمزة بن أحمد بن الشيخ أبي عمر ، الإمام المتقي ، شيخ المذهب ، مسند الشام ، تقي الدين ، أبو الفضل ، المقدسي ، الجماعيلي الأصل ، الدمشقي الصالحي الحنبلي

ولد سنة ثمان وعشرين وستمائة ، وتوفي سنة خمس عشرة وسبعمائة

ولي القضاء عشرين سنة ، وعزل سنة تسع عن القضاء بالقاضي شهاب الدين ابن الحافظ ، عزله الجاشنكير ، ثم أعيد لما جاء الناصر من الكرك ، فاجتمع به وولاه ، وكان إذا أراد أن يحكم قال : صلوا على رسول الله ، فإذا صلوا حكم ، رحمه الله تعالى وإيانا وجميع المسلمين !

(١٥٥)

أبو عمرو ، سهل ابن هارون

سهل بن هارون بن راهبون ، الدستميساني ، أبو عمرو[2] .

انتقل إلى البصرة ، واتصل بخدمة المأمون ، وتولى خزانة الحكمة له ، وكان حكيما فصيحا شاعرا ، فارسي الأصل ، شعوبي المذهب ، شديد التعصب على العرب ، وله مصنفات كثيرة تدل على بلاغته وحكمته .

وكان نهاية في البخل ، وله فيه حكايات ، قال دعبل : كنا عنده يوما ، فأطلنا القعود حتى كاد يموت جوعا ، ثم قال : ويحك ياغلام ! غدنا ، فأتى بقصعة فيها ديك مطبوخ ، فتأمله ثم قال : أين الرأس ؟ قال : رميت به ، فقال : والله إني لأمقت من يرمي برجليه فكيف برأسه ، ولولا أني أكره ما صنعت إلا الطيرة والفأل لكرهته ، أما علمت أن الرأس رئيس الأعضاء ، ومنه يصيح الديك ، ولولا صوته ما أريد ، وفيه فرقه الذي يتبرك به ، وعينه التي يضرب بها مثل في الصفاء

---

(١) له ترجمة في شذرات الذهب ٣٥/٦ – ٣٦ ، وهو المشهور بابن قدامة المقدسي الحنبلي ، مولده في منتصف رجب ٦٢٨ ووفاته ليلة الاثنين حادي عشر ذي القعدة سنة ٧١٥ وله ترجمة وخبر في النجوم الزاهرة ٢٣١/٩

(٢) له رسالة في الرد على من ذم مذهبه في البخل ، وهي أول ما ذكره الجاحظ في البخلاء بعد التصدير ، وله ترجمة في فهرست ابن النديم ١٧٤ مصر ، وفي معجم الأدباء ٢٦٦/١١ ، وكانت وفاته في سنة ٢١٦ والدستميساني نسبة إلى دستميسان بفتح فسكون ففتح فميم مكسورة — وهي كورة بين واسط والبصرة والأهواز ، وهي إلى الأهواز أقرب

فيقال : شراب كمين لديك ، ودماغه عجيب لوجه الكلية ، ولم تعطنا أهش تحت الأسنان منه ، وهل ظننت أنى لا آكله ؟ [إن كان ذلك] إن العيال يأكلونه ، وإن كان قد بلغ من نُبلك أنك لا تأكله فعندنا من يأكله ؟ أو ما علمت أنه خير من طرف الجنح ومن رأس الدنق ، أعطنيه أين هو ، فقال : والله ما أدرى أين هو ، ولا أين رميت به ، فقال : أنا أدرى أين رميت به ، رميت به فى بطنك ، قاتلك الله !

وعمل كتابا فى البخل ومدحه ، وبعثه إلى الحسن بن سهل يستمنحه ، فوقع إليه الحسن بن سهل : لقد مدحت ما ذم الله ، وحسنت ما قبح ، وما يقوم لفساد معناك صلاحُ لفظك ، وقد جعلنا ثوابك قبول قولك ، فما نعطيك شيئا .

ومن شعره رحمه الله تعالى :

تقسمنى همان قد كسفا بالى	وقد تركا قلبى محلة بلبال
هما أذريا دمعى ولم تدر عبرتى	ربيبة خدر ذات قرط وخلخال
ولا قهوة لم يبق منها على المدى	سوى أن تحاكى النور فى رأس ذبال
ولكننى أبكى بعين سخينة	على حدث يبكى له عين أمثالى
فراق خليل مثله يبعث الأسى	وخلة حال لا تقوم بها حالى
فوا أسفا حتى متى القلبُ موجعٌ	بفقد خليل أو تعذر إفضال
فما العمر إلا أن تجود بنائل	وإلا لقاء الأخ ذى الخلق العالى

(١٥٦)

سلاّر ، الأمير ، سيف الدين ، التترى ، الصالحى ، المنصورى[1] .

الأمير سيف الدين سلار التترى الصالحى

كان أولا من مماليك الصالح علاء الدين على بن المنصور قلاوون ، فلما مات الصالح صار من خاصة المنصور ، ثم اتصل بخدمة الأشرف ، وحظى عنده ، تأمر ، وكان عاقلا ، تاركا للشر ، ينطوى على دهاء وخبرة بالأمور ، وفيه دين

(١) انظر النجوم الزاهرة ٩/١٩٩ و ٢ وما بعدها ، ثم انظر بقية المواضع المذكورة فى فهرس الجزء التاسع

بالجملة ، وكان صديق السلطان حسام الدين لاجين ونائبه منكوتمر ، تقدّمه لأمراء لإحضار السلطان الملك الناصر من الكَرَك ، فسار إليه وأحضره ، وركن إلى عقله واتزانه ، فاستنابه ، وقرّبه على الجميع ، فخضعوا له ، ونال سَلّار من سعادة الدنيا مالا يوصف ، وجمع من الذهب قناطير مقنطرة ، حتى اشتهر على ألسنة الناس أنه كان مدخله كل يوم مائة ألف درهم ، واستمر فى دَسْت النيابة إحدى عشرة سنة ، وكان إقطاعه بضعة وثلاثين طبلخاناه .

ولما توجه الملك الناصر إلى الكَرَك وتملك الجاشنكير استمر فى النيابة ، وازداد عظمة وسعادة ، وأقام على ذلك نسعة أشهر ، فما عاد السلطان من الكَرَك ولاه سلار إلى أمناء الرسل ، ولما دخل مصر أعطاه الشوبك ، فتوجه إليها هو وجماعته ، وتشاغل السلطان عنه ، وخرج سلار عن الشوبك ، ودخل البرية ، وسار يطلب الأمان على أنه يقيم بالقدس بعبد الله عز وجل ، فأجابه السلطان إلى ذلك ، ودخل القاهرة بعد أن بقى أياما فى البرية متردداً بين العرب ينوبه فى كل يوم ألف درهم وأربعون غرارة شعير ، فلما جاء عاقبه السلطان[١] ، واعتقله ومنعه الزاد حتى مات جوعا .

قيل : إنه أكل سرموزته[٢] ، وقيل : خفه ، وقيل : إنهم دخلوا عليه وقالوا له : عفا السلطان عنك ، فقام من الفرح ، ومشى خطوات ، وسقط ميتا .

---

(١) فى النجوم ٩/١٧ « بعد ماقدم على الملك الناصر قبض عليه وحبسه بالبرج من قلعة الجبل ، وذلك فى سلخ شهر ربيع الأول سنة عشر وسبعمائة » ثم قال بعد كلام طويل « ثم إن السلطان طلبه وأمر أن يبنى عليه أربع حيطان فى محبسه ، وأمر ألا يطعم ولا يسقى » ثم قال « وبقى على هذه الحال اثنى عشر يوما ومات »

(٢) فى ب ، ث « زرموزته » والسرموزة : النعل ، وأصلها فارسى ، ومعناه رأس الخف ، وقال الأزهرى :

عاطل رجلى شكت تردّدى إليــه
وكان لى سرموزة قطعتهـا عليــه

والعامة تقول « سرموجة »

وكان أسمر ، لطيف القد ، لحيته فى حنكه ، سوداء ، وهو من التتار الأويراتية مات فى أوائل الكهولة فى سنة عشر وسبعمائة ، ولعله ما بلغ الكهولة ، رحمه الله تعالى !

وأذن السلطان لجاولى أن يتولى جرايته وحيازته ودفنه ، فدفن بتربته عند الكبش بالقاهرة .

وكان طريفاً فى لبسه ، اقترح أشياء فى الملبس ، وهى إليه منسوبة ، وكذلك فى المناديل ، وفى قماش الخيل ، وفى آلة الحرب .

قال شمس الدين الجزرى : قيل : إنه أخذ له ثلثمائة ألف ألف دينار (١) وشىء كثير من الجواهر والخيل والسلاح والغلال مالا يكاد يحصر .

قال الشيخ شمس الدين : وهذا مستحيل ؛ لأن ذلك يجىء وقر عشرة آلاف بغل .

قال الشيخ شمس الدين الجزرى : نقلت من ورقة بخط علم الدين البرزالى قال : رفع (٢) إلى المولى جمال الدين بن الفويرة (٣) ورقة بتفصيل بعض أموال سلار وقت الحوطة عليه فى أيام متعددة : [أولها] يوم الأحد تسعة عشر رطلا بالمصرى زمرد ، وياقوت رطلان ، بَلَخْش رطلان ونصف ، صناديق ستة ضمنها جواهر وفصوص ألماس وغيره ، لؤلؤ كبار مدور مابين درهم إلى مثقال ألف ومائة وخمسون حبة (٤) ذهب مائتا ألف وأربعون ألف مثقال ، دراهم أربعمائة ألف وسبعون ألف درهم يوم

---

(١) فى النجوم ٩/٢٠ نقلا عن الجزرى « وجد لسلار بعد موته ثلاثمائة ألف ألف دينار ، وذلك غير الجوهر والحلى والخيل والسلاح » ثم قال : « قال الحافظ أبو عبد الله الذهبى : هذا كالمستحيل ، وحسب زنة الدينار وحمله بالقناطير فقال : يكون ذلك حمل خمسة آلاف بغل »

(٢) فى ف ، ت « دفع » (٣) فى ب ، ت « النويرة »

(٤) فى النجوم نقلا عن صاحب هذا الكتاب « ألف ومائة وخمسون حبة » وفى المنهل الصافى « ألف وخمسمائة وخمسون » وفى الكلام اختلاف كثير راجع ما هنالك

الاثنين ذهب مائة ألف وخمسون ألف دينار ، وألف ألف درهم وخمسون ألفا ، فصوص رطلان ونصف ، مصاغ وعقود وأساور وزنود وحلق أربع قناطير بالمصرى ، وقصيات وأوانى وطاسات وهواوين وأطباق وغير ذلك ستة قناطير . يوم الثلاث خمسة وأربعون ألف دينار ، وثمانية آلاف ألف درهم ، وأهلة وصناجق ثلاثة قناطير . يوم الأربعاء ذهب ألف ألف دينار ، وثمانمائة ألف درهم ، أقبية ملونة مفرو فاقم[1] ثلاثمائة قباء ، أقبية سنجاب أربعمائة قباء[2] ، سروج مزركشة مائة سرج

ووجد عند صهره الأمير موسى ثمان صناديق كان من جملة مافيها عشرة جواشن مجوهرة سلطانية ، وتركاش مايقوّم ، ومائة ثوب طرد وحش ، وحصر مخبته من الشو ملك خمسون ألف دينار وخمسمائة ألف درهم[3] وثمانمائة حلمة وحركاه[4] أطلس معدنى مبطنة بأزرق وبابها زركش ، وثمانمائة فرس ومائة وعشرون قطار بغال ، ومثلها جمال ، كل هذا سوى الأسم[5] والجوارى والغلمان والأملاك والعدد والقماش

(١) قاقم : دويبة تشبه السنجاب ، وهو أعز قيمة ، ومنه يتخذ الفراء ، ووقع فى ب ، ث « مفره فاقم » تحريف شنيع

(٢) فى النجوم « أقبية حرير عمل الدار ملونة بفرو وسنجاب أربعمائة قباء »

(٣) فى النجوم « وأربعمائة درهم وسبعون ألف درهم »

(٤) فى ب ، ث «وحركاه» تحريف ، والخركاه : بيت من خشب مصنوع على هيئة مخصوصة ويغشى بالجوخ ونحوه ، يحمل فى السفر لتكون فى الخيمة لمبيت فى الشتاء اتقاء من البرد

(٥) فى النجوم « كل هذا خارج عما وجد له من الأغنام والأبقار والجواميس والأملاك والمماليك والجوارى والعبيد »

ذكروا أنه عوقب كاتبه ، فأقرأنه [كان] يحمل إليه كل يوم ألف دينار ما يعلم بها غيره .

وقيل . إن مملوك[1] دلهم على كنز له مبنى فى داره ، فوجدوا أكياسا وفتحوا بركة فوجدوها مملوءة أكياسا ، ثم مات الدنس بتحسر على الحجر الباس .

قال الشيخ شمس الدين : وحدثنى شيخنا فخر الدين أن إنسانا حدثه قال : دخل العام شونة ستلأر ستمائة ألف أردب ، والله تعالى أعلم بغيبه وأحكم .

---

(١) وردت هذه العبارة فى النجوم ٩/٢٣ هكذا «ودل مملوكه على مكان مبنى فى داره ، فوجدوا حائطين مبنيين بينهما أكياس ما علم عدتها ، وفتح مكان آخر فيه فسقية ملآنة ذهبا منسبكا بغير أكياس»

حرف الشين المعجمة

(١٥٧)

شافع بن على الكنانى العسقلانى المصرى

شافع بن على بن عباس بن إسماعيل بن عساكر[١] ، الكنانى ، العسقلانى ، المصرى ، سبط القاضى محيى الدين[٢] بن عبد الظاهر الإمام ، الأديب ، ناصر الدين .

ولد سنة تسع وأربعين وستمائة ، وتوفى سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة .

كان باشر الإنشاء عصر زمانا ، إلى أن أضرّ ، لأنه أصابه سَهم فى نوبة حمص الكبرى سنة ثمانين وستمائة فى صُدغه ، فعمى ، وبقى ملازما لبيته ، إلى أن توفى .

روى عن الشيخ جمال الدين بن مالك وغيره ، وروى عنه الشيخ أثير الدين أبو حيان ، والشيخ علم الدين البرزالى وغيرهما ، وله النظم الكثير ، والنثر الكبير ، وكتب المنسوب ، وكان جامعا للكتب ، خلف ثمانى عشرة خزانة مملوءة كتبا نفيسة أدبية ، وكانت زوجته تعرف ثَمَنَ كل كتاب ، و بقيت تبيع منها إلى سنة تسع وثلاثين وسبعمائة .

وكان إذا لمس الكتاب وجسّهُ ، قال : هذا الكتاب الفلانى ، وملكْتُهُ فى الوقت الفلانى ، وكان إذا أراد أىّ مجلد قام إلى خزانته ، وتناوله كأنه الآن وضعه بيده .

ومن شعره :

قال لى مَنْ رأى صباحَ مشيبى عن شمالى من لِمّتى ويمينى
أىّ شىء هذا ؟ فقلت مجيبا : ليـل شكٍّ محاه صبحُ يقينى

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

تعجبت من أمر القرافة إذ غدت على وحشة الموتى لهـا قلبنا يصبو

---

(١) له ترجمة فى نكت الهميان ص ١٦٣ يكاد يكون أولها بنفس عبارة المؤلف
(٢) فى النكت « سبط القاضى رشيد الدين عبد الظاهر »

فألفيتها مأوى الأحبـــة كلهم ومستوطَنُ الأحبابِ يَعْشُوله القلبُ

وله أيضا غفر الله له :

شكا لى صديق حُبَّ سوداء أعرضت بعضُ لسانٍ لا تُمَــلُّ له وردا
فقلت له : دعها تلازم مصـــه فــــاء لسان الثور يصلح السَّوْدَا

وقال فى مليح وسطه مشدود بنَدٍ أحمر :

وبى قامة كالسمهرى تمايلت وكالرمح فى طعنٍ نفذ وفى قد
جرى من دمى نحو السهم فراقه فخصبا به ماء على الخصر من بند

وأحسن منه قول ابن قرناص الدوباش :

مَنْ مجيرى من شادن بهواه لى شُغْلٌ عن حاجر والعقيق (١)
خصره تحت أحمر البند يحكى خنصرا فيه خاتم من عقيق

وقال شافع أيضا رحمه الله :

لقد فاز بالأموال قوم تحكموا وكان لهم مأمورها وأميرها
تقسَّمهم أكياسُها شر قسمة فمنا غواشيها ، وفيهم صدورها

وقال فى سجادة حمراء

عجبوا إذ رأوا بديع احمرار حسن ســـجّادة بظل مديد
ثم قالوا : من أىّ ماء تروّى؟ قلت : ماء الوجوه عند السجود

وقال فى ممسحة القلم :

وممسحة تناهى الحسن فيها فأضحت فى الملاحة لا تُبارى
ولا نكر على القــلم الموافى إذا فى ضمها خلع العذارا

(١) الشادن : ولد الظبية ، ويقال « شدن يشدن » أى قوى وترعرع ، وحاجر ، والعقيق : كل منهما اسم مكان بعينه.

وكتب إليه السراج الوراق يستشفع به عند فتح الدين بن عبد الظاهر :

أيا ناصر الدين انتصر لى ، وطالما ظفرت بنصر منك فى الجاه والمال
وكن شافعى فالله سماك شافعاً وطابقت أسماء بأحسن أعمال
وقدرك لم يجهله عبد محمد لأن ابن عباس من الصحب والآل

وقال أيضاً فى المعنى :

سيدى اليوم أنت سيف كريم فاق معناً فى جوده بمعان[1]
لو رأى الفتح سؤدد الفتح هذا ما انتمى بعده إلى خاقان[2]
أو رآه الفتح المقارب حَلَّى بحلاه قلائد العقيان
وكأنى أرا كما فى مجار السماك مجرين يلتقيان
وتطارحتما مذاكرةً يفترُّ منها أزاهر الأفنان
فإذا مرّ للصنائع ذكر فاحملانى من بعض من تذكران

(١٥٨)

تقى الدين شبيب ابن حمدان الحنبلى

شبيب بن حمدان ، الأديب الفاضل ، الطبيب الكحال ، تقى الدين ، أبو عبد الرحمن ، نزيل القاهرة ، أخو الشيخ نجم الدين ، شيخ الحنابلة .

ولد بعد العشرين وستمائة ، وتوفى سنة خمس وسبعين وستمائة

سمع ابن رزوبه[3] ، وكتب عنه الدمياطى ، وكان فيه شهامة وقوة نفس ، وله أدب وفضائل ، وعارض « بانت سعاد » بقصيدة منها :

إلى النبىّ رسول الله إنَّ له مجداً تسامى فلا عرض ولا طول
مجداً كَّ الوهم عن إدراك غايته وردّ عقل البرايا وهو معقول

---

(١) أراد بمعن هنا معن بن أوس

(٢) أراد بالفتح هنا الفتح بن خاقان وزير المتوكل العباسى ، وأراد بالفتح فى البيت بعده الفتح بن خاقان الأندلسى الأديب صاحب كتاب « قلائد العقيان »

(٣) فى ب « دوبة »

مطهر شرّف الله العبـــاد به   وشاد فخرا به الأملاك جبريل
طوبى لطيبة، بل طوبى لكل فتى   له بطيب ثراها الجعد تقبيل

قال الشيخ أثير الدين أبو حيان : عرض علىّ ديوانه ، فانتخبت منه ماقرأته عليه ، فمن ذلك قصيدة يمدح فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم :

هذا مقام محمـــد والمنبر   فاستجلِ أنوار الهداية وانظر
والثم ثرى ذاك الجنــاب معفرا   في مسك تربته خدودك وافخر
واحلل على حرم النبوة واستجر   بحماه من جَوْرِ الزمان لمنكر
فهناك من نور الإله سريرة   كشفت غطاء الحق للمستبصر
وجلت دُجى ظلم الضلال فأشرقت   أفقُ الهداية بالصباح المسفرِ
نور تجسم فارتـــقى متجاورا   شرفا على الفلك الأثير الأكبر

وقال أيضا رحمه الله :

انهض فرندُ الصباح قد قدحا   وامزج لنا من رُضابك القدحا
فالزهر كالزهر في حـــدائقه   والطير فوق الغصون قد صَدَحا(١)
في روضـــة فتّحت عرائسها   بدرٌ تقطّر في نظمه سبحا
وصفّق المـــاء في جداوله   ورقّص الغصنُ طــيره فرحا
والزّقُّ بين السقاة تحسبه   أسْـــوَدَ مستسقيا وقد ذُبحا
فعاطني قهـــوة معتقة   تذهب كأسى وتذهبُ الترَحَا(٢)
بكر إذا عرّسَ النــديم بها   وافتضّها المـــاء سبح الفرحا
من كف رَخْصِ البنان معتدل   لولامس المـــاء خدّهُ جرحا(٣)

---

(١) صدح : غنى   (٢) الترح ـ بفتح التاء والراء جميعا ـ الكدر
(٣) رخص البنان ـ بفتح الراء وسكون الخاء ـ طرى الأصابع ، يريد أن أصابعه لينة ليست خشنة الأصابع ، لأنه لا يعمل بها شيئا

يسعى بخمر الدلال مغتبقا ومن سُلاف الشباب مصطبحا(١)

قد تَلِفَ القلب من سوالفه وجدا إذا حدّ بالهوى سرحا

كم لى سفح العقيق من كثب عقيق دمع عليه قد سفحا

وقال أيضا رحمه الله :

وبديعة الحركات أمكنَ حبها حَبَّ القلوب لواعج البرحاء

سوداء بيضاء الفعال ، وهكذا حب النواظر خُصّ بالأضواء

أسرت محاسنها العقول فأطلقت أسرى المدامع ليلة الإسراء

فلئن جننت بحبها لا بدعة أصل الجنون يكون بالسوداء

وقال أيضا غفر الله له :

أمام عذرى العذار رُقيه واحتج لى قده القويم

وصحّ وجدى عليه لما أسقمنى طرفه السقيم

فكم بنعمان من كئيب فارقه بعده النعيم

يزيده لوعة وشوقا حديثُ أيامه القديمُ

وقال رحمه الله تعالى :

ومهفهف قسم الملاحة ربُّها فيه ، وأبدعه بغير مثال

فلخده النعمان روض شقائق ولثغره النظّام عقد لآلى(٢)

ولطرفه الغزال إحياء الهوى وكذاك الإحياء للغزالى

يامن رأى غزلان رامة هل رأى بالله فيهم مثل طرف غزالى

يشبه قول محيى الدين بن عبد الظاهر :

أحيا عيون العاشقين بلحظه الغزال والإحياء للغزالى

---

(١) الاصطباح : الشرب وقت الصباح ، والاغتباق : الشرب وقت العشى

(٢) النعمان والنظام والغزالى : أعلام أشخاص فى الأصل ، والإحياء فى الأصل اسم كتاب من مؤلفات حجة الإسلام الغزالى

(١٥٩)

شرف بن أسد ، المصرى[1] .

شرف بن أسد المصرى

شيخ ماجن ، منهتك ، ظريف ، حليم ، يصحب الكتاب ، ويعاشر الندماء ، ويشبب فى المجالس على القيان .

قال الشيخ صلاح الدين : رأيته غير مرة بالقاهرة ، وأنشدنى له شعراً كثيراً من البلاليق والأزجال والموشحات وغير ذلك ، وكان عامياً مطبوعا ، قبيل اللحن يمدح الأكابر ، ويستعطى الجوائز ، وصنف عدة مصنفات فى شذرات الخلايع والزوائد التى للمصريين والنوادر والأمثال ، ويخلط ذلك بأشعاره ، وهى موجودة بالقاهرة عند من كان يتردد إليهم .

وتوفى رحمه الله تعالى بعد ما تمرض زمانا فى سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة .

قال : وأنشدنى لنفسه رحمه الله تعالى :

رمضان كلك قفوه	وصحح دينك عليه
وأنا ذا الوقت معسر	وأشتهى الإرفاق ليه
حتى تروى الأرض بالنيل	ويباع القرط بدرى
وأعطيك الدرهم ثلاثة	وأصوم شهرين وما أدرى
وإن طلبتنى ذا الوقت	فأنا أشت عسرى
فاستهل سوابح نوابى	لا تزعجنى بحطيه
وتخليني أستقف	طول نهارى للعشيه
لك ثلاثين يوم عندى	أصبر أعطيك مثل مثلين
وإن عسفتنى ذى الأيام	ما أعترف لك قط بدين
وأنكرك واحلف وأقول لك	أنت من أين وأنا من إين

---

(١) لم أعثر له على ترجمة فى غير هذا الكتاب فيما بين يدى الساعة من مصادر الرجال

وأهرب وأقعد فى قامه أوفى قلالى بوشيه
وأحى فى عيد شـوال وأستريح من ذى القصيه
وإلاخذ منى تقـديه فى للمعجل نصف رحلك
صوى من بكره الفطر وأقاسى الموت لأحلك
وأصوم لك شهر طوبه ويكون ذا من فضلك
إيش أنا فى رحمـة الله من أنا بين البريه
أنا إلا عبد مقهور تحت أحكام المَشِيَّة
من زمن نحس مثـلى رمضان خـد ما تيسر
أنت جيت فى وقت لوكان الجيـد فى مثلو أعطر
هون الأمـور ومَشِّى بعجـل ولا تقصر[1]
وخذ أيش ما سهل الله ما الزبونات بالسويه
لى خذ منـه عاجل وامهل المعسر شويه
ذى حرور تذيب القلب ونهار أطـول مِقدام
وانا عـدى أى من صام رمضان فى عـدى الأيام
داك يكون الله فى عونه ويكفر عنـه الآثام
وجميع كلامى هـذا بطريق الضحكيه
والله يعلم ماق قلبى والذى لى فى الطويه

قال الشيخ صلاح الدين حرسه الله تعالى : وضع حكاية حكاها لى بالقاهرة المحروسة ونحن على الخليج شق الثعبان سنة ثمان وعشرين وسبعمائة ، وهى : اجتاز بعض النحاة ببعض الأساكفة ، فقال له : أبيت اللعن والعن يأباك ، ورحم الله أمك وأباك ، وهذه تحية العرب فى الجاهلية قبل الإسلام ، لكن عليك أفضل السلام والسلام ، ومثلك من يعز ويكرم ، قرأت القرآن ، والتفسير

---

(١) فى ث « بجل لا تقصر »

والعنوان ، والمقامات الحريرية ، والدرة الألفية ، وكشاف الزمخشرى ، وتاريخ الطبرى ، وشرحت اللغة والعربية ، على سيبويه ونفطويه ، والحسن بن خالويه ، والقاسم بن كميل ، والنضر بن شميل ، وقد دعتنى الضرورة إليك ، ومثلت بين يديك ، لعلك تتحفنى من بعض حكمتك ، وحُسْن صنعتك ، بنعل تقينى الحر ، وتدفع عنى الشر ، وأعرب لك من اسمه حقيقاً ، لأحدثك رفيقا ، فيه لغات مؤتلفة ، على لسان الجمهور مختلفة ، فمن الناس ، من كنّاه بالمداس ، ومن عامة الأمم ، من لقبه بالقدم ، وأهل شهرزوره ، سموه بالشرموره[1] ، وإلى أحاطتك بلغات هؤلاء القوم ، ولا إثم علىّ فى ذلك ولا لوم ، والثالثة به أولى ، وأسألك أيها المولى ، أن تتحفنى بشرمورة ، أنعم من الوردة ، وأقوى من الصوان ، وأطول عمراً من الزمان ، حالية الحواشى ، مطبقة الحواشى ، لا يتعبر على وشيها ، ولا يزوغ عن مشيها ، لا تعدت إن وطئت بها حروفا ، ولا تنقلب إن طحت بها مكانا مخسوفا ، لا تنزلق من أحل ، ولا يولها ثقل ، ولا تمزق من رحل ، ولا تنفرج ، ولا تعوج ، ولا تتلقوق ولا تتبعج ، ولا تقب تحت الرحل ، ولا تتارق بغير النعل ، ظاهرها كالزعفران ، وباطنها كشقائق النعمان ، أخف من ريشة الطير ، شديدة البأس على السير ، طويلة الكعاب ، عالية الأعتاب ، لا يلحق بها التراب ، ولا يعرفها السحاب ، تصرّ صرير الباب ، وتلمع كالسراب ، وأديمها من غير جراب ، جلدها من خالص جلود المعز ، ما لبسها ذليل إلا افتخر بها وعز ، محروزة كخرز الخروش ، وهى أخف من النقوش ، مسمّرة بالحديد مطبقة ، ثابتة فى الأرض الزلقة ، نعلها من جلد الأفيلة الكبير لا الفطير ، وتوز بنعلو الحقير ، فلما أمسك النحوى من كلامه ، وثب الإسكافى على أقدامه ، ونعشى وتبختر ، وأطرق ساعة وتفكر ، وشدد وتشمر ، وتحرب وتنمر ،

---

(١) انظر الهامشة رقم ٢ فى ص ٣٧٠

ودخل حانوته وخرج ، وقد دخله الحنق والحَرَج ، فقال له النحوى : حشت بما طلبته ؟ قال : لا ، بل بجواب ما قلته ، فقال : قل وأوجز ، وسجع وزجر ، فقال : أخبرك أيها النحوى أن الشمر ساعور ى شطعطات المتقوقل ، والمتميب من حاسب الشرشمكل ، والديوك تصهل كسهيق وقزنق الصولجانات ، والخرفوق هو الفرتاح بيص القرقيطاق والزعرير حواحشوا ويا حيرمس العلير نحنح شمردلوخاط الركمكو ، شع الخبرر بحدوا الفرتاح بن بينوشاح على موى بن شميدوخ على لسان القروان مارلوخ أمك كيت أرض رم المقطاح بالشمردكند محلوط والريق محال الشمس مربوط ممل تشعلعلمات الـكر كبدوس أحموك فى الوليمة يا بس بس باحمار مهيمة ، أعيذك بالرحزاح ، وأعرك بحصى لسان المستراح ، وأرقيك برقوات مرققة فوقوت المطون ، لتخلص من داء البرسام والجنون ، ونزل من دكانه ، مستعيثاً بجيرانه ، وقبض لحية النحوى بكفيه ، وخنقه بأصبعيه حتى خر مغشياً عليه ، وزرزق وجهه وزعر ، ورأى مجانبه واستكبر ، وشمر ونحر ، وتقدم وتأخر ، فقال النحوى : الله أكبر الله أكبر ، ويلك يا هذا المقس ، قل من هذا الهذيان . والسلام

(١٦٠)

شعيب بن محمد المصري، المعري

شعيب بن محمد بن محمد بن محمد بن ميمون ، المزى[١] ، المصرى الأصل .

قال الشيخ أثير الدين : نشأ المذكور بالقاهرة ، ومولده بساحل أبي الحجر بموضع يسمى قرعفر ثانى عشر القعدة سنة ستين وستمائة ، وأنشدنا من نظمه رحمه الله تعالى :

هزُّوا المصونَ معاطفا وقدودا ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ وجلوا من الورد الجَنِيِّ خدود

---

(١) لم أعثر له على ترجمة فى غير هذا الكتاب فيما بين يدى ساعة من مصادر الرجال

وتقلدوا فترى النجوم مَنَاسِمًا ... وتبسّموا فترى الثغور عُقودَا

وعدا الجمال بأسره في أسْرِهِمْ ... فتقاسموه طارفا وتليــدا

فإذا سفرن أهلة وإذا سرحـــن جآذرا وإذا حلن أسودا

وإذا لووا وِرْدَ المدار على القـ ... ـمموا اللوى فوق العقيق ورودَا

رحلوا من الوادي فبت لنسيمه ... أرج ولم أرق ذماء الهيـــدا

ودوت غصونُ البان فيه ولم تَبِنْ ... طربا ولم أسمع به تغـــريدا

فكأنما بانهُ وغصـــونهُ ... وطنَــا رباه وظلـــه ممدودا

نصبوا على ماء العذيب خيامهم ... فلأجلهم عَذُبَ العذيب ورودا

وتحملت ريح الصبا من عَرْفِهِم ... مسكا يَضُوعُ به النسيم وعُودَا

(١٦١)

شفيق بن إبراهيم، البلخي الصوفي

شقيق بن إبراهيم، الأزدي، البلخي، زاهد (١)

أحد شيوخ التصوف، صاحب إبراهيم بن أدهم.

توفي سنة أربع وتسعين ومائة.

له كلام في التوكل معروف، حدّث عن إبراهيم بن أدهم وأبي حنيفة وإسرائيل بن يونس بن أبي إسحاق وغيرهم، وروى عنه حاتم الأصم وابنه محمد ابن شقيق ومحمد بن أبان البلخي مستملي وكيع وغيرهم، وهو من أشهر شيوخ خراسان إلى هدى الطريق.

قال له إبراهيم بن أدهم وهو بمكة: ما بدء أمرك لدى بلدك إلى هذا؟ فذكر أنه رأى في بعض الفلوات طائرا مكسور الجناحين، أتاه طائر صحيح الجناح،

---

(١) له ترجمة في الطبقات الكبرى للشعراني ١/٨٨، وقال عنه و له لسان في التوكل، حسن الكلام، وقيل: إنه أول من تكلم في علم الأحوال بكورة خراسان، صحب إبراهيم بن أدهم، وأخذ عنه طريقته، وهو أستاذ حاتم الأصم» وله ترجمة في الرسالة القشيرية ١٦ بولاق

فى منقاره جرادة ، فتركتُ التكسب ، واشتغلت بالعبادة ، فقال له إبراهيم : ولِمَ لا تكون أنت الطائر الصحيح ، الذى أطعم الطائر المكسور ، حتى تكون أفضل منه ؟ أما سمعت عن النبىّ صلى الله عليه وسلم : « اليد العليا خير من اليد السفلى » . ومن علامة المؤمن أن يطلب أعلى الدرجتين فى أموره كلها ، حتى يبلغ منازل الأبرار ، فأخذ شقيق يد إبراهيم ، فقبلها ، وقال : أنت أستاذنا ، يا أبا إسحاق

وقال حاتم : كنا مع شقيق فى مَصَافّ نحارب الترك فى يوم لا نرى فيه إلا رؤوسا تطير ، ورماحا تقصف ، وسيوفا تقطع ، فقال لى : كيف ترى نفسك يا حاتم فى هذا اليوم ؟ تراه مثل ما كنت فى الليلة التى زُفّتْ إليك امرأتك ؟ قال : لا والله ، قال : لكنى والله أرى نفسى هذا اليوم مثل ما كنت تلك الليلة ، ثم نام بين الصفين ، ودرقته تحت رأسه حتى سمعت غطيطه .

ومات فى غزوة كولان سنة أربع وتسعين ومائة .

قال أبو سعيد الخراز : رأيت البلخى فى النوم ، فقلت : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لى ، غير أننا لا نلحقكم ، قلت : ولم ذاك ؟ قال : لأنا توكلنا على الله بوجود الكفاية ، وتوكلتم بعدم الكفاية ، قال : فسمعت الصّارخ : صَدَقَ ، صدق ، فانتبهت ، وأنا أسمع الصارخ

(١٦٢)

أبو الهيجاء شمهميروز الشاعر

شمهَمِيرُوز بن شعيب بن عبد السيد بن منصور ، أبو الهيجاء ، الشاعر[1] .

---

(١) له ترجمة فى معجم الأدباء لياقوت ١١/٢٧٢ ، قال « أبو الهيجاء الأصبهانى كان أديبا فاضلا شاعرا مجيدا فى النظم والنثر ، له مقامات أنشأها سنة تسعين وأربعمائة وأخذ عن أبى جعفر محمد بن أحمد بن مسلمة وغيره ، ومات سنة ثلاثين وخمسمائة » ثم ذكر نماذج من شعره ، ووقع فى ب ، ت « شمهيرور » تحريف ، وما أثبتناه عن المعجم

كان أديبا فاضلا شاعرا ، أنشأ مقامات أدبية ، وسمع من أبي جعفر محمد بن أحمد بن مسلمة وغيره ، توفي سنة ثلاثين وخمسمائة .

ومن شعره[١]:

وساقٍ بتُّ أشرب من يديه مشعشعة بلون كالنجيع[٢]

بحمرتها وحمرة وجنتيه ونور الكأس في نار الشموع[٣]

ضياء حارت الأبصار فيه بديع في بديع في بديع

---

(١) ومن شعره أيضا :

لا أستلذ العيش لم أدأب له طلبا وسعيا في الهواجر والغلس

وأرى حراما أن يواتيني الغنى حتى يحاول بالعناء ويلتمس

فاحبس نوالك عن أخيك موفرا فالليث ليس يسيغ إلا ما افترس

(٢) المشعشعة : الخمر الممزوجة بالماء ، قال عمرو بن كلثوم :

مشعشعة كأن الحص فيها إذا ما الماء خالطها سخينا

والنجيع : الدم

(٣) في معجم الأدباء « في نور الشموع ».

حرف الصاد المهملة

(١٦٣)

صاعد بن هبة الله بن توما

صاعد بن هبة الله بن توما [١] ، النصرانى ، من أهل بغداد ، وهو من الأطباء المتميزين .

وكان طبيب نجاح الشرابى [٢] ، وارتقت به الحال إلى أن صار وزيره وكاتبه ، ثم دخل على الخليفة الناصر ، وكان يشترك مَنْ يحضر من أطبائه أوقات أمراضه ، وحظى عنده ، وسلم إليه عدة جهات يخدم بها .

وقتل سنة ستمائة ، حضر إليه جماعة من الأجناد الذين كانت أرزاقهم تحت يده ، فخاطبهم ببعض ما فيه مكروه ، فكَمَنَ له اثنان منهم ، وقتلاه بالسكاكين .

وأمر الناصر بحمل ما فى خزانته من الأموال إلى الخزانة ، وتبقى القماش والأملاك لولده ، وكان الذى حمل من خزانته ثمانمائة ألف وثلاثة عشر ألف دينار ، وبقى الأثاث والأملاك بما يقارب تتمة الألف [ألف] دينار .

وكان من ذوى المروآت ، حَسَنَ الوساطة ، جميل المحضر ، قضيت على يديه حاجات .

وقال ابن القِفْطِى : إن الإمام الناصر حصل له ضَعْف فى بصره ، وسهو فى بعض الأوقات ، لأحزان توالت على قلبه ، ولما عجز عن النظر فى القصص استحضر امرأة من النساء تعرف بست نسيم ، وكان خطها قريبا من خطه ، وجَعَلها بين يديه تكتب الأجوبة فى الرقاع ، وشاركها فى ذلك الخادم تاجُ الدين رشيق ، ثم تزايد الأمر بالناصر ، فصارت المرأة تكتب بما تراه ، فتارة تصيب ، وتارة تخطىء ، ويشاركها رشيق فى ذلك ، فاتفق أن الوزير مؤيد الدين القمى كتب مطالعة ، فعاد جوابها وفيه اختلال بين ، فأنكر

---

(١) له ترجمة فى أخبار الحكماء للقفطى (١١٤ مصر) وسماه « صاعد بن يحيى ابن هبة الله بن توما ، النصرانى ، أبو الكرم ، البغدادى » وله ترجمة فى عيون الأنباء لابن أبى أصيبعة (١/٢ ٣)

(٢) فى عيون الأنباء « أنه كان طبيب نجم الدولة أبى اليمن نجاح الشرابى » .

الوزير ذلك ، فوقته صاعد المذكور على ما الخليفة عليه من عدم البصر والسهو الطارئ عليه في أكثر أوقاته وما تعتمده المرأة والخادم في الأجوبة ، فتوقف الوزير عن العمل بأكثر الأمر ، وتحقق المرأة والخادم ذلك ، وحدثنا أن الطبيب هو الذي دل على ذلك ، فقرر الخادم مع رجلين من الجند أن يقتلا الحكيم ويقتلاه .

وكانت قتلته سنة عشرين وستمائة ، وأمسك عاملاه وصلب

(١٦٤)

صالح بن
عبد القدوس
الشاعر

صالح بن عبد القُدُّوس بن عبد الله بن عبد القدوس[1] .

استقدمه المهدى من دمشق .

قال المرزبانى : كان حكيم الشعر ، زنديقاً ، متكلماً ، يقدمه أصحابه في الجدال عن مذهبهم ، وقتله المهدى على الزندقة شيخاً كبيراً ، وهو القائل :

ما تبلغ الأعداء من جاهل ما يبلغ الجاهل من نفسه

وقال أحمد بن عدى : صالح بن عبد القُدُّوس بصرى ، ممن كان يعظ الناس في البصرة ويقص عليهم ، وله كلام حسن في الحكمة .

ومن شعره :

يا صاح لو كرهت كفى منادمتى لقلت إذ كرهت كفى لها بينى
لا أبتغى وصل من لا يبتغى صلتى ولا أبالى حبيباً لا يباليــــنى

وله أيضاً رحمه الله تعالى :

أنِستُ بوحدتى ولزمت بيتى فتم العــــزُّ لى ونما السرور
وأدبنى الزمان فليت أنى هُجرت فلا أزار ولا أزور
ولست بســائل ما دمت حياً أقام الجنــــد أم نزل الأمير

---

(١) له ترجمة في معجم الأدباء لياقوت (٦/١٢) وفي تاريخ بغداد لأبي بكر الخطيب البغدادي (٩/٣٠٣)

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

لا يعجبنك مَنْ يصون ثيابه   حذر الغبار وعرضُهُ مبـذولُ
ولربما افتقر الفتى فرأيتـه   دنس الثياب وعرضه مغسول

وضرب به المهدي بيده بالسيف فجعله نصفين ، وعلق ببغداد .

قال أحمد بن عبد الرحمن : رأيت ابن عبد القدوس في المنام ضاحكا ، فقلت له : ما فعل الله بك ؟ وكيف نجوت مما كنت تُرْمَى به ؟ قال : إني وَرَدْتُ على ربّ ليس يخفى عليه خافية ، وإنه استقبلني برحمته ، وقال : قد علمت براءتك مما كنت ترمى به

(١٦٥)

أبو بحر صفوان بن إدريس

صفوان بن إدريس ، أبو بحر ، الكاتب البليغ[1]

كان من جلة الأدباء ، وأعيان الرؤساء ، فصيحاً ، جليل القدر ، له رسائل مليحة ، وكان من الفضل والدين بمكان ، توفي وله سبع وثلاثون سنة .

ومن شعره :

يا حسنه والحسن بعضُ صفاتِهِ   والسحر مقصـور على حركاته
بدر لو أن البـدر قيل له اقترِحْ   أملاً لقال أكون من هالاته[2]
والخال ينقُطُ في صحيفة خـده   ما خط حبر الصُّدْغ من نوناته
وإذا هلالُ الأفقِ قابل وجهه   أبصرته كالشكل في مرآته
عبثَتْ بقلب محبـه لحظاته   يا رب لا تعبث على لحظـاته
ركب المآثم في انتهاب نفوسنا   فالله يجعلهنَّ من حسـناته
ما زلت أخطب للزمان وصاله   حتى دنا والبعد من عاداته

(١) له ترجمة في معجم الأدباء لياقوت (١٢/١٠) وفي « نفح الطيب ، من غصن الأندلس الرطيب » للمقري (٦/٣٦٥ – ٣٧٦ تحقيقنا)
(٢) الهالات : جمع هالة ، وهي دارة القمر

ظفرت ذنب الدهر منه بليلة ⁂ غلطت على ما كان من زلاته

غفل الرقيب فنلت منه نظرة ⁂ ياليته لو دام في غفلاته

صاحبته والليل يذكي نجمه ⁂ ما بين من نفسي ومن وجناته

بتنا بمشمع والعفاف نديمنا ⁂ حربين من عذلي ومن كلماته

حتى إذا ولع الكرى بجفونه ⁂ وامتد في عضدي طوع سناته[1]

أوثقته في ساعديّ لأنه ⁂ ظبي خشيت عليه من فتاته[2]

فضممته ضمّ البخيل لماله ⁂ يحنو عليه من جميع جهاته

عزم الغرام عليّ في تقبيله ⁂ فنقضتُ أيدي الطوع من عزماته

وأبى عفافي أن أقبل ثغره ⁂ والقلب مطويّ على جمراته

فاعجب لملتهب الجوانح غلة ⁂ تشكو الظما والماء في لهواته[3]

وقال من قصيدة رحمه الله :

حكمتمُ ومنّ لولا اعتدال الكرمُ ⁂ في حكمكم لم يكن للحكم يعتدل

هوى أتمّ في أنفه شمم ⁂ وإنما أنتم في طرفه كحل[4]

يرى اعتناق العوالي في الوغى غزلا ⁂ لأن حراسها من قومه مقل[5]

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

أضحى الهوى حده وأوقد ⁂ فهو على أن يموت أو قد[6]

وقال عنه العذول سالٍ ⁂ قلده الله ما تقلد

وبالهوى شادنٌ عليه ⁂ جيد غزال ووجنةُ فرقد

---

(١) ولع : أغرم وأولع ، والكرى ـ بالفتح مقصورا ـ النوم

(٢) في ب ث « أوسقته » بالسين

(٣) الغلة ـ بالضم ـ حرارة الباطن من عشق أو عطش أو نحوهما

(٤) الشمم ـ بالتحريك ـ ارتفاع قصبة الأنف ، والكحل ـ بالتحريك ـ اسوداد العين خلقة (٥) كذا ، ولعله « لأن حراسها من قومها مقل »

يريد أو قد مات ، أي : أنه مات أو قارب الموت

عَلّله ريقـــــه بخمر حتى انثنى طرفه وعربد

لا تحسبوا لانهزام صبرى جيش أجفانه مؤيد

أناله كالذى تمنى عَبْدٌ، نعم عبده وأزيد

له علىّ امتثال أمر ولى عليه الجفاء والصد

يا حلفت عينه لقتلى صلّى فؤادى على محمد

وعارضها شيخ الشيوخ شرف الدين عبد العزيز الأنصارى الآتى ذكره فى حرف العين إن شاء الله تعالى بقصيدة بديعة ، وهى :

ويلاه من عمىّ لمشرّدْ فيك ومن دمعى المردّدْ[1]

يا كامل الحسن ليس تُلقى مارى سوى ريقك المبرّدْ

يا بدرَ تمّ إذ تجلى لم يُبْقِ عذرا لمن تجلد[2]

أبديت من حالى المورّى لما بدا خدّك المورد

رفقا بولهان مستهام أقامه وجده وأقعـــد

مجتهدا فى رضاك عنه وأنت فى إثمه المقـــلد

ليس له منزل بأرض هنك ولا فى السماء مَصْعَدْ

قيدته فى الهوى فتمم واكتب على قيده محمد

بان الصبا عنه فالتصابى أشد أطرابه فأشد[3]

من لى بطفل حديث سحر نابل عن ناظريه مُسْنَدْ

شتت عنّى نظام عقلى نشتيت ثغر له منضدْ

لو اهتدى لائمى عليه ناح على نفسه وعـدّد

ألسنى نشوة بطرفى سكرت من خمره تعربد

---

(١) العمى — بفتح العين وتضم — النوم ، والمشرد : النافر

(٢) تجلد : تكلف الصبر

(٣) التصابى : تصنع الصبوة والميل إلى جهالة النفس

لا تَتَّهِمْ لى فى سديد رأى | يحرس من سهمه المسدَّد
غصن تقاحل عقد صبرى | بين خصر يكاد يعقد
فى رأى ذلك الوشاح الصـ | ـب ثم صـلى على محمد
خير نبىّ بيسـه قدرٍ | عَوْدِى إلى المدح فيه أحمد

ومن هٰهنا خلص إلى مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم

ومن شعر صَفْوَان .

والسرحة الغناء قد قبضت بها | كف النسيم على لواء أخضر
وكأنّ شكل النبم منخلُ فضةٍ | يرمى على الآفاق رَطْبَ الجوهر

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

وكأنما أغصانهـا أجيادها | قد قلدت بلآلئ الأنوار
ما جاءها نَفَسُ الصبا مستحديا | إلا رَمَتْ بدراهم الأزهار

وقال فى مليح يرمى نارنجا فى بركة :

وشادن ذى غَنَجٍ دله | يروقنا طورا وطورا يَرُوع
يقذف بالنارنج فى بركة | كالاطخ بالدم سَرْد الدروع
كأنهـا أكباد عشاقه | يقذفها فى لج بحر الدموع

وقال أيضاً رحمه الله :

أولع من طرفهِ بحتفٍ | هل يصحب السيف للقتيل[1]
تهيبوا بالحسام قتـلى | فاخترعوا دعوة الرحيل

---

(١) الحتف ـ بالفتح ـ الهلاك

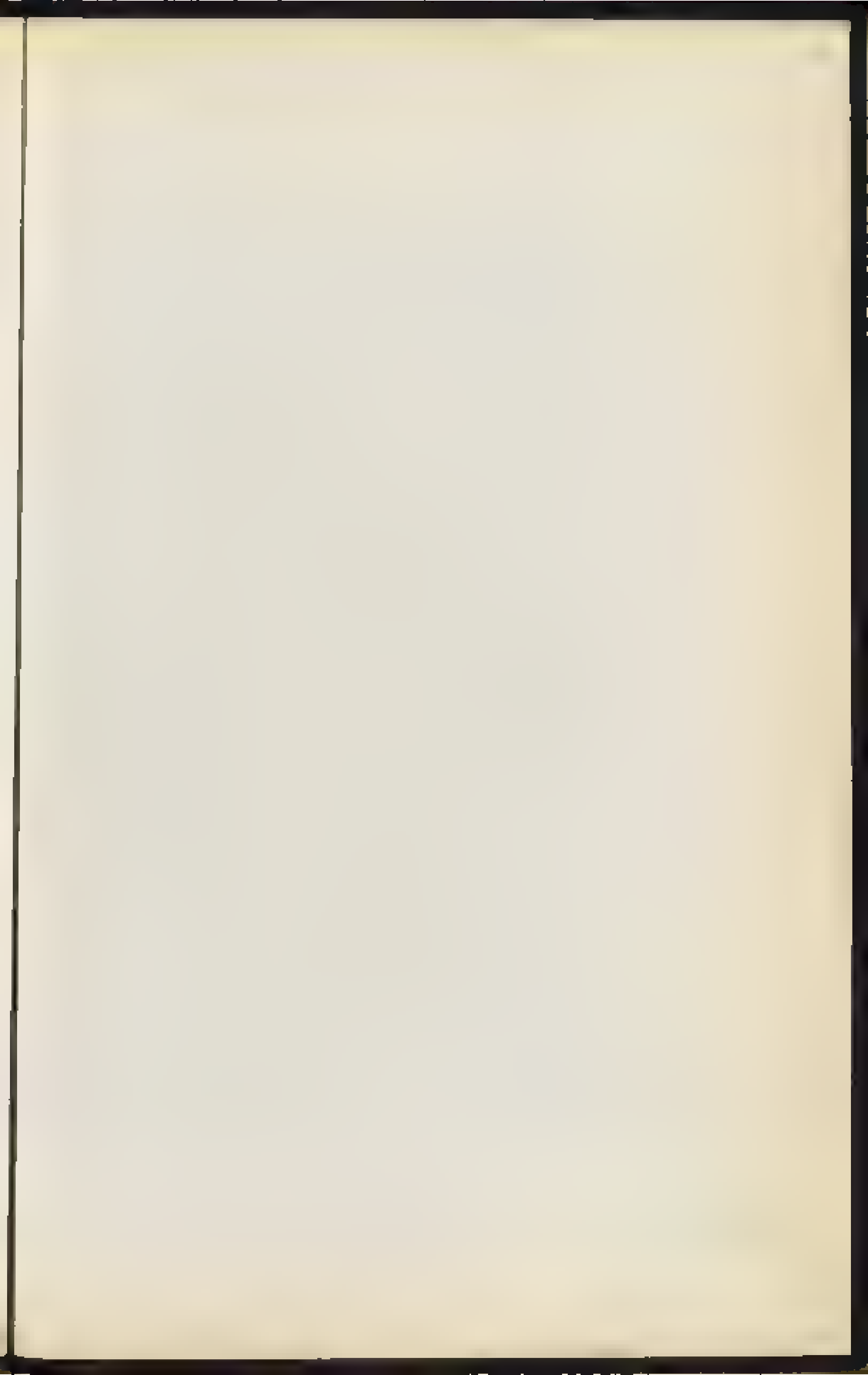

حرف الضاد المعجمة

(١٦٦)

ضياء الدين
ابن إبراهيم
القناوي
النحوي

ضياء الدين[1] بن إبراهيم بن محمد بن حيدرة ، القناوي ، النحوي ، اللغوي ، العروضي ، أبو الحسن .

قال شهاب الدين القوصي : أنشدنا ضياء الدين القناوي[2] سنة تسع وتسعين وخمسمائة قصيدته النحوية التي نظمها وسماها «اللؤلؤة المكنونة ، واليتيمة المصونة» في الأسماء المنكرة ، وهي :

وصنت الشعر من بعضهم يختري عـــــا بعل
يخبرني بألفـــاظ من الإغراب ما الدهثم[3]
في الإقليـد والتقليـد والتهييـد والأهتم[4]
وما النهـاد ولأهدا م والأسمـال والعيهم[5]
وما الألـداد ولإجرا د والأفـراد والمكرم[6]

---

(١) هذا العلم قد وقع في آخر حرف الشين المعجمة ، خطأ ، وقد نقلناه إلى هنا لأن الكتاب مرتب على حروف المعجم (٢) في ب ، ث «القوصي»

(٣) الدهثم ـ بوزن جعفر ـ المكان الوطيء السهل ، ورجل دهثم : سهل الخلق

(٤) الإقليد : المفتاح ، وبرة الناقة . والتقليد : إلزام الأمر ، وأن يجعل في عنق الناقة شعرا يعلم به أنها هدي ، والتهييد : التنبه والملاينة ، وقصد السبب ، والأهتم : الذي ألقى مقدم أسنانه ، ولقب سنان بن سمي بن سنان بن خالد بن منقر

(٥) النهاد : القوي ينهض لعدوه ولصموده ، والأهدام : جمع هدم ـ بالتحريك ـ وهو الشيء المهدوم ، وجمع هدم ـ بالكسر ـ وهو الثوب الخلق ، والأسمال : جمع سمل ـ بالتحريك ـ وهو الخلق القديم أيضا ، ووقع في ب ، ث «الأسماك» بالكاف ، والعيهم ـ بوزن جعفر ـ السريعة ، وناقة عيهم : سريعة

(٦) الألداد ، جمع لغد ـ بالضم ـ وهو لحمة في الحلق ، والإجراد : بكسر الهمزة طول السكوت ، وبفتح الهمزة جمع ورد ـ بوزن كتف ـ وهو الحيي ... والأفراد : جمع فرد ـ بالفتح ـ وهو من لا نظير له ، وهو أيضا السحر

وما الدرّاس والمردا س والقدّاس والأعلم[١]

وما الأوحاص والأدرا ص والقرّاص والأرّم[٢]

وما اليعضيد واليعقيـــد والتدمين والأرقم[٣]

وما الإبكا والأسكا ث والأعلام والأفضم[٤]

وما الأوغال والأوغا د والأوغاب والأقصم[٥]

وما المهموس والملمـــو س والمحلوس والدلثم[٦]

---

(١) الدرّاس : لم أعثر عليه ، والمرداس : الرأس ، وأبو العباس بن مرداس السلمي ، والصخرة يرمى بها . والقدّاس : الحجر ينصب وسط الحوض إذا غمره الماء رويت الإبل ، والأعلم : المشقوق الشفة .

(٢) الأوحاص : جمع وحص — بالفتح — وهي العلة ، ووقع في ب «والأوخاص» بالخاء معجمة ، والأدراص : جمع درص — بالفتح أو بالكسر — وهو ولد الفأر ، والقراص : جمع قارص ، وهو اللبن الحامض ، والأرّم : لم أجده .

(٣) اليعضيد : بقلة زهرها أشد صفرة من الورس ، وقيل : بقلة من بقول الربيع فيها مرارة ، واليعقيد : عسل يعقد حتى يخثر ، وقيل : هو طعام يعقد بالعسل ، والتدمين مصدر «دمّن القوم الموضع» أي سودوه ، و «دمّنت الماشية المكان» بعرت فيه وبالت ، والأرقم : الثعبان .

(٤) الإبكار مصدر «أبكره» أي حمله ، أو [illegible] ، والأسكات : جمع سكت — بالكسر — وهو ما فضل من الحبال لعقد ثانية ، والإعلام — بفتح الهمزة — جمع علم وهو الجبل ، والأفضم : المتعلل المتكسر .

(٥) الأوغال : جمع وغل — بالفتح — وهو الضعيف النذل الساقط المقصر في الشيء ، والأوغاد : جمع وغد ، وهو الأحمق والدنيء ، والأوغاب : جمع وغب وهو سقط المتاع ، والأقصم : الذي انكسرت ثنيته من النصف .

(٦) تقول «رجل مهموس الخصيتين» تريد أنه منزوعهما ، وتقول «هذا إكاف ملموس الأحناء» تريد أنه نحت ما كان فيه من أود وارتفاع ونتوء ، والملموس أيضا المدرك بحاسة اللمس ، والمحلوس لم أعثر عليه ، والدلثم : السريع ، ووقع في ب «الدلثم» تحريف ما أثبتناه .

وما الأوباش والأوشا ب والإيباش والقيهم[1]
وما الإيهات والرَّميت والصِّصان والأورم[2]
وما الجرفاس والدروا س والبرشاع والموصم[3]
وما الأدرام والعوا د والمِعْماد والأدلم[4]
وما الصَّرَمان والقِدْما ن والميدان والديلم[5]
وما اليُؤيُؤ والصئصئ والملباجة الخوثم[6]

---

(١) الأوباش : الأخلاط والسفلة ، واحدهم وبش ـ بالتحريك ـ والأوشاب : الأخلاط والضروب المتفرقة من الناس ، واحدهم وشب ـ بالكسر ـ و الإيباش مصدر « أوبش الرجل إيباشا » إذا أسرع

(٢) الإيهات مصدر « أيهت الجمل » أي أنتن ، والرميت : لم أعثر عليه والصصان : جمع صص ـ بكسر الصاد والفاء جميعا وتشديد النون ـ وهو الأحمر ووقع في ب ، ث « الصصان » تحريف .

(٣) الجرفاس ـ بزنة القرطاس ـ الرجل الضخم الشديد ، والجمل العظيم ، والأسد الهصور ، والدرواس : الكبير الرأس من الكلاب ، والجمل الغليظ العنق ، والأسد ، والشجاع ، والبرشاع : السيئ الخلق ، والمنتفخ الجوف الذي لا فؤاد له ، وقيل : هو الأحمق الطويل ، وقيل : هو الأهوج الضخم الجافي ، والموصم : مصدر ميمي من « وصمه يصمه » إذا عابه

(٤) الأدرام : جمع درمة ـ كشفة ـ وهي الأرنب ، والدرع اللينة ، والعواد : الكثير الرجوع إلى الشيء ، وهو أيضا الضارب بالعود ، والمعماد : الشديد الاعتماد ، ووقع في ب ، ث « والمعاد » بميم واحدة ، والأدلم : الشديد السواد من الناس ومن الجبال

(٥) صرمان الدهر ـ بفتحات ـ حوادثه ، والقدمان ـ بكسر القاف وسكون الدال ـ مصدر من مصادر « قدم الرجل من سفره » أي عاد ، والميدان ـ بفتحات ـ مصدر « مادت الأرض » أي اضطربت ، والديلم : الدواهي ، ومجتمع النمل ، وجيل من الناس

(٦) اليؤيؤ ـ بضم الياءين بزنة قمقم ـ من جوارح الطير يشبه الباشق ، وهو أيضا رأس المكحلة ، والصئصئ ـ بكسر الصادين بزنة زبرج ـ الأصل ، يقال « فلان من صئصئ مجد » أي من أصلهم ، والملباجة : الأحمق الضخم العدم الأكول الجامع لكل شر ، وهو أيضا طلق النحيين ، والخوثم لم أعثر عليه

وما المعـــرور والقدمو   س والقـفزاء والأرثم[1]

وما الإدعان والإقـرا   ن والأفـــدان والنهم[2]

وما الدبعـان والمأحـو   ن والديال والأريم[3]

وما الإعداق والإعـدا   ق والأوزام والصرعم[4]

وما الشهاد والمـــوا   د والجـــلاذ والحيضم[5]

وما الهدام والأســـدا   م والأرزام والأرسم[6]

وما الأحطال والأكرا   د والأشراط والأردم[7]

(١) المعرور: المصاب بالجرب ، والقدموس – بضم القاف – القديم ، والأرثم: الذي ابيض طرف أنفه من الخيل ، ولم أعثر على القفزاء

(٢) الإدعان: مصدر « أدعن له » أي خضع ، والإقران: مصدر « أقرن فلان للأمر » أي أطاقه ، وفي القرآن الكريم (وما كنا له مقرنين) والأفدان: جمع فدن – بفتح الفاء والدال جميعا – وهو القصر ، والنهم: يجوز أن يكون مصدرا ميميا بمعنى النهم وهو كثرة الأكل

(٣) الدبعان: بكسر الدال – اسم القاتل ، ولم أعثر على المأحون ، والديال: الطويل الذيل من الخيل ، والأريم: أفعل تفضيل فعله « رام عن الشيء يريم » أي تباعد

(٤) الإعداق – بالعين المهملة – مصدر « أعدق يده » أدخلها في نواحي البئر والحوض ، والإغداق – بالغين المعجمة – مصدر « أغدق عليه فضله » أي أكثره والصرعم – بزنة جعفر – الأسد كالصرغام والصرغامة

(٥) الشهاد: مبالغة شاهد الذي هو اسم فاعل فعله « شهد إزاره » من باب ضرب أي شمره ، والمواد: مبالغة لائذ ، أي عائذ ، والجلاذ: لم أعثر على معناه ، وكذلك الحيضم

(٦) الأسدام: جمع سدم – بزنة كتف أو عنق – وهو المندفق من الماء ، والأرزام: جمع رزم – بزنة صرد – وهو النبات القائم على الأرض ، والأسد ، والأرسم: الردىء من الرحال ، أو الذي لونه غبرة في سواد

(٧) الأحطال: جمع حطل – بزنة كتف – وهو المقتر الذي يحاسب أهله بما ينفق عليهم ، والأكراد: جمع كرد – بالفتح – وهو العنق أو أصله ، والأردم: العظم يسيل عنا وودكا

وما الزعــــرور والمزو ر والشمرور والأعصم[1]

وما الدقـرور والصـمرو ر والقيـدور والمسـم[2]

وما التعريس والتعـويـــر والتنتـير والأشرم[3]

وما الإرعاف والإترا ف والقـدود والمـبرم[4]

وما الحيطان والبُــدّا نِ والصّيران والمرزم[5]

---

(١) الزعرور — بزنة عصفور — شجر ، وقالوا « رجل زعرور » أى سيء الخلق ، والمزور — بالدال — مثل المذور ، وقد يكون « المزرور » بالنون — أى القليل ، والشمرور أدنى الشعراء ، ويقال له رابع الشعراء ، والأعصم من الظباء ما فى ذراعيه أو أحدهما بياض وسائره أسود أو أحمر

(٢) الدقرور — بالضم — فأس يحفر بها الأرض ، والصمرور : الصمغ الطويل الدقيق ، وهو أيضا أول مايحلب من اللبأ ، والقيدور : لم أعثر عليه ، والمسم — بزنة المكرم — البعير الذى أكل الكلأ حتى عظم سنامه

(٣) التعريس النزول فى آخر الليل ، والتعوير : إتيان الغور ، وغروب الشمس والقمر والنجوم ، والتنتير : تخليط الكلام ، ولكن استعمل بهذا المعنى نتر من باب نصر ، والأشرم : المشروم الأنف ، ولقب أبرهة بن الصباح الحبشى ، لقب به لانخرام أنفه

(٤) الإرعاف . مصدر « أرعف القربة » إذا ملأها حتى يفيض الماء منها ، و « أرعف فلان فلاناً » إذا عجله ، والإتراف مصدر « أترف الرجل » إذا أصر على البغى ، و « أترفت النعمة زيداً » إذا نعمته ، والقدود : لم أعثر عليه ، وربما كان « القندد » بزنة قنفذ أو بفتح أولى الدالين ، وهو الرجل اللئيم الجبان القاعد عن المكارم ، والخامل .

(٥) الحيطان . جمع حائط ، وهو الجدار ، سمى بذلك لأنه يحوط ما فيه ، وهو أيضاً البستان ، وكان قياس الجمع أن يقال « حوطان » لأن عين الكلمة واو ، هكذا قال سيبويه والبدان : تثنية بد — بضم الباء وتشديد الدال — وهو الصنم ، والنظير ، والصيران : جمع صوار — وقد يقال صيار ، بكسر الصاد فى المفردين — وهو القطيع من البقر ، والمرزم — بضم الميم وكسر الزاى — الأسد ، والمرزم — بزنة المنبر — ما يجمع فيه الشيء ، وأم مرزم ريح الشمال

وما الدَّعْــداع والمِذْيا ع والإفـراع والحَلْجَم[1]
وما الأعفاج والأمرا ض والشِّرْيان والأطحم[2]
وما الأصداع والأحلا م والأوخام والمَيْــلم[3]
وما الأرماس والأكرا س والشُّقْدُدْ والمنجم[4]

(١) الدعداع : القصير ، وسير دعداع : فيه بطء ، والتواء ، والمذياع : الذى لايكتم السر ، والإفراع : الانحدار من الجبل ، والحلجم – زنة جعفر – الطويل ، ووقع فى ب « الحلجم » وفى ث « الحلجم » ولم أعثر عليها

(٢) الأعفاج : جمع عفج – بوزن كتف أو أسد أو كلب أو قرد – وهو ماينتقل الطعام إليه بعد المعدة ، والأمراض جمع مرض ، وهو كل ماخرج بالإنسان عن حد الصحة من علة وفتور ونحوها ، ويقال : هو فساد المزاج ، والشريان بفتح الشين أو كسرها شجر القسى ، وواحد شرايين البدن وهى عروقه النابضة ، والأطحم مقدم خرطوم الإنسان والدابة ، وهو أيضا كبش رأسه أسود وسائره كدر

(٣) الأصداع : جمع صدع – بالتحريك – وهو الفتى الشاب القوى من الظباء والحمر والإبل والأوعال ، وهو أيضا المتوسط بين الطويل والقصير وبين السمين والهزيل وبين الدق والمسن ، والأحلام : جمع حلم – بالكسر – وهو العقل ، وفى القرآن الكريم : (أم تأمرهم أحلامهم بهذا) والأوخام : جمع وخم – زنة كتف أوكلب – وهو الرجل الثقيل الكثيف ، والميلم لم أعثر عليه ، وقد يكون محرفا عن « مهيم » وهى كلمة يستفهم بها ، يرادف ما أمرك أو ماحالك أو ما شأنك ، وقد تكون محرفة عن «ملهم» وهو اسم قرية من قرى اليمامة معروفة ، واسم أرض قال فيها طرفة بن العبد :

يَظَلُّ نِسَاءُ الحَيِّ يَعْكُفْنَ حَوْلَهُ يَقُلْنَ عَسِيبٌ مِنْ سَرَارَةِ مَلْهَمَا

(٤) الأرماس : جمع رمس ، وهو مثل القبر وزنا ومعنى ، والأكراس : جمع كرس – بالكسر – وهو أبيات من الناس مجتمعة ، ويقال : هو الجماعة من أى شىء كان ، وهو أيضا الأصل ، والشقدد – زنة قعدد – الطويل الأحمق والتار الحاذق ، ووقع فى ب ، ث « الشقدود » وقد يكون زاد فيه واوا ، والمنجم معروف

وما الصِّرْدان والصَّرَفا ن والصِّرْعان والأسحم (١)
وما الصريع والثُّمْرا د والشِّمْلال والأَرْنَم (٢)
وما الأعشار والقُصَّا ر والأشصار والأخزم (٣)
وما العُصْروف والشُّرْسو ف والهيكون والهيلم (٤)
وما الأرزاح والقَلّا ص والإكراه والقُدُم (٥)

---

(١) الصردان — بكسر الصاد وسكون الراء — جمع صرد، وهو طائر أبقع أبيض البطن أحمر الظهر ضخم الرأس والمنقار له مخلب يصطاد العصافير وصغار الطير، ويكنى بأبي كثير، والصرفان — بفتحات — الموت، والنحاس، والرصاص، وتمر رزين، والعبيد، والصرعان — بالفتح — إبلان ترد إحداهما حين تصدر الأخرى لكثرتهما، وهما أيضاً الليل والنهار، أو الغداة والعشية: من غدوة إلى الزوال صرع، ومن الزوال إلى الغروب صرع آخر، وقالوا «أتيت فلاناً صرعي النهار» يريدون أتيته غدوة وعشية، والأسحم الجبل الذي لا يرعو

(٢) وقع في ب، ث «الصريع» وهو واحد الصرعى، وهو أيضاً القوس لم ينحت منه شيء، والسوط، وقد يكون أصل الكلمة «التصريع» وهو في الشعر تقفية المصراع الأول من البيت ليجعل المصراع الآخر منه، والثمراد — بالكسر — برج صغير للحمام، وقيل بيت صغير في بيت الحمام ليبيض فيه، فإذا جعلت بيوتاً بعضها فوق بعض فهي الخوارب، والشملال — بالكسر — ضد اليمين كالشمال والشيمال ويقال «جمل شملال» أي سريع، و«ناقة شملال» خفيفة سريعة، والأرنم: الأجهر صوتاً، من الرنم — محركة — أي الصوت كالرنيم، ووقع في ب، ث «الأرنم»

(٣) أعشار الجزور: الأنصباء، وقالوا «قدر أعشار» أي مكسرة على عشر قطع، وقيل: معناه أنها عظيمة لا يحملها إلا عشرة، والقصار — بالكسر — القلادة، والأشصار: جمع شصر — بالتحريك — وهو الظبي إذا قوي وتحرك، والأخزم: الحية الذكر، وعلم رجل

(٤) العصروف — ومثله العرصوف — كل عظم حصن ... ، والشرسوف: سقط الضلع، وهو العير المقدم، والداهية، والشدة، والهكون: لم أعثر عليه، والهيلم — كحيدر — الرجل العظيم، والجبان، و ... الواسع الفم، والمشط

(٥) الأرزاح: جمع رزح — بالتحريك — وهو الماء المستنقع، و ... التي ترح أكثرها أو التي لا ... فيها، والقلاص — بفتح القاف وتشديد اللام — ... =

وما الدَّفــلاءُ والقَمْدا ء والحَفْقـاء والأحطم[1]
وما الســاعور والساقو ر والأسروع والأضحم[2]
وما الإبداء والأعـدا ء والأكتاف والأهيم[3]
وما الظنبوب والعكو ر والحنوب والأشيم[4]

=القاموس ، وهو أيضا الشديد من الرجال ، والإكراء مصدر « أكرى الشيء » أي زاد أو نقص ، ضد ، و « أكرى فلان في طاعة الله » سهر ، و « أكرى الأمر » أخره ، و « أكرى الحديث » أي أطاله ، ومقدم الرحل — بضم الميم وسكون القاف وكسر الدال — قادمته ، وهو أيضاً اسم فاعل فعله « أقدم فلان على المكروه » أي هجم عليه وأقبل

(١) الدفلاء : لم أعثر عليها ، ويغلب على الظن أنها محرفة عن « رفلاء » بالراء — وهي الحمقاء ، يقال « رجل أرفل » و « امرأة رفلاء » والقمداء : الطويلة العنق ، وقيل : هي صخمة العنق في طول ، وقيل : هي الطويلة عامة ، والحفقاء — بالفاء — لم أعثر عليها ، وقد تكون محرفة عن « الخلقاء » بالعين المهملة — وهي التي لاتنضم شفتاها على أسنانها ، والرجل أخلع ، والأحطم : الطويل الأنف ، وهي حطماء

(٢) الساعور النار ، والتنور ، ومقدم النصارى في معرفة الطب ، والساقور : الحر ، والحديدة تحمى ويكوى بها الحمار ، والأسروع — بالسين المهملة ، ووقع في ب ، ث « بالشين المعجمة تحريفا — واحد الأساريع ، وهي دود بيض الأبدان حمر الرؤوس يتولد في البقل والأماكن الندية ثم ينسلخ فيصير فراشاً ، تشبه الأصابع به في بياضها وحمرة أطرافها بالخضاب ، والأضحم : الذي في أنفه عوج ، والمرأة ضحماء

(٣) الإبداء : الإظهار ، والأعداء : جمع عدو ، والأكتاف : جمع كتف ، وهو عظم عريض خلف المنكب للناس وغيرهم ، والأهيم : الشديد العطش ، وفي القرآن الكريم (فشاربون شرب الهيم)

(٤) الظنبوب : حرف الساق من قدم ، وقيل : عظمه اليابس من قدم ، وجمعه ظنابيب ، والعكور ، المرأة القصيرة ، والحنوب : الضعيف الذي لاخير فيه ، والأشيم : الذي به شامات — وهي العلامات — والمرأة شيماء

وما الزعــراء والطخيا ... والفوهــاء والجيسم [١]
وما الحصاء والخوصا ... والحيصاء والمرزم [٢]
وما الخلقاء والخلحا ... والعضبـاء والأخثم [٣]
وما الجلباء والسكا ... والكيساء والأصـلم [٤]
وما المرطـاء والمعطا ... والمعضـاء والأعثم [٥]
وما البزعاء والوطبا ... والهـدباء والمخذم [٦]

---

(١) الزعراء : القليلة الشعر ، والطخياء : الليلة المظلمة ، ومالايفهم من الكلام ، والفوهاء : واسعة الفم ، والجيسم – بزنة جعفر – ولد الذئب ، وفرخ النحل ، والظلمة ، والسواد ، والرفيق بالعمل

(٢) تقول وهذه عين حصاء ، أى كثير شحمها ، والخوصاء : الريح الحارة تكسر الإنسان عينه من حرها ، و « الظهيرة الخوصاء » أشد الهواجر حرا ، والحيصاء : لم أعثر عليها ، وقد تكون محرفة عن « الحوصاء » وهي الضيق مؤخر عينها حتى كأنها خيطت ، والرجل أحوص ، والمرزم تقدم

(٣) الخلقاء : الصخرة لا وصم فيها ولا كسر ، أى الملساء ، وحسب البعير ، وباطن الغار ، ومستوى الجبهة ، والخلحاء : التى تشتكى عظامها من عمل أو تعب أو مشى ، ووقع فى ب ، ث « الخلحاء » بحاء مهملة – ولم أعثر عليها ، و العضباء ، المشقوقة الأذن من النوق ، وهو اسم ناقة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، والأخثم : العريض الأنف

(٤) الجلباء : الكثيرة الشعر ، والذكر أجلب ، والجمع جلب بضم الجيم وسكون اللام – والسكاء : الصرع الضيق الحلق ، والكيساء : أنثى الأكيس ، وهو الشديد العطلة ، لكن المستعمل الكيسى – بكسر الكاف – والكوسى – ضمها – والأصلم : المقطوع الأذنين خلقة

(٥) المرطاء : خفيفة شعر الجسد والحاجبين والعينين من عمش ، والمعطاء – بفتح الميم وسكون العين – التى حص شعرها أو سقط ، والمعطاء – بكسر الميم – مبالغة من المعطاء ، والعصاء : الجماعة من الناس والخيل ، والأعثم : الذى لا يفصح

(٦) البزعاء : التى انحسر شعرها عن جانبى جبهتها ، والوطباء : العظيمة الثدى ووقع فى ب ، ث « الوطياء » تحريف ، والهدباء : التى طال هدب عينيها وكثرت أشعارها ، والمخذم – بزنة المنبر – القاطع من السيوف

وما الدعجاء والملحا . والشجراء والميسم[1]
وما القَمياء والخَوْنا . والعَمّاء والقيهقم[2]
وما الجلهاء والجلا . والحَلحاء والشَّجعم[3]

ألا فاسمع لألفاظ حوت علما لمن يعلم
فقد أبنت في شعرى بألفاظ الذى يعجم
فعارضت السجستانى في قولى ولم أعجم
فضمنت قوافيه على مثل الذى نظم
فهذا الشعر لا يدريه إلا عالم فهم
على أنى امتطيت الصعب في قولى ولم أحجم
يؤم الرث إن يجب وإن شا ينقص المبرم[4]
رحلت العيس في البيدا أقول الشعر في المعظم

(١) الدعجاء : الشديدة سواد العين مع سعتها ، والملحاء : السمراء أو الصفراء وقد تكون « الملحاء » بالحاء المهملة — وهو تأنيث الأملح ، والشجراء : الشجر ، والميسم — بزنة المنبر — المكواة يوسم بها الحيوان ، واسم لأثر الوسم ، وهو أيضاً أثر الجمال والملاحة ، يقال « امرأة ذات ميسم » أى ذات حسن وجمال

(٢) القمياء : التى فى شفتها صغرة ، والخوناء : النفس ، والعماء : التى سال شعر ناصيتها حتى ضاقت جبهتها ، وهى أيضاً الكرب والحزن ، و « ليلة عماء » طامس هلالها ، والقيهقم — بزنة جردحل — الذى يبتلع كل شىء

(٣) الجلهاء : التى انحسر شعرها عن مقدم رأسها ، والجلاء — بفتح الجيم ممدوداً وتقال بضم الجيم مقصوراً — الخصلة العظيمة ، وقال الشاعر :

كَمِيشُ الإِزَارِ خَارِجٍ نِصْفُ سَاقِهِ ... صَبُورٍ عَلَى الجُلَّاءِ طَلَّاعِ أَنْجُدِ

والحلحاء : مثل الجلهاء ، وهى أيضاً البقرة لا قرن لها ، والقرية لا شجر فيها ، ووقع فى ب ، ث ، الحلحاء — بحاءين مهملتين — تحريف ، والشجعم — بزنة جعفر — الأسد ، وجسد الإنسان ، أو عنقه ، وهو أيضاً الطويل (٤) كذا

وختم هذه الأبيات بأبيات غزلية ، وهى :

فإن كُنتَ الذى فى قو | له يأتى بما يزعم
وصُغتَ الشعر فى حلّ | وَحَبْلُ الودّ لم يُصْرَمْ
فأخبرنى بأوصاف | عسانى منك أن أعلم
وقلب الأسد مجروح | به شوقا ولم يتكلم
له قدّ كقدّ الغصـ | ـن فى كل الورى يصدم
إذا ما رمت لثم الخـ | ـدّ أو تقبيل ذاك الفمّ
غزال بفتن النسـ | ـك فى حسن ولم يعلم
وفى أحشاه من يهوا | ه وَهْجُ النار إذ يضرم
له وجـه شعاعىّ | حكى فى الحسن بدر التم
جنيت الورد من خده | وذقت الشهد إذ يبسم

وسرد القوصى فى معجمه شرح هذه القصيدة عقيب كل بيت

وتوفى ضياء الدين المذكور سنة تسع وسبعين وخمسمائة بعد ما أضر ، وله تصانيف فى العربية منها كتاب « الإشارة ، فى تسهيل العبارة » و « المقتصر من المختصر » و « تهذيب ذهن الواعى ، فى إصلاح الرعية والراعى » صنفه للملك صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله تعالى !

(١٦٧)

وجيه الدين ضياء بن عبد الكريم المناوى

ضياء بن عبد الكريم ، وجيه الدين ، المناوى .

قال الشيخ أثير الدين أبو حيان : كان عنده علم بالطب والأدب ، وكان أضرّ ، رأيته بالقاهرة ، وجالسته بالمشهد ، وأنشدنى من شعره مقطعات ، فمن ذلك قوله

روحىَ معبود الجمال فتاله | شبيه ولا فى حبه لى لائم
تَثَنَّى قنات الغصن من حَسَدٍ به | ألم تره ناحت عليه الحمائم

وله أيضاً رحمه الله تعالى :

من كان يشكو فى الفؤاد حرارة   فعليه بالعَطَّار غــير مقصر
فى ثغــره ماء اللسان مروق   عطر، وفى وجناته الورد الطرى

وقال أيضا غفر الله له :

لا غرْوَ أن صاد قلبى   هــذا الغزال الربيب
أشراك جفنيه هُدْبٌ   بهـــا تصاد القلوب
وفيــه أوصاف حسن   يروق فيهـــا النسيب
فطـــــرفه المتنبى   والسحر وهو حبيب

وله أيضاً رحمه الله تعالى :

قربت كأس راح من حدّه   أروغ معطارا عطـــار
فقال لى الندمان هذا الذى   يسعى إلى الجنــة بالنار

وقال أيضاً عفا الله عنه

سألت الغصن لِمْ تعرى شتاء   وتبدو فى الربيع وأنت كاسى
فقال لى الربيع على قدوم   خلعت على البشير به لباسى

وقال أيضاً فى المعنى :

قد دق القلب مدوقة   وخُنٌ صبها هو مفتون
واعجبا الحب من فعله   بشعره قيـــد مجنون

وقال :

جاء من لحظه بسحر مبين   بفتور من جفنه وفتون
وثنى قدّه الصبا فى تثنيـــه فواضحلة الصبا والغصون
قمرٌ بِتُّ فى هواه رشادى   ضـــلال ولست بالمغبون
لا عجيب أنى ضللت بليل الشَّعْـــر لكن أهدى بصبح الجبين
فيه ما تشتهى النفوسُ من الحســـن وتلتذهُ لحاظُ العيونِ

سال دمعي إذ سال في خدّ من أهــــوى عذار كالمسك للتزيين
صبيب من سائلَيْنِ غنيٌّ منضار وسائل مسكين
ويك يا سعد دَعْ قديمَ حديثٍ عن أناس وخذ حديث شجون
كلّ حسن الأنام دون الذى أهــــوى وكل العشاق في الحب دونى
قسها بالقُــدُود مالت من التيــــه وما في أغصانها من لين
وسهام الألحاظ ترمى بها الأصــــداغ من قوس حاجب كالنون
ودلال الحبيب والوصل والتيـــه وحكم الهوى يالها من يمين
لا تناسيت بالمـــلام عهودا أحكمت عَقْدها عَلَيَّ يمينى
لو تناسيتهــــا لعاشق عالى فى اعتذارى إلى وفاء ودين

حرف الطاء المهملة

(١٦٨)

أبو سعيد مجير الدين طاشتكين المستنجدي

طاشتكين[1] ، الأمير الكبير ، مُجيرُ الدين[2] ، أبو سعيد ، المستنجدي[3] .

صار ولده المستضيء ولى أمره ، ركب العراق سنين عديدة ، وولى الحلة المزيدية ، وولى تستر وخوزستان ، وكان متمحنا ، كريما ، حسن السيرة ، وافر الحشمة ، شجاعا ، حليما ، وكان شيعيا .

وتوفى سنة اثنتين وستمائة

وكان قليل الكلام ، يمضى عليه الأسبوع ولا يتكلم

استغاث إليه رجل يوما ، فلم يكلمه ، فقال له الرجل الله كلم موسى ، فقال له : وأنت موسى؟ فقال الرجل . وأنت الله[4] ؟ فقال طاشتكين : قال ابن التعاويذي :

وأمير على البـــــلاد مُوَلّى ... لا يجيب الشاكى بغير السكوت

كلما زاد رفعـــــة حطنا الله ... بتعويـــــله إلى الهبوط

وقام يوما إلى الوضوء ، فحل جواسنه (١) وتركها موضعه ، وكانت تساوى خمسة آلاف دينار ، فسرقها فراش وهو يشاهده ، فقال أستاذ داره : اجمعوا لى الفراشين ، وهاتوا المعاصير ، فقال طاشتكين : لا تعاقب أحدا ، فإن الذى أخذها ما يردها ، والذى رآه ما يغمز عليه ، فلما كان بعد مدة رأى على ذلك الفراش ثيابا جميلة وحالة ظاهرة ، فاستدعاه سرا ، وقال: بحياتى هذا من تلك ؟ فخجل ، فقال : لا بأس عليك ، فاعترف ، فلم يعارضه .

---

(١) له ترجمة فى شذرات الذهب ٥/٨ ، وقال عنه « أمير الحج العراقى . . حج بالناس ستا وعشرين سنة » وفى النجوم الزاهرة ٦/١٩٠ ، وقال عنه : « طاشتكين ابن عبد الله المقتفوى مجير الدين أمير الحاج » وفى تاريخ ابن كثير ١٣/٤٥ ، وقال « كان شيخا خيراً حسن السيرة كثير العبادة غاليا فى التشيع »

(٢) فى ب ، ث « مجير الدين » محرفا ، وقد ورد فى الشذرات « ويلقب مجير الدين » وغيره فى النجوم الزاهرة وابن كثير

(٣) فى النجوم الزاهرة « المقتفوى » نقلا عن رواية من عقد الجمان والذيل على الروضتين ، وفى رواية أخرى من العقد كما هنا وكذا فى ابن كثير

(٤) فى ب ، ث « فقال الرجل : أحمار أنت » وما أثبتناه عن الشذرات

وكان طاشتكين قد جاوز تسعين سنة ، فاستأجر أرضا وقفا مدة ثلثمائة سنة على جانب دجلة ليعمرها دارا ، وكان في بغداد رجل محدّث يحدّث في الخلق يسمى فتيحة ، فقال : يا أصحابنا ، نهنيكم ، مات ملك الموت ، فقالوا . وكيف ذلك ؟ فقال . طاشتكين عُمْرُهُ تسعون سنة ، وقد استأجر أرضا ثلثمائة سنة ، فلولم يعلم أن ملك الموت قد مات ما فعل هذا ، فتضاحك أصحابه .

وتوفى بتستر ، وأمر أن يحمل إلى مشهد علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، ودفن هناك ، والله أعلم .

(١٦٩)

طه بن إبراهيم الإربلي

طه بن إبراهيم ، الإربلى[1] .

من شعره :

دع النجوم لطرقىّ يعيش بها ... وانهض بعزم صحيح أيها الملك

إن النبىّ وأصحاب النبىّ نَهَوْا ... عن النجوم وقد عاينت ما ملكوا

(١٧٠)

أبو فراس طراد بن علي الدمشقي البديع

طراد بن على بن عبد العزيز[2] ، أبو فراس ، السلمى ، الدمشقى ، الكاتب ، المعروف بالبديع .

مات متوليا بمصر سنة أربع وعشرين وخمسمائة .

وكان آية فى النظم والنثر .

---

(١) ذكره فى شذرات الذهب ٥/٣٥٧ فى وفيات سنة ٦٧٧ وقال عنه : « كمال الدين ، أبو محمد ، طه بن إبراهيم بن أبى بكر ، الإربلى ، الشافعى ، قال الأسنوى : كان فقيها أديبا ، ولد بإربل ، وانتقل إلى مصر شابا ، وانتفع به خلق كثير ، وروى عنه جماعة منهم الدمياطى . ومات بمصر فى جمادى الأولى وقد نيف على الثمانين » اهـ

(٢) له ترجمة فى تاريخ دمشق (المختصر ٧/٥١) وقال « كان حيا سنة ثمانين وأربعمائة » وفى معجم الأدباء لياقوت ١٢/١٩ وليس فى أحدهما ذكر ولايته بمصر

ومن شعره :

يا نسيما هبّ مسكا عَبِقا ... هــذه أنفاس ريّا جلّقا
كُفّ عنى والهوى ما زادنى ... بَرْدُ أنفاســك إلا حُرَقا
ليت شعرى نقضوا أحبابنا ... يا حبيب النفس ذاك الموثقا
يا رياح الشوق سوقِ نحوهم ... عارضا من سُحْبِ عيني غدِقا
وانثرى عقد دموع طالما ... كان منظوما بأيام اللقا

اشتهرت هذه الأبيات ، وغنى بها المغنون ، قال بعضهم : مررت يوما ببعض شوارع القاهرة ، وقد ظهرت جِمال كثيرة حولها تفاح تجىء من الشام ، فعبقت روائح تلك الحمول ، فأكثرت التلفت لها ، وكانت أمامى امرأة سائرة ، فظنت لما داخلنى من الإعجاب بتلك الرائحة ، فأومأت إلىّ وقالت :

« هذه أنفاس ريّا جلّقا »

ومن شعره :

هكذا فى حبكم أستوجب ... كَبِدٌ حرّا وقلب يجبُ
وجزا من سَهِرتْ أجفانه ... حِجّة تمضى وأخرى تعقب[1]
زفراتٌ فى الحشى محرقة ... وعيون دمعها ينسكب
قاتل الله عذولى ما درى ... أن فى الأعين أسدا تثِبُ
لا أرى لى عن حبيبى سَلْوَةً ... فدعونى وغرامى واذهبوا

وقال وقد جلس فى آخر مجلس :

قيل لى لِمْ جَلَسْتُ فى آخر القو ... م فأنت البديع رب القوافى
قلت : آثرته لأن المنديــــل يُرَى طرزها على الأطراف[2]

---

(١) حجة — بكسر الحاء — سنة

(٢) فى ب ، ت « قلت إخترته » وآثرنا إثبات ما فى الصحيح لخلوه عن الضعف بقطع همزة الوصل

وقال من قصيدة مدح بها أبا النصر بن قاضي الصعيد :

هل البين أيضاً مغرم بمشق الهاما	فيأخــــذ قضباناً ويدفعُ مرّانا
أيا عاذليّ اللاحِيَيْن صدعتما	فؤادا بأنواع الـكآبة ملآنا
أيحمل بالسالى يفنّدُ عاشقا	ويحسن بالصاحى يعاتب سكرانا
فراق الفتى أحبابهُ مثل موته	فليت الردى من قبل فرقتهم كانا
أيا دهر لاتسطك دبى إن ناصرى	أبو النصر فاعلم أنه دم غيانا

وقال فيه أيضاً رحمه الله :

حاكِمُكُمْ ميبسة	ليس يساوى العلقا
وليس فيـه مضغة	طيبـــة إلا القفا

فأمر القاضي بسجنه ، فقال :

أصبحت بين مصائب	من كيد ذات حِرٍ حَمِين
أنا يوسف أمرت بسجــــى زوجة	القاضى المكين

(١٧١)

أبو المعالي طغرل شاه محمد بن الحسين الكاشغرى

طغرل شاه محمد بن الحسين بن هاشم ، الـكاشغرى ، أبو المعالى ، بن أبى جعفر الواعظ [١] .

كان له معرفة بالتفسير والأدب ، وكان حسن الوعظ ، كثير الحفظ ، جوّالا فى البلاد .

ومولده سنة تسعين وأربعمائة ، وتوفى سنة ستين وخمسمائة .

ومن شعره :

عبث الدلال بعطفها فتمايلت	عبث النسيم بناعم ميّاس
فرأيت غصن البان يثْنيه الصبا	من فوق حِقْفِ الرمل للمقياس

---

(١) لم أعثر له على ترجمة فى غير هذا الكتاب فيما بين يدى الساعة من مصادر الرجال

ومنها فى المديح :

الجاعل الأموال جُنَّةَ عِرْضِهِ ... والمستهين به على الإفلاس
عرفت فضائله بعرف نجاره ... والزند يعرف من سنا المقباس

وأورد له محب الدين بن النجار فى تاريخه :

صَدَّ بعد اللِّقَا وأبدى القطيعه ... مَنْ غدا قلب كل صب مُطيعَهْ
شادن مقلتاه غَزْنَا حُسَامٍ ... جفنه الجفن والحجاج القبيعه
كل وقت تُبْدِي اللواحظ منه ... غارة فى القلوب حدٌّ وطيعه
كم أسالت من جفن صب محب ... حين أصمَتْهُ دمعه ونجيعه
حُذُعة حربه تراه إذا را ... م قلوب العشاق أبدى الخديعه
أهْيَفُ الخصر منه رِدْفٌ ثقيل ... ضامن أن يذيبه ويجيعه
تمم الحسن وجهه وكساه ... حلة زان وَشْيَهَا تنميعه
كم سهرت الدموع فى ساعة التو ... ديع أن تُظْهِر الهوى وتذيعه
كان يدنى الحياء والليل قد حرّ ... إلى الصبح قطعة وهزيعه
يا بديع الجمال فى كل يوم ... فتنة بالقلوب منك بديعه
ينفث السحر إن نظرت بطرف ... لايداوى الدرياق مجن اللسيعه
أقسمت مُقْلَتَاك بالغَنْجِ منها ... أنها لا تقيل قَطُّ صريعَهْ
رب ليل قطعته بِكَ لهوًا ... آمنا من تفرق وقطيعه
غار بدر السماء لما رآنى ... لاغ شَبَهَهُ وجهه وضجيعه

قال العماد الكاتب : ورد طلحة هذا إلى البصرة فى زمن الحريرى صاحب المقامات ، وكتب إليه رسالته السينية نظما ونثرا ، وكانت وفاته بعد العشرين والخمسمائة ، رحمه الله تعالى !

(١٧٢)

أبو عبد المنعم طويس بن عبد الله المغني، المدني

طُوَيْس[1] بن عبد الله، أبو [عبد] المنعم[2]، المدني، المغني.

يُضْرَبُ به المثـل في الحذق والغناء، وكان أحول، مفرطا في الطول، ويضرب به المثل في الشؤم؛ لأنه ولد يوم توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفُطِمَ يوم وفاة أبي بكر رضي الله عنـه، وخُتِن يوم مقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وتزوج يوم مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنـه، وولد له يوم مقتل عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه.

وكانت وفاة طويس سنة ثنتين وتسعين[3] للهجرة.

وهو أول من غنى في الإسلام بالمدينة، وأول من هزج الأهزاج، ولم يكن يضرب بالعود، بل كان ينقر بالدف المربع، وكان يسمع الغناء من سبي فارس والروم، فتعلم منهم، وكان يُضْحِكُ الثكلى لحلاوة لسانه وظرفه، وكان مخنثا، فأسقطه جنونه عن طبقة المغنين الفحول، وأول صوت غنى به في الإسلام صَوْتٌ غنى به طُوَيس على عهد عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، وهو:

كيف يأتي من بعيد ... وهو يأتيه القريبُ
نازح بالشـام عنا ... وهو مكـال هَيُوبُ
قد براني الحبّ حتى ... كدت من وجدي أذوبُ

---

(١) له ترجمة في وفيات الأعيان لابن خلكان (الترجمة رقم ٤٩٣) وسماه عيسى بن عبد الله، ونقل عن صحاح الجوهري أن اسمه طاوس و... لما تخنث جعلوه طويسا، وله ترجمة في شذرات الذهب ١/ ١٠٠؛ وفي تاريخ ابن كثير ٩/ ٨٤؛ وسماه عيسى بن عبد الله أيضا

(٢) في ب، ث «أبو نعيم» وما أثبتناه عن ابن خلكان وابن كثير، وفي نسخة من ابن خلكان «أبو عبد النعيم»

(٣) في ب «واثنتين وتسعين» تحريف، وما أثبتناه موافق لما في ث وابن خلكان وابن كثير والشذرات.

وكان من شؤمه يقول : يا أهل المدينة ما دمت بين أظهركم فتوقعوا خروج الدابة والدّجال ، وإن متّ فأنتم آمنون .

حكى أبو الحسن المدايني قال : صعد طُوَيس يوما على جبل حرّاء ، فأعيا ، وسقط كالمغشي عليه تعباً ، فقال : يا جبل ، ما أصنع بك ؟ أشتمك لا تبالي ، أضربك لا يوجعك ، ولكن بإشماتتي منك يوم تفنى كالعهن المنفوش (١)

---

(١) في الشذرات وابن كثير أنه انتقل عن المدينة إلى السويداء ، وهو موضع على مرحلتين منها في طريق الشام ، وأنه توفي هناك عن ثنتين وثمانين سنة

حرف الظاء المعجمة

(١٧٣)

أبو الوليد ظفر بن يحيى ابن هبيرة

ظفر بن يحيى بن محمد بن هبيرة ، أبو الوليد ، بن الوزير أبي المظفر عون الدين ابن هبيرة (١).

كان يلقب شرف الدين ، ناب عن والده في الوزارة .

وكان شابا ظريفا ، لطيفا ، أديبا ، فاضلا ، ينظم الشعر ، امتحن بالحبس أيام والده سنين بقلعة تكريت ، ثم خلص .

ولما توفي الوزير اتصل بالخليفة أنه عزم على الخروج من بغداد مختفيا ، فقبض عليه وحبسه ، ولم يزل إلى سنة اثنتين وخمسين وستمائة ، فخرج من الحبس ميتا ، ودفن عند أبيه

ومن شعره

طَلّ دمٌ بالعتــــاب مطلوب	وطاح دمع في الركب مسكوب
وذَلّ قلب أمسى الغـــرام به	وهو بأيدي الهواة منهوب
يركب في طاعـــة الهوى خطرا	تصرم من دونه الأنابيب
إذا ادْلَهَمّ الدجى أصـــاب له	من زفرات الضلوع ألهوب
لا موعِـــد مُطْمِع ولا أمل	ولا لقاء في العمر محسوب
مقتنعاً من وصاله بِمُـــنًى	أصدق ما عندنا الأكاذيب
ما بعـــد دمعي دمع يُرَق ولا	فوق عذابي لديك تعذيب
لم يبق للناصـــحين من أمل	فيّ ولا للعـــذول تأنيب

وقال يعارض مهيارا الديلمي في قوله :

تَــكَرّ العارضُ يحدوه النُّعامَى	فسقيت الري يا دار أماما (٢)

(١) لأبيه عون الدين أبي المظفر يحيى بن محمد بن هبيرة ترجمة مطولة في شذرات الذهب ١٩١/٤ وتاريخ ابن كثير ٢٥٠/١٢ ، أما هو فلم أعثر له على ترجمة فيما بين يدي الآن من مصادر الرجال

(٢) العارض : السحاب المعترض في الأفق ، ويحدوه : يسوقه ، والنعامى ـ بضم النون ، بزنة الحبارى ـ ريح الجنوب ، وهي أرطب الرياح ، والقصيدة في ديوان مهيار ٣٢٧/٣ وفيه « فسقاك الري »

فقال :

أخلف الغيث مواعيد الخزامى	فقف الأنضاء تستسقى الغماما[1]
وخذ اليمنة من أهل الحى	تلق بالغور حيا وخياما
وأعنى ساعة من عمرى	أملأ الدار شكاة وسلاما
أصف الأشواق فى تلك الربى	وأعاطى الترب شوقا والتثاما
أى حلم خف فى حبهم	وعقول رعصت فيه الملاما[2]
ودموع كلما كفكفتها	زاجر العذل أبت إلا انسجاما
يا ولاة العدل ما دينكم	أحرام فيه أن تقضوا الذماما[3]
قد رضينا إن رضيتم بالأذى	وعزيز عزيز أن يضاما
خطرت بى جوف ليل سحرا	نسمة أحسبها ريح أماما
فارجع الطرف وقل لى فى خفا	أخضاما تتراءى أم خياما
ما صنيعى بمهاة كلما	زودتنى لمحة زدت أواما[4]
أهيام أم تلظى فى كبدى	لفحت حتى اتقى الظلم ضِراما[5]
ليس إلا قرط وحدى بهم	فلمن العادل عنى أم أقاما
أنا من أسر الهوى فى ربقة	حكمت الحب فيها أن يساما

---

(١) الغيث : المطر ، وإخلافه : أن ينقطع عند ترقب نزوله ، والخزامى : نبت طيب الريح ، والأنضاء : جمع نضو ، وهو من الجمال التى أهزله السير وأضناه

(٢) الحلم ، هنا : التأنى فى الأمور والتؤدة والسكينة

(٣) الذمام – بكسر الذال ، بزنة الكتاب – العهد

(٤) الأوام – بضم الهمزة – حرارة العطش ونحوه

(٥) الظلم – بفتح الظاء – الريق ، والضرام – بكسر الضاد – اتقاد النار

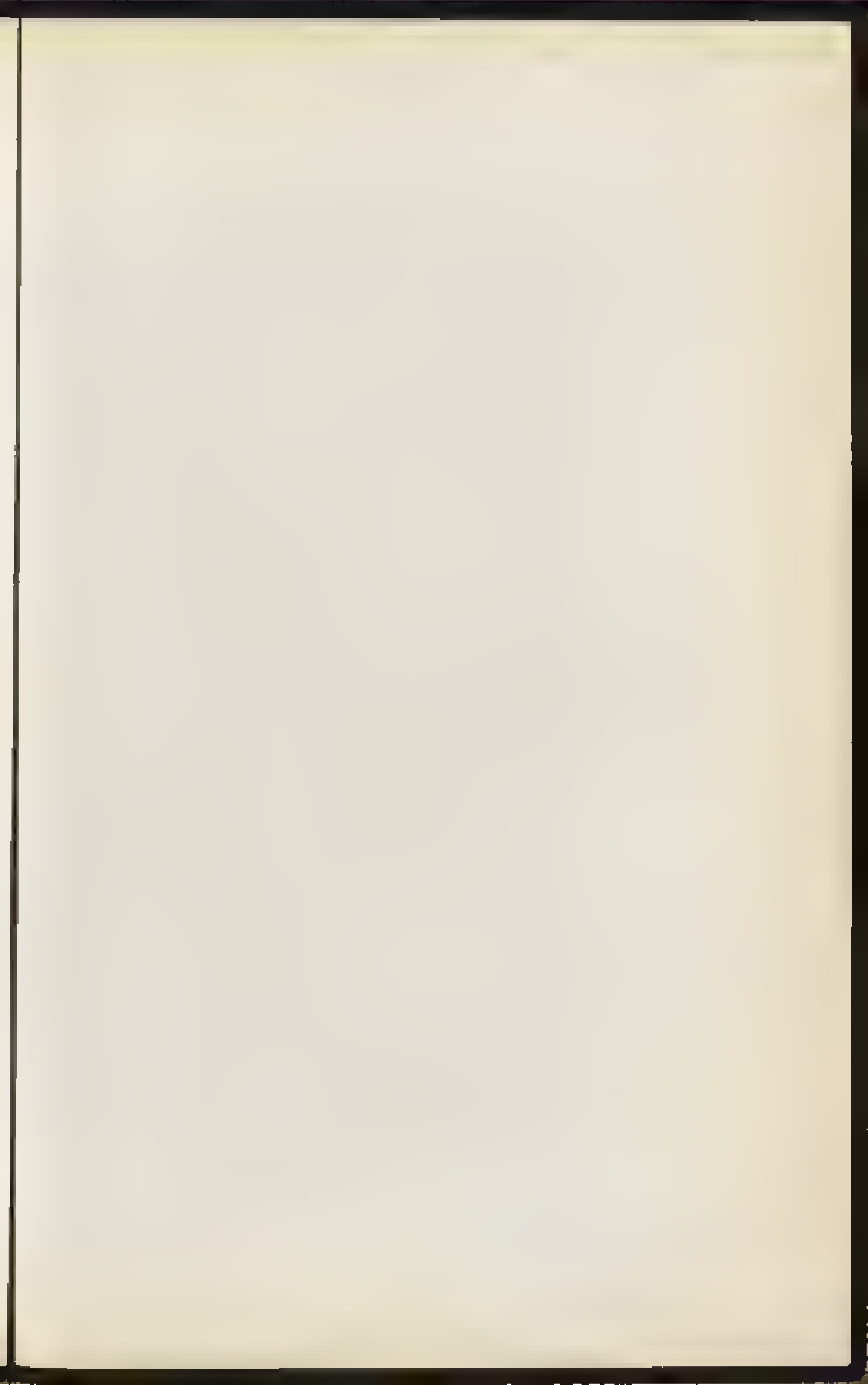

حرف العين المهملة

(١٧٤)

أبو عمرو المعتضد عباد ابن إسماعيل

المعتضد عباد بن [محمد بن] إسماعيل[1] بن عباد ، أبو عمرو ، صاحب إشبيلية ، وابن قاضيها ، أبى القاسم .

دانت له الملوك ، اتخذ جيشاً فى قصره ، وحلاها برؤوس ملوك ، وأعيان ، ومقدّمين ، وكان ابنه ولى عهده إسماعيل قد همّ بقبضه ، فلم يتمّ له ذلك ، وضرب أبوه عنقه ، وطالت أيامه إلى أن توفى فى شهر رجب سنة أربع وستين وأربعمائة .

يقال : إن ملك الإفرنج سمّه فى ثياب بعثها إليه

قال فيه الحجارى : وهذا الرؤوف العطوف ، الدمث الأخلاق الألوف ، ما مات حتى قبض أرواح ندمائه وخواصه بيده ، ولم يَكِلْهُمْ إلى غيره ، ولم يحوجهم إلى أحد بعده ، فجزى عنهم بما هو أهله ، وكان قد عرف منه ذلك واشتهر ، فصار الأدباء يتحاشَوْنَهُ .

ومن شنيع ما روى عنه : أن غلاماً دون البلوغ دخل عليه من غير استئذان ، فقطع رأسه ، فسمع جارية تقول - والله القبر أحسن من سُكْنَى هذا القصر ، فقال : والله لأبلغنك ما طلبتيه ، وأمر بها ، فدفنت حية

وتعجب الناس من وزيره ابن زيدون كيف انفرد بالسلامة منه ، فقال : كنت كمن يمسك بأذنى الأسد يتقى سطوته تركه أو أمسكه ، وفيه يقول عند موته :

لقد سرّنا أن الجحيم مُوَكّل بطاغيةٍ قد حمّ منه حمام
تجانَبَ صَوْبُ المزن من ذلك الصدى ومرّ عليه الغيث وهو جَهَامُ

---

(١) له ترجمة فى « المعجب فى تلخيص أخبار المغرب » ٩٥ ؛ وفى نفح الطيب المقرى (٣٧٣/٤) وفى شذرات الذهب ٣١٦/٣ ، والنجوم الزاهرة ٩٠/٥ ، وانظر ابن خلدون ١٥٨/٤ ، واسمه المعتضد على الله قد ترجمه الفتح بن خاقان فى قلائد العقيان ٢ ترجمة مطولة ، وابن خلكان (الترجمة رقم ٦٥٨)

(٢) فى ب ، ت « عباد بن إسماعيل بن عباد » وزدنا « محمد بن » عن المعجب وابن خلكان والشذرات

(١٧٥)

عبادة بن عبد الله بن ماء السماء

عبادة بن عبد الله ، هو ابن ماء السماء[1]

شاعر الأندلس ، ورأس الشعراء فى الدولة العامرية .

توفى سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة ، وقيل : سنة تسع عشرة .

قال ابن بسام فى الذخيرة : كان فى ذلك العصر شيخ الصناعة ، وأحكم الجماعة ، سلك إلى الشعر مسلكا سهلا ، فقالت غرائبه : مرحباً وأهلا .

وكانت صنعة التوشيح التى نهج أهل الأندلس طريقتها ، ووضعوا حقيقتها ، غير مرقومة البرود ، ولا منظومة العقود ، فأقام عُبادة هذا عِمَادها[2] ، وقوم ميلها وسنادها ، فكأنها لم تسمع بالأندلس إلا منه ، ولا أخذت إلا عنه ، واشتهر بها اشتهاراً غلب على ذاته ، وذهب بكثير من حسناته .

وأول من صنع أوزان هذه الموشحات محمد بن محمود القبرى ، الضرير .

وقيل : إن ابن عبد ربه صاحب العقد أول من سبق إلى هذا النوع من الموشحات ، ثم نشأ يوسف بن هارون الرمادى ، ثم نشأ عُبادة هذا ، فأحدث التضمير[3] ، وذلك أنه اعتمد على مواضع الوقف فى الأغصان[4]

ومن شعر عبادة المذكور .

---

(١) له ترجمة فى الذخيرة لابن بسام (١/٢/١) وقال عنه « هو عبادة بن عبد الله الأنصارى ، من ذرية سعد بن عبادة ، وقيل له ابن ماء السماء لجدهم الأول، ولحق بقرطبة الدولة العامرية والحمودية ومدح رجالها » وفى مطمح الأنفس ٨٤

(٢) فى الذخيرة « فأقام عبادة هذا منآدها »

(٣) فى الذخيرة «وأحدث التضفير»

(٤) العبارة مختصرة عن الذخيرة اختصارا أفسدها ، وهى هناك « وذلك أنه اعتمد مواضع الوقف فى الأغصان فيضمنها ، كما اعتمد الرمادى مواضع الوقف فى المركز »

لا تشكونْ إذا عثر ت إلى صديق سوء مالك[1]
فيُريك أنواعا من الإذلال لم تخطر ببالك
إياك أن تدرى يمينك ما يدور على شمالك
واصبر على نوَبِ الزما ن وإن رمت بك فى المهالك
وإلى الذى أعطى وأقنى اضرع وسله صلاح حالك

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

دارت دوائر صُدْغه فكأنما حامت على تقبيل نُقْطة خاله
رشأ توحَّشَ من ملاقاة الورى حتى توحَّشَ من لقاء خياله
فلذاك صار خياله لى زائراً إذ كنت فى الهجران من أشكاله
ولقد هَمَمْتُ به ورُمْتُ حرامه فحمانىَ الإجلال دون حلاله

ومن موشحات عبادة المذكور :

مَن وَلِي في أمة أمراً ولم يعدل يُعزَلِ إلا لحاظُ الرشأ الأكحل

جُرتَ فى حكمك فى قتلىَ يامسرف
فانصف فواجب أن ينصف المنصف
وارأف فإن هذا الشوق لا يرأف

عَلِّلِ قلبي بذاك البارد السلسل ينجلى مافؤادى من جوَى مشعل

إنما تبرز كى توقد نار الفتن
صنما مصوّراً فى كل شىء حسن
إن رمى لم يخطِ من دون القلوب الجُنَن

كيف لى تخلُّص من سهمك المرسَلِ فصِل واستبقنى حيا ولا تقتل

ياشقيق الشمس ويا أبهى من الكوكب
يا مُنَى النفس ويا سؤلى ويا مطلبى

---

(١) فى الذخيرة « إلى خليط سوء حالك »

ها أنا حلّ بأعدائك ما حلّ بي !

عُذَّلي من ألم الهجران في معزل والخَلِي في الحب لا يسأل عن بُلي

أنت قد صيرت بالحسن من الرشد غيّ
لم أجد في طرق حبك ذنباً عليّ
فاتئد وإن تشأ قتلي شيئاً فشيّ

أجملِ وَوالِي منك يدَ المُفضِلِ فهي لي من حسنات الزمن المقبل

ما اغتذى طرفيَ إلاّ سناً ناظريك
وكذا في الحب ما لي ليس يخفى عليك
وكذا أشهد والقلب رهينٌ لديك

يا علي سلطت جفنيك على مَقتلي فابق لي قبي وجُدْ بالفضل يا موئلي

وله أيضاً رحمه الله تعالى :

حب المها[1] عباده من كل سام السواري
فر يطلع من حسن آفاق الكمال حُسْنُه الأبدع
لله ذات حسن مليحة الحجبا
لها قوام غصنٍ وشَعْرُها الـثُرّيّ
والثغر حَبُّ مُزنٍ رُضابُهُ الحبّ
من رشفه سعادة كأنه صِرْفُ العُقارِ[2]
جوهر رصع يسقيك من حلو الزلال طيب المشرع
رشيقة المعاطف كالغصن في القوام

---

(١) المها . جمع مهاة ، بزنة فتاة وقناة ، وهي في الأصل بقرة الوحش ، والعرب تشبه النساء بها في سعة العينين .

(٢) صرف العقار ـ بكسر الصاد وسكون الراء ـ الخمر غير ممزوجة بالماء .

شهدية المراشف كالدر في نظام
دِعْصِيَّةُ الروادف والخصر دوانهصام(١)
حَوْراء القــلادة محلولة عقد الإزار
حسنها أبدع من حسن ذيّاك الغزال أكحل المدمع
ليلِيَّةُ الذوائب ووجهها نهــار(٢)
معسولة الترائب ورشفها عقــار(٣)
أصداغها عقارب والخــدُّ جُلَّنَار
تديت ... فؤاده من غادة ذات اقتدار
لحظهـا أقطع من حد مصقول النصال في الفتى الأشجع
تَرْحل النهود في مسرح الصدور
يُرْبى على العقود من لذة النحور
ومقلة وجيـــد من غادة سفور
حى لها عبادة أعوذ من ذلك الفخار
يرتع يرتع في روض أزهار الجمال كلما أينع(٤)
عميقة الذيول نقيّةُ الثيــاب
سلابة العقول أرقُّ من شراب
أضحى لها نحولي في الحب من عذابي
في النوم لي شراده وحكمها حكم اقتدار
كلما أمنع منها فإنّ طيفَ الخيال زارني أهجع

---

(١) الدعصية : المنسوبة إلى الدعص ـ بكسر الدال وسكون العين ـ وهو الكثيب من الرمل المجتمع .

(٢) أراد بالذوائب شعرها ، وأراد وصفه بالسواد فنسبه إلى الليل

(٣) أراد برشفها ريقها ، والعقار : الخمر ، وقد شبه ريقها بالخمر

(٤) يرتع : يلعب ، وأينع الروض والزهر : أدرك وطاب وحان قطافه

وكانت وفاة عبادة مُتأَخِّرَةً فى التاريخ ، ضاعت له مائة مثقال ذهب ، فاغتمَّ لذلك ، ومات ، رحمه الله تعالى وعفا عنه ا .

(١٧٦)

عبادة المخنث

عبادة المخنث[1] .

كان صاحب نوادر ومجون ، كان ببغداد ، وتوفى فى حدود الخمسين ومائتين .

دخل على المأمون وقد امتحن الناس بخلق القرآن فقال : يا أمير المؤمنين ، يعظم الله أجرك ، قال : فيمن ؟ قال : فى القرآن ، فمن بقى يصلى بالناس التراويح ؟ فقال : ويحك ! القرآن يموت ؟ فقال : أليس قال أمير المؤمنين إنه مخلوق ، فقال : أخرجوه عنى قبحه الله تعالى .

ولما قتل المتوكل كان حاضراً ، فلما هجموا على المتوكل وهو على شرابه وقطعوه بالسيوف قام الفتح بن خاقان وألقى نفسه عليه ، وقال : يا أمير المؤمنين ، لا حياة لى بعدك ، فقطعوه بالسيف أيضاً ، فلما رأى ذلك عبادة انزوى وقال : يا أمير المؤمنين إلا أنا إن لى بعدك أدواراً وأرطالاً أشربها ، فضحكوا منه وتركوه .

(١٧٧)

عبد الله بن إبراهيم (ابن المؤدب)

عبد الله بن إبراهيم بن مثنى الطوسى ، المعروف بابن المؤدب[2] .

أصله من المهدية ، وكان شاعراً مذكوراً مشهوراً قليل الشعر ، مفرطاً فى حب الغلمان ، مجاهراً بذلك ، بعيد الغوْر ، ذا حيلة ومكيدة ، مُغْرًى بالسياحة والكيمياء والأحجار ، مُقْتَّراً مُقتَّراً عليه ، متلافاً إذا أفاد .

خرج مرة يريد صقلية ، فأسره الروم ، وأقام عندهم مدة إلى أن هادَنَ ثقة الدولة ملك الروم بعث إليه بالأسرى ، وكان [ابن] المؤدب من جملتهم ، فمدح ثقة الدولة ورام صلته ، فلم تصل إليه على ما أرصد ، فتكلم فيه مع عبد ثقة الدولة ، فطلبه ، فاختفى ،

---

(١) له ذكر فى الأغانى ١٨/٩٠ فى أثناء ترجمة إبراهيم بن محمد اليزيدى ، وكان يضحك المتوكل وينديه ، وانظر الأغانى أيضاً (٤/١١) فى ترجمة مروان الأصغر

(٢) لم أعثر له على ترجمة فى غير هذا الكتاب فيما بين يدى الساعة من مصادر الأعلام

وطالت المدة ، فخرج وهو سكران بعض الليالي ليشترى نقلاً ، فما شعر إلا وقد قُيِّدَ وحُمل إلى بين يدى ثقة الدولة ، فقال له : ما الذى بلغنى عنك ؟ قال : المحال يا سيدنا ، قال : من الذى يقول :

* والحر مُمْتَحَن بأولاد الزنا *

قال : الذى يقول :

* وعداوة الشعراء بئس المقتنى *

فتبسم ساعة ثم أمر له بمائة رباعى ، وأمر بإخراجه من المدينة ، كراهيةَ أن تقوم عليه نفسه فيقتله ، فخرج ، ثم مدح ثقة الدولة بقصيدة منها :

أبيت أراعى النجم فى دار غربة ... وفى القلب من نار حزن تضرّمُ

أرى كل نجم فى السماء نحسه ... ونحسى أراه فى النجوم المنجم

سأحمل نفسى فى لظى الحرب جنة ... تذيقها من خطبه كل معظم

فإن سلمتْ عاشت بعزٍ وإن تمتْ ... (لدى حيث ألقت رحلها أم قشعم)(١)

وقال وهو فى الأسر :

لا يذكر الله قوما ... خَلّفْتُ فيهم بخير

جاهدت بالسيف جهدى ... حتى أسرت وغيرى

والآن لست أطيق الـ ... ـجهاد إلا بأيرى

فهات من شئت منهم ... لو كان صاحب دَيْر

وكان صديقاً لعبد الله بن رشيق ، وهو يؤدب بعض أولاد تجار القيروان ، وكان حسنا ، وكان ابن المؤدب يزوره ، فعلق بالغلام ، وخرج ابن رشيق للحج ، فلم أتى بمطل لم تقر عنده إلا أسبوعاً ، وبدعى الغلام أنه راوده ، فذكر ابن

---

(١) عجز هذا البيت من كلام زهير بن أبى سلمى المزنى فى قصيدته المعلقة ، والبيت فى كلامه هكذا : فشد ولم يفزع بيوتاً كثيرة ... لدى حيث ألقت رحلها أم قشعم وأم قشعم كنية المنية (الموت) وفى هذه الأبيات الإقواء . الأولان مرفوعان ، والأخيران مجروران

المؤدب لوالده ، فأحضره ، فما كان إلا ساعة دخوله فى المسجد ودخول الغلام إليه فأغلق باب الصحن وقام فقلع أربعة منه ، وخرج الغلام إلى أبيه مبادراً فأخبره فقال أبوه : الآن تقرر عندى أنك كاذب ، وكذبت على من كان قبله ، وصرفه إلى المكتب ، فأقام على تلك الحال مدة طويلة ، وقال :

وطى أبيس عالجته خنائى صدرته قبل الوثوب صريعاً

وكان رجال حاولوه فغاتهم سباقاً ، ولكنى حلقت سريعاً

فتمكنت منه إن شاء فى بيت ربه وإن لم يشأ مستضعياً ومطيعاً

بعم أهل القيروان بأننى إذا رمت أمراً لم أجده منيعاً

فبينما لغزال الحانة كلامه إلى أسد صبر وصادف جوعا

وكان قد اشتهر فى محبة غلام عمه ، فندم أبوه أن يقتله جهراً ، وخرجوا يتصيدون ، فأمر من حمل حزام دابته سراً ، وتبعوه طرداً ، فسقط وانكسرت فخذه حتى ظهر مخه وعظمه

ومات سنة أربع عشرة وأربعمائة ، رحمه الله تعالى !

أبو جعفر
أمير المؤمنين
القائم بأمر الله
عبدالله بن أحمد

(١٧٨)

عبد الله بن أحمد ، أمير المؤمنين ، أبو جعفر ، القائم بأمر الله بن القادر[1] .

ولد فى نصف ذى القعدة سنة إحدى وتسعين وثلثمائة ، وبويع بالخلافة بمدينة السلام يوم ثالث عشر ذى الحجة سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة ، وكان أمره مستقيماً إلى أن خرج البساسيرى ، وقصته مشهورة .

وتوفى القائم ليلة الخميس ثالث عشر شعبان سنة سبع وستين وأربعمائة[2] ، فكانت دولته خمسا وأربعين سنة ، وبويع بعده المقتدى

(١) له ترجمة فى شذرات الذهب ٣٢٦/٣ وفى تاريخ الخلفاء للسيوطى ١٦٧ وفى تاريخ ابن كثير ١١٠/١٢ وفى تاريخ ابن الأثير ٣٥/١٠

(٢) فى ب وحدها « سنة تسع وتسعين وأربعمائة » تحريف ، وماأثبتناه موافق لما فى ث وما ذكرناه من الأصول من قبل

وكان القائم كثير الحلم والحياء ، فصيح اللسان ، أديبا ، خطيبا ، شاعرا ، تقلبت به الأحوال ، ورأى العجائب ، وفي أيامه انقرضت دولة الديلم ببغداد بعد طول مدتها ، وقامت دولة السلجوقية ، وكان آخرهم الملك الرحيم من ولد عَضُد الدولة .

دخل عليه بغداد طغرلبك السلجوق ، وهو أول السلجوقية ، فقبض عليه وقيده ، فقال له الملك الرحيم : ارحمني أيها السلطان ، فقال له : لا يرحمك من نازعْتَهُ في اسمه المختص به ، مشيرا إلى الله تعالى ، فبلغ ذلك القائم فقال : قد كنت نهيته عن هذا الاسم ، فأبى إلا عنادا أورده عاقبة سوء اختياره ، وخلصه طغرلبك من بين يديه إلى أن وصل عتبة باب النوبة فقبلها شكرا لله تعالى ، وصارت سنة بعده .

ومن شعره رحمه الله تعالى

يا أكرم الأكرمين العفو عن عرق	في السيئات له ورد وإصدار[١]
هذت عليه معاصيه التي عظمت	على ذنبك للعاصين عصار
فاذن على وسامحني وخذ بيدي	يا من له العفو والجنات والنار

وله أيضاً رحمه الله تعالى :

سَهِرْنا على سنة العاشقين	وذلك مما يكره الله ثم
وما حيلتي من ظهور الورى	إذا كان رب الورى قد علم

وقال أيضا غفر الله له :

قالوا الرحيل فأنشبَتْ أظفارها	في خدها وقد اعتلقْنَ خضابا[٢]

(١) أصل الورد – بكسر الواو – ورود الماء ، والإصدار : الرجوع عن الماء بعد الشرب

(٢) أنشبت أظفارها : أعلقها وخمشت بها وجهها ، وإنما تفعل النساء ذلك عند نزول المصائب ، فكنى عن هذا بهذه العبارة

فاحمرّ تحت سنانها فكأنما   غرست بأرض بنفسج عنابا(١)

وقال أيضاً سامحه الله :

جُمعت عليَّ من الغرام عجائب   خلفن قلبي في أثار موحش

حِبٌّ صدٌّ ، وعاذل متنصح   ومعارض يؤذي ، ونمّام يشي

(١٧٩)

أبو محمد عبد الله بن أحمد الجماعيلي الحنبلي

عبد الله بن أحمد بن محمد بن أحمد(٢) بن قُدَامة بن مقدام بن نصر بن شيخ الإسلام موفق الدين ، أبو محمد ، الجماعيلي ، الدمشقي ، الصالحي ، الحنبلي ، صاحب التصانيف

ولد بجماعيل في شعبان سنة إحدى وأربعين وخمسمائة ، وتوفي سنة عشرين وستمائة ، وهاجر فيمن هاجر مع أبيه وأخيه ، وحفظ القرآن ، واشتغل في صغره ، وارتحل إلى بغداد صحبة ابن خالته الحافظ عبد الغني ، وسمع بالبلاد من المشايخ ، وكان إماماً حجة مصنفاً متفنناً محرّراً متبحراً في العلوم كبير القدر ، ومن تصانيفه « البرهان » جزآن « مسألة العلو » جزآن « الاعتقاد » جزء « ذم التأويل » جزء « المتحابين في الله تعالى » جزآن « فضل عاشوراء » جزء « فضائل العشر » « ذمّ الوسواس » مشيخته ، جزء ضخم ، وصنف « المغني » في الفقه في عشر مجلدات ، و « الكافي » أربع مجلدات ، و « المقنع » مجلد ، و « العمدة » مجلد لطيف ، و « التوابين » مجلد صغير ، و « الرقة والبكاء » مجلد صغير ، و « مختصر الهداية » مجلد ، « التبيين في نسب القرشيين » مجلد ، « الاستبصار في نسب الأنصار » مجلد ، « قنعة الأديب في الغريب » مجلد ، « الروضة في أصول الفقه » مجلد ، « مختصر العلل » للخلال ، مجلد ضخم .

وكان إماماً في علم الخلاف والفرائض والأصول والفقه والنحو والحساب ،

---

(١) في ب « غرست رياض بنفسج عنابا »

(٢) له ترجمة طويلة في شذرات الذهب ٥/٨٨ وفي تاريخ ابن كثير ١٣/٩٩ ، وفي النجوم الزاهرة ٦/٢٥٦ ، وليس فيهما ذكر « أحمد » بين محمد وقدامة

والنجوم السيارة والمنازل ، واشتغل الناس عليه مدة طالحرق والهداية ، واشتغلوا عليه بتصانيفه ، وطول الشيخ شمس الدين ترجمته في تسع ورقات ، رحمه الله تعالى وعفا عنه !

(١٨٠)

ضياء الدين عبدالله بن أحمد ابن البيطار الأندلسي

عبدالله بن أحمد ، الحكيم ، العلامة ، ضياء الدين بن البيطار[1] ، الأندلسي ، المالقي ، النباتي[2]، الطبيب ، مصنف كتاب « الأدوية المفردة » ولم يصنف مثله .

وكان ثقة فيما ينقله ، وكان حجة ، وإليه انتهت معرفة النبات وتحقيقه وصفاته وأسمائه وأماكنه ، لا يجارى في ذلك ، سافر إلى بلاد الأغارقة وأقصى بلاد الروم وأخذ فن النبات عن جماعة ، وكان ذكيًا فطنا .

قال الموفق بن أبي أصيبعة . شاهدت معه كثيراً من النبات في أماكنه بظاهر دمشق ، وقرأت عليه تفسيره ، لاسيما أدوية كتاب ديسقوريدوس ، فكنت أجد من غزارة علمه ودرايته شيئاً كثيراً ، وكان لا يذكر دواء إلا ويعين في أي مكان هو من كتاب ديسقوريدوس وجالينوس ، وفي أي عدد هو من الأدوية المذكورة في تلك المقالة ، وكان في خدمة الملك الكامل ، وقد كان يعتمد عليه في الأدوية المفردة والحشائش ، وجعله مقدما في أيامه حظيًا عنده

وتوفي بدمشق في شعبان سنة ست وأربعين وستمائة .

وكان بمصر رئيسا على سائر العشابين وأصحاب البسطات ، ثم إنه خدم بعده ابنه الصالح ، وحظي عنده ، وله كتاب « المغني » في الطب ، وهو جيد مرتب

---

(١) له ترجمة في شذرات الذهب ٥/٢٣٤ ، وفي عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة ٢/١٣٣

(٢) في ب ، ث « اليناني » تحريف

على مداواة الأعضاء ، وكتاب « الأفعال الغريبة ، والخواص العجيبة » و « الإبانة والإعلام ، على ما في المنهج من الخلل والأوهام » وكتاب « الأدوية المفردة »

(١٨١)

تقي الدين عبد الله بن أحمد الحنبلي

عبد الله بن أحمد بن تمام ، الشيخ الإمام ، الأديب ، تقي الدين ، الصالحي ، الحنبلي ، أخو الشيخ القدوة محمد بن تمام الآتي ذكره إن شاء الله تعالى .

كان فاضلا ، زاهدا ، ورعا ، معرضا عما أغرى به الناس من الرياسة ، وكان حسن البزة مع زهد وقناعة ، خيِّرًا ، نَزِهًا ، محبوبا إلى الفضلاء ، مليح المحاسن حسن العشرة ، جمع من ابن هبيرة[1] والمرسي والبلداني ، وله أشعار رائقة وترسل ، كتب إليه قصيدة الشهاب محمود رحمه الله تعالى من الديار المصرية وأرسلها إليه إلى جبيل الصالحية

هل عند مَنْ عندهم رِقّي وإقسامي	علم بأن يوم أصل آلامي
وأن قلبي وجفني بعد بعدهم	ذا دائم وجده فيهم وذا دامي
بانوا فبانَ رقادي يوم بينهم	فليت أطمع في طيف بإلمام[2]
كتمت شأن الهوى يوم النوى فنما	سيره من جفوني أي نمام
كانت ليالي بيضا في دنوهم	فلا تسل بعدهم عن حال أيامي
صَلِيتُ وجدًا بهم والناس تحسب لي	سقما فأفهم حالي عند لوامي
وليس أصل ضني جسمي النحيل سوى	فرط اشتياقي إلى لُقْيَاس تمام
مولًى متى أخلُ من ذكر رؤيته	خلوت منه بأشجان وأسقام
نأى ورؤيته عندي أحب إلى	قلبي من الماء عند الحائم الظامي

(١) في نسخة عندنا « ابن قبيرة »

(٢) بانوا : بعدوا عني وفارقوني ، وبان رقادي : فارقني ، والإلمام : الزيارة

وصدَّ عني ولم يسأل محاسنه … عن هائم دمعه من بعده هامي

ياليت شعري ألم يبلغه أن له … أخا بمصر ضعيف الجسم مُدَّعَامِ

ما كان ظني هذا في مودته … ولا الحديث كذا عن ساكني الشام

يا غائباً داره قلبي ، ولو هجعت … عيني لأدنته مني رُسْل أحلامي

أصبحت بعد اشتطاطي في الحقيقة من … لقياك أخدع آمالي بأوهامي

هذا ولم يبق لي في لذة أرب … إلا اجتماعي بأصحابي وأرحامي

وإن همُّ خلفوني مفرداً ونأوا … فبتُّ أسهر أجفاني لنوامي

وأين أُنِيلُ مرامي من لقائهم … ضاق الزمان وهيَّا سهمه الرامي(١)

ولت بشاشة أيامي فلو عُرِضَتْ … عليَّ أعرضتُ عنها غير مستام

هل بعد سبعين لي إلا التأهب من … أجل الرحيل بإسراج وإلجام

الناس يرجون ما قد قدَّموا بعد … والخوف من سوء ما قدمت قدامي

ولست أرجو سوى عفو الإلهِ وأن … ألقى السلامة في الأخرى بإسلامي

بلى وحُب الذي أرجوه يشفع لي … غداً إذا خفته أسعى بآثامي

فاذكر أخاك بظهر الغيب وادعُ له … ذاتٍ في نفسه من خير أقوام

فكلٌّ يجمع في دار رحمته … من عفوه فوق إسراف وإجرامي

عليك مني سلام الله ما ابتسمت … أزاهر الروض من دمع الحَيَا الهامي

فأجابه الشيخ تقي الدين رحمه الله تعالى :

يا ساكني مصر فيكم ساكني الشام … يكابد الشوق من عام إلى عام

الله في رَمَقٍ أودى السقام به … كم ذا يطول عليكم نضو أسقام(٢)

ما طبكم بعيد الدار منفرد … حليف هم وأحزان وآلام

---

(١) هيا : أصله هيأ ـ بالهمز ـ أي أعد ، فسهل الهمزة بقلبها ألفا

(٢) الرمق ـ بالتحريك ـ بقية النفس ، وأودى به : أهلكه ، والنضو ـ بالكسر ـ الهزيل

يا نازحين متى تدنو النوى بكم ... حالت لبعدكم حالى وأيامى[1]

كم أسأل الطرف عن طيف يعوده ... وما لطرفىَ من عهد بأحلام

أستودع الله قلباً فى رحالكم ... عهدته منذ أزمان وأعوام

وما قضى بكم من حبكم أرباً ... ولو قضى فهو من وجد بكم ظامى

مَنْ ذا يلوم أخا وجدٍ بحبكم ... فأبعد الله عُذّالى ولوامى

فى ذمة الله قوماً ما ذكرتهم ... إلا وهم بوجدى مدمعى الدامى

قوم أذاب فؤادى فرطُ حبهمُ ... وقد ألم بقلبى أىّ إلمام

ولا اتخذت سواهم مِنْهُمْ بدلا ... ولا نقضت لعهدى عقد إبرام

ولا عرفت سوى حبى لهم أبداً ... حباً يعبر عنه حبىَ النامى

يا واحداً أعربت عنه قصائده ... وسار فى الكون سير الكوكب السامى

فى نعتِ فضلك حار الفكر من دَهَشٍ ... وكل نظم روى من عرفك الطامى

لا يرتقى نحوك السارى على فَلَكٍ ... فكيف من رام أن يسعى بأقدام

عنك استفاد بنو الآداب ما نظموا ... وعنك ما حفظوا من رقم أقلام

أنت الشهاب الذى سامى السماك عُلًى ... وفيض فضلك فينا فيض إلهام

لما رأيت كتاباً أنت كاتبه ... وأضرم الشوق عندى أى إضرام

أنشدت قلبىَ هذا منتهى أربى ... أعاد عهد حياتى بعد إعدام

يا ناظرىّ خذا من خده قُبَلاً ... فهو الجدير بتقبيل وإكرام

ثم اسرحا فى رياضٍ من حدائقه ... وقد زها زهرها الزاهى بأكمام

مَنْ ذا يُوَافيه فى ردّ الجواب له ... عذراً إليه ولو كنت ابن تمّام

يا ساكنا بفؤادى وَهْوَ منزله ... محل شخصك فى سرى وأوهامى

---

(١) نازح: اسم فاعل من فعله « نزح ينزح » من باب فتح ــ أى بعد ، وتدنو: تقرب ، والنوى: البعد ، وحالت: تغيرت ، وأبدع ما جاء فى هذا المعنى قول ابن زيدون

حالت لبعدكم أيامنا فغدت ... سوداً ، وكانت بكم بيضاً لياليا

حقاً أراك بلا شك مشاهدة ... ما حال دونك إنجادي وإتهامي [1]

ولذّ عتبك لي يا منتهى أربي ... وفي العتاب حياة بين أقوام

حوشيت من مرض يشكو ومن ألم ... لكن عبدك أضحى حِلْفَ آلام [2]

ولو شكا صحت منه شكايته ... إن الثمانين تستبطي يد الرامي

وحيد داري فريد في الأنام له ... جيران عهد قديم من آكام

طالت به شقة الأسفار وبُعدهم ... أضحوا وما نطقوا من تحت أرجام

أبلى محاسنهم مرّ الجديدين بهم ... وأبعد العهد منهم بعدُ أيام

فلا عدم من الرحمن رحمته ... فهيَ الرجاء الذي قدمتُ قد بي

وكم رجوت إلهي وهو أرحم لي ... وقلّ عند رجائي فيه آثامي

فطال عمرك يا مولاي في دعة ... ودام سعدك في عز وإنعام

ولا خلت مصر يوماً من سناك بها ... ولا نأى نورك الصاحي عن الشام

وقال أيضاً رحمه الله تعالى

أسكان المعاهد من فؤادي ... لكم في كل جارحة سكون

أكرر فيكم أبداً حديثي ... فيحلو، والحديث بكم شجون

وأنظمه عقوداً من دموعي ... فتنثره المحاجر والجفون

وأبتكر المعاني في هواكم ... وفيكم كل قافية تهون

وأسأل عنكم الركبان سراً ... وسرّ هواكمُ عندي مصون

وأعتنق النسيم لأن فيه ... شمائل من محاسنكم تبين [3]

وكم لي في محبتكم غرامٌ ... وكم لي في الغرام بكم فنون

---

(١) الإنجاد مصدر «أنجد» أي أتى نجداً، والإتهام: مصدر «أتهم» أي أتى تهامة، ومثله أشأم وأعرق وأيمن: أي أتى الشام والعراق واليمن

(٢) حلف آلام بكسر الحاء وسكون اللام — أي أنه ملازم الآلام لا يفارقها

(٣) أعتنق النسيم: أشم عبقه

وقال أيضا من أبيات :

بيض الوجوه إذا افترت مباسمهم ... فاللؤلؤ الرطب حلو حين يتسق[1]

تقسم الحسن عنهم فى الأنام كما ... تجمع الفضل فيهم وهو مفترق

كم دونهم وغصون الفضل دانية ... أجنى الثمار بها عقوا وأرتزق

هم الأولى إن دعوى عندهم صدقوا ... فما استرقوا وكم سموا وما عتقوا

تحلو الأحاديث عنهم كلما ذكرت ... فكيف إن شافهوا يوما كما نطقوا[2]

إنى لأشكر ما أولوه من نعم ... شكراً عليه قلوب الخلق تتفق

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

أما والهوى إن شط بى عنكم عنا ... فأنتم نزول بالقلوب إذا بنا

وإن حجبت أشباحكم عن عيوننا ... فلم يحجب البين المشت لكم معنى

ولا نظرت عيناى إلا جمالكم ... ولطفكم الموصوف والحسن والحسنى

أحن إليكم فى التدانى وفى النوى ... ولا عجب فالصب إن أن أوحنا[3]

ويشتاقكم طرفى وأنتم سواده ... فما أبعد المشتاق منكم وما أدنى

لحى الله دهراً راعنى بفراقكم ... وأفقرنى ممن أحب وما أغنى[4]

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

يا ناق إن جئت الحى سالمة ... فعفرى خديك فى تلك الربا

وبلغى أهلها تحية ... فإن فى تبليغهم لى أربا

عساهم أن يبعثوا جوابها ... فى طى أنفاس نسيمات الصبا

فإنها أكتم للسر ولا ... يخشى عليها من عيون الرقبا

وإن صفت فهى عندى منة ... من أجلها أحل عنك الأقتبا

---

(١) افترت : ضحكت . والمباسم : جمع مبسم ، وأصله موضع الابتسام ، وأراد الفم ، وقد شبه أسنانه باللؤلؤ (٢) فى ب « فكيف إنشاؤه » تحريف

(٣) فى ب « أحن إليكم فى التنادى » تحريف (٤) فى ب « وأفقرنى ممن أحب »

أحبابنا مذ غبتم عن حيكم ... محبكم عن صبره قد غلبا
قد بلغ الشوق بكم غايته ... وفى حواه بلغ السيلُ الزُّبى
لا يستطيع باللسان شرح ما ... لو شق عنه القلب أبدى العجبا
وكلما حُمِّتْ فؤادى سلوة ... عنكم ينادى عنهم لا مذهبا
وكم أنادى فى الديار بعدكم ... واحربا من بعدهم واحربا

وقال أيضاً رحمه الله :

وقالوا صبا بعد المشيب تعللا ... وفى الشيب ماينهى عن اللهو والصِّبا(١)
نعم قد صبا لما رأى الظبىَ آنسا ... يميل كغصن البان مالت به الصَّبا(٢)
أدار القنا حالىَ الجيدِ عاطلا ... وفى لحظه معنى به الصبُّ قد صبا(٣)
ومزق أثواب الدجى وهو طالع ... وأطلع بدراً بالجمال محجبا
جرى حبه فى كل قلب كأنما ... تصوَّر من أرواحنا وتركبا

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

أكاتبكم واعلم أن قلبى ... يذوب إذا ذكرتكمُ حريقا
وأجفانى تَسِحُّ الدمع سيلا ... به أمسيت فى دمعى غريقا
أشاهد من محاسنكم مُحَيّا ... يكاد البدر يشبهه شقيقا
وأصحب من جمالكم خيالا ... فأنى سرت يرشدنى الطريقا
ومَن سلك السبيل إلى حماكم ... بكم بَلَغَ المنى وقضى الحقوقا

وقال أيضاً رحمه الله تعالى وعفا عنه :

تبدّى فهو أحسن من رأينا ... وألطف من تهيم به العقول

---

(١) الصبا ـ بكسر الصاد ـ الميل إلى جانب النفس وشهواتها
(٢) الصبا ـ بفتح الصاد ، هنا ـ ريح الشمال
(٣) صبا : أصله « صبأ » بالهمز ـ أى عدل ومال ، وسهل الهمزة بقلبها ألفا

وأسفر وهو فى فلك المعالى ... وعنه الطرف ناظره كليل[1]

له قدّ يميـــل إذا تثنّى ... كذاك الغصن من هَيَفٍ يميل[2]

وخدّ وردُه الجورى غَضٌّ ... وطرف لحظه سيف صقيل[3]

وخالٌ قد طفا فى ماء حسن ... فراق بحسنه الخـدّ الأسيل

تحال الخدّ من ماء وخمـــر ... وفيه الخـالُ نشوان يجول

وكم لام العذولُ عليه جهلا ... وآخر ماجرى عشق العذول

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

يا عاذلى حَـكَمَ الهوى ... وكَلِفتُ بالرشا الكحيل

ريّان من ماء الصبا ... جذلان يلعب بالعقول

راقت محاسنه التى ... حليت على الوجه الجميل

وعلى مُثقّفِ قدّه ... بدر يحلّ عن الأفول

والخال غمٌّ جماله ... فى سالف الخدّ الأسيل

زَعَمَ العذول بأنه ... يلهى الخليل عن الخليل

يا طالما نمّ العذو ... ل وما قبلت من العذول

ولبست ثوب خلاعتى ... وخلعت أثواب الخمول

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

لله ليلتنا التى نظَمَتْ لنا ... شمل المسرّة والوشاةُ رُقود

جادت بأهْيَفَ كالغزال لحاظهُ ... يسطو بها بين الجفون أسود

ريّان يحسق النسيم لطافةً ... ويميلُ من مرّ الصبا ويميد[4]

---

(١) كليل : تعب ، كل يكل : أى تعب وأعيا .

(٢) الهيف ـ بفتح الهاء والياء هيفاً ـ أصله رقة الخصر والنحافة

(٣) ورد جورى : منسوب إلى جور ، والسيف الصقيل ، المصقول المرهف المحدد

(٤) يحسق ـ بالعين المهملة ـ يشم عقه ، ووقع فى ب ، ث « يعشق » بالعين معجمة ، وليس بشىء

لم أنسه إذ زار بحترق الدجى — وعليه من درر النجوم عقود
فى صورة القمر المنير وحسنه — لكنه حسنٌ عليه يزيد
يا ناظرىَّ تمتعاً بجماله — فالحسن حيث ترى العيون تزيد
واستقصيا نظراً إليه فإنه — كالظبى يدنو والمزار بعيد
وإذا رنا بلحاظه فتعرضا — واللحظُ يقتل والقتيل شهيد
كم بت من سَهرى عليه مُسهَّدا — وعليه يحلو فى الهوى التسهيد
يامن أعار البدر نوراً باهرا — قسما لقد راقت عليك سعود
أنا فى هواك إذا ادّعيت صبابة — ياواحد الحسن البديع وحيد

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

راق المدام وثغرُ الكأس ينتهب — والكؤوس ثغور حلْيُها الحبَبُ(١)
فقل لكأسك فى الندمان حىّ على — شمس المدام وروحُ الراح منسكب
أما ترى الشمس تُجْلَى فى سنا قمر — كأنه باسم الزَّهر يلتهب
والطير تسجع بالألحان صادحة — كأن ألحانها الأوتار تصطخب
والروض يضحك فى أكمامه خجلا — من الغمام ودمع الغيث ينسكب(٢)
والزجاجة معنىً رقة وسناً — كأنها الزهرة الزهراء ترتقب
لله ندمان ذاك الحى من نفر — قوم دعاهم إلى حاناتها الطرب
فلا تقلْ حجبوا عنى محاسنهم — فليس تمنعها الأستار والحجب
مالله يامهجتى لا تبتغى بدلا — منهم وإن سلبوا قلبى وقد سلبوا
ويا غرامى لى فى صبوتى حُرَق — أودى وحقك بى من حرّها اللهب
حسبى وقد علموا حالى بحبهم — وعندهم زفرات الشوق تحتسب
إن بلّغ الله آمالى مآربها — وقد قضيت هوًى لم يبق لى أرب
وأين منى ديار القوم إذ وقفت — بى الركاب وحنّت تحتهم نُجُب

(١) الحبب : فقاعات تطفو فوق وجه الكأس إذا مزج الماء
(٢) الأكمام : أغلفة الزهر

ولا تقل شقة الأسفار تبعدني | إذا عزمت فذاك البعد يقترب
لا أشتكي أبداً بعداً لدارهم | ولا أرى غيرهم في الكون لاحتجبوا
يحلو لي الصدّ منهم حيث يعذب لي | مرّ العتاب فلا صدّوا ولا عتبوا
وأرتضي كل ما فيه رضاً لهم | وقد ألفت الرضا منهم فلا غضبوا
فاستجلِ محبة رقّ من محاسنهم | ولا تقل عندها الأرواح تنتهب
لا تبغ في الدهر يوماً غيرهم أبداً | فحبهم وإليهم ينتهي الطلب
تحلو الأحاديث عنهم كلما ذكروا | وبينهمُ تعذب الأشعار والخطب
لا تعجبنّ لوصفي في محاسنهم | فكل معنى لهم في وصفه عجب

(١٨٢)

أبو مسلم عبد الله بن ثوب الخولاني

أبو مسلم الخولاني، عبدالله بن ثوب، الزاهد، المشهور، سيد التابعين[1].

أسلم في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقدم المدينة في خلافة أبي بكر، وهو معدود في كبار التابعين، وكان فاضلا ناسكا عابداً، وله كرامات وفضائل.

روى عنه أبو إدريس الخولاني[2]، وجماعة من تابعي الشام، ولما تنبأ الأسود باليمن بعث إلى أبي مسلم، فلما جاءه قال: أتشهد أني رسول الله؟ قال: ما أسمع؟ قال: أتشهد أن محمداً رسول الله؟ قال: نعم، فردّد ذلك عليه، وهو يقول كما قال أول، فأمر بنار عظيمة، فأججت، ثم ألقى فيها أبا مسلم، فلم يضرّه ذلك، فقيل للأسود: أخرجه، وإلا أفسد عليك من اتبعك، فأمره بالرحيل،

---

(١) له ترجمة في تهذيب التهذيب ٢٣٥/١٢، وثوب – كما في التقريب – بضم الثاء وفتح الواو وبعدها باء موحدة، وقيل: بإشباع الواو، وقيل: ثواب، وقيل: أثوب، بوزن أحمر، وقيل: هو عبد الله بن عبد الله، وقيل: ابن عوف، وقيل ابن شكم، وقيل: اسمه يعقوب

(٢) أبو إدريس الخولاني اسمه عائذ الله بن عبد الله، ولد سنة ثمان للهجرة، وقد عده ابن حجر (الإصابة ٥٧/٥) في الصحابة

فأتى أبو مسلم المدينة ، وقد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأناخ راحلته بباب المسجد ، وقام يصلي إلى سارية ، وبَصُرَ به عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقام إليه ، وقال : ممن الرجل ؟ قال : من أهل اليمن ، قال : ما فعل الذي أحرقه الكذابُ بالنار ؟ قال : ذلك عبد الله بن ثوب ، قال : أنشدك بالله أنت هو ؟ قال : اللهمّ نعم ، فاعتنقه عمر وبكى ، ثم أجلسه بينه وبين أبي بكر رضي الله عنه ، وقال : الحمد لله الذي لم يمتني حتى أراني رجلا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فعل به كما فعل بإبراهيم الخليل عليه السلام .

وتوفي أبو مسلم سنة اثنين وستين للهجرة .

وروى له مسلم والأربعة ، ودفن بداريّا من ضياع دمشق ، رحمه الله تعالى !

(١٨٣)

عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، الجواد[1]

عبد الله بن جعفر بن أبي طالب الجواد

له صحبة ورواية ، ولد بالحبشة من أسماء بنت عُمَيْس[2] ، يقال : إنه لم يكن بالإسلام أسخى منه ، وروى عن أبيه وعمه ، وعن عمه عليّ بن أبي طالب ، كرّم الله وجهه ، وهو آخر مَنْ رأى النبيّ صلى الله عليه وسلم من بني هاشم ، سكن المدينة ، وتوفي سنة ثمانين للهجرة .

وهو أوّل مولود ولد في الإسلام بالحبشة ، وكان يسمى بحر الجود ، وكان لا يرى بسماع الغناء بأسا ، وكان إذا قدم على معاوية أنزله داره ، وأكرمه ، وكان ذلك يغيظ فاختة بنت قُرَظة بن عبد عمرو بن نوفل ، زوجة معاوية ، فسمعت

(١) له ترجمة في شذرات الذهب ٨٧/١ وفي تاريخ ابن كثير ٤٣/٩ وفي الإصابة لابن حجر (٤٨/٤) وفي خلاصة الخزرجي ١٩٣ بولاق ، وفي تهذيب التهذيب ١٧٠/٥ ، وانظر أخباره في العقد الفريد لابن عبد ربه (٢٦٢/١ و ٣٣٩ و ٣٤٣ و ٣٤٤ و ٣٦٧ — ٧٠/٢ و ٧١ و ٧٦ طبع اللجنة)

(٢) في ب « أسماء بنت حميس » بالحاء المهملة — تحريف صوابه في كل الأصول التي ذكرناها من قبل

ليلة غناء عند عبد الله بن جعفر ، فجاءت إلى معاوية ، فقالت . تعال ، فاسمع ما في منزل هذا الرجل الذي جعلته بين لحمك ودمك ، فجاء ، فسمع وانصرف ، فلما كان آخر الليل سمع معاوية قراءة عبد الله بن جعفر ، فأنبه فاختة ، وقال : اسمعي مكان ما أسمعتني .

ويقولون[1] : إن أجواد الأعراب في الإسلام عشرة ، فأجواد أهل الحجاز : عبد الله بن جعفر ، وعبيد الله بن العباس بن عبد المطلب ، وسعيد بن العاص ابن سعيد بن العاص ، وأجواد أهل الكوفة . عبد الله بن عتاب بن ورقاء ، وأسماء بن خارجة بن حصن الفزاري ، وعكرمة بن ربعي الفياض ، أحد بني تيم الله بن ثعلبة ، وأجواد أهل البصرة [عمر بن][2] عبيد الله بن معمر ، وطلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي ، وهو طلحة الطلحات ، وعبيد الله بن أبي بكرة ، وأجواد أهل الشام : خالد بن عبد الله بن خالد ابن أسيد بن أبي العيص بن أمية ، وليس في هؤلاء كلهم أجود من عبد الله بن جعفر

فعوتب في ذلك فقال : إن الله عز وجل عودني عادة ، وعودت الناس عادة ، فأخاف إن قطعتها قُطعت عني .

وأخباره في الجود كثيرة ، رحمه الله تعالى ! .

(١٨٤)

عبد الله الزبير القرشي

عبد الله بن الزبير بن العوّام بن خُويلد بن أسد بن قُصَي ، القرشي ، الأسدي[3] شهد وقعة اليَرْموك والقسطنطينية والمغرب ، وله مواقف مشهورة ، وكان فارس قريش في زمانه .

---

(١) انظر العقد الفريد ١/٣٣٩ وذيل أمالي القالي ٢٠

(٢) هذه الزيادة ليست في العقد ولا في ذيل الأمالي

(٣) له ترجمة في تهذيب التهذيب ٥/٢١٣ وفي خلاصة الخزرجي ١٩٧ بولاق وفي أخبار الخلفاء للسيوطي ٨٢ وفي تاريخ ابن كثير ٧/٣٣٢ وفي تاريخ ابن الأثير ٤/ ١٤٥ بولاق

بويع بالخلافة سنة أربع وستين ، وحكم على الحجاز ومصر واليمن وخراسان والعراق ، وأكثر الشام .

وولد سنة اثنتين من الهجرة ، وتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وله ثمان سنين وأربعة أشهر .

خرجت أسماء أمه حين هاجرت حُبْلى ، فنُفِسَتْ بعبد الله فى قُبَاء ، قالت أسماء : ثم جاء بعد سبع سنين ليبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أمره بذلك الزبير ، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآه مقبلا ، ثم بايعه .

ولما قدم المهاجرون أقاموا لايُولَد لهم ، فقالوا : سحرتنا اليهود ، فكان أول مولود بعد الهجرة ، فكبر المسلمون تكبيرة واحدة حتى رتجت المدينة ، وأمر النبى صلى الله عليه وسلم فأذن فى أذنيه بالصلاة ، وكان عارضاه خفيفين ، فما اتصلت لحيته حتى بلغ ستين سنة .

وأتى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يحتجم ، فلما فرغ قال : يا عبد الله ، اذهب بهذا الدم فأهرقه حيث لا يراك أحد ، فلما غاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عمد إلى الدم فشربه ، فلما رجع قال له : ما صنعت بالدم ؟ قال : عمدت إلى أخفى موضع علمت به فجعلته فيه ، قال : لعلك شربته[1] ؟ قال : نعم ، قال : ولِمَ شربت الدم ؟ ويل للناس منك ! وويل لك من الناس !

وعن إسحاق بن أبى إسحاق قال : حضرت قَتْلَ عبد الله بن الزبير ، جعلت جيوش تدخل عليه من باب المسجد ، فكان كلما دخل عليه قوم من باب حمل عليهم

(١) فى ابن كثير « كان النبى صلى الله عليه وسلم قد احتجم فى طست ، فأعطاه عبد الله بن الزبير ليريقه ، فشربه ، فقال له : لا تمسك النار إلا تحلة القسم ، وويل لك من الناس ، وويل للناس منك . وفى رواية أنه قال له : ياعبد الله ، اذهب بهذا الدم فأهرقه حيث لا يراك أحد ، فلما بعد عمد إلى ذلك الدم فشربه ، فلما رجع قال ماصنعت بالدم ؟ قال : إنى شربته لأزداد به علما وإيمانا ، وليكون شىء من جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جسدى ، وجسدى أولى به من الأرض ، فقال : أبشر ، لاتمسك النار أبدا ، وويل لك من الناس ، وويل للناس منك » ا هـ

وحده حتى يُخْرِجهم ، فبينا هو على هذه الحالة إذ جاءته شرفة من شرفات المسجد في رأسه ، فصرعته فوقع وهو يقول :

أسماء يا أسماء لا تبكيني   لم يبق إلا حسَبي وديني

* وصارم لانت به يميني *(١)

وقال سهل بن سعد : سمعت ابن الزبير يقول : ما أراني اليوم إلا مقتولا ، رأيت الليلة كأن السماء فرجت ، فدخلتها ، فقد والله مللت الحياة وما فيها .

وقال عمرو بن دينار : كان ابنُ الزبير يُصَلِّي في الحِجر والمنجنيقُ يصيب طرف ثوبه فما يلتفت إليه ، وكان يسمى حمامة المسجد .

وقال ابن إسحاق : ما رأيت أحدا أعظم سجدة بين عينيه من ابن الزبير .

وجاء الحجاج إلى مكة فنصب المنجنيق عليها ، وكان ابن الزبير قد نصب فسطاطا عند البيت ، فاحترق واحترق قرنا الكبش الذى فُدِي به إسماعيل يومئذ ، ورمى الحجاج المنجنيق على ابن الزبير وعلى مَنْ معه في المسجد ، وحمل ابن الزبير بيضه(٢) على الحجر الأسود تردعه ، على خُودة ، ودام الحصار ستة أشهر وسبع عشرة ليلة ، وخذل ابنَ الزبير أصحابُه ، وخرجوا إلى الحجاج ، ثم إن الحجاج أخذه وصلبه مُنكسا

وكان آدَمَ ، نحيفا ، ليس بالطويل ، بين عينيه أثر السجود .

قيل : إنه بقي مصلوبا سنة ، ثم جاء إذن عبد الملك أن يُسَلِّم إلى أسماء ولدها ، فأنزلوه فغطته وكفنته ، وصَلَّتْ عليه ، وحملته فدفنته بالمدينة في دار صفية بنت حُيَيّ ، ثم زيدت دار صفية في المسجد ، فهو مدفون مع النبي صلى الله عليه وسلم ومع أبي بكر وعمر رضي الله عنهما .

وكان كثير الصلاة ، كثير الصيام ، شديد البأس ، كريم الجدات والأمهات والخالات .

---

(١) في ب « وصارم لانت به يميني »

(٢) البيضة — بفتح الباء وسكون الياء — الخودة كما قال

وقال على بن زيد الجدعانى : إلا أنه كانت فيه خلال لا تصلح معها الخلافة ، لأنه كان بخيلا ، ضَيِّقَ العَطَنِ ، سيء الخلق ، حسوداً ، كثير الخلاف ، أَخْرَجَ محمد بن الحنفية ، ونفى عبد الله بن عباس إلى الطائف .

وقال : لما كان قبل قتله بعشرة أيام دخل على أمه وهى شاكية فقال : كيف أنت يا أمه ؟ قالت : ما أجدنى إلا شاكية ، فقال لها : إن فى الموت راحة ، قال : لعلك تمنيته لى ، ما أشتهى أن أموت حتى تأتى على أحد طرفيك ، إما قتلت ، وإما ظفرت بعدوك ، فقرت عينى ، قال عروة : فالتفت إلىّ وضحك ، فلما كان اليوم الذى قتل فيه دخل عليها ، فقالت : يا بنى لا تقبل منهم خطة عليك فيها الذل مخافة القتل ، فوالله لضربة سيف فى عز خير من ضربة سوط فى مذلة ، قال : فخرج وقد جعل له مصراع عند الكعبة ، وكان تحته ، فأتاه رجل من قريش فقال : ألا نفتح لك باب الكعبة فتدخلها ، فقال ابن الزبير : إن حرمة المسجد كحرمة البيت ، والله لو وجدوكم تحت أستار الكعبة لقتلوكم ، ثم قال :

ولست بمبتاع الحياة بسبة ولا مُرْتَقٍ من خشية الموت سلما[1]

ثم شد عليه أصحاب الحجاج ، فقال : أين أهل مصر ؟ فقال : هم هؤلاء من هذا الباب ، فقال لأصحابه : اكسروا أغماد سيوفكم ، ولا تميلوا عنى ، فإنى فى الرَّعيلِ[2] ، ففعلوا ، ثم حمل وحملوا معه ، وكان يضرب بسيفين ، فضرب رجلا فقطع يده ، وانهزموا فجعل يضربهم حتى أخرجهم من باب المسجد ، فجعل رجل أسود يسبه ، فقال له : اصبر يا ابن حام ، ثم حمل عليه فصرعه ، ثم دخل أهل حمص من باب بنى شيبة ، فشد عليهم وجعل يضربهم بسيفه حتى أخرجهم من المسجد ، ثم رجع وهو يقول :

---

(١) فى ب « ولا مرتق من خشية الله سلما » تحريف بفساد المعنى

(٢) الرعيل : أراد به الرعيل الأول ، وهم السابقون المتقدمون قبل أصحابهم من أهل القطاع

لو كان قِرْنٌ واحد كُفِيتُهُ أوردته الموت وقد ذكيته

ثم دخل أهل الأردن من باب آخر ، فجعل يضربهم حتى أخرجهم من باب المسجد ، وهو يقول :

لا عَهْدَ لي بغارةٍ مثل السَّيْلْ لا يَنْجَلي غُبارُها حتى الليل

وجاءه حجر من ناحية الصفا ، فوقع بين عينيه ، فنكس رأسه وهو يقول :

ولسنا على الأعقاب تدمى كلومُنا ولكن على أقطارنا يقطر الدم[1]

ثم اجتمعوا عليه ، فلم يزالوا يضربونه حتى قتلوه .

ولما قتل كبر أهل الشام ، فقال ابن عمر : المكبرون عليه يوم ولد خير من المكبرين عليه يوم قتل .

وقتل معه مائة وأربعون رجلا منهم من سال دمه في جوف الكعبة .

قال ابن عبد البر : دخل عروة ابن الزبير إلى عبد الله بن مروان ، فسأله في إنزاله من الخشبة ، فأمر بإنزاله .

قال ابن أبي مليكة : كنت ممن تولى غسله ، فجعلنا لا نتناول عضوا إلا جاء معنا فنغسله ونضعه في أكفانه ، ونتناول العضو الذي يليه فنغسله ونضعه في أكفانه ، حتى فرغنا منه ، فقامت أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق فصلّت عليه ، وكانت قبل ذلك تقول : اللهمّ لا تمتني حتى تقرّ عيني بجثته[2] ، فما أتى عليها بعد ذلك جمعة حتى ماتت .

ويقال : إنها ـ أي أمه ـ لما حنط[3] إليها ووضعته في حجرها حاضت ودرّ ثديها

وقيل : إن الحجاج حلف أن لا ينزله من تلك الخشبة حتى تشفع فيه أمه[2] ، فبقي سنة ، ثم مرت تحته أمه فقالت : أما آن لهذا الراكب أن ينزل ، فيقال : إن هذا الكلام قيل للحجاج بن منزلة الشفاعة فيه ، فأنزله .

(١) كذا ، والمشهور في رواية البيت « ولكن على أقدامنا »

(٢) في ث « بجثته »   (٣) حسيبه الله ، ويبتقم منه ومحاربه !!

وكان قتله سنة ثلاث وسبعين للهجرة .

ويقال إن الحجاج وَرَدَ عليه كتاب عبد الملك بن مروان قبل قتل ابن الزبير : أعطِ ابنَ الزبير الأمان ، وحكمه في الولاية ، واستنزله عن الخلافة ، فشاور ابن الزبير أصحابه ، فأشاروا عليه بأن لا يفعل ، فقال : لاخلعها إلا الموت ، ثم قال :

الموت أكرم من إعطاء منقصة   إن لم تَمُتْ عَبْطَةً فالغاية الهرم[1]
اصبر فكل فتى لا بدّ مخترم   والموت أسهل مما أشْمَتْ خُشُمُ

(١٨٥)

أبو القاسم عبد الله بن عبد الرحمن الدينوري

عبد الله بن عبد الرحمن ، الدينوري ، أبو القاسم ، من رؤساء الأدباء والكتاب .

ومن شعره من أبيات يسترجع بها كتابا مُعارا :

أنا أشكو إليك فَقْدَ نديم   قد فقدت السرور مذ تولّى
كان لي مؤنسا بِكُلِّ همومي   وأحاديثَ مِنْ مُنَى النفس أحْلَى
عن أبي حاتم عن ابن قريب   واليزيديُّ كل ما كان أمْلَى
وهو ركن يشكو إليك ويبكي   ويغني « قد آن لي أن أُخَلَّى »
فتفضل به عليّ ، لأني   لست إلا بمثله أتسلّى

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

بأبي أنت وقد طبت لنا ضمّا وشمّا
ضاق فوك العذب والسينُ وشيء لا يُسَمّى

---

(١) عبطة — بالعين المهملة مفتوحة ، ووقع في ب ، ث « غبطة » بالغين معجمة تحريف — أي مات في فتاء السن وطراءة العمر

(١٨٦)

محي الدين عبد الله بن عبد الظاهر الجذامي المصري

عبد الله بن عبد الظاهر بن نشوان بن عبد الظاهر بن نجدة ، الجذامي ، المصري ، المولى ، القاضي محي الدين بن القاضي رشيد الدين[1] الكاتب ، الناظم ، الناثر ، شيخ أهل الترسل ، ومَنْ سلك الطريق الفاضلية في إنشائه ، وهو والد القاضي فتح الدين محمد صاحب دواوين الإنشاء

سمع من جعفر الهمداني وعبد الله بن إسماعيل بن رمضان ويوسف بن المخيلي وجماعة ، وكتب عنه البرزالي وابن سيد الناس وأثير الدين وابن جماعة

وكان بارع الكتابة ، له في قلم الإنشاء طريقة غريبة حلوة ، وكان داهية وعصبية

ولد في المحرم سنة عشرين وستمائة ، وتوفي بالقاهرة سنة اثنتين وتسعين وستمائة.

ومن إنشائه كتاب كتبه إلى الأمير شمس الدين سنقر جوابا عن كتاب كتبه بفتح بلاد النوبة

(وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة) .

أدام الله نعمة المجلس ، ولا زالت عزائمه مرهوبة ، وغنائمه مجلوبة ومحبوبة ، وخطاه هذه تكفي المؤمنين وهذه تكف النوبة ، ولا برحت وطأته على الكفار مشتدة ، وآماله لإهلاك الأعداء كرماحه ممتدة ، ولا عدمت الدولة بيض سيوفه التي يرى بها الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة !

صَدَرتْ هذه الكتابة إلى ذلك المجلس تُثني على عزائمه التي بها ثبت كل أمر رشيد ، وأتت على كل جبّار عَنيد ، وحكمت بعدل السيف في كل عبد سوء

---

(١) له ترجمة موجزة في شذرات الذهب ٥/٤٢١ وفي تاريخ ابن كثير ١٣/٣٣٤ وقال « محي الدين عبد الله بن رشيد الدين عبد الظاهر بن نشوان بن عبد الظاهر بن علي بن نجدة ، السعدي ، كاتب الإنشاء بالديار المصرية » اهـ ، وله ترجمة في النجوم الزاهرة ٨/٣٨

وما رنك بظلام العبيد ، حيث شكرت الصمُّ الجُرْد وحمدت البيض ، واشتبه يوم النصر بأمسه بقيام حروف الصلة مقام نص فأصبح غزو كنيسة سوس كغزو سص ، ونُعلمه أنا علمنا أن الله مصلح طهر البلاد من رجسها وأراح العباد ، وحسمَ مادة معظمها الكافر وقد كان وكاد ، وحمل عيد النحر بالأضحية بكل كبش حرب يبرك في سواد ويبرل في سواد وينظر في سواد ، وتحققنا النصر الذي شق النفوس وأزال البوس ، ومحا آيةَ الليل بخير الشموس وجرب دُمْقلة بجريمة سوس ، وكيف لا يجرب شيء يكون فيه سوس ، فالحمد لله على أن صبحتهم عزائم الجيش بالويل ، وعلى أن أولج النهار من السيف منهم في الليل ، وعلى أن ردّ حرب حرابهم إلى نحورهم ، وحمل تدبيرهم إلى تدميرهم ، وبين خيط السيف الأبيض من الخيط الأسود من نحر نحورهم ، وأطلع على ممسيات النصر ذهن الجيش الحاضر ، وأورث سليمان المؤمن مُلْك داود الكافر ، وقرن النصر بعزم الجيش الأبيض ، وأهلك العدو الأسود بميمون طائر النصر الأبيض ، وكيف لا وأقسنقر هو الطائر الأبيض ، وأقرّ لأهل الصعيد كل عين ، وجمع شملهم فلا يرون من عدوهم بعدها غرابَ بين ، ونصر ذوي السيوف على ذوي الحراب ، وسهّل صَيْدَ ملكهم على يد الجيش وكيف يعسر على السنقر صيد الغراب ، والشكر لله على إذلال ملكهم الذي لان وهان ، وأراه بأسه الذي صرح به شرٌّ كل منهم في قتله فأمسى وهو عُرْيان[1] ، وأسهل سهل الأسنة التي عند طعنها كفم الزق غدا والزق ملآن ، ودق أعقبهم بالسيف الذي أعلق الله تعالى بمالهم الطير فقال دق عند السودان ، ورعى الله جهد الجيش الذي قوم هذا الحادث المتأود ،

---

(١) أخذ هذه الفقرة والتي بعدها من قول الحماسي :

صفحنا عن بني ذهل	وقلنا القوم إخوان
فلما صرح الشر	وأمسى وهو عريان
ولم يبق سوى العدوا	ن دناهم كما دانوا
بطعن كفم الزق	غدا والزق ملآن

ولا عدم الإسلام فى هذا الخطب سيفه الذى قام خطيباً وكيف لا وقد ألبسه منهم السَّوَاد ، وشكر له عزمه الذى استبشر به وجه الزمن بعد القُطُوب ، وتحققت بلاد الشمال به صلاح بلاد الجنوب ، وأصبحت به سهام الغنائم فى كل وجه نُسْهِم ، ومُتُونُ الفتوحات يمتطى السيف منها كل سبس وتارة كل أدهم ، ولله المنة على أن جعل رَبْعَ العدو بعزْم المجلس حصيداً كان لم يَغْنَ بالأمس ، وأقام فُرُوضَ الجهادِ بسيوفه المسنونة وأناملِهِ الخَمْس ، وقرن ثباته بتوصيل الطعن لنحور الأعداء ووقتُ النحر فيه رمح من طلوع الشمس ، ونرجو من كرم الله تعالى إدراك المطلوب ، ورده على السيف بسيف هو به والعبدُ الأسودُ إذا هرب يُرَدّ بعيب الهروب

وفى هذه الغزوة قال ابن النقيب النفيسى :

يا يوم دنقلة وقتل عبيدها   فى كل ناحية وكل مكان

كم فيه زنجىٍّ يقول لأمه   وحى فقد دقوا قفا السودان

وكتب فى محضر قيم خدم الصوفيـــة جوار خانقاه سعيد السعداء اسمه يوسف :

يقول الفقير إلى الله تعالى عبد الله بن عبد الظاهر : إن أبا الحجاج يوسف ما برح لأهل الصلاح قيما ، له خَوْدة صناعة استحق أن يدعى بها قيما ، كم له عند كل جسم من منّ جسيم ، وكم أقبل مستغسلوه تعرف فى وجوههم نَضْرَةَ النعيم ، وكم تجرد مع شيخ صالح فى خَلْوه ، وكم قال ولى الله يا بشراى إذ ليوسف حين أدلى فى حوضٍ دلوه ، كم خدم من العلماء والصلحاء إنساناً ، وكم أدخر بركتهم لدنيا وأخرى بحصل كل منهم شفيعين مؤتزرا وعريانا[1] ، كم حرمة خدمة له عند

(١) أخذ هذه الفقرة من قول الفرزدق فى طلاق زوجه نوار :

أما بنوه فلم تقبل شفاعتهم   وشفعت بنت منظور بن زبانا

ليس الشفيع الذى يأتيك مؤتزرا   مثل الشفيع الذى يأتيك عريانا

أكابر الناس ، وكم له يد عند كل حسد ومنة على رأس ، كم شكرته أبشار البشر ، وكم حكت رجل رجل صالح فتحقق هناك إن السعادة لتلحظ الحجر ، قد قبّل خدمة الفضلاء والزهاد أهله وقبله وقبيله ، وشكر على ما يعاب به غيره من طول الفتيلة ، تتمتع الأجساد بتطيبه لحامه بظل ممدود وماء مسكوب ، وتكاد كثرة ما يخرجه من المياه أن تكون أسوبا على أسوب .

وكتب إلى بعض أصحابه يستدعيه إلى حمام :

هل لك ـ أطال الله بقاءك إطالة تكرع بها من منهل النعيم ، وتتملى بالسعادة تملى الزهر بالوسمي[1] والمطر بالحسن الوسيم ـ فى المشاركة فى حمام جمع بين جنة ونار ، وأنواء وأنوار وزهر وأزهار ، قد زال فيه الاحتشام بكل عار ، ولا عار ، نجوم جاماته لا يعتريها أفول ، ونعيم رخامه لا غيره ذبول ، فافتست الصخر على خدمة المحل به ، فاقتحم كل التوصل فيه إلى نوع أربه ، فأرسل البحر بماء حسده من حسده ، لتقبيل أخمصه إذ قصرت همته عن تقبيل يده ، ولما لم ير التراب له فى هذه الخدمة مدخلا ، تطفل وجاء وما عم أن التسريح لمن جاء متطفلا ، والسدر رأت أن لا أحد بمباشرته يستقل ، وأن فيها معنى معرض الخدمة لا يحل ، لأن لها حرمة هداية الضيف فى السرى ، وبها دفع القر وصنع القرى[2] ، فأعلمت ضدها بماء فدخل وهو حار الأنفاس ، وعلت مزاحمة عليها فلأجل ذلك داخله من صوت مكانه الوسواس ، والهوى أنه قصر عن مطاولة هذا المدار ، فأمسك متهيبا ينظر ولكن من خلف زجاجة إلى تلك الدار ، ثم بين الأشجار رأت أنها لا شائبة لها فى هذه الحظوة ، ولا مشاهمة لشىء من تلك الخلوة ، فأرسلت من الأمشاط أكفا أحسنت بها وجوه الفرق ، ومرت

---

(١) الوسمى : مطر أول الربيع ، والوسيم : الجميل

(٢) القر ـ بتشديد الراء ـ البرد ، والقرى ـ بكسر القاف مقصوراً ـ ما يقدم للضيف

على سواد الدجى الفاحمة كما يمر البرق ، وذلك على يد قيّم قيِّم محقوق الخدمة ،
ماهر فيما يعامل به أهل النعيم من أصحاب النعمة ، خفيف اليد مع الأمانة ،
موصوف بالمهارة عند أهل تلك المهَانة، لطف أخلاقا حتى كأنها عتاب بين جحظَة
والزمان[1] ، وأحسن صنيعه فلا يمسك إلا بمعروف ولا يُسَرّح إلا بتسريح بإحسان ،
أبداً يرى من يخدمه وهو ذو صَلَف[2] ، ويشهد مُزيلا لكل أذى حتى لو خدم
البدرَ أزال عن وَجْهه الكَلَف ، بيده موسَى كأنه صَبَاح يسبح ظلاما ، أو نسيم
ينفض عن الزهر أكماما ، إذا أخذ صابونه أوهمَ من يخدمه بما يمره على جسمه
أنه بحر عجاج ، لما يبدو من زَبَدِهِ لأعكان التي هي أحسن من الأمواج ، فهم
إلى هذه اللذة ، ولا بعد الحمام دعوة أهل الحرف فربما كانت هذه من بين تلك
الدعوات فذّة ، وأما سيدنا يشاهد فلا يُخْبِنُ وصفَه فَمى ، ولا ينطق عطفه
بذى ولا فى ، وإذ صح عنى سنى قول ، وأحسن الخلاعة ما ستر به دون
العقول . لدى ـ أهلك الله ـ غصون قد هصرها الحسن طربا ، بل رماح لغير
كفاح قد نَشرت من شعورها عذبا ، وبدور أسْبَلَتْ من الذوائب غيهبا ،
قد حملت بين الخصور والردوف من المآزر ورقا لا يبينان ، وعلمت منهم أننا في
جنة تجري من تحتها الأنهار ويطوف عليها الولدان ، يكاد الماء إذا مر على
أجسادهم يجرحها نمره ، والقلبُ أن يخرج إلى مباشرتها من الصدر وعجيب لأمرئ
لا يلق الأمور بصدره ، إذا أسْدَلَ بعضهم ذوائبه ترى ماء عليه ظلٌ يرف ،
وجوهراً من تحت عنبر يَشِف ، يطلب كل منهم السلام وكان الواجب أن
تطلب منه السلامة ، وكيف لا وقد غدا كل منهم أمير حسن وشعره المنشور

---

(١) أخذ هذه العبارة من قول الشاعر :

ورق الجو حتى ظن فيه عتاب بين جحظة والزمان

(٢) الصلف ـ بالتحريك ـ الكبر

وخاله العلامة ، إذا أفاض ماء بيده على الحُضّار ، قلت : هــذا بدر بيده نجم تقسم منه أشعة الأنوار ، وإن أخذ غَسُولا وأمَرّه على جسمه معركا ، لم يبق عضو إلا اكتسى منه لطافة وراح مدركا ، فما عذرك فى انتهاز تلك الفرص ، واقتناص هذه الشوارد التى يصدر فيها من اقتنص ، والله تعالى يوالى إليك المسار ، ويحصلها لديك دائمة الاستقرار ، بمنه وكرمه ! .

ومن شعره :

كم قلت لما بت أرشف ريقه ... وأرى نقيّ الثغــر دُرّا منتقى
ماذا يا ذاكَ اللمَى مــترويا ... كرّر علىّ حديث جيران النقا[1]

وله أيضا رحمه الله تعالى :

قلت للعين طيفُ إلفك سارى ... فهــيّئْ له ولو بعَوارى[2]
فتهيّأتْ لقصــره وتهادت ... من دموع لديــه بين جوارى
يتسابقن خــدمة فتراهن لديها ... كالدر أو كالدرارى
ثم لما تحقق الطيف أن تلــك دموع خشى جوار البحار
بات جارى ودمع عينى جارى ... فتحيرت بين جار وجارى
يا لقومى ما بين هذا وهــذا ... كيف يبقى السلو حسن اصطبارى
مفرد فى جماله إن تَبَــدّى ... خجلت منه جمــلة الأقمار
كيف أرجو الوفاء منــه وعاملــت غريما من طرفه ذا انكسار
ذو حواش يبــدو لما قلم الريحان من خــده فجلّ البارى
فيه وجــدى محقق وسُلوى ... وكلام العــذول مثل الغبار

---

(١) فى ب ، ث « بالله ياذات اللمى » وليس بشىء

(٢) تهي : أصله « تهيء » فلما سهل الهمزة قلبها ياء ، احتمع ياءان فحذف إحداها

ولسانى فى حبه قال الشعر ورقّ المكتوب بالطومار

كم أبكى عنه وأكتم وجدى   وأرى الحب هاتكَ الأستارِ

وقال فى الشبابة رحمه الله :

وناطقة بالروح عن أسرارها   تُعبّر عما عندنا وتترجم

سكتنا وقالت للنفوس فأطربت   فنحن سكوت والهوى يتكلم

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

حسب الناس للحمامة حزناً   وأراها فى الحزْنِ ليست هنالك

خضّبَتْ كفها وطوّقت الجيد وغنت وما الحزين كذلك

وقال رحمه الله تعالى .

لئن جاد لى بالوصل طيف خياله   وأصبح محروماً رقيبٌ ولائم

ألا إنما الأقدار تحرم سائلا   وآخر يأتى رزقه وهو نائم

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

لا تقل الروض أحاديثه   عن غير نمام غدت حاكيه

فإنه ينقل أخباره   إلىّ عين عنده صافيه

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

يا قاتلى بلحاظ   قتيلها ليس يقبر(١)

إن صدّ واغتك قلبى   فهو القتيل المصبر

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

لا واحد الله نَدّكْ   فكم وشى بى عندك(٢)

وقال عنى بأنى   شبهت بالغصن قدّك

---

(١) فى النجوم « ياقاتلى بجفون »

(٢) الند ـ بفتح فسكون لفظ فارسى ، وأصله العقد ، واستعمل فى العلم الكبير ، وقالوا «فلان كثير الند» يريدون أنه كثير الحيل

وأنت تعظم عندى　　أن يصلح البدر عبدك

ولست والله أرضى　　أن يحكى الوردُ خدّك

فقاتل الله طرفى　　فكم به نلت قصدك

ولا رَعَى الله قلبى　　فكم رعى لك عهدك

ش ترى أنا حتى　　حسبت قتلىَ وُكْدَكَ

وكم أطعتك جهدى　　وكم تجنيت جهدك

وأنت تخلف وعدى　　ولست أخلف وعدك

وما عشقتك وحدى　　بلى عشقتك وحدك

وبعد هــذا وهذا　　وذاك لا ذقت فقدك

وقال أيضا متغزلا رحمه الله :

ما خلت أنى من شكوى مملق　　حتى غدوت من المدامع أملق[1]

كلاّ ولا خلت اصطبارى كاسدا　　حتى رأيت مَصُونَ دمعى ينفق[2]

يا للرجال نصيحة من عاشق　　بين النفوس وبينكم أن تعشقوا

عشقته غصنًا بــدر مثمرا　　لكنّ أخضر عارضيه مورق

لو لم يكن كالرمح قامته لما　　أمسى عليه لواء قلبى يخفقُ

قمر له الوجه الذى هو جنّة　　أمسى بها يتنعم المتعشق

فعذاره من سندس ، ورضابه　　من كوثر ، وخدوده إستبرق

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

كم عاشق ظنه لمـا بدا وثنًـا　　حتى لوى عطفه من تيهه وثنا[3]

---

(١) مملق : اسم فاعل فعله « أملق فلان يملق » أى افتقر ولم يبق عنده شىء

(٢) كسدت تجارته : أى لم تلق رواجا

(٣) الوثن فى صدر البيت الصنم ، ووثناه فى عجزه : فعل ماض معناه عطف ولوى ، وكان من حقه أن يكتب بالياء ، لكنهم هكذا يكتبونه بالألف إتماما لصنعة التجنيس

ومبسم دلّ إذا ما قال واصفه ... للطف ثغرته قلنا سم وثنا

كم قد رمى أسهما من لحظ مقلته ... فتجرح الناس من أن رمى ورنا(١)

كم من أحاديث عشق لست أسندها ... إلا محدثنا عنه وأخبرنا

قالت حمولي لما لاح عارضه ... أهلا به عارض قد لاح ممطرنا

الصبح غرته ، والليل طرته ... والقلب لا ينثني من ذا وذا سكنا

إن قيل من هو عبد للحبيب أقل ... لو لم أكن أنا عبد الله قلت أنا

أو قلت بدر قضيب دمية رشأ ... يقل والله لي مما ذكرت غنى

دع ما عداك من الأوصاف معترفا ... ودونك الكل مجموعا لديّ هنا

كم قلت واشيك يا من كان أوحشه ... وغاب عنا فيا والله أوحشنا

فيا حبيبا به قد صرت من زمن ... أشكو وكنت عليه أشكر الزمنا

أشمت يوسف في حسن وردت على ... شرب به بالبخس يا من قد علا ثمنا

ملأت عيني نوراً مشرقا وسنا ... فرسم جفنيها من ذا وذا وسنا

أقسمت بالصوم وذي ومن شيبى ... ما إن عصيتك لا سرا ولا علنا

كم قمت عندك لي في الحب مسألة ... فيها أفتنا يا مليحا حسنه فتنا

هل عنك يعتاض قلبي بأحشائه ... وليس من قد نأى عنه كمن كنا

وقال أيضا من أبيات :

ذو قوام يجور منه اعتدال ... كم قتيل به من العشاق

شقت القضب لينها فهي غيظا ... واصلت شكوه بالأوراق

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

محق ما بينكم وبيني ... لا تذكروا لي حديث بين(٢)

---

(١) رنا : نظر
(٢) البين : الفراق

فأنتم لى بياض حظى   وأنتم لى سواد عينى

وقال رحمه الله تعالى وعفا عنه :

رب روض أزرى به بدر تم   حيث غالى فى تيهه والتجرى

كان ظنى أن مصبح القد بالغصـ   ـن وأن الزلال بالريق يُزْرِى

ورأت الأغصان ذلا لديه   واقفات والعينُ للدمع تذرى

ثم لما ثنى العنان عن النهـ   ـر غدا فى ركابه وهو يجرى

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

صح الصحيح وأىّ شىء يختفى   بى أهيف ، وفديته من أهيف[1]

كلفى ببدر قد سما بكماله   فى الأرض عن بدر السماء الأكلف

ظبى من الأتراك إلا أنه   فيه من الأعراب ترك تصلف

من جنّة الذوى فما منه سوى   أصداغه أوراقها لم تخصف

رشأ حريرىّ الخدود وإنما   قلبى مُرِيدٌ عذاره المتصوّف

ما أبصرته مقلة ثم التفت   إلا تقول لها ملاحته قِفِى

من قال ريقته الشهية قَرْقَفٌ   فالريق لم يعرف ولا القرقف

الغصن لما مال قال تهتكا   فضح التكلف شيمة المتكلف

مِنْ ردفه وقوامه كم صرعة   لمحبه متثقل ومخفف

كم مزقت ألحاظه من مهجة   بسوى الرضا من قلبه لم ترتق

وبليق هَيَفُ القدود وبها   جاءت إلىّ بفتنة لم توصف

أهوى من الأحقاف غُصْنا فصلت   زمرا حياصته بأحسن زخرف[2]

---

(١) الأهيف . الوصف من الهيف ـ بالتحريك ـ وهو ضمور البطن

(٢) أصل الأحقاف جمع حقف ـ بالكسر ـ وهو الكثيب من الرمل ، وسميت سورة من سور القرآن الكريم «الأحقاف» وسورة أخرى منه «فصلت» وثالثة «الزمر» ورابعة «الزخرف»

يحوى حواسم النساء ووجهه ... أيضا حوى ميم اللمى من مرشف

فهو المصون من عيون حواسد ... رقت ملاحته وتلك بها كفى

كم بت منتظرا عذاربه عسى ... أسلو فزاد بها عليه تأسفى

كم قال لى لما أشرت لمهجتى ... فى ناظريك أما حلفت له وفى

فوحق وجنته أما وحياتها ... تحكى لى الأعشار حسب المصحف

ووحق سورة يوسف ما وَجْهُهُ ... إلا كما قد قيل صورة يوسف

وَخَده حكى الدينار إلا أنه ... عن خاطرى وبناظرى لم يصرف

كم قلت فيه لعاذلى كن عاذرى ... ما كنت ممن عشق لى تعسف[1]

كم رمت أحلف لاعشقت مهفها ... ويقول لى أحلفه لا تحلف

وكتب إلى والده فتح الدين :

إن شئت تنظرنى وتنظر حالتى ... قابل إذا هب النسيم قبولا

تلقاه مثلى رقة ونحافة ... ولأجل عينك لا أقول عليلا

فهو الرسول إليك منى ليتنى ... كنت اتخذت مع الرسول سبيلا

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

أيها الصائد باللحظ ومَنْ ... هو من بين الورى مقتنصى

لا تَسُمْ طائر قلبى هربا ... إنه من أضلعى فى قفص

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

لقد قال لى إذ رحت من خمر ريقه ... أحُثُّ كؤوسا من ألذ مُقَبَّل[2]

بلثم شفاهى أو برشف شفاههم ... تَنَقَّلْ ملذات الهوى فى التنقل[3]

---

(١) عجز هذا البيت غير مستقيم ، ولم يظهر لى وجهه

(٢) المقبل — بزنة المعظم — موضع التقبيل ، وأراد الفم

(٣) تنقل : انتقل من موضع إلى موضع ، ومما يأكلونه على الشراب يسمونه النقل — بفتح النون وسكون القاف — ويقولون « تنقل فلان » إذا أكل النقل ، وأمثلة من المعنى الأول ... جعل ريقه خمراً ، وجعل اللثم والرشف نقلا

وله أيضا رحمه الله تعالى

ولم أنسه إذ قال قم نودعُ لضحى   ذخائر وصل فالزمان كتوم

فما مثله حسن ... ونه   تبيت عليه للنجوم حتوم

وقال أيضا فى معناه :

ألا ليت ليلاتٍ مضَيْنَ رواجع   وهل ما مضى من سالف الدهر يرجع

ليالٍ مواضٍ كم قطعت بها مُنَى   ولا شك فى أن المواضىَ تقطع

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

أما فى العالم طُرْفَةْ   من أشد الناس حرفه[1]

إن أجد رِزْقاً ثقيلا   كان فى العسرة خفه

أو أجد هذا وهذا   لم أجد فى الحال غرفه

أو أجدهُن جميعا   كان فى الآلة وقفه

فترانى طول دهرى   تائها من غير عفه

وقال أيضا فى دمشق رحمه :

لا تلوموا دمشق إن جئتموها   فهى قد أوضحت لكم ما لديها

إنها فى الوجوه تضحك بالزهـر لمن مرّ فى الربيع عليها

وتراها بالثلج تبصق فى لحـيـة من جاء فى الشتاء إليها

وقال فى مرزلة القطيمة :

هذى القطيمة التى   لا تشتهى ثقلا وعقلا

حشيت ... برد بس   فلأجل ذاك الحشو تقلى

---

(١) الطرفة — بضم الطاء وسكون الراء المهملتين — الشىء الطريف النادر ، وأراد بالحرفة هنا — بالكسر أو بالضم — الحرمان

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

لك طرف من حسنك الفتان بالصرحة　　كم قد أغار على العشاق في سبحه
لما علمت بأنه سابق الملحة　　عليه قد خفت شطته على صحه

وقال ملمزا في شبربة

وصدبة موطوءة غير أنها　　إذا افترشت أغرتك بالبيض والسمر
تُدَبّق من أعطافها خيزرانة　　وتَلْمَعُ من أزرارها طلعة البدر
على أذرع أمست تنام ، وإن تقم　　تعوتك طولا وهي تسرى إلى الشبر

وقال أيضا رحمه الله تعالى

وكم قال قوم بالمجالس جوطمت　　أناس ، وما هم من رجال التنافس
فقلت لهم ماذاك بِدْعٌ وإنه　　لعبد الدوا يدعى الجرا بالمجالس

وقال أيضا في أعور رحمه الله :

وأعور العين طل يكشفها　　بلا حياء منه ولا حيفه
وكيف تبقى الحياء عند فتى　　عورته لا تزال مكشوفه

وقال رحمه الله تعالى دو بيت

لله ليال أقمت بالنعيم　　في طل ساء شاهق كاسم
بالجيرة والنيل بدا أوله　　في مقتبل الشباب عند الهرم

(١٨٧)

صفي الدين عبد الله بن علي ابن شكر

عبد الله بن علي بن الحسين [١] بن عبد الخالق بن الحسين بن الحسن بن منصور الصاحب ، صفي الدين بن شكر ، المصري ، الدميري [٢] ، المالكي .

---

(١) له ترجمة في شذرات الذهب ٥/١٠٠ وتاريخ ابن كثير ١٣/١٠٦ ، وذكره في النجوم الزاهرة ٦/٢٦٣ و ٢٨٠ ومعجم البلدان ٤/٨٥

(٢) في ب ، ث « الزهيرى » وفي ابن كثير « ولد بالديار المصرية بدميرة بين مصر وإسكندرية » وضبط ياقوت « دميرة » بفتح أوله وكسر ثانيه ، وذكر فيمن نسب إليها الوزير ابن شكر

ولد سنة ثمان وأربعين وخمسمائة ، وتوفى سنة اثنتين وعشرين وستمائة .

سمع من السِّلَفى وجماعة وحدث بدمشق ومصر ، وروى عنه الزكى المنذرى والشهاب القوصى ، وكان موقرا لأهل العلم والصالحين ، كثير البر لهم ، لا يشغله ما هو فيه من كثرة الأشغال عن مجالستهم ومباحثتهم ، وقد أنشأ مدرسة قبالة داره بالقاهرة ، وبنى مصلى العيد بدمشق ، وبلاط الجامع الأموى ، وعمر الفوّارة ، وعمر جامع المزة ، وجامع حَرَستا .

وكان حلو اللسان ، حسن الهيئة ، ذا دهاء مفرط ، فيه هوَج وحمق وطيش ورعونة مفرطة وحقد لا تخبو ناره : ويظن أنه لم ينتقم فيعود وينتقم ، لا ينام عن عدوه ، ولا يقبل له معذرة ، ويجعل الرؤساء كلهم أعداءه ، ولا يرضى لعدوه بدون الهلاك ، لا تأخذه فى نقمته رحمة ، استولى على العادل ظاهرا وباطنا ، ولم يمكن أحدا من الوصول إليه ، ولا الطبيب ولا الفراش والحاجب إلا عليهم عيون ، فلا يتكلم أحد منهم كلمة ، وكان لا يأكل من الدولة فلسا ، فيدلاح له مال عظيم احتجنه[1] ، وعملت له فتنة المحلات[2] ، فتركها بيكتمها ويرده ، وقال : لا يستحل أن يأخذ سلك ورق ، وكان له فى كل بلد من بلاد السلطان ضيعة أو أكثر ، فى مصر والشام إلى خلاط ، وبيع مجموع ملكه[3] مائة ألف وعشرين ألف دينار ، وكان يكثر الإدلال على العادل ، ويسخط أولاده وخواصه ، وكان العادل يترضاه بما أمكنه ، وتكرر ذلك منه ، إلى أن غضب منه على جرّائه ، فأقره العادل على الغضب ، وأعرض عنه ، وظهر منه فساد ، فأمر بنفيه عن مصر والشام ، فسكن آمِدَ ، وأحسن إليه صاحبها ، فلما مات العادل عاد إلى مصر ووزّر للكامل ، وأخذ فى المصادرات ، وكان قد عمى ، ومات أخوه ولم يتغير ، وماتت أولاده وهو على حاله ، وكان يحُم حُمّى قوية .

---

(١) احتجنه : احتواه وضمه إلى نفسه ، ووقع فى ث « احجحه » بالحاء مكان النون ، وهذا وهم (٢) فى ب « وعملت له قبة محلات » تحريف قبيح

(٣) فى ب « مجموع ثقله »

وكان يأخذه المغص وهو في مجلسه بعد الإسهال ، ولا يلقي جنبه إلى الأرض ، وكان يقول : ما في قلبي حسرة إلا من ابن البيساني ، ما تمرغ على عتباتي ، يعني القاضي الفاضل ، وكان ابن الفاضل يحضر عنده وهو يشتمه فلا يتغير ، ويداريه أحسن مداراة ، وبذل له أموالا جمّة، وعرض له إسهال وزحير أنهكهُ حتى انقطع رئيس الأطباء عنه، فدعا من خواصه عشرة شيوخ من كبار العمال والكتاب ، وقال: أنتم تتشفّون بي وركب عليهم المعاصير وهم يزعقون ويصيحون إلى أن أصبح وقد خفّ ما به ، وركب في ثالث يوم ، وكان يقف على بابه الرؤساء من نصف الليل ومعهم المشاعل والشمع ويركب عند الصباح فلا يراهم ولا يرونه ، إما أنه يرفع طرفه إلى السماء ، وإما يعرج إلى طريق أخرى ، وفيه يقول ابن عنين :

ضاع شعري وقلّ في الناس قدري ... من وقوفي بباب اللئيم ابن شكر
لو أتتـــــه سؤالة بخراه ... قال سدّوا بحقي باب جحري

وفيه يقول أيضا رحمه الله :

ونعمة جاءت إلى سِفلةٍ ... أبطرهُ الإثراءُ لمّا أثرى[1]
فالناس من بغض له كلما ... مر عليهم لعنوا شـــاورا
تبًّا لمصر ولهـــا دولة ... قد رفعت في الناس إلا حرا

وكان السببُ في انحرافه عن الفاضل رحمه الله تعالى ما قاله الفاضل ، وهو : وأما ابن شكر فهو لا يشكر ، وإذا ذكر الناس فهو الشيء الذي لا يذكر ، وتوفي الفاضل رحمه الله تعالى ! وقد عصمه الله ولم يمكنه منه .

وفي ابن شكر يقول ابن شمس الخلافة :

---

(١) في ب « أبطرت الآثار والإثرا » مصحف، والسفلة ـ بكسر السين وسكون الفاء هنا ـ غوغاء الناس وسقاطهم ، والأصل فيه « سفلة البعير » وهي قوائمه ، استعملوها في الناس على التشبيه ، وثرى : أصله من باب رضي بمعنى أثرى أي عظم ماله وكثر ، وقد يأتي من باب نصر لازما بمعنى زاد

مدحتك ألسنة الأنام مخـافة　　وتقارضت لك فى الثناء الأحسن
أترى الزمان مؤخرًا فى مدتى　　حتى أعيش إلى انطلاق الألسن

وقيل : إنه عاش بعده ، وأطلق لسانه ، ثم تمنى أن لا يكون قد عاش إلى انطلاق الألسن ، ولشعراء عصره فيه أمداح طنَّانة مليحة إلى الغاية ، فمن امتدحه ابن الساعاتى ، وابن سناء الملك ، وابن قلاقس ، وابن نبيه ، وابن عنين ، وغيرهم ، والأمداح موجودة فى دواوينهم .

(١٨٤)

تقى الدين عبد الله بن على بن منجد السروجى

عبد الله بن على بن منجد بن ماجد بن بركات ، الشيخ تقى الدين السروجى .

قال الشيخ أثير الدين أبو حيان : كان خيرًا عفيفًا تاليًا للقرآن ، عنده حفظ جيد من النحو واللغة والآداب ، متقللا من الدنيا ، ملب عليه حُبُّ الجمال مع العفة التامة والصيانة ، نظم كثيرا ، وغنّى بشعره المُغنُّون ، وكان يبكر على المفصل[1] والمتنبى وصاحب المقامات ، ويستحضر حظًا كبيرًا من صحاح الجوهرى ، وكان مأمون الصحبة ، طاهر اللسان ، يتفقد أصحابه ، لا يكاد يظهر إلا يوم الجمعة ، وكان يكره أن يخبر أحدا باسمه ، لأنه كان يقول لى مع الأصحاب ثلاث رتب : أول ما أجتمع بهم يقولون : جاء الشيخ تقى الدين ، راح الشيخ تقى الدين ، فإذا طال الأمر يقولون : جاء التقى ، فيصير عليهم ، وأجعل أنهم قد أخذوا فى الملل ، فإذا قالوا : جاء السروجى ، راح السروجى ، فذلك آخر عهدى بهم .

وقال الشيخ شهاب الدين محمود : كان يكره مكانا يكون فيه امرأة ، ومن دعاه قال : شرطى معروف أن لا تحضر امرأة ، وحضر فى دعوة فحضر شواء ، فأدخل إلى النساء فقطعوه وحملوه فى الصحون فلم يأكل منه ، وقال فيه : تَسْتَنَّهُ[2] بأيديهن .

---

(١) فى ب ، ث « يبكر على الفصل »
(٢) فى ب ، ث « لمسوه بأيديهم »

وكان مولده سنة سبع وعشرين وستمائة بسَرُوجَ[1] ، وتوفى بالقاهرة رابع رمضان سنة ثلاث وتسعين وستمائة .

قال أبو حيان : ولما توفى قال أبو محمويه : والله ما أدفنه إلا فى قبر ولدى ، لأنه كان يهواه ، وما أفرق بينهما ، لما كان يعتقده فيه من دينه وعفافه ، رحمه الله تعالى وعفا عنه !

ومن شعره :

أنعم بوصلك لى فهذا وقته ... يكفى من الهجران ما قد ذقته

أنفقت عمرى فى هواك وليتنى ... أعطى وصولا بالذى أنفقته

يا من شغلت بحبه عن غيره ... وسلوت كل الناس حين عشقته

كم جال فى ميدان حبك فارس ... بالصدق فيك إلى رضاك سبقته

أنت الذى جمع المحاسن وجهه ... لكن عليه تصبرى فرقته

قال الوشاة قد ادّعى بك نسبة ... فسررت لما قلت قد صدقته

بالله إن سألوك عنى قل لهم ... عبدى وملك يدى وما أعتقته

أو قيل مشتاق إليك فقل لهم ... أدرى بذا وأنا الذى شوقته

يا حسن طيف من خيالك زارنى ... من عظم وجدى فيه ما حققته

فمضى وفى قلبى عليه حسرة ... لو كان يمكننى الرقاد لحقته

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

دنيا المحب ودينه أحبابه ... فإذا جفوه تقطعت أسبابه

وإذا أتاهم فى المحبة صادقاً ... كشف الحجاب له وغر جنابه

---

(١) سروج — بفتح السين وضم الراء المهملتين — بلدة قريبة من حران من ديار مضر ، وهى التى يعيد الحريرى فى ذكرها ويبدى فى مقاماته ، فتحت فى أيام عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فى سنة ١٧ من الهجرة صلحا

ومتى سقوه شراب أنس منهم ... رقت معـــانيه وراق شرابه
وإذا تهتـــك لا يُلام لأنه ... سكران عشق لا يفيد عتابه
بعث السلام مع النسيم رسالة ... فأتاه فى طى النسيم جــوابه
قَصَدَ الحمى وأتاه يجهد فى السرى ... حتى بدت أعـــلامه وقبابه
ورأى لليلى العـــامرية منزلا ... بالجود يعرف والنَّدى أصحابهُ
فيه الأمن لمن يخاف من الورى ... والخـــير قد ظفرت به طلاَّبه
قد أشرِعَتْ بيض الصوارم والقنا ... من حــوله فهو منيع جنابه(١)
وعلى حمـــاه جلالة من أهله ... فلذاك طارقة الخطوب تهابه
كم قبلت فيه القلوب على الثرى ... شوقا إليـــه وقُبِّلَتْ أعتابه
كم أخصبت منه الأباطح وازدها ... للزائرين وفُتِّحـــتْ أبوابه

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

ما الجانب الأيمن من خدها ... نقطة مسك أشتهى شمهـــا
حسبته لمـــا بدا خالَهَا ... وجدته من حسنه عَمَّهَا(٢)

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

معاملةُ الأحباب بالوصــل والوفا ... فَدَعْ يا حبيبى عنك ذا الصَّدَّ والجفا
وإن كان لى ذنب تحمل هفاته ... فمثلىَ من أخطا ومثلُكَ من عفا
أيا بدرَ تمٍّ حان منـــــــه طلوعه ... ويا غصن بانٍ آن أنـــ يتعطفا
كفى ما جرى من دمعِ عينىَ بالبكا ... وعشقى على قلبى جرى منه ما كفىَ

(١) أشرعت ـ بالبناء للمجهول ـ رفعت ، والبيض : جمع أبيض ، والصوارم : جمع صارم ، وهو السيف القاطع ، وإضافة « بيض الصوارم » من إضافة الصفة للموصوف ، والقنا : أراد الرماح ، والمنيع : الذى لايوصل إليه .

(٢) الخال : نقطة سوداء فى خد الحسان ، وهو أخو الأم ، وفى الكلمة تورية وعمها : أى أتى عليها كلها، فعل ماض ، وفيه تورية ، والمعنى القريب العم أخو الأب لذكر الخال فى آخر المصراع الأول .

فإن كنت لاتدرى وتعرف ما الهوى ... فقصدىَ أن تدرى بذاك وتعرفا
أعِدْ ذلك الفصل الجميل تجملا ... وإن لم يكن طبعا يكون تكلفا
فما أقبح الإعراض عن محبه ... وما أحسن الإقبال منك والطفا
تَقَدَّمَ شوق يسبق الدمع جاريا ... إليك ، ولكن عنك صبرى تخلفا
هديتك محبوبا على السخط والرضا ... وعذرك مقبول على الغدر والوفا

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

يا ساعىَ الشوق الذى مذجرى ... جرَتْ دموعى معه أعوانُهْ
خُذْلى جوابا عن كتابى الذى ... إلى الحبيبة عنوانه
تَغَنَّ كما قد قيل وادى النقا ... وأهله فى الحسن غزلانه
أمش قليلا وستلقى بسرة ... يلقاك درْبٌ طال بنيانه
واقصد بصدر الدرب دار الذى ... بحسنه تحسن جيرانه
سلم وقل عنى قول له ... عندى حديث طال كتمانه
فيك التَّقَى لازم شرط الهوى ... حسبه أنت وأشجانه
واسئل لى الوصل فإن جاد لى ... فقل له قد طال هجرانه
وكن صديقى واقض لى حاجة ... فشكر ذا عندى وشكرانُهْ

أنشدنى القاضى علم الدين سليمان بن إبراهيم بن سليمان مُسْتَوْفِى الشام — وقد كان رحمه الله تعالى سوق الكتب فى شهور سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة — فى معنى أبيات السروجى رحمه الله تعالى :

قصة الشوق سِرْ بهـا يا رسولى ... نحو مَنْ قُرْبُه مُنَاىَ وسُولِى[1]
عند باب الفتوح حار بهاء الدين تحت الساباط قف يا خليلى
فإذا ما حَلَلْتَ تلك المغانى ... قف بتلك الطلول غيرَ مُطِيل[2]

---

(١) المنى : جمع منية — بضم الميم — وهى كل ما يتمناه الإنسان ، والسول — بضم السين — أصله السؤل مهموزاً ، فسهل الهمزة بقلبها واوا لسكونها وانضمام ما قبلها

(٢) المغانى : جمع مغنى ، وأصله اسم مكان من « غنى بالمكان » كرضى — إذا أقام ، ويراد بها المساكن والدور لأنها أمكنة الإقامة

وتأمل هناك تلقَ عزيز الطـــرف يزهى بالسمل كل سبيل
ألفَ القـــوام قد ألف الهجـــر دلالا على الحب الدليـل[1]
وإذا ما رأيتــــــه من بعيد يتثنى عجيـــــب تلك الطلول
قبِّـلِ الأرض ثم قدم إليــه قصة ترجمت بشرح طويل
ثم سَـــــلهُ بعد السلام عليه كيف حال المضنى الكئيب العليل
فإذا ما وجـدت حسن كلام فتلطف وقل بلا تطـــويل
خُذْ من فى هواك قد شفَّهُ الوجــــدفأضحى حِلْفَ الضنى والنحول[2]

هذا إلى شعر السرجى .

وقال أيضا :

قلت لمحبوبى وقد زارنى إلىّ يا محبوب قلبى إلى
قد عشق الناس وقد واصلوا ما وقع الإسكار إلا على

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

يا بن الحب أدركنى فقد وصلت مراكبُ الحب بى فى بحر أشواق
ولى بضاعة صبر ضاع أكثرها وقد غلا الهوى يستغرق الباقى

وله أيضا رحمه الله تعالى :

تفقّهتُ فى عشقى لمن قد هويته ولى فيه بالتحرير قول ومذهب[3]
وللبين تنبيه به طال شرحــه وللقلب منه صدق ودّ مهذب

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

عندى هَوًى لك طال عمر زمانه لم يبق لى صبر على كتمانه
قد ضلّ قلبى عن طريق سلوّه فدليـــله لا يهتدى لمكانه

(١) ألفى القوام : يريد أن قامته تشبه الألف فى اعتدالها واستقامتها
(٢) شفه الوجد : أسقمه الحب ، وحلف الضنى ملازم السقام والمرض
(٣) التحرير ، والتنبيه ، والمهذب : أسماء كتب فى فقه الشافعية

يا صاحب القلب الذي أفراحه   تنبيه عن قلبي وعن أحزانه

عيني بفقدك قد بدا إنسانها   وجفا الكرى شوقا إلى إنسانه

يا من بدا في حسنه متعطفا   فعشقته وطمعت في إحسانه

كان اعتقادي أن أفوز بوصله   فحرمته وورقت من هجرانه

كان الرقاد لصيد طيفك حيلتي   فسلبته وخفتني حيتانه

ومنيتي أن أجتني من وصله   ثمراً يطيب جناه قبل أوانه

ضمن التعطف منك وصلي في الهوى   لكن أطال ، وما وفى بضمانه

خوف الفراق إلى حماك يسوقني   فعسى أفوز من اللقا بأمانه

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

مذ لي من أحب حمل صدود   حين أوهى تجلدي واصطباري[1]

ثم قال امش لي عليه سريعا   كيف أمشي وما أنا باختياري

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

أرى المُشْتَهَى في روضة الحسن قد بدا   على رَصَدٍ لمشوق فالقلب واحد

وحقك ما السبع الوجوه إذ بدت   عمية عن وجهه وهو واحد

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

خدمت لذاك الوجه للثغر ناظراً   فصلى أمسى والي من ولاته

وأصل حسابي ضبط حاصل وصله   وتقبيله مستخرج من حساته

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

لي حبيب منه أرى وجه بدر   لم يزل داخلا باب السعادة

هو للحسن جامع حاكيٌّ   فلهذا عشاقه في الزيادة[2]

---

(١) أوهى : أضعف ، والتجلد : تكلف الجلد ، وهو الصبر

(٢) الزيادة : مكان يزاد في المسجد الجامع ، وهي أيضا الكثرة ، وفي كلمة « جامع » و« حاكي » و« الزيادة » تورية

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

نديمى ومَنْ حالى من الوجد حاله ... ومن هو مثلى عن مداه بعيد

أعِدْ ذكر من أهوى فإنى مدرس ... لذكراه من شوق وأنت مُعيد

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

ألا هل لجمع الشمل ممن أحبه ... دعوتك ملهوفا وأنت سميع

فلم يبق لى عما تشوقت مهجة ... ولم يبق لى مما بكيت دموعُ

وله أيضا عفر الله له :

أفدى رئيسا كلُّ فعل له ... يحبه العبد ويرضاه

ومثله خادمه محسن ... والعبد من طينة مولاه

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

يا مرحبا بقدوم جيران النقا ... كمل السرور بهم وطاب الملتقَى(١)

أنِسَتْ بقربهم المنازل واغتدى ... وجه الزمان بهم منيرا مشرقا

ولطيب نَشْرهم تعطرت الصبا ... وأرى على الدنيا بذلك رونقا(٢)

فهنْ يا قلبى تَهنَّ وطالما ... قدبتْ نحوهم كئيبا شَيِّقا(٣)

يا ناظرى ، ولك البشارة ، طالما ... أبكاك من ألم البعاد وأرقا

فلمثل هذا اليوم كنت مؤملا ... وإليه كنت على المدى متشوقا

يا جيرةً صفَتِ الحياة بقربهم ... وغدا بهم روضُ المسرة مونقا

لا تحسبوا أنى سررت ببعدكم ... مذ كان شملى وصالنا متفرقا

وحياتكم مالى سواكم مرتجَى ... أبدا ولست بغيركم متعلقا

لكننى أخشى على أسراركم ... دمعا غدا متدافعا متدفقا

(١) الملتقى : مصدر ميمى بمعنى اللقاء

(٢) النشر ـ بفتح النون وسكون الشين المعجمة ـ الريح الطيبة ، والرونق : بهاء المنظر

(٣) الشيق ـ بفتح الشين وكسر الياء مشددة ـ المشتاق

قد غيَّرت عبراته عن كل ما | أخفى بطول بكائها لا منطقا(١)
أحببتكم وأشتمتُ حب سواكم | إذ كنت حذرانا عليكم مشفقا
ولقد وجدتُ لبينكم ياسادتى | ماأزعج القلب المَشُوقَ وأقلقا

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

سأودعُكَ السرَّ الذى قد كتمته | وأعلمك الأمر الذى قد علمته
وأصمك المعنى اللطيف من الهوى | وأشرحه حتى تقول فهمته
فعندى حديث منك سوف أقوله | إذا ما خلونا ساعة الوصل قمته
وتقرأ من شوق كتابا مترجما | بدمعى على خدى إليك كتبته
وبى منك داء أصله كان نظرة | عدمت اصطبارى عنك لما وجدته
سألت طبيب الحى مادا دواؤه | فرقّ لما أشكوه لما سألته
أرانى إذا أبصرت شخصك مقبلا | تغير منى الحال عما عهدته
وقال جليسى مالوجهك أصفرا | فقلت له مازعم من صحته
ومد إلى قلبى يدا وهو خافق | فعالطته عنه وقلت فقدته
وقال لمن تهوى فقلت أعابه | ويشرفنى دمعى إذا ما ذكرته

وقال وقد رأى زفة مليح ليلة عرسه :

عاينت فى بارحتى زفة | قضيتُ فيها كل أوطارى
وشمعُها مثلُ نجوم الدجى | محيطة بالقمر السارى
مازلت مذ عاينتها قائلا | ياليتها كانت إلى دارى

فلما سمع والد العروس هذه الأبيات حمل وقته طبق حلوى وأتى به إلى باب الشيخ تقى الدين لما كان يعتقده فيه .

---

(١) أحسن ما ورد فى هذا المعنى قول العباس بن الأحنف :

لا جزى الله دمع عينى خيرا | وجزى الله كل خير لسانى
كنت مثل الكتاب أخفاه طى | فاستدلوا عليه بالعنوان

وقال أيضاً وهو عليل :

بالله إن حضرتَ لديك منيّتى	وشهدتَ من روحى العداة حِمامَها[1]
فكن الولىّ لها فأنت قتلتها	وتمشّ خلف جنازتى وأمامها
فلعل منكراً أو نكيراً ينثنيا	روحى بأنك قد وفيت ذِمامها[2]

وقال أيضاً رحمه الله موشّحا :

بالروح أفديك ياحبيبى	إن كنت ترضى بها فداكْ
فداو بى اليوم ياطبيبى	فالجسم قد ذاب من جفاكْ
يا طلعة البدر إن تجلّى	وإن نثنى غصن بانْ
بالوصل طوبى لمن تملّى	ونال من قربك الأمانى
قل لى ايم قد صحرت من لا	وصدع صب بها الزمان
فارجع إلى الله من قريب	فبعض ما حلّ بى كفاكْ
من دمع عينى ومن نحيبى	وذى الجوى أنت لا أراكْ
والله ما كنت فى حسابى	وإنما عشقك اتفاق
وما أنا من ذوى التصابى	فلِمْ دمى فى الهوى يراق
وكلت بى تنتهى عذابى	بالصد والبين والفراق
ثلاثة قد عدت نصيبى	ياليتها لا عدت عداكْ
وإن تكن ترتضى الذى بى	فبين كل المنى رضاكْ
إن طال شوقى وزاد وجدى	فإننى عاشق صبور
اسمع حديثى نقيت بعدى	أنا وحق الهوى غيور

(١) المنية ، والحمام — بكسر الحاء برنة الكتاب — الموت

(٢) ليست الألف فى قوله « ينثنيا » ألف الاثنين مما يلزم عليه من حذف نون الرفع من غير ناصب ولا جازم ، وهو من الشذوذ بمكان ، وإنما هى منقلبة عن نون التوكيد الخفيفة ، وتوكيد الفعل المضارع فى مثل هذه الحال كثير ، والذمام — بكسر الذال — العهد

ما أشتهي أن يكون صدى   يمشي حواليك أو يدور
كأنه حظه رقيبي   ملازم عند ما أراك
يسعى إلى الناس في معيبي   يقول هذا يحب ذاك
جميع ما تشتهي وترضى   عليّ إحضاره إليك
وذاك شيء أراه وصبا   والله قل لي وما عليك
أنفق وخذ ما تريد نصا   فحاصل أمره لديك
فأنت يا راحتي طبيبي   عن صحتي ما لك انفكاك
ولا ابن عمي ولا نسيبي   يرى إلى مهجتي سواك
إن كنت تهوى مدام شرب   قم نغتبق ثم ثم نصطبح
تعال حتى تزيل عتبي   وبعد ذاك العتاب نصطلح
والحقد في القلب لا تبقّي   وروّح الهم كي نفرح
فالعيش للعاشق الكئيب   بطيب الأنس في حماك
في خلسة المنظر العجيب   تجيء كلما دعاك

وقال أيضا موشحا رحمه الله :

يا لائمي في الهوى كفاني   تعدَّ عن بعض ذا الملام(١)
لم لا ألوم الذي جفاني   وصدَّ عن مقلتي المنام
هواه من أشكل المسائل   كم حار في وصفه فقيه
وفيه ما تنفع الوسائل   أخشاه جهدي وأتقيه(٢)
وكم عتاب وكم رسائل   أعدها حين ألتقيه
يهتز من نشوة الدنان   كأنما لحظه مدام

---

(١) تعد عنه : أي جاوزه إلى غيره ، والمراد اتركه ، وذا هنا : اسم إشارة ، والمراد اترك بعض هذا اللوم

(٢) الوسائل : جمع وسيلة ، وهي كل ما تتوسل بها إلى بلوغ غرض من أغراضك ، وأتقيه : أتحاماه وأتباعد بنفسي عنه

ويعترى سكتة اللسان　　يعود لا يفصح الكلام

أقسام هجرانه لعشقى　　ماضٍ ومستقبل وحال[1]

خاطرتُ فى حبه بنطقى　　إذ قلت لا بد من وصال

أخلصت عزمى به وصدقى　　وقد تعرضت للسؤال

عسى بعين الرضا يرانى　　من غير عجب ولا احتشام

يُبَدِّلُ البعد بالتدانى　　ويعقب الهجر بالتئام

سكرت من حبه بشمس　　من فوق عطفيه تطلع

وفيه يومى مضى وأمسى　　وشَمْلُنَا لَيْتَهُ يُجْمَع

عنى غداة اللقاء أُمنيتى　　قَدْ ضَمَّنَا فيه مَوْضِعْ

وأطيب العيش من زمانى　　بالضم من ذلك القوام

وأسعد القصد والأمانى　　شم ما قد حوى اللثام

مالى عذول عليه لكن　　سواه حظى له رقيب

يكون فى أسعد الأماكن　　تلقاه من جمعنا قريب

وفى فؤادى هواه ساكن　　وما لدائى به طبيب

فى حسنه كامل المعانى　　كأنه البدر فى التمام

وربما نقصه اعترانى　　وذاب قلبى من الغرام

إذا تخلصت من غرامى　　أتوب منه ولا أعود

ولا أحامى على الدوام　　من لم يزل ينقض العهود

أخاف عتبى به ذِمامى　　من طول ما يخلف الوعود

أراه بالطيف إن أتانى　　وليس فى وصله مرام

وعن كلامى به توانى　　حتى ولا لفظة السلام

رحمه الله تعالى وتجاوز عنا وعنه وعن جميع المسلمين آمين يا رب العالمين!

(١) يريد أنه عشقه من قديم، وأن هواه باق على توالى الأزمان

(١٨٥)

عبد الله بن على بن محمد بن سليمان بن حمائل .

جمال الدين عبد الله بن على بن حمائل

هو جمال الدين بن الشيخ علاء الدين بن غانم ، الكاتب ، الناظم ، الناثر ، الفاضل ، المترسل .

كان شابا حسن الشكل ، صبيح الوجه ، جيد الكتابة فى الدرج ، مع قوة واصلة ، وتسرع فى الإنشاء ، يكتب من رأس قلمه ، وله غوص فى نثره ونظمه .

مولده فى شوال سنة إحدى عشرة وسبعمائة

وتوفى فى آخر شوال سنة أربع وأربعين وسبعمائة ، رحم الله تعالى شبابه ! ويسّر حسابه ! .

مرض فى مدة عمره مرضا حادا مرة ، وعافاه الله تعالى منه .

ثم إنه حصلت له سعلة ، فرحت منه قصبة الرئة ، وبقى متمرضا من ذلك ، يصح آونة ، ويعتل أخرى ، إلى أن قضى نحبه .

وقال الشيخ صلاح الدين الصفدى ـ رحمه الله تعالى ـ يرثيه :

تبكى الطُّروسُ عليك والأقلام ... وينوحُ فيك على الغصون حمامُ

يا من حَوَاه اللحد غصنا يانعا ... وكذا كسوف البدر وهو تَمَامُ

يا وحشة الديوان منك إذ غدت ... فيــــه مُهِمّاتُ البريد تُؤام

مَنْ ذا يوفيها مقاصدها على ... ما تقتضيــــه الفصلُ والإبرام

هيهات كنت له جمالا باهرا ... فعليه بعــــدك وحشة وظلام

أســــفى على الإنشاء وهو بجلّقٍ ... نشوة قد مات والنــــظّام(١)

(١) جلق : اسم من أسماء دمشق ، وقيل : اسم لكورة الغوطة كلها ، وقيل : اسم موضع بقرية من قرى دمشق ، وهى بكسر الجيم وكسر اللام مشددة ، وفيها يقول حسان بن ثابت :

لله در عصابة نادمتهم ... يوما بجلق فى الزمان الأول

ولو كان عجز البيت « وشاؤه قد مات والنظام » لتم التوجيه

كم من كتاب سار عنك كأنه ... بُرْدٌ أجاد طرازه الرقّامُ

إن كان في شرّ فقد ردّ الردى ... وبه ترفّه ذابل وحسام

لم لا يردّ البأس ما ألفاته ... مثلُ القنا واللام منه لام

أو كان في خير فكل كلامه ... درٌّ يؤلف بينهن نظام

وكأنما تلك السطور إذا بدت ... كأس ترشف ماءها الأفهام

يهتز عِطفُ أولي النهى لبيانه ... فكأن هاتيك الحروف مدام

كم فيه وجه مُسفرٌ مثل الضحى ... وعليه من ليل السطور لثام

ولكم كتبت مطالعات خدّها ... قانٍ وثغــر فصولها بسّام[1]

وكأنما ألفاتها قُضُبُ اللّوى ... وكأنما همزاتهن حَمامُ

صلى وراءك كل من عاصرته ... علمًا بأنك في البيان إمامُ

وكأن قبرك للعيون إذا بدا ... (قصر عليه تحية وسلام)[2]

لما تغيب في التراب حمامهم ... قعدوا لهون عاينوه وقاموا

ما كنت إلا فارس الكتب التي ... فيها تعرق صحبه الأقلام

ما عشت ... ماتوا، وهم في العالمين كرام

يا قبره لا تنتظر سُقيا الحيا ... حزني ودمعي بارق وغمام

لي فيك خِلٌّ كم قطعت بقربه ... أيام أنس والخطوب نيام

لذّت لذاتُ عطفها فكأنها ... أعياد لذات الزمان رمام

أسفي على صحب مضى عنّي بهم ... وضعت بقربي منهم الأيام

(ثم انقضت تلك السنون وأهلها ... فكأنها وكأنهم أحلام)[3]

---

(١) قان: أحمر شديد الحمرة، وبسام: مبالغة باسم، ومعناه كثير الضحك

(٢) هذا صدر بيت لأشجع السلمي هو مطلع قصيدة له يمدح فيها أمير المؤمنين هارون الرشيد وعجزه في كلامه قوله «خلعت عليه جمالها الأيام»

(٣) هذا بيت لأبي تمام حبيب بن أوس الطائي من قصيدة له يمدح فيها أمير المؤمنين المأمون (الديوان ٢٧٩) وأول هذه القصيدة في كلام أبي تمام قوله:

دمن ألم بها فقال سلام ... كم حل عقدة صبره الإلمام

بالرغم منى أن أفارق صاحبا ... لى بعده مرّ السوى وغرام

يا من تقدمنى وسار لغاية ... لا بدّ لى منها وذاك لزام

قد كنت أحسبه يرثينى فقد ... عكست قضيته منى الأحكام

أنا ما أراك على الصراط لأنه ... بينى وبينك فى الأنام زحام

إذ قد سبقت خفيف ظهرٍ لا كمن ... قد قيدت خطواتِه الآثام

من المحيف وقد تقدم سابقا ... وشفيعه لإلهه الإسلام

فاذهب فأنت وديعة الرحمن لى ... يبقك منه البرّ والإكرام

ويجود قبرك منه غيثُ سماحةٍ ... بالعفو صيّبُ ودقها سجّامُ

ولقد قضيتك حقّ ذلك بالرثا ... والحرّ من يُرعى لديه ذِمام

خلفتنى رهن التندم والأسى ... متردى لأحزان والآلام

ومن شعر جمال الدين المذكور ، ما كتبه إلى الشيخ صلاح الدين الصفدى وهو بالديار المصرية ، رحمه الله تعالى :

ذكّرتُ قلبى حين شطّ مزارهم ... سهمٌ أصاب عن الهوى تذكارهم[1]

وبكى فؤادى وهو منزل حبهم ... وأحق من تبكى الأحبة دارهم

وعدّق الجفنُ المهولُ كأنما ... لجته عقد مرودهم أنوارهم

تذرى الدموع عليهم ، وكأنهم ... زهر الربا ، وكأنهن أمطارهم

وبكين من حالى العواذل رحمة ... مما بكيت وما لأين شعارهم[2]

ويح المحبين الذين بودهم ... قرب المزار ولو دنت أعمارهم

فقدوا حبائبهم الحبيب وذُكيت ... بالشوق ما بين الأضالع نارهم

---

(١) شط مزارهم : بعد الموضع الذى يزارون فيه ، ومن شعر عمر بن أبى ربيعة :

أشط غدا دار جيراننا ... والدار بعد غد أبعد

(٢) « وبكين العواذل » جاء على لغة ضعيفة تلحق علامة التثنية والجمع بالفعل المسند إلى اسم ظاهر

مولى تقلص ظل أنس منه عن　　　أصحابه فاستوحشت أفكارهم

كم رائقهم يوماً رؤية وجهه　　　فلا يروقهم له دينارهم[1]

ولكم نذت أسماعهم في حلية　　　من لفظه وكذا عدمت أبصارهم

كانوا بصحبته اللذيذة رُتّعاً　　　عشرة ملئت بهم أعشارهم[2]

يتدفقون على دنو مزاره　　　وكأنما سقاه كان نحارهم

لا غيّبَ الرحمن رؤية وجهه　　　عن عاشقيه فإنها أوطارهم

وجلا ظلام بلادهم من نوره　　　فلقد تساوى ليلهم ونهارهم

فكتب الشيخ صلاح الدين إليه الجواب :

أهدى الذين إذ تناءت دارهم　　　أدناهمُ من دارهم تذكارهم[3]

في جِلّقَ الفيحاء مرآهم ، وفي　　　مصر بقلب الصب تضرم نارهم

قوم يذكرهمُ الذي أعرضوا　　　عن كتبهم وكتبهمُ أخبارهم

وإذا الثناء على محاسنهم أتى　　　طربوا له وتعطرت أوتارهم

وإذاهمُ نظروا بحسن وجوههم　　　لم يبق أنجمهم ولا أقمارهم

همُ النجوم إذا أدلهمّ ظلامهم　　　وهم الشموس إذا استنار نهارهم

دنَتِ النجوم تواضعاً لحلمهم　　　وترفعت من فوقها أقدارهم

وبكفهم وبوجههم كم قد همَتْ　　　أنواؤهم وتوقّدَتْ أنوارهم

أهــدى جمالهمُ إليّ تحيةً　　　منها يُدار على الأنام عقارهم

لك يا جمال الدين شوق في لوا　　　حتى تقر لصفوه أكدارهم

يا ابن الكرام الكاتبين فشأنهم　　　صدق المودة ، والوفاء شعارهم

---

(١) وقع في ب « لم يأتهم يوما رؤية وجهه » تحريف ، وصوابه ما أثبتناه موافقاً لما في ث

(٢) رتع : جمع راتع ، وهو اسم فاعل من « رتع يرتع » أي لعب

(٣) تناءت : بعدت ، مثل نأت ، وأدناهم : قربهم

قوم إذا جاءوا إلى شأو العلى | سبقوا إليه ولم يُشَقّ غبارهم [1]
صانوا ودانوا باليراع ملوكهم | أسوارهم من كتبهم وسوارهم
ما مثلهم في جودهم؛ فلذاك قد | عزت نظائرهم وهان نُضارهم
فُتنة الشبان من أحلامهم | وسوت عن زهر الربا أشعارهم
وحمام يحيى المرسل برمسه | من حور ما يحتسي ويزغي إحارهم
بالرغم مني أن بعدت ولم أجد | طـــــــلا بنوه علىَّ ديارهم
لو كان يمكنني وما أحلى المنى | ما غاب عني شخصهم ومزارهم
ويح النوى شتّتَ الأحبة فرقت | فمتى يفك من البعاد إسارهم

واجتمع يوماً هو وجمالُ الدين بن نباته في غياض السَّفَرْجل فقال جمال الدين ابن نباته:

قد أشبه الحمّامَ منزلُ لهونا | ماءٌ يسحّ والأزاهر تعبق
فلذاك حسبي منشد ومصحّف | عرق على عرق ومثلي يعرق

فقال جمال الدين بن غانم:

ما أشبه الحمّامَ منزلُ لهونا | إلا لمعنى رق فيـــه المنطقُ
فالدوحُ مثل قبابه والزهر كالـــجامات فيـــه وماؤه يتدفقُ

(١٩٠)

عبد الله بن عمر بن نصر الله الفاضل الحكيم موفق الدين [2] الأنصاري المعروف بالورّان [3]

موفق الدين عبد الله ابن نصر الله الأنصاري

كان قادراً على النظم، وله مشاركة في الطب والوعظ والفقه، وكان حُلْو

(١) الشأو — بفتح الشين وسكون الهمزة — الأمد والغاية، وقالوا «فلان بعيد الشأو». «ولم يشق غبارهم» كناية عن أنه لا يلحقهم في ذلك أحد، وأصله في الفرس يجري فيثير غباراً كثيفاً خلفه؛ فإذا عبروا عن أنه لا يلحق قالوا: «لا يشق غباره»

(٢) له ترجمة في شذرات الذهب ٥/٣٥٨ والنجوم الزاهرة ٧/٢٨٢ وقد وقع في ب، ث «عبد الله بن عمر» محرفا، وما أثبتناه موافق لما في الشذرات والنجوم

(٣) كذا في ب، ث، وفي الشذرات «المعروف بالورل» وفي الذهبي «بالورق»

النادرة ، لا تمل مجالسته ، أقام بمدينة مدة ، وخمس مقصورة ابن دريد ومرثية في الحسين بن علي عليه السلام ، وتوفي سنة سبع وسبعين وستمائة

ومن شعره رحمه الله تعالى :

أ أهوى حلو الشمائل ألمى	مشهد لحسن جامع الأهواء[1]
آية النمل قد بدت فوق خديه	فهيموا يا معشر الشعراء

وكتب أيضاً إلى بعض الكتاب :

أيا ابن السابقين إلى المعالي	ومن في مدحه قال وقيل[2]
لقد وصل قطاعي منك وغدا	فمن قطع الطريق على الوصول[3]

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

من لي بأسمر في سواد جفونه	بيض وحمر للمنايا تنتضى
كيف التخلص من لواحظه التي	سهم سوى القلب قد سدد القضا
أو كيف أجحد صبوة عذرية	ثبتت شاهد قده العدل الرضا

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

تجور علي نفس ثم تشكو انكساره	لواجد تغدو علي وتغتدي
أحل أعاس القبول سلامها	وحيى قبولا حين سمت بالرد
شدت فال لعصن شوقاً مقلا	من القرب ما جرت به فاصل البرد

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

باسمدين لاحت عصاب المنحنى	ومدت أثيلات هناك غصون
عرج على الوادي فإن ظباءه	للحسن في حركاتهن سكون

وقال أيضاً سامحه الله تعالى :

لله أيامنا والشمل منتظم	نطم به خاطر التفريق ما شعرا

---

(١) ألمى وصف من اللمى — بفتح اللام مقصوراً — وهو سمرة في الشفة مستحسنة

(٢) كذا ، ولعل الأصل « وما في مدحه قال وقيل »

(٣) كذا في الأصول كلها ، وإذا صح هذا البيت على هذا الوجه كان في البيتين الإقواء

والهف نفسي على عيش ظفرت به   قطعت مجموعه المختار مختصرا

وقال أيضاً غفر الله له :

أرى غدير الروض يهوى الصبا   وقد أتت منه سكونا يدوم (١)

فؤاده مرتجف للهوى   وطرفه مختلج للقدوم

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

حار في لطفه النسيم فأضحى   راجعا نحوه اشتياقا وغادى

مذ رأى الظبي مستطرفا وحيدا   هام وجدا عليه في كل وادي

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

يذكرني نشر الحمى بهبوبه   زمانا عرفنا كل طيب بطيبه (٢)

ليالي سرقناها من الدهر خلسة   وقد أمنت عيناي عين رقيبه

فمن لي بذاك العيش لو عاد وانقضى   وسكن قلبي ساعة من وجيبه

ألا إن لي شوقا إلى ساكن الغضا   أعيد الغضا من حره ولهيبه

أحن إلى ذاك الجناب ومن به   ويسكرني ذاك الشذا من هبوبه

أما والوجد إن جاوزت مثل محجر   وجزت بذهول جدب رحيبه

دع العيش تقضي وقفة زر الحمى   ودع محرما يجري سفح كثيبه

وقل لعريب الحي ما فيك رحمة   لفرد وحيد في هواك غريبه

متى غرد الحادي سحيرا على النقا   أمال الهوى العذري عطف طروبه

وإن ذكرت للصب أيام حاجر   هناك بقية نحبه سحيبه

وقال أيضاً سامحه الله تعالى :

رق النسيم لطافة فكأنما   في طيه للعاشقين عتاب

وسرى يفوح معطرا وأظنه   لرسائل الأحباب فهو جواب

---

(١) في ب « وقد أثبته سكونا يدوم »

(٢) في ب ، ث « يذكرني نشر الحمى وهبوبه « زمان – إلخ » تحريف ، وما أثبتناه عن النجوم الزاهرة

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

يا ليالي الحمى بعهد الكثيب ... إن تناءيتِ فارجعي من قريب [1]

أي عيش يكون أطيب من عيـــش مُحب يحظو بوجه الحبيب

يقطع السمر بالوصال سروراً ... في أمان من حاسد ورقيب

يتجلى الساقى عليــــه بكأس ... هو منها ما بين نور وطيب

كلما أشرقت ولاح سناها ... آذنت من عقــولنا بغروب

خلت ساقى المدام يُوشَعَ لما ... ردّ شمسا بالكأس بعد المغيب [2]

نسمات الروق يَعْقُبُها الكأ ... سُ ويوحى بسرّها للقلوب

فلهذا يميلُ من نَشْوَة الكأ ... س طروبا من لم يكن بطروب

يا نديمى أشمال أم شمـول ... رَقَّ منها وراق لى مشروبى

أم قدود السقاة مالت فلنا ... طربا بين واجد وسليب

أم نسيم من حاجر هَبَّ وَهْنا ... فسكرنا بطيب ذاك الهبوب

أم سرى فى لأرجاء من عبير الجـــو أريج بالمبارق مشبوب

ما ترى الركب قد تمايل سكرا ... وأمالوا مناكب الجنوب

لست أبكى على فوات نصيب ... من عطايا دهرى وأنت نصيبى

وصديقى إن عاد فيك عدوّى ... لا أبالى ما دمت لى يا حبيبى

وقال أيضا سامحه الله تعالى :

لا غرو إن سُبيت منك لألباب ... وبديع حسنك ما عليه حجاب

يا من يَلَذُّ على هواه تهتكى ... شغفا ويَعْذُب لى عليه عذابُ

---

(١) تناءيت : بعد بنا عهدك

(٢) يوشع : صاحب موسى ، رد الله له الشمس ، ومن أجل ذلك سكى الشمس بأخت يوشع

حسبي افتخاراً في هواك بأن لي   نسباً له تسمو به الأنساب
أحبابنا وكفى عبيد هواكم   شرفاً بأنكم له أحبـاب
يا سعد مِلْ بالعيس حلة منزل   أضحى لعزة ساكنيه يُهابُ
ربع تودّ به الخدود إذا مشت   فيه سليمى أنهـا أعتاب
كم في الخيام أهـلة هالاتُها   تبـدو لعينك برقع ونقاب
وشموسُ حسن أشرقت أنوارها   أفلاكُهُنّ مضارب وقباب
شنوا على العشاق غارات الهوى   فإذا القلوب لديهمُ أسلاب
من كل هَيْفاء القوام إذا انثنت   هز الغصون بقدّها الإعجاب
نهب الغرام لمهجتي في أسرها   فجمالها الوهاب والنهـاب
وغدَتْ تجرُّ على الكثيب برودَها   فإذا العبير لدى ثراه تراب

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

طَرْفي على سِنَةِ الكرَى لا يطرف   ومخيـلة تخيلها لا تُسعف
وأساي ما تنطـفي زفراتها   إلا وتذكيها الدموع الذرّف[1]
شَمِتَ الحسود لأن صَبيتُ ، وما درى   أني بأثواب الصـبا أتشرّف
يا غائبـين وما ألذ مدامهم   وحياتكم قسمي وعز المصحف
إن بَشّرَ الحادي بيوم قدومكم   ووهبته روحي فما أنا منصف[2]
قد ضاع في الآفاق نشر حديثكم   وأرى النسيم بعرفها يتعرّف

---

(١) تنطفي : أصله تنطفئ — بالهمز — والزفرات : جمع زفرة — بفتح فسكون — وهي النفس الخارج ، والأدباء يشبهون زفرة العاشقين باللهب ، وتذكيها : تشعلها

(٢) مثل هذا قول سلطان العاشقين عمر بن الفارض :

لو أن روحي في يدي ، ووهبتها   لمبشري بقدومكم لم أنصف

(١٩١)

أمير المؤمنين عبد الله بن محمد أبو العباس السفاح

عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب[1] أمير المؤمنين السفاح ، أول خلفاء بني العباس .

ولد بالحُمَيْمة ، مولده سنة ثمان[2] ومائة ، وتوفي في سنة ست وثلاثين ومائة بالجدري ، وعاش ثمانية وعشرين سنة ، وبويع له بالكوفة سنة إحدى وثلاثين ومائة ، وهو ابنُ أربع وعشرين سنةً ، وقد كانت ولايته أربع سنين وثمانية أشهر

ولما صعد المنبر خطب قائماً ، فقال الناس : يا ابن عمّ رسول الله أحييت السنة ، وكانت بنو أمية تخطب قعوداً ، ولم يحتج في خلافته ، ووصل عبد الله ابن حسن بن الحسن بألفي ألف درهم ، وهو أول خليفة وصل بهذه الصلة ، ولما تولى الخلافة وأصعده أبو مسلم المنبر أرتج عليه ، فقال :

فإن لا أكنْ فيكم خطيباً فإنني بسيفي إذا جدّ الوغى لخطيبُ

وأخذ سيفه في يده ونزل ، فعجب الناس من بلاغته وفصاحته بديهة ، وهو أولُ من نزل العراق من خلفاء بني العباس ، بُنيت له المدينة الهاشمية إلى جانب الأنبار ، وبها قبره ، وهي المعروفة الآن بالأنبار ، لأن الأولى دَرَستْ

وكان من أكرم الناس في المعاشرة ، وأسمحهم بالمال

ومن شعره قوله في بني أمية :

تناولت ثاري من أميــة عَنْوةً وجرتُ بثأري اليومَ من شقِّ قبرِ

وألقيت ذلا من معارق هاشم وأسستها عــزاً وعيشتها عذر

ومن كلامه : ما قبح الدنيا بشيء كانت له ، وأولى بها خاوين من حسن آ بها

---

(١) له ترجمة في تاريخ الخلفاء للسيوطي ٩٩ وتاريخ ابن الأثير ١٨٦/٥ وفي تاريخ ابن كثير ٥٢/١٠ و ٥٨ - ٦١ وفي تاريخ اليعقوبي ٨٦/٣ والفخري ١٧٧ أوربة ، ومروج الذهب ٢٦٦/٣ سحذيقا

(٢) وقيل : مولده في سنة أربع ومائة

وقال : الأناة محمودة إلا عند إمكان الفرصة

ولما وقع في النزع كان آخر كلامه : إليك ياربِّ لا إلى النار .

(١٩٢)

عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، أبو جعفر ، المنصور ، أمير المؤمنين[1]

أمير المؤمنين عبدالله بن محمد أبو جعفر المنصور

ولد سنة خمس وتسعين ، وكان قبل الخلافة يقال له « عبد الله الطويل » ، وصرّف الآفاق إلى الجزيرة والعراق وأصبهان وفارس ، أتته الخلافة وهو بمكة ، عهد إليه أخوه السفاح ، وكان أسمر ، طويلا ، نحيفا ، خفيف العارضين ، معرق الوجه ، رَحْبَ الجبهة ، يخضب بالسواد ، كأنّ عينيه لسانان ناطقان ، يخالطه أبهة الملك بزي النساك ، تقبله القلوب ، وتتبعه العيون ، وكان من أفراد الدهر ، حزما ودهاء وجبروتا ، حريصا على جمع المال

وكان يلقب « أبا الدوانيق » لمحاسبته الكتاب والعمال على الدوانيق ، وكان شجاعا مهيبا ، تاركا للهو واللعب ، كامل العقل ، قتل خلقا كثيرا ، حتى ثبت الأمر له ولولده ، وكان فيه عدل ، وله حظ من صلاة وعلم وفقه

توفي محرما على باب مكة في سادس ذي الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة ، ودفن ما بين الحَجُون وبئر ميمون .

وكان أجل بني العباس ، وكان نبيلا فصيحا ، ولما مات خلّف في بيوت الأموال تسعمائة ألف ألف دينار وخمسين ألف ألف درهم ، وقال : رأيت كأني في الحرم ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الكعبة ، وبابها مفتوح ، فنادى مناد :

---

(١) له ترجمة في تاريخ الخلفاء للسيوطي ١٠١ ، وفي تاريخ ابن كثير ١٢/١٠ وتاريخ ابن الأثير ٦/٦ – ١٢ بولاق ، ومروج الذهب ٢٩٤/٣ تحقيقنا ، والفخري ١٨٦ أوربة ، وتاريخ اليعقوبي ١٠٠/٣

أين عبد الله ؟ فقام أخي أبو العباس السفاح حتى صار على الدرجة ، فأدخل ، فما لبث أن أخرج ومعه لواء أسود على قفاه قدر أربعة أذرع ، ثم نودي : أين عبد الله ؟ فقمت إلى الدرجة ، فصعدت فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وبلال يعقد لي ، وأوصاني بأمته ، وعممني بعمامة ، وكان كورُها ثلاثة وعشرين ، وقال : خذها إليك أبا الخلفاء إلى يوم القيمة ، وعاش أربعا وستين سنة ، وتوفي ببئر ميمون من أرض الحرم ، وكان يقول حين دخل في الثلاث وستين : هذه تسميها العرب القاتلة ، والحاصدة ، وكان نقش خاتمه « الحمد لله » .

ومن شعره قوله لما قتلَ أبا مسلم الخراساني :

زعمت أن الدَّينَ لا يقتضى ... فاكْتَلْ بما كِلْتَ أبا مجرم

واشرب كؤوسا كنت تسقي بها ... أمرّ في الحلق من العلقم

حتى متى تصمـــر مُضَكك ... وأنت في الناس بنا تنتمي

(١٩٣)

أمير المؤمنين عبد الله بن محمد أبو القاسم (المقتـدي بأمر الله)

عبد الله بن محمد ، أمير المؤمنين ، أبو القاسم ، بن ذخيرة الدين أبي العباس بن الإمام القائم بأمر الله .

بويع بالخلافة في ثالث عشر شعبان سنة سبع وستين وأربعمائة ، وهو ابن تسع عشرة سنة ، توفي أبوه الذخيرة وهو حمل ، وقال ابن النجار : ظهر في أيامه خيرات كثيرة وآثار حسنة في البلاد ، وتوفي فجأة في تسع عشر المحرم سنة سبع وثمانين وأربعمائة .

وكان قد أحضر إليه تقليد السلطان بركيارق ليعلم عليه ، فقرأه وعلم عليه ،

(١) له ترجمة في تاريخ الخلفاء للسيوطي ١٦٩ ، وفي المقريزي ٣٤٢ أورقة وقال عنه « وكان المقتـدي عالي الهمة ، خبيراً بالأمور ، من أفاضل خلفائهم » وله ترجمة في تاريخ ابن الأثير ٨٥/١٠ بولاق

ثم تندى وغسل يديه وعنده جاريته شمس النهار ، فقال لها : هؤلاء الأشخاص قد دخلوا سير إذن ، قالت . فاتعتُ فلم أر شيئاً ، ورأيته قد تغير حاله ، فاسترخَتْ يدَاه ، فظننت أنه قد غشي عليه ، فقلت لجارية عندي : ليس هذا وقت البكاء ، فاستحضرت الوزير وأخبرته الخبر ، فأخذ البيعة لولده لمستظهر بالله أحمد .

وكانت قواعد الخلافة في أيامه باهرة ، والحرمة وافرة ، وكان محبا للعلوم ، مكرما لها ، ولأهلها ، وله أشعار فنها :

أردت صفاء العيش مَعْ مَنْ أحبه   فحاولني عمـــا أريد مريد
وما اخترتُ بُعْدًا لشمل بعد اجتماعه   ولكنه مهما يريد أريد

وله أيضاً :

أما والذي لو شاء غَـيّر مابنا   فأهوى بقوم في الثراء إلى الثرا
وبَدَّلَنا من ظلمة الجور بعدما   دَجَا ليلُها صبحا من العدل مسفرا

وكانت خلافته عشرين سنة وأشهرا ، وأمه أم ولد ، وكان أبيضَ أشْهَلَ ، رحمه الله تعالى !

(١٩٤)

عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان ، أبو محمد ، الخفاجي ، الشاعر ، الأديب[١] . كان يرى رأي الشيعة ، وكان قد عصى بقلعة عزاز[٢] من أعمال حلب ، وكان بينه وبين أبي نصر محمد بن الحسن بن النحاس الوزير لمحمود بن صالح مودة مؤكدة ، فأمر محمود أبا نصر بن النحاس أن يكتب إلى الخفاجي كتابا يستعطفه ويؤنسه ، وقال : لا يأمن إلا إليك ولا يثق إلا بك ، فكتب إليه كتابا ، فلما فرغ منه

عبدالله بن محمد بن سنان الخفاجي

(١) له ترجمة في النجوم الزاهرة ٩٦/٥ وهو صاحب كتاب « سر الفصاحة » في علم البلاغة ، وقد ذكر حاجي خليفة هذا الكتاب في كشف الظنون (٩٨٨) وزعم أنه في علم اللغة ، ولم يزد على ذكر اسم المؤلف وسنة وفاته

(٢) في النجوم « أعزاز » وفي ب « عزاز » والصواب ما أثبتناه موافقاً لما في ومعجم البلدان بعين مهملة مفتوحة وزايين

وكتب « إن شاء الله تعالى » شدّد النون من إن ، فلما قرأه الخفاجي خرج من عزاز قاصداً حلب ، فلما كان في الطريق أعاد النظر في الكتاب ، فلما رأى التشديد على النون أمسك رأسَ فرسه ، وفكر في نفسه ، وأن ابن النحاس لم يكتب هذا عبثاً ، فلاح له أنه أراد (إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك) فعاد إلى عزاز ، وكتب الجواب إلى الخادم المعترف بالإنعام ، وكسر الألف من « إنّا » وشدد النون وفتحها ، فلما وقف أبو نصر على ذلك سُرّ ، وعلم أنه قصد به (إنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها) وكتب الجواب مستصوب رأيه ، فكاتب إليه الخفاجي .

خَفْ مَنْ أمنت ولا تركن إلى أحد   فما نصحتك إلا بعـــد تجريب

إن كانت الترك فيهم غير وافيةٍ   فما تزيد على غـــدر الأعاريب [1]

تمسكوا بوصايا اللؤم بينهـــــم   وكاد أن يدرسوها في المحاريب

واستدعى محمود بأبي نصر بن النحاس وقال : أنت أشرت عليّ بتولية الخفاجي ، وما أعرفه إلا منك ، ومتى لم يفرغ بالي منه قتلتك ، وأخذت مالك جميع من بينك وبينه صلة وحرمة ، فقال له : مُرْني بأمر أمتثله ، فقال : تمضي إليه وفي صحبتك ثلاثون فارساً ، فإذا قاربته عرّفته خصوصك بأنه يتلقاك ، فإذا حضر سألك النزول عنده والأكل معه ، فامتنعْ وقل له : إني حلفت أن لا آكل زاده ، ولا أحضر مجلسه حتى يطيبك في الحضور عندي ، وطوّله في الحديث حتى يقارب الظهر ، ثم ادعُ أمامك خفّت واخرج هذه الخشكنانج [2] ، فكُلْ أنت

(١) الأعاريب : جمع أعراب الذي هو جمع عرب ، واشتهر إطلاق الأعراب على سكان البادية الجافية أخلاقهم ، خاصة ، ووقع في ب « الأعارب » بالعين معجمة — تحريف ما أثبتناه موافقاً لما في ت

(٢) الخشكنانج : دقيق الحنطة إذا عجن بشيرج وبسط وملئ بالسكر واللوز أو الفستق وماء الورد ثم جمع وخبز ، وأهل الشام يسمونه « الكعك » اهـ عن تذكرة داود ، وقد تكلمت به العرب ، قال الشاعر :

يا حبذا الكعك بلحم مثرود   وخشكنان وسويق مقنود

هده وأطعمه هده ، فإذا استوفى أكله حمل المحصور إلى مكان منيته فيه ، ففعل ما أمره به ، ولما أكلها الخفاجي رجع أبو نصر إلى حلب ، ورجع الخفاجي إلى عزاز ، ولما استقر بها وجد مغصاً شديداً ورعدة شديدة ، فقال : قتلني والله أخي أبو نصر ، ثم أمر بالركوب خلفه وردّه ، ففاتهم ، ووصل إلى حلب ، وصح من المدّ محمود من عزاز من أخبره أن الخفاجي في السياق ومات

وكانت وفاته في سنة ست وستين وأربعمائة ، وحمل إلى حلب .

ومن شعره

وقدماً قد تميزت الليالي وصيّرت المنازل والحقوقا

وأقسم ما تسخط الدهر حقاً ولا عدوانه إلا عقيق

أليس يُرَدُّ عن فَدَكٍ علي ويملك أكثر الدنيا عتيقُ(١)

وقال أيضاً

لقيت وقد شطت بكم غربة النوى وما كنت أخشى أن بعدكم ألقى

وعلمتموني كيف أصبر عنكم وأطلب من رق الغرام لكم عتقا

فما فات يوماً للبكاء عليكم وبدا ولا للشوق بعدكم رفقا

وما الحب إلا أن أعدّ قبيحكم إليّ جميلا والقلا منكم عشقا

وقال أيضاً

هل تسمعون شكاية من عاتب أو تقبلون إنابة من تائب

أو كل ما تتلو الصديق عليكم في جانب وقلوبكم في جانب

أما الوشاة فقد أصابوا عندكم سوقاً تُنفّق كل قول كاذب

فلأمُ من صابر ، ورقدتم عن ساهر ، وزهدتم في راغب

---

(١) فدك ـ بفتح الفاء والدال جميعاً ـ قرية بينها وبين المدينة يومان وقيل ثلاثة ، أفاءها الله على رسوله في سنة سبع صلحا ، ولما انتقل صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى طلبت فاطمة نصيبها فيها ميراثا عن أبيها ، فاحتج أبو بكر عليها بحديث نحن معاشر الأنبياء لا نورث ، ما تركنا صدقة ، وعتيق : اسم أبي بكر الصديق رضي الله عنه

وأقلُّ ما حكم الملال عليكم ... سوء القِلاَ وسماعُ قول العائب

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

ما على حسنكم لو أحسنا ... إنما نَطْلُبُ شيئاً هيناً
قد شجانا اليأس من بعدكم ... فادركونا أحادث المُنَى
وعدُوا بالوصل من عليكم ... مقلة تسكر فيكم وسنا
لا وسحر بين أجفانكم ... فتن الحب به من فتنا
وحديث من مواعيدكم ... تحمد العين عليه الأذنا
ما رحلتُ العيس من أرضكم ... فرأت عيناى شيئاً حسنا

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

سلا ظبية الوعساء هل فقدت خشفاً ... فإنا لمحنا من مرابعها ظلفا(١)
وقولا لخوط البان فلتسك الصبا ... علينا فإنا قد عرفنا بها عرفا
سرت من هضاب الشام وهى مريضة ... فما طهرت إلا وقد كاد أن تخفى
عليلة أنفاس تداوى بها الجوى ... وضعفا ولكنا نرجى بها ضعفا
وهاتفة فى البان تملى غرامها ... وتتلو علينا من صبابتها صحفا
عجبت لها تشكو الفراق جهالة ... وقد جوّبتْ من كل ناحية إلفا
ويشجى قلوب العاشقين حنينُها ... وما فهموا مما تغنتْ به حرفا
ولو صدقت فيما تقول من الأسى ... لما لبست طوقا ولا خضبت كفا
أجارتنا إذ كُرِتِ من كان موسيا ... وأضرمت نارا الصبابة لا تُطْفَى
وفى جانب الماء الذى تَرِدينه ... مواعيد لا يمكرن ليا ولا خُلْفَا(٢)
ومهزوزة للبان فيها شمايل ... جعلن لها فى كل قافية وصفا
لبسنا عليه بالثنية ليلة ... من السود لم يطو الصباحُ لها سُجْفَا
لعمرى لئن طالت علينا فإننا ... بحكم الثريا قد قطعنا لها سكفا
ونسلبنها فى العرف وهى ضعيفة ... ولم نبق للجوزاء عقداً ولا شنفا

(١) فى ث « فإنا لمحنا من مراعيها ظرفا » (٢) الَّلى : المطل والتسويف

كأن الدجى لما تولت نجومه مُدَبِّرُ حرب قد هُزِمْنَ له صف
كأن عليه لمجرة روضـــة مفتحة الأنوار أو نثرة رغـــف[1]
كأنا وقـد ألقى إليه هـــلاله سليناه حاما أو قصمه له وقفاً[2]
كأن الشُّهَا إنسان عين غريقة من الدمع تبدو كلما ذرفت ذرفا
كأن سهيلا فارس عاين الوغى ور ولم يشهد طراداً ولا زحفا
كأن سنا المريخ شُعْـــلَةُ قابس يحطها مجـــلان نقدها قدفا
كأن أفول النسر طرف تعلقت به سِنَةٌ ما هب منها ولا أغْفَى

(١٩٥)

عبد الله بن محمد الأزدي المغربي

عبد الله بن محمد ، الأزدي ، المغربي ، المعروف بالعطار[3]

قال ابن رشيق في الأنموذج : شاعر حاذق بق بالمعنى جيد لطيف الإشارات ، مليح العبارات ، صحيح الاستعارات ، على شعره ديباجة ورونق يمازج النفس ويملك الحس ، وفيه مع ذلك قوة ظاهرة ولم أر عطارديا مثله ، لا نرى عيبه شيئاً إلا صنعته يده .

وكان الأمير حسين بن ثقة الدولة قد أراده للكتابة فأبى ، وكانت له عند عبد الله بن حسين بمدينة طرابلس الغرب حال شريفة ، وجراية ووظيفة ، إلى أن نازعته نفسه إلى الوطن ، وكانت وفاته بعد السبعمائة

ومن شعره وهو غريب

شكوت إليه جفونه ومن خاف الصدود شكا
فأجرى في العقيق الدر واستقبله فأمسكا
فقلت محاطاً نفسي أفي الموعد تبكي
فقالت ما بكيت عينا ولكن خده ضحكا

---

(١) النثرة ــ بفتح النون وسكون الثاء المثلثة ــ كوكب في السماء ، والعرب تسميه نثرة الأسد ، والدرع السلسة أو الواسعة ، والرغف ــ بفتح فسكون ــ الدرع الواسعة الطويلة ، ويقال « رغفة » أيضا (٢) الوقف ــ بالفتح ــ سوار من عاج

(٣) كذا ، وانظر هذا مع قول ابن رشيق « لم أر عطارديا مثله »

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

مهفهف القامة ممشوقها مستملح الخطرة معشوقها
في طرفه من سحر أجفانه دعوى وفي حسني تحقيقها

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

أودعت صبري عن الشوق مختبرا ما تحتها وحبست النوم في الأرق(١)
لله وجنتـــــه باما أميلحها كم بت مشتملا منها على حرق
حتى إذا زال صبح الخد عنه بدا ليل تزين في أعلاه ماشقق
كدوحة الورد روّاها الحيا فبدا نوارها وتوارى الشوق بالورق

(١٩٦)

عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس ، القشيري ، مولى بنى أمية ، يعرف بابن أبي الدنيا(٢) .

عبدالله بن محمد ابن أبي الدنيا القشيري

توفي سنة ثنتين وثمانين ومائتين ، ومولده سنة ثمان ومائتين .

وكان يؤدب المكتفي بالله في حداثته ، وهو أحد الثقاة المصنفين للأخبار والسير ، وله كتب كثيرة تزيد على مائة كتاب .

كتب إلى المعتضد وابنه المكتفي ، وكان مؤدبهما :

إن حق التأديب حق الأبوه عند أهل الحجى وأهل المروه
وأحق الأنام أن يعرفوا ذا ك ويرعوه أهل بيت النبوه

وقال : كنت أؤدب المكتفي ، فقرأته يوما كتاب « الفصيح » فأخطأ

---

(١) في ب « أودعت صبري عند الشوق مختبراً »

(٢) له ترجمة في البداية والنهاية لابن كثير ٧١/١١ وذكر أن وفاته كانت في جمادي الأولى من سنة إحدى وثمانين ومائتين عن سبعين سنة

ففرحت حدّة فرحة شديدة ، وانصرفت ، فلحقني رشيق الخادم ، فقال : يقال لك ليس من التأدب سماع المكروه ، فقال : سبحان الله ! أنا لا أسمع المكروه غلامي ولا أمتي ، قال : فخرج إليّ ومعه كاغد ، وقال : يقال لك صدقت يا أبا بكر ، وإذا كان يوم السبت تجيء على عادتك ، فلما كان يوم السبت جئت ، فقلت : أيها الأمير ، تقول عني مالم أقل ؟ قال : نعم يؤذيني من قال مالم يجب قيل عنه مالم يكن .

وسمع من المشايخ ، وروى عنه جماعة ، قال ابن أبي حاتم : كتبت عنه مع أبي ، وكان صدوقا ، وكان إذا جالس أحداً إن شاء أضحكه ، وإن شاء أبكاه ، رحمه الله تعالى ونفعنا به !

(١٩٧)

أبو محمد
عبد الله بن محمد
الروزي

عبد الله بن محمد بن يوسف ، أبو محمد ، الروزي ، الأديب[١] .

توفي سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة .

وهو رجل مشهور من الشعراء ، حسن الكلام ، غزير العلم ، كثير الحلم ، سمع الحديث ، وكان خفيف الروح ، كثير النوادر والمضاحك ، سريع الجواب ، قصير القامة ، لا يزيد على ذراعين ، كث اللحية ، نحيف الجسم ، إلا أن وجهه بهي ، وكان يكتحل إلى قريب من أذنيه ، فصير شهرة مضحكة ، وكان ملوك خراسان يصطفونه لمنادمتهم وتعليم أولادهم .

ومن شعره :

ياسيدي نحن في زمان	أبدلنا الله منه غيره
كل خسيس وكل نذل	متمتع بالطيبات أيره

(١) لم أعثر له على ترجمة في غير هذا الكتاب فيما بين يدي الساعة من كتب الرجال .

وكل ذى فطنة وكَيْس   يجلد من فقره عُذَيْره

وله أيضاً رحمه الله تعالى :

لما رأيت الزمان نكسا   وليس فى الصحبة انتفاع

كل رئيس به ملال   وكل رأس به صُدَاعُ

وكل مدل له ارتفاع   وكل حُرٍّ بِهِ اتضاع

لزمت بيتى وصنت عرضا   به عن الذلة امتناع

أشرب مما ادخرت راحا   لها على راحتى شعاع

لى من قواريرها نَدَامَى   ومن قراقيرها سماع

وأجتنى من ثمار قوم   قد أقفرت منهمُ البقاع

(١٩٠)(١)

أمير المؤمنين عبد الله بن منصور المستعصم بالله

عبد الله بن منصور بن محمد بن أحمد بن الحسن ، أمير المؤمنين ، أبو أحمد ، المستعصم بالله بن المستنصر بالله بن الظاهر بن الناصر بن المستضىء ، البغدادى ، آخر خلفاء بنى العباس ببغداد

كان ملكهم من سنة اثنتين وثلاثين ومائة إلى سنة ست وخمسين وستمائة .

مولده سنة تسع وستمائة ، وبويع له بالخلافة لما توفى والده فى العشرين من جمادى الأولى سنة أربعين وستمائة ، فكانت مدة خلافته خمس عشرة سنة وثمانية أشهر وأياما ، وتقدير عمره سبعا وأربعين سنة .

وكان متدينا ، متمسكا بمذهب أهل السنة والجماعة ، على ما كان عليه والده وجده رحمهم الله تعالى ، ولم يكن على ما كانوا عليه من التيقظ والهمة ، بل كان قليل المعرفة والتدبير والتيقظ ، نازل الهمة ، محبا للمال ، مهملا للأمور ،

(١) له ترجمة فى تاريخ الخلفاء للسيوطى ١٨٦ وفى النجوم الزاهرة ٧/٦٣ وفى شذرات الذهب ٥/٢٧٠ وفى تاريخ ابن كثير ١٣/٢٠٤ وفى الفخرى ٣٨٢ أوربة

يتكل فيها على غيره ، ولو لم يكن فيه إلا ما فعله مع الملك الناصر داود فى أمر الوديعة لكفاه ذلك عاراً وشناراً ، والله لو كان الناصر من بعض الشعراء ، وقد قصده وتردّد عليه على بعد المسافة ، ومدحه بعدة قصائد كان يتعين عليه أن ينعم عليه بقريب من قيمة وديعته من ماله ، فقد كان فى أجداد المستعصم بالله من استفاد منه آحادُ الشعراء أكثر من ذلك ، إلى غير ذلك من الأمور التى كانت تصدر عنه ، مما لا يناسب منصب الخلافة ، ولم تتخلق بها الخلفاء قبله ، فكانت هذه الأسباب كلها مقدّمات لما أراد الله تعالى بالخليفة والعراق وأهله ، وإذا أراد الله تعالى أمراً هيّأ أسبابه .

واختلفوا كيف كان قتلُه ، فقيل : إن هولاكو لما ملك بغداد أمر بخنقه ، وقيل : رفس إلى أن مات ، وقيل : غرق ، وقيل : لُفّ فى بساط وأُلقى فى الدّجلة فغطس ، والله تعالى أعلم بحقيقة الحال .

وكانت واقعة بغداد ، وقتل الخليفة من أعظم الوقائع ، قال الشيخ شمس الدين الكوفى الواعظ ، الآتى ذكره إن شاء الله تعالى يذكر خراب بغداد وقتل الخليفة :

عندى لأجل فراقكم آلام ... فإلامَ أعذَلُ فيكم وألامُ

من كان مثلى للحبيب مفارقا ... لا تعذلوه فالكلام كِلامُ

نعم المساعد دمعى الجارى على ... خـــــــدّىَّ إلا أنه نمّام

ويذيب روحى نَوْحُ كل حمامة ... فكأنما نوح الحمام حِمامُ

إن كنت مثلى للأحبة فاقداً ... أو فى فؤادك لوعة وغرام

قف فى ديار الظاعنين ونادها ... (يا دار ما صنعت بك الأيام)[1]

---

(١) هذا صدر بيت هو مطلع قصيدة لأبى نواس الحسن بن هانى يمدح فيها أمير المؤمنين الأمين بن الرشيد ، وعجزه من كلامه :

* ضامتك والأيام ليس تضام *

ويروى هذا الصدر برواية أخرى سنذكرها قريباً ، ورواية الصدر الذى اقتبسه هنا شمس الدين الكوفى ، فى ديوان أبى نواس :

* يا دار ما فعلت بك الأيام *

أعرضت عنك لأنهم مذ أعرضوا　　　لم يبق فيّ بشاشة تستام[1]

يا دار أين الساكنون وأين ذا　　　ك البهاء وذلك الإعظام

يا دار أين زمان ربعك مونقاً　　　وشعارك الإجلال والإكرام

يا دار مذ أفلت نجومك عمّنا　　　والله من بعد الضياء ظلام

فتقدم قرب الردى، والمقدم　　　فقد الهدى، وزوال الإسلام

شتى فعلت من الأعادي ما كنا　　　بعد الأحبة لا سقاكِ غمام

يا سادتي أما الفؤاد فشيق　　　قلق وأما أدمعي فسجام

والدار مذ عدمت جمال وجوهكم　　　لم يبق في ذاك المقام مقام

لا تحظ فيها للعيون وليس للأقدام في عرصاتها إقدام

وحياتكم إني على عهد الهوى　　　باقٍ، ولم يخفر لديّ ذِمام

عندي حلال إن أردت سواكم　　　والعيش بعدكم عليّ حرام

يا غائبين وفي الفؤاد لبعدهم　　　نار لها بين الضلوع ضرام

لا كتبكم تأتي، ولا أخباركم　　　تروى، ولا تدنيكم الأحلام

أفسدتكم الدنيا عليّ، وكلما　　　حدّ الهوى اشتدّت بي الأسقام

ولقيت من صرف الزمان وجوره　　　ما لم تخيّله لي الأوهام

يا ليت شعري كيف حال أحبتي　　　وبأيّ أرض خيّموا وأقاموا

مالي أنيس غير بيت قلته　　　صبّ لزمته من الفراق سقام

والله ما اخترت الفراق، وإنما　　　حكمت عليّ بذلك الأيام

ومن الاتفاقات العجيبة: أن أول الخلفاء من آل أبي سفيان، اسمه معاوية، وآخرهم اسمه معاوية[2]، وأول الخلفاء الفاطميين بالمغرب والديار المصرية، اسمه

---

(١) عجز هذا البيت هو عجز بيت أبي نواس في رواية أخرى غير التي ذكرناها في البيت قبله، وقد غير فيه الشاعر قليلا، وهو في شعر أبي نواس هكذا:

* لم تبق فيك بشاشة تستام *

(٢) آخر خلفاء بني أمية مروان بن محمد الملقب بالحمار

عبد الله[١] ، وآخرهم اسمه عبد الله ، وأوّل الخلفاء من بنى العباس عبد الله السفاح ، وآخرهم عبد الله المستعصم ، وكان عددهم سبعاً وثلاثين خليفة ، ومدّة ملكهم خمسمائة سنة وأربع وعشرون سنة ، فسبحان من لا يزول ملكه !.

وقال القاضى جمال الدين بن واصل رحمه الله تعالى : أخبرنى من أثق بنقله يوم ورود الخبر بهلاك المستعصم ببغداد أنه وقف على كتاب عتيق[٢] مضمونه : إنّ على ابن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، جدّ الخلفاء العباسيين ، بلغ بعض خلفاء بنى أمية عنه أنه يقول : إنّ الخلافة تصير إلى ولده ، فأمر به ، فضرب ، وحمل على جمل ، وطيف به ، وهم ينادون عليه : هذا جزاء مَنْ يفترى ، ويقول : إنّ الخلافة تكون فى ولده ، فكان يقول . إى والله إن الخلافة تكون فى ولدى ، ولا تزال فيهم حتى يأتيهم العلج من خراسان فينزعها منهم ، فوقع مصداق ذلك وهو ورود هولاكو من خراسان وإزالة ملك بنى العباس

قال الشيخ شمس الدين الذهبى رحمه الله تعالى : توفى الخليفة فى أواخر المحرّم سنة ست وخمسين وستمائة ، وما أظنه دفن ، وكان الأمر أعظم من أن يوجد من يؤرخ موته أو يوارى جسده ، وراح تحت السيف أمم لا يحصيهم إلا الله تعالى ، فيقال إنهم أكثر من ألف ألف ، فلا حول ولا قوّة إلا بالله العلىّ العظيم ، وخلت بغداد من أهلها ، وتشتت مَنْ بقى منهم فى البلاد .

وقال الشيخ شمس الدين الكوفى الواعظ ، المقدّم ذكره ، يذكر واقعة بغداد ، ويرثى أهلها ، ويذكر خرابها .

إن لم تقرّح أدمعى أجفانى   من بعد بعدكم فما أجفانى

---

(١) اسم أولهم عبيد الله المهدى

(٢) ما زالت هذه القصة إحدى الوسائل التى كان أتباع العلويين والعباسيين يروجون بها للدعاية لهم ، وقد سئل أبو الحسن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وأرضاه : هل أوصى لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ترك فيهم خاصة شيئاً ؟ فأجاب بأنه لم يخصصهم من بين سائر الأمة بعلم ، إلا ما فى هذه الصحيفة ، وليس فى هذه الصحيفة شىء من ذلك .

إنسان عيني مذ تناءت داركم ... ما راقه نظر إلى إنسان[1]

يا ليتني قدمت قبل فراقكم ... ولوعة التوديع لا أحياني

مالي وللأيام شتت شملها ... حالي وخلاني بلا خلاني[2]

ما للمنازل أصبحت لا أهلها ... أهلي ولا جيرانها جيراني

وحياتكم ما حلها من بعدكم ... غير البلى والهدم والنيران

ولقد قصدت الدار بعد رحيلكم ... ووقفت فيها وقفة الحيران

وسألتها لكن بغير تكلم ... فتكلمت لكن بغير لسان

ناديتها يا دار ما صنع الألى ... كانوا هم الأوطار في الأوطان[3]

أين الذين عهدتهم ولعزهم ... ذلاً تخر معاقد التيجان

كانوا نجوم من اقتدى اهتدى بهم ... يبكي الهدى وشعائر الإيمان

قالت: عدوا لما تبدد شملهم ... وتبدلوا من عزهم بهوان

كدم الفصاد يراق أرذل موضع ... أبداً ويخرج من أعز مكان

أفنتهم غير الحوادث مثل ما ... أفنت قديماً صاحب الإيوان[4]

لما رأيت الدار بعد فراقهم ... أضحت معطلة من السكان

مازلت أبكيهم والتوحشة ... لحالهم مستهدمَ الأركان

حتى رثى لي كل من مؤاخذه ... وجدي ولا أشجانه أشجاني

أترى تعود الدار تجمعنا كما ... كنا بكل مسرة وتهاني

إذ نحن نغتنم الزمان ونجتني ... بيد الأمان قطوف كل أماني

والدهر تحذرنا جميع صروفه ... والوقت يسعدنا على العدوان

(١) إنسان العين: النكتة التي تبدو سوداء في وسط سوادها، وبها يبصر
(٢) خلاني — بفتح الخاء — تركني، وخلاني — بكسر الخاء — جمع خليل، وهو الصديق (٣) الأوطار: جمع وطر، وهو الحاجة والمقصود
(٤) صاحب الإيوان: كسرى ملك الفرس

والعيش غضٌّ والدنو ممزق ... بيد الوصال ملابس الهجران

هيهات قد عز اللقاء وسددت ... طرق المزار طوارق الحدثان

مالى أردد ناظرىّ ولا أرى الأحباب بين جماعة الإخوان

والهفتى واوحدتى واحيرتى ... واوحشتى واحر قلبى العانى

سرتم فلا سرت النسيمُ ولازها ... زهر ولاماست غصون البان

مالى أنيس بعدكم غير البكى ... والنوح والحسرات والأحزان

يا ليت شعرى أين سارت عيسكم ... أم أين موطنكم من البلدان

(١٩٩)

أمير المؤمنين عبدالله بن هارون الرشيد أبو العباس المأمون

عبدالله بن هرون، أمير المؤمنين، أبو العباس، المأمون بن الرشيد بن المهدى[١] ولد سنة سبعين ومائة، وتوفى سنة ثمانى عشرة ومائتين، وكانت خلافته عشرين سنة وستة أشهر.

قرأ العلم فى صغره من هُشَيم وعباد بن العوام ويوسف بن عطية وأبى معاوية الضرير وطبقتهم، وروى عنه يحيى بن أكثم وجعفر بن أبى عثمان الطيالسى والأمير عبد الله بن طاهر، وبرع فى الفقه والعربية وأيام الناس، ولما كبر عُنى بعلوم الأوائل، ومهر فى الفلسفة، فجره ذلك إلى القول بخلق القرآن، وكان من رجال بنى العباس حزما وعزما وحلما وعلما ورأيا ودهاء وشجاعة وسؤددا وسماحة.

قال ابن أبى الدنيا: كان أبيض ربعة حسن الوجه، يعلوه صفرة، قد وخطه الشيب، أعين، طويل اللحية، ولما خلعه الأمين غضب ودعا إلى نفسه بخراسان فبايعه الناس، وأمه أم ولد اسمها مراجل، ماتت أيام نفاسها به، ودعى المأمون

---

(١) له ترجمة فى تاريخ الخلفاء ١٢١ وفى شذرات الذهب ٣٩/٢ وفى تاريخ ابن كثير ٢٧٤/١٠ وانظر خلافته سياسة فى الجزء السادس من تاريخ ابن الأثير، وقد ترجم له فى ص ١٥٨ — ١٦١، وفى الفخرى ٢٥٩ أوربة، وفى تاريخ اليعقوبى ١٧٢/٣، وفى مروج الذهب للمسعودى ٤/٤ تحقيقنا طبعة ثانية

الخلافة وأخوه حي في آخر سنة خمس وتسعين ومائة إلى أن قتل الأمين ، فاجتمع الناسُ عليه ببغداد في أول سنة ثمان ، وكان فصيحاً مُفوها ، كان يقول : معاوية بعمره ، وعبد الملك بحجاجه ، وأنا بنفسي ، وكان يختم كل شهر من شهور رمضان ثلاثين ختمة

قال يحيى بن أكثم : قال المأمون : أريد أن أحدث ، فقلت : ومَنْ أولى بهذا من أمير المؤمنين ؟ فقال : ضعوا لي منبراً ، ثم صعد فأول ما حدث حدثنا هُشَيم [1] عن أبي الجهم عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة رفع الحديث قال : امرؤ القيس صاحب لواء الشعراء إلى النار ، ثم حدث بنحو ثلاثين حديثاً ، ثم نزل ، فقال لي : كيف رأيت يا يحيى مجلسنا ؟ فقلت : أجل مجلس ، تفقه الخاصة والعامة ، فقال : ما رأيت لكم حلاوة ، وإنما المجلس لأصحاب الخلقان والمحابر .

وروى محمد بن عوف عن ابن عُيَيْنة أن المأمون جلس فجاءته امرأة فقالت : يا أمير المؤمنين مات أخي ، وخلّف ستمائة دينار ، فأعطوني ديناراً ، وقالوا : هذا نصيبك ، فقال المأمون : هذا خلف أربع بنات ؟ قالت : نعم ، قال : هن أربعمائة دينار ، وخلف والدة ؟ قالت : نعم ، قال لها مائة دينار ، وخلف زوجة لها خمسة وسبعون ديناراً ، بالله ألك اثنا عشر أخا ؟ قالت : نعم ، قال : لكل واحد ديناران ولك دينار واحد

وقال المأمون : لو عرف الناس حبي للعفو لتقربوا إلي بالجرائم .

ويروى أن ملاحا مر فقال لمن معه : أترون تظنون أن هذا نبيل في عيني وقد قتل أخاه الأمين ؟ قال : فسمعه المأمون ، فتبسم ، وقال : ما الحيلة حتى أنبل في عين هذا السيد الجليل ؟

---

(١) في ب « هيثم » هنا وفيما مضى من الترجمة وفيما يلي ، وما أثبتناه موافقاً لـ ق ث هو الصواب ، وهشيم هو أبو معاوية السلمي ، ولد سنة أربع ومائة ، ومات سنة ثلاث وثمانين ومائة ، وقد ذكره السيوطي على الصواب ، وذكرته كل هذه الأعلام

وكان المأمون بخراسان قد بايع بالعهد لعلي بن موسى الرضا، ونوّه باسمه، وغيّر لبس آبائه من لبس السواد، وأبدله بالخضرة، فغضب بنو العباس بالعراق لهذين الأمرين، فخلعوه، وبايعوا عمه إبراهيم بن المهدي، ولقبوه بالمبارك، فجهز له الحسن بن سهل، فهزمه إبراهيم وألحقه بواسط، وأقام إبراهيم بالمدائن، ثم سار جيش الحسن وعليه حميد الطوسي وعلي بن هشام فهزموا إبراهيم، فاختفى، ولم يظهر خبره إلى وسط خلافة المأمون، فعفا عنه على ما ذكره قاضي القضاة ابن خلكان في ترجمة إبراهيم بن المهدي

وتقدم إلى المأمون رجل غريب بيده محبرة، وقال: يا أمير المؤمنين، رجل من أهل الحديث منقطع به، فقال: ما تحفظ في باب كذا وكذا؟ فلم يذكر فيه شيئاً، فما زال المأمون يقول: حدثنا هشيم، وحدثنا يحيى، وحدثنا حجاج، حتى ذكر الباب، ثم سأله عن باب آخر، فلم يذكر فيه شيئاً، فقال المأمون: حدثنا فلان، وحدثنا فلان، ثم قال لأصحابه: يطلب أحدهم ثلاثة أيام ثم يقول: أنا من أهل الحديث، أعطوه ثلاثة دراهم

ومع ذلك فكان مشرف الكرم، جواداً، ممدحاً، وفرق في ساعة ستة وعشرين ألف ألف درهم

ومدحه أعرابي مرة، فأجازه ثلاثين ألف دينار

وقال أبو معشر: كان أمّاراً بالعدل، ميمون النقيبة، فقيه النفس، يعد مع كبار العلماء.

وأهدى إليه ملك الروم تحفاً[1] سنية منها مائة رطل مسك، ومائة حلة سمّور[2]، فقال المأمون: أضعفوها له، ليعلم عز الإسلام وذل الكفر.

---

(١) التحف، جمع تحفة — بالضم — وهي كل ما يهدى إلى الإخوان من الطرائف، وسنية: أي رفيعة القدر

(٢) السمور — بفتح السين وتشديد الميم مضمومة — حيوان بري يشبه السنور يتخذ من جلده فراء ثمينة للينها وخفتها وشدة إدفائها، وربما أطلق السمور على جلده، ومن الناس من يزعم أن السمور هو النمس، وليس كذلك

وقال يحيى بن أكثم : كنت عند المأمون ، وعنده جماعة من قوّاد خُراسان ، وقد دعا إلى القول بخلق القرآن ، فقال لهم : ما تقولون فى القرآن ؟ فقالوا : كان شيوخنا يقولون ما كان فيه من ذكر الجمال والبقر والخيل والحمير فهو مخلوق ، وما سوى ذلك فهو غير مخلوق ، فأمّا إن قال أمير المؤمنين هو مخلوق فنحن نقول كله مخلوق ، فقلت للمأمون : أتفرح بموافقة هؤلاء ؟

وقال ابن عرفة : قد أمر المأمون مناديا ينادى فى الناس ببراءة الذمة ممن ترحّم على معاوية أو ذكره بخير ، وكان كلامه فى القرآن سنةَ اثنتى عشرة ، فكثر المنكر لذلك ، وكاد البلد يفتتن ، ولم يلتئم له ما أراد ، فكف عنه إلى بعد الوقت .

وقال النضر بن شميـــل : دخلت على أمير المؤمنين ، فقال : إنى قد قلت اليوم .

أصبح دينى الذى أدين به   ولست منه الغداةَ معتــذرا

حبّ على بعـــد النبىّ ولا   أشتم صِـــدّيقةً ولا عمرا

وابن عفان فى الجنــان مع الأبرار ذاك القتيـــل مصطبرا

وعائشُ الأم لست أشتمها   من يفتريها فنحن منــه برا[(١)]

ونادى مناديه بإباحة مُتعة النساء ، فلم يزل به يحيى بن أكثم ورَوَى له حديث الزهرى عن ابن الحنفية محمد بن على رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « نَهَى عن متعة النساء يوم خيبر » ، فلما صحح له الحديث رجع إلى الحق وأبطلها ، وأما مسألة خلق القرآن فلم يرجع عنها ، وصمم عليه فى سنة ثمان عشرة ومائتين ، وامتحن العلماء ، فعوجل ولم يُمْهَلْ ، توجه غازيا إلى أرض الروم فلما

---

(١) عائش - أراد أم المؤمنين عائشة الصديقة بنت الصديق أبى بكر ، وقد رخم هذا اللفظ فى غير النداء ، وقد ورد نظيره عن العرب المحتج بشعرهم ، ولكن النحاة يأبون إقرار الإتيان به إلا فى النداء .

وصل إلى البَذَنْدُون مرض، وأوصى بالخلافة إلى أخيه المعتصم، ثم توفى بالبَذَنْدُون، فحمله ابنه العباس إلى طرطوس، ودفنه بها فى دار خاقان خادم أبيه.

ومن شعر المأمون:

لسانى كَتُوم لأسراركم ... ودمعى نَمُوم لسِرِّى مذيع

فلولا دموعى كتمتُ الهوى ... ولولا الهوى لم تكن لى دموع

وله أيضاً رحمه الله تعالى:

أنا المأمون والملك الهمام ... ولكنى بحبك مستهام

أترضى أن أموت عليك وَجْداً ... ويبقى الناس ليس لهم إمام

ومن شعره رحمه الله:

بعثتك مرتاداً ففزت بنظرة ... وأغفلتنى حتى أسأت بك الظنّا

وناجيت من أهوى وكنت مقرباً ... فيا ليت شعرى عن دنوك ما أغنَى

فياليتنى كنت الرسول وكنتنى ... فكنت الذى يقصَى وكنت الذى أدنَى

(٢٠٠)

أمير المؤمنين عبدالله بن المعتز محمد بن جعفر العباسى

عبد الله بن محمد بن جعفر بن محمد بن هارون بن العباس بن المعتز بن المتوكل [بن المعتصم] بن الرشيد بن المهدى بن المنصور [١].

الأديب، صاحب الشعر البديع، والنثر الفائق، أخذ الأدب والعربية عن المبرد وثعلب ومن مؤدبيه أحمد بن سعيد الدمشقى.

مولده فى شعبان سنة سبع وأربعين ومائتين[٢]، وتوفى فى ربيع الآخر سنة ست وتسعين ومائتين

(١) ليس هو من الصواب، فقد ترجمه ابن خلكان (الترجمة رقم ٣١٤) وذكر ولادته فى شعبان من سنة ٢٤٧ ووفاته فى سنة ٢٩٦، وله ترجمة فى تاريخ ابن كثير ١٠٨/١١ وذكر وفاته فى سنة ٢٩٦ كما ذكر ابن خلكان، وفى شذرات الذهب ٢٢٢/٢ مثله، وفى مروج الذهب ٢٩٣/٤ (٢) هذا خطأ، وفى ابن خلكان «ومولده لسبع بقين من شعبان سنة سبع وأربعين، وقال سنان بن ثابت: فى سنة ست وأربعين ومائتين»، وفى ب، ت بعد هذا «وقيل فى ربيع الآخر - الخ» أى ولادته، ولعل أن الألفاظ الواقعة هنا تحريف فى الطبع أو النسخ عن الذى ذكرناه

قامت الدولة ، ووثبوا على المقتدر ، وأقاموا ابن المعتز ، فقال : بشرط أن لا يقتل بسببي مسلم ، ولقبوه بالمرتضي بالله ، وقيل : المنتصف بالله ، وقيل : الغالب بالله ، وأقام يوما وليلة ، ثم إن أصحاب المقتدر تحزبوا واجتمعوا وتحاربوا هم وأعوان ابن المعتز وشتتوهم ، وأعادوا المقتدر إلى دسته ، واختفى ابن المعتز في دار ابن الجصاص الجوهري[١] ، فأخذه المقتدر وسلّمه إلى مؤنس الخادم ، فقتله وسلمه إلى أهله ملفوفا في كساء ، وقيل : إنه مات حَتْفَ أنفه ، وليس بصحيح ، بل خنقه مؤنس ، ودفن في خرابة بإزاء داره ، وقصته مشهورة فيها طول ، وهذه خلاصتها.

وكان شديد السمرة ، مسنون الوجه ، يخضب بالسواد ، وله تصانيف ، قال فيه ابن بسام[٢] :

لله درك من ميْتٍ بمضيعة ... ناهيك في العلم والآداب والحسب
ما فيه لو ، ولا ليت ، فتنقصه ... وإنما أدركته حِرْفةُ الأدب

وقال فيه بعض الأدباء :

لا بعد الله عبد الله من ملك ... سام إلى المجد والعلياء مذ خلقا
قد كان زَيْنَ بني العباس كلهم ... بل كان زين بني الدنيا حجى وتقى
أشعاره رصعت بالشعر أجمعه ... فكل شعر سواها بُهْرَجٌ ولَقى

قال بعض مَنْ يخدمه : إنه قد خرج يوما يتنزه ومعه ندماؤه ، وقصد باب الحديد وبستان الندى ، وكان آخر أيامه ، فأخرج خِرْقةً وكتب بالخط

سقيا لظل زماني ... وعيشيَ المحسود

---

(١) ابن الجصاص : سبق أن ترجم له المؤلف باسم الحسن بن عبد الله بن الحسين (الترجمة رقم ١١) وصوابه « الحسين بن عبد الله » كما في ابن كثير وابن خلكان

(٢) ابن بسام : علي بن محمد بن نصر بن منصور بن بسام ، شاعر حسن ، مطبوع ، هجاء ، لم يسلم منه وزير ولا أمير ، وله شعر في هجاء أبيه وإخوته وسائر أهل بيته مات في خلافة المقتدر بالله في سنة ٣٠٣

وَلِي كُلَّ لَيْلَةِ وصل فدام يوم صدود

قال : وضرب الدهر ضرباته ، ثم عُدْتُ بعد قتل ابن المعتز فوجدت خطه خفيا ، وتحته مكتوب :

أنا في ظل زماني وعيشي المنكود
فارقتُ أهلي وداري وصاحبي وودودي
ومن هويت جفاني مطاوعا لحسود
يا رب موتا وإلا فراحة من صدود

وكان ابن المعتز حنفي المذهب ، كقوله من أبيات :

فهات عُقارا في قميص زجاجة كياقوتة في درة تتوقد
وقتلي من نار الجحيم بنفسه وذلك من إحسانه ليس يجحد

وكان سني العقيدة ، منحرفا عن العلويين ، ولهذا قال في قصيدته البائية التي أولها :

ألا من لعين وتسكابها تشكى القذى وبكاها بها[1]
نهيت بني رحمي لو وعوا نصيحة ربانسابها[2]
وراموا فرائس أسد الشرى وقد نشبت بين أنيابها
قتلنا أمية في دارها ونحن أحق بأسلابها
وكم عصبة قد سقت منكم الخلافة صابا بأكوابها[3]
إذا ما دنوتم تلقتكم زبونا وقرت بحلابها
ولما أبى الله أن تملكوا دعينا إليها فقمنا بها
وما رد حجابها وافدا لنا إذ وقفنا بأبوابها

---

(١) في الديوان «وتشكى القذى وبكاها بها»

(٢) في ب، ث «ولو دعوا نصحه ر» تحريف ما أثبتناه ، وفي الديوان «نصحت بني رحمي» (٣) الصاب : شجر مر كريه الطعم

كقطب الرحى وافقت أختها   دعونا بها وعلنا بها

ونحن ورثنا ثياب النبي   فكم تجذبون بأهدابها[١]

لكم رحم يا بني بنته   ولكن بنو العم أولى بها

به نصر الله أهل الحجاز   وأرواها بعد أوصابها

ويوم حنين قد أعيتكم   وقد أبدت الحرب عن نابها

مهلا بني عمنا إنها   عطية رب حبانا بها

وأقسم أنكم تعلمو   ن أنَّا لها خيرُ أربابها

وقد أجابه عن ذلك صفي الدين الحلي في وزنها ورويها ، وهي قوله :

ألا قل لشر عبيد الإله   وطاغي قريش وكذّابها

وباغي العباد وباغي العناد   وهاجي الكرام ومغتابها

أأنت تفاخر آل النبي   وتجحدها فضل أحسابها

بكم باهل المصطفى أم بهم   فردَّ العداة بأوصابها

أعنكم نفى الرجس أم عنهم   لطهر النفوس وألبابها

أما الرجسُ والخمرُ من دأبكم   وفرْطُ العبادة من دأبها

وقلتم ورثنا ثياب النبي   فكم تجذبون بأهدابها

وعندك لا تورث الأنبياء   فكيف حظيتم بأثوابها

فكذَّبت نفسك في الحالتين   ولم تعلم الشهد من صابها

أجدُّك يرضى بما قلته   وما كان يوما بمرتابها[٢]

وكان بصفّين من حزبهم   لحرب الطغاة وأحزابها

---

(١) يشير إلى برد النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان يتوارثه خلفاء بني العباس ، ويقال إن أصله الذي خلعه النبي صلوات الله وسلامه عليه على كعب بن زهير حين أنشده لاميته ، اشتراه معاوية من ورثة كعب ، وبقي عند بني أمية حتى سلبه بنو العباس من حرم مروان بن محمد عند مقتله (وانظر مروج الذهب ٣/٢٦١)

(٢) يريد بجده عبد الله بن العباس رضي الله تعالى عنهما

وقد شمر الموت عن ساقه   وكشرت الحرب عن نابها

فأقبل يدعو إلى حيدر   بإرغابها وبإرهابها[١]

وأمل أن يرتضيه الإمام   من الحكمين لإنشابها

ليعطى الخلافة أهلا لها   فلم يرتضوه لإيجابها

وصلى مع الناس طول الحياة   وحيدر فى صدر محرابها

فهلا تقمصها جدكم   إذا كان إذ ذاك أحرى بها

وإذ جعل الأمر شورى لهم   فهل كان من بعض أربابها

أخامسهم كان أم سادساً   وقد جليت بين خطابها

وقولك أنتم بنو بنته   ولكن بنو العم أولى بها

بنو البنت أيضاً بنو عمه   وذلك أدنى لأنسابها

فدع فى الخلافة فصل الخلاف   فليست ذَلُولاً لركابها

وما أنت والفحص عن شأنها   وما قمّصوك بأثوابها

وما ساورتك سوى ساعة   فما كنت أهلا لأسبابها

وكيف يخصوك يوما بها   ولم تتأدب بآدابها

وقُلْتَ بأنكم القاتلون   لأسد أمية فى غابها

عديت وأسرفت فيما ادّعيت   ولم تنه نفسك عن عابها

فكم حاولتها سَرَاة لكم   فردت على نكص أعقابها

ولولا سيوف أبى مُسْلِمٍ   لعزت على جهد طلابها

وذلك عبد لهم لا لكم   رعى فيكمُ قُرْبَ أنسابها

---

(١) حيدر : أصله من أسماء الأسد ، وهو لقب على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه ، وهو الذى يقول :

أنا الذى سمتنى أمى حيدره   أكيلكم بالسيف كيل السندره

وكنتم أسارى ببطن الحبوس　　وقد شفكم لثم أعتابها

فأخرجكم وحباكم بها　　وقمصكم فضل جلبابها

فجازيتموه بشر الجزاء　　لطغوى النفوس وإعجابها

فدع ذكر قوم رضوا بالكفاف　　وجاءوا الخلافة من بابها

هم الزاهدون ، هم العابدون　　هم العالمون بآدابها

هم الصائمون ، هم القائمون　　هم الساجدون بمحرابها

هُمُ قطب ملة دين الإله　　ودور الرحاء بأقطابها

عليك بلهوك بالغانيات　　وخلِّ المعالى لأصحابها

ووصف العذارى وذات الخمار　　ونعت العقار بألقابها

وشعرك فى مدح ترك الصلاة　　وسعْى السقاة بأكوابها

فذلك شأنك لا شأنهم　　وجَرْىُ الجياد بأحسابها

ومن قول ابن المعتز فى هذه المادة :

فأنتم بنو بنته دوننا　　ونحنُ بنو عمه المسْلِم

ومن شعر ابن المعتز قوله فى الهلال والثريا :

قد انقضتْ دولة الصيام وقد　　بشّرَ سقم الهلال بالعيد

يتلو الثريا كفاغرٍ شَرِهٍ　　يفتح فاه لأكل عنقود

ومنه أيضاً رحمه الله تعالى :

فى ليلة أكل المحاق هلالها　　حتى تبدّى مثل وَقْفِ العاج

والصبح يتلو المشترى فكأنه　　عريان يمشى فى الدجى بسراج

ومنه فى وصف روضة :

تُضاحك الشمسَ أنوار الرياض بها　　كأنما نثرت فيها الدنانير

ويأخذ الريح من دخانها عبقا ... كأن تربتها مسك وكافور

ومنه أيضاً رحمه الله تعالى :

أطال الدهر فى بغداد همى ... وقد يشقى المسافر أو يفوز
ظللت بها على كرهى مقيما ... كعنين تعانقه عجوز

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

كأن بكأسها فيها تَلَظّى ... ولولا الماء كان لها حريق
كأن عمامة بيضاء بينى ... وبين الراح تخرقها البروق

وقال أيضا رحمه الله :

أهلا بفطر قد أنار هلالُهُ ... الآن فاغد على المدام وبكر
وانظر إليه كزورق من فضة ... قد أثقلته حمولةٌ من عنبر

وقال أيضا رحمه الله :

يا رب إن لم يكن فى وصله طمع ... وليس لى فرج من طول جفوته
فأبْرِ السقام الذى فى عنج مقلته ... واستر محاسن خديه بلحيته

وما أحسن قول الأمير أسامة بن مُنقذ فى هذا المعنى :

يا رب خُذ بيدى من ظلم مقتدر ... علىّ قد لج فى ظلمى وعدوانى
لَيْنْ قساوته لى أو تيسر لى ... صبرا لأحظى بوصل أو بسلوان
أو فاطف جمرة خديه وأيقظ حسـ ... ـنيه للذين أراقا ماء أجفانى(١)

ومن شعر ابن المعتز رحمه الله :

يا رُبَّ ليل سَحَرٌ كله ... مفتضح البدر عليل النسيم
لم أعرف الإصباح فى فجره ... لما بدا إلا بسكر النديم

---

(١) كذا ، وليس بمستقيم

(٢٠١)

تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد المخزومي اليمني

عبد الباقي بن عبد المجيد بن عبد الله، تاج الدين، اليمني، المخزومي، المكي(١)
ولد بمكة في شهر رجب سنة ثمانين وستمائة، وتوفي في أواخر سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة.

وكان شيخا طويلا، حسن الشكل والعمة، حلو الوجه، قادرا على النظم والنثر، وكان منحرفاً بنفسه، يعيب كلام القاضي الفاضل وغيره، ويظن أن كلامه خير من كلام الفاضل، ويفضل ابن الأثير عليه، وكان خطه جيد، عمل تاريخا للنحاة، وذيل تاريخ ابن خلكان بذيل قصير لم يبلغ ثلاثين رجلا، وكان يعظم نفسه ويمدحها، ولكلامه وقع في النفوس إذا أطنب في وصف قصائده، فمن شعره:

تجنب أن تُذَمَّ بك الليالي ... وحاول أن يذمَّ لك الزمان(٢)
ولا تحفل إذا كملت ذاتا ... أصبت البر أم حصل الهوانُ

ومنه أيضاً رحمه الله:

بعثت لواحظ مَنْ رأيتُ مقبلا ... رموزها ورموزهن سلام
فحذرت غمز مقلتيه لأنه ... يخشى العذار فإنه نمام

أخذ هذا المعنى من قول الأول، وهو أحسن وأكمل:

لا خلاصي في عوارضه ... سبب والناس لوام
كيف يخفى ما أكابده ... والذي أهواه نمام

وقال في حمار وحشيّ:

قد غدا في حسنه أوحدا ... شاركا فيه الدُّجى والصبح

---

(١) له ترجمة في شذرات الذهب ٦/١٣٨

(٢) من عادة الناس إذا أرادوا أن يذموا أحداً أن يقولوا «قبح الله زمانا أرانا فيه فلانا» فهذا ذم الليالي به، وذم الزمان له أن يكون موضع أمل الناس يأتونه قائلين: نشكو إليك عنت الدهر وظلمه، وما أشبه ذلك

حمار وحش نقشـــه معجب فلا تضاهى حسنه فى ملاح

(٢٠٣)

أبو محمد عبد الجليل ابن وهبون المرسى

عبد الجليل بن وهبون ، أبو محمد ، الملقب بالدمعة ، المرسى .

قال ابن بسام فى ترجمته : شمس الزمان وبدره ، وسر الإحسان وجهره ، ومستودع البيان ومستقره ، أحد من أفرغ فى وقتنا فنون المقال ، فى قالب السحر الحلال ، وقيد شوارد الآداب ، بأرق من لمح العتاب ، وأروق من غفلات الشباب ، اختار بلنسية ، فى بعض رحلته الشرقية ، وملكها يومئذ أبو يحيى ابن صمادح فاهتز لعبد الجليل واستدعاه ، وعرض له بحرمة وافرة ، فلم يعرج على ذلك ، وارتحل عن بلده ، وقال :

دنا العيد لو تدنو به كأفة لمنى وزكى لعلى من ذوبة مغرب

فيا أسفى للشعــــر تزرى جماره ويا بعد ما بين النقا والمحصب

ومن العجيب ما اتفق أن عبد الجليل وأبا إسحاق بن خفاجة تصاحبا فى طريق مخوف ، فرأيا بعدين ، وعليهما رأسان ، كأنهما نسرا متوحيان ، فقال ابن خفاجة .

ألا رب رأس لا تخاور بينـــه وبين أخيـــه والمزار قريب

أناف به صلد الصفا فهو منبر وقام على أعلاه فهو خطيب

فقال عبد الجليل :

يقول حذار الاغترار فطالما أناخ قتيل بى ومر سليب

قال : فلم تم كلامهم حتى لاح قتام ساطع ، كأن السيوف فيه برق لامع ،

---

(١) له ترجمة فى « المعجب ، فى تلخيص أخبار المغرب » ١٠٢ وفى قلائد العقيان للفتح بن خاقان ٢٤٢ بولاق ، وانظر نفح الطيب (١٧٩/٢ تحقيقنا)

فما تحلّى إلا وعبدُ الحليم قتيل وابن خفاجة سليب ، فكأنما كشف له فيما قال ستر الغيب

ومن شعره في النيلوفر(١) :

وبركة تزهـــو بنيلوفر	نسيمه تشبه ريح الحبيب
حتى إذا الليل دنا وقته	ومالت الشمس بعين المغيب
أطبق جفنيه على بلقعه	وغاص في لماه حذار الرقيب

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

زعموا الغزال حكاه قلت لهم نعم	في صدّه عن عاشقيه وهجره
قالوا الهلال شبيهه ، فأجبتهم	إن كان قوس لى قلامة ظفره
وكذا يقولون المدام كريقه	يارب لا عرفوا مذاقة ثغره

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

يعز على العلياء أنى خامل	وأن أعصرت من خود شبهاتى
وحيث ترى زند السحابة واريا	فثم ترى زند السعادة كابى

وقال في مصيبة لا سنة حليا :

إنى لأسمع شـــدوًا لا أحققه	وربما كذبت في سمعها الأذن
متى رأى أحد قبلى مطوقة	إذ تمت تنحين حاوب الفتن

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

نفسي وإن كنت لا غنى لى	فقـــد سبتها لحاظُ المقل
عِـــذار وجد كما يحتوى	سواد القلوب بياض الأمل

---

(١) النيلوفر : نوع من الزهر ، قال صاحب شفاء الغليل . « وقع في أشعار المتأخرين ، وهو مولد ، قال أمين الدولة هو اسم فارسي ، معناه النيلي الأجنحة ، والنيلي الأرياش ، وبر عاصي أرياش ، ومنه نوع تسميه أهل مصر عرائس النيل ، وهو معروف ، وقد وقع في بعض « النلوفر » والمشهور تقديم النون

وأنشد المعتمد بن عباد يوما قول المتنبي :

إذا ظفرت منك العيونُ بنظرةٍ　　أثابَ بها مُعْيِي المَطِيِّ ورازمُهْ

فجعل المعتمد يردده استحسانا له فقال عبد الجليل :

لئن جاد شعر ابن الحسين فإنما　　تجيد العطايا واللُّها تفتح اللَّها

تنبأ عجبا بالقريض ولو درى　　بأنك تروى شعره لتألها

وجلس يوما المعتمد وبين يديه جارية تسقيه ، فلمع البرق ، فارتاعت ، فقال[1] :

روعها البرق وفي كفها　　برق من القهوة لماع

عجبتُ منها وهي شمس الضحى　　كيف من الأنوار ترتاع

وأنشد الأول لعبد الجليل فاستجده ، فقال :

ولن ترى أعجب من آنسٍ　　من مثل ما يمسك يرتاع

ومن شعر عبد الجليل :

غزال يُستطاب الموت فيه　　ويَعْذُبُ في محاسنه العذاب

يقبّله اللثام هوى وشوقا　　ويجني ورد خدّيه النقاب

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

سقى فسقى الله الزمان من أجله　　بكأسين من لبانه وعقاره

وحيّا فحيّا الله دهرا أتى به　　بأطيب من ريحانه وعذاره

وكان للمعتمد خادم يسمى خليفة ، فأمره أن يأتي بنبيذ ، فأخذ وعاء يسمى القمصال وأتى إليهم ، فعثر ، ووقع القمصال فانكسر ، وبات خيفة ، فأخبر المعتمد بذلك ، فقال :

---

(١) ذكر هذه القصة ابن ظافر في « بدائع البدائه » (٥٨ بولاق) ثم قال بعد روايتها « وبيته أحسن من بيت المعتمد عندي » .

أنأمن والحياة لنا عجيفة ونفرح والمنون بنا مطيفه

فقال ابن عمار :

وفي يوم وما أدراك يوم مضى قصادنا ومضى حنيفه

فقال ابن وهبون :

فخارتنا راح وروح تكسرنا فانشقاق وجيفه

(٢٠٣)

عبد الحق بن إبراهيم بن سبعين، المرسي

عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن محمد ، بن سبعين ، الشيخ قطب الدين ، أبو محمد ، المُرسِي ، الصوفي[1] .

كان صوفيا على قواعد الفلاسفة ، وله كلام كثير في العرفان وتصانيف ، وله أتباع ومريدون يُعرَفون بالسبعينية .

قال الشيخ شمس الدين الذهبي : ذكر شيخنا قاضي القضاة تقي الدين بن دقيق العيد قال . جلست مع ابن سبعين من ضَحْوة إلى قريب الظهر وهو يسْرُد كلاما تُعقَل مفرداته ، ولا تعقل مركباته .

قال الشيخ شمس الدين : واشتهر أنه قال : لقد تحَجَّرَ ابن آمنة واسعا بقوله « لا نبي بعدي » .

قال : إن كان ابن سبعين قال هذا فقد خرج به من الإسلام ، مع أن هذا الكلام هو أخف وأهون من قوله في رب العالمين : إنه حقيقة الموجودات ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيراً !

---

(١) له ترجمة في البداية والنهاية لابن كثير ٢٦١/١٣ وذكر وفاته في الثامن والعشرين من شوال سنة ٦٦٩ وفي شذرات الذهب ٣٢٩/٥ مثله ، وفي النجوم الزاهرة ٢٣٢/٧

وحدثني فقير صالح أنه صحب فقراء من السبعينية ، وكانوا يهونون له ترك الصلاة وغير ذلك

قال : وسمعت عن ابن سبعين أنه فصد يديه ، وترك الدم يخرج حتى تصفى ، ومات بمكة في ثامن عشرى شوال سنة ثمان وستين وستمائة ، وله من العمر خمس وخمسون سنة .

قال الشيخ صفي الدين الهندي : حججت سنة ست وستين ، وبحثت مع ابن سبعين في الفلسفة ، فقال لي : لا ينبغي لك المقام بمكة ، فقلت له : فكيف تقيم أنت بها ؟ قال : انحصرت القسمة في قعودي بها ، فإن الملك الظاهر يطلبني بسبب انتمائي إلى أشراف مكة ، واليمن صاحبها لي في عقيدة ولكن وزيره حشويٌّ يكرهني .

قال صفي الدين : وكان ابن سبعين قد داوى صاحب مكة من مرض كان به فبرئ ، فصارت له عنده مكانة ، يقال : إنه نفي من المغرب بسبب كلمة كفر صدرت عنه وهي قوله : لقد تحجر ابن آمنة ، كما مر في ترجمته ، ويقال : إنه كان يعرف السيمياء والكيمياء ، وإن أهل مكة كانوا يقولون : إنه أنفق فيهم ثمانين ألف دينار ، وإنه كان لا ينام كل ليلة حتى يكرر عليه ثلاثون سطرا من كلام غيره ، وإنه لما خرج من وطنه كان ابن ثلاثين سنة ، وخرج معه جماعة من الطلبة والأتباع فيهم الشيوخ ، ولما أبعدوا بعد عشرة أيام أدخلوه الحمام ليزيل وعثاء السفر ، ودخلوا في خدمته ، وأحضروا له قيما ، فجعل القيم يحك أرجلهم ويسألهم عن وطنهم لما استغربهم ، قال : فقالوا له من المرسية ، قال : من البلد الذي ظهر فيها هذا الزنديق ابن سبعين ؟ فأومأ إليهم أن لا يتكلموا ، وقال : نعم ، فأخذ يسبه ويشتمه ، وابن سبعين يقول له : استقص في ذلك ، وذلك القيم يزيد في اللعن والشتم ، إلى أن فاض أحدهم غيظا وقال له : ويحك ! هذا الذي

تَشبه قد جعلك الله تحت رجليه وأنت فى خدمته أقل غلام ، فسكت خجلا وقال : أستغفر الله !.

ويحكون عنه أشياء من الرياضة ، وكلامه كله محشو بكلام الفلاسفة، وله كتاب «مالابد للعارف منه» ، وكتاب «الإحاطة» ومحاورة صغيرة فى الجوهر ، وغير ذلك ، وله عدة رسائل بليغة المساق ، فصيحة الألفاظ ، منها رسالة « العهد » وهى : يا هذا هل عمرك إلا كلمح ، أو عطاء نكد لا سمح . وآمالك لهو ولعب ، وأسحارك سهر وعلل ، وهى على هذا الأسلوب .

وكانت وفاته سنة ثمانٍ وستين وستمائة[1] .

(٢٠٤)

أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الإشبيلى الأزدى

عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حسين بن سعيد ، أبو محمد ، الأزدى ، الإشبيلى ، ويعرف بابن الخراط[2] .

روى عن شريح بن محمد ، وأبى الحكم بن برجان ، وغيرهم ، وأجاز له ابن عساكر ، ونزل بجاية وقت فتنة الأندلس ، فبث بها علمه ، وصنف التصانيف ، وولى الخطبة والصلاة بها ، وكان فقيها حافظا عالما بالحديث وعلله ورجاله ، موصوفا بالخير والصلاح والزهد والورع ، والتقلل من الدنيا ، مشاركا فى الأدب وقول الشعر ، وصنف فى الأحكام نسختين كبرى وصغرى ، وجمع بين الصحيحين وبوبه ، وجمع الكتب الستة ، وله كتاب فى المعتل من الحديث ، وله كتاب « الزهد » وكتاب « العاقبة فى ذكر الموت » وكتاب « الرقائق » ومصنفات أخر ، وله فى اللغة كتاب حافل ضاهى به كتاب الهروى ، وتوفى بعد محنة نالته من قبل الولاية ، روى عنه أبو الحسن المعافرى ، وكانت وفاته سنة إحدى وثمانين وخمسمائة .

---

(١) قد ذكرنا فى صدر ترجمته أن الأكثرين على أن وفاته كانت فى سنة ٦٦٩

(٢) له ترجمة فى شذرات الذهب ٤/٢٧١

ومن شعره :

إنّ فى الموت والمعاد لشغلا ... وادّكارا لذى النُّهى وبلاغا

فاغتنم حصلتين قبل المنايا ... صحة الجسم يا أخى والفراغا

(٢٠٥)

عز الدين عبد الحميد بن هبة الله بن محمد ابن أبى الحديد المدائنى الفقيه

عبد الحميد[1] بن هبة الله بن محمد بن محمد بن أبى الحديد ، عز الدين المدائنى ، المعتزلى ، الفقيه ، الشاعر ، أخو موفق الدين .

ولد سنة ست وثمانين وخمسمائة ، وتوفى سنة خمس وخمسين وستمائة .

وهو معدود فى أعيان الشعراء ، وله ديوان شعر مشهور ، روى عنه الدمياطى ، ومن تصانيفه « الفلك الدائر » على المثل السائر » صنفه فى ثلاثة عشر يوما ، وكتب إليه أخوه موفق الدين

المثل السائر يا سيدى ... صنّفت فيه الفلك الدائرا

لكنّ هذا فلك دائر ... أصبحت فيه المثل السائرا

ونظم فصيح ثعلب فى يوم وليلة ، وشرح نهج البلاغة فى عشرين مجلدا ، وله تعليقات على كتاب المحصل والمحصول للامام فخر الدين .

ومن شعره .

وحقك لو أدخلتنى النار قلت للذين بها قد كنت ممن يحبه

وأفنيت عمرى فى دقيق علومه ... وما بغيتى إلا رضاه وقربه

هبونى مسيئا أوضع العلم جهله ... وأوبقه دون البرية ذنبه[2]

أما يقتضى شرع التكرّم عفوه ... أيحسن أن ينسى هواه وحبه

أما ردّ زيغ ابن الخطيب وشكه ... وتمويهه فى الدين إذ عزّ خطبه

---

(١) له ترجمة فى تاريخ ابن كثير ١٣ / ١٩٩ وترجمة ثانية فى آخر كتابه « شرح نهج البلاغة » (٢ / ٥٧٥) نقلا عن كتاب « معجم الآداب » فى معجم الألقاب »

(٢) أوبقه : أهلكه

أما كان ينوى الحق فيما يقوله … ألم تنصر التوحيد والعدل كتبه

وغاية صدق الصب أن يعذب الأسى … إذا كان من يهوى عليه يصبه

ورد عليه الشيخ صلاح الدين الصفدى رحمه الله تعالى بقوله :

علمنا بهذا القول أنك آخذ … بقول اعتزال جلّ فى الدين خطبه

فتزعم أنّ الله فى الحشر ما يُرى … وذاك اعتقاد سوف يرديك غبُّهُ

وتنفى صفات الله وهى قديمة … وقد أثبتها من الإله كتبه

وتعتقد القرآن خلقاً ومحدثاً … وذلك داء عزّ فى الناس طبه

وتثبت للعبد الضعيف مشيئة … يكون بها ما لم يقدّره ربه

وأشياء من هذى الفضائح جمة … فنبكما داعى الضلال وحزبهُ

ومن ذا الذى أضحى قريباً إلى الهدى … وجاء عن الدين الحنيف ذبّهُ

وما ضرّ فخر الدين قول نظمته … وفيه شناع مفرط إذ تسبه

وقد كان ذا نور يقود إلى الهدى … إذ طلعت فى حندس الشك شُهبه(1)

ولو كنت تعطى قدر نفسك حقه … لأخذت جحراً بالمحال أنبه

وما أنت من أقرانه يوم معرك … ولا لك يوماً بالإمام تشبّه

ومن شعره أيضاً رحمه الله تعالى :

لولا ثلاث لم أخف صرعتى … ليست كما قال فتى العبد

أن أنصر التوحيد والعدل فى … كل مكان باذلا جهدى

وأن أناجى الله مستمتعا … بخلوة أحلى من الشهد

وأن أتيه الدهرَ كبراً على … كل لئيم أصعر الخدّ

كذاك لا أهوى فتاة ولا … خمراً ولا ذا ميعة نهد

---

(1) الحندس ـ بكسر الحاء والدال المهملتين بينهما نون ساكنة ـ أصله الظلام الشديد ، وإضافة الحندس إلى الشك من إضافة المشبه به إلى المشبه ، نظير « لجين الماء » و « ذهب الأصيل »

قوله « كما قال فتى العبد » هو طرفة بن العبد حيث يقول وقد سئل عن لذات الدنيا ، فقال : مركب وطي ، وثوب بهي ، ومطعم شهي ، وسئل امرؤ القيس فقال : بيضاء رُعبوبة ، بالشحم مكروبة ، بالمسك مشبوبة ، وسئل الأعشى فقال : صهباء صافية ، تمزجها ساقية ، من صوب غادية ، قال المكوك : حدثت بذلك أبا دلف ، فقال :

أطيبُ الطيبات قتلُ الأعادي ... واختيال على متون الجياد

ورسول يأتي بوعد حبيب ... وحبيب يأتي بلا ميعاد

وحدث بذلك حميد الطوسي فقال[1]

ولولا ثلاث هنّ من لذة الفتى ... وجدّك لم أحفل متى قام عودي

فمنهنّ سَبْقي العاذلات بشربة ... كُميتٍ متى ما تُعْلَ بالماء تزبد[2]

وكري إذا نادى المضاف محنبا ... كسِيدِ الغَضا نبّهتَهُ المتورد

وتقصير يوم الدجن والدجن معجبٌ ... ببهكنة تحت الخباء المعمد

رجعنا إلى ابن أبي الحديد .

وقال :

من يقه تحدث لسواك ... أرتعا بين شجر الأراك أراك

واطرد حيث الجبان فإن رنت ... بالحظ فهو الصيغم الفتاك

شرك القلوب ولم أخل من قبلها ... أن القلوب تصيدها الأشراك

يا وجهها المصقول ماء شبابه ... ما الحتف لولا طرفك الفتاك

أهل أتاك حديث وقفتنا ضحى ... وقلوبنا شبا الفراق تشاك

لاشيء أوقع من نوى الأحباب أو ... سيف الوصي كلاهما سفاك

(١) الأبيات الأربعة التي هي من معلقة طرفة بن العبد البكري ، وأغلب الظن أن في الكلام سقطا يشتمل على جواب حميد الطوسي ثم ذكر أن أصل ذلك كله قول طرفة هذا

(٢) في معلقة طرفة « فمنهن سبقي العاذلات »

وقال الصفدي يعارض ابن أبي الحديد :

<table>
<tr><td>ولا ثلاث هن أقصى المنى</td><td>لم أهب الموت الذي يُرْدِي</td></tr>
<tr><td>تكميل ذاتي بالعلوم التي</td><td>تَنْفَعني إن صرت في لحدي</td></tr>
<tr><td>والسعي في رد الحقوق التي</td><td>لصاحب بت به قصدي</td></tr>
<tr><td>وأن أرى الأعداء في مَصْرَعة</td><td>تفنيهم من خَصْمِهم وحدي</td></tr>
<tr><td>فقدها اليوم الذي حُمَّ لي</td><td>قد استوت في القرب والبعد</td></tr>
</table>

(٢٠٦)

تاج الدين عبد الرحمن ابن إبراهيم ابن سباع ، الفزاري الإمام الفقيه ، الشافعي

عبد الرحمن بن إبراهيم[1] بن سباع بن ضياء ، العلامة ، الإمام الفقيه ، فقيه الشام ، تاج الدين الفزاري ، البدري ، المصري الأصل ، الدمشقي الشافعي .

ولد في شهر ربيع الأول سنة أربع وعشرين وستمائة ، وتوفي سنة تسعين وستمائة

سمع من ابن الزبيدي وابن المجاور وابن اللتي ومكرم بن أبي الصقر وابن الصلاح ومن السخاوي وتاج الدين بن حمويه ، وخرَّجَ له البِرْزَالي مشيخة عشرة أجزاء صغار وعن مائة نفس ، وسمع منه ولده الشيخ برهان الدين وابن تيمية والمزي والقاضي ابن صَصْرى وكمال الدين بن الزَّمْلَكاني وابن العطار وكمال الدين بن قاضي شهبة وعلاء الدين المقدسي وزكي الدين بن زكري وغيرهم ، وتخرج من تحت يده جماعة من القضاة والمدرسين والمفتين ، ودرس وناظر وصنف ، وانتهت إليه رياسة المذهب كما انتهت إلى ولده ، وكان ممن بلغ رتبة الاجتهاد ، ومحاسنه كثيرة ، وكان يلثغ بالراء غينا ، وكان لطيف اللحية[2] ، قصيراً أسمر ، حسن الصورة ، ظاهر

---

(١) له ترجمة في شذرات الذهب ٥/٤١٣ ، وفي النجوم الزاهرة ٨/٤١

(٢) في ث « لطيف الجثة »

الدم ، معركح الساقين ، يركب البغلة ، ويحف به أصحابه ، ويخرج معهم إلى الأماكن النزهة وبباسطهم ، وكان مفرط الكرم .

وله تصانيف تدل على محله من العلم ، وتبحره ، وكانت له يدٌ في النظم والنثر

تفقه في صغره على الشيخ عز الدين بن عبد السلام والشيخ تقي الدين بن الصلاح وبرع في المذهب وهو شاب ، وجلس للاشتغال وله بضع وعشرون سنة ودرس في سنة ثمان وأربعين ، وكتب في الفتاوى وقد كمل الثلاثين ، ولما قدم النووي من بلده أحضروه ليشتغل عليه بعث به إلى الرواحية ليحصل له بها بيت ويرتفق بمعلومها ، وكانت الفتاوى تأتيه من الأقطار ، وإذا سافر إلى القدس يترامى أهل البر على ضيافته ، وكان أكبر من الشيخ محيي الدين النووي بسبع سنين ، وقيل إنه كان يقول إيش قال النووي في مزبلته ؟ يعني بالروضة ، وكان الشيخ عز الدين ابن عبد السلام يسميه « الذُّوَيْكِيُّ » لحسن بحثه ، وقرأ عليه ولده برهان الدين وكمال الدين بن الزملكاني وكمال الدين الشهبي وزكي الدين بن زكري ، وكان قليل المعلوم كثير البركة ، ولم يكن له إلا تدريس البادرائية مع ماله من المصالح

دفن بمقابر باب الصغير ، وشيعه الخلق ، وتأسفوا عليه ، عاش ستا وستين سنة وثلاثة أشهر .

وله « الإقليد » في شرح التنبيه ، وهو جيد ، « وكشف القناع » في حِلِّ السماع » .

ومن شعره لما احتفل الناس سنة ثمان وخمسين رحمه الله تعالى :

لله جمعُ ليالي الشمل ما رحمت ... بها الحوادث حتى أصبحت سمرا

ومُشتَدَّا الحزنِ من تاريخ مسألتي ... عنكم فَلَمْ ألق لا عيناً ولا أثرا

يا راحلين قَرَرْتُمْ فالنجاة لكم ... ونحن للعجز لا نستنصر القدرا

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

يا كريم الآباء والأجداد ... وسعيد الإصدار والإيراد

كنت سعداً لنا بعهد كريم ... لا تكن في وفائه كسعاد[١]

ومن شعره رضي الله عنه دوبيت :

ما أطيب ما كنت من الوجد لقيت ... إذ أصبح بالحبيب صبا وأبيت

واليوم محا قلبي من سكرته ... ما أعرف في الغرام من أين أتيت

(٢٠٧)

أبو سليمان عبد الرحمن ابن أحمد الداراني العنسي

عبد الرحمن بن أحمد ، السيد القدوة ، أبو سليمان ، الداراني ، العنسي[٢] ، بالنون أصله من واسط ، قال أحمد بن أبي الحواري : تمنيت أن أرى أبا سليمان الداراني في النوم ، فرأيته بعد سنة ، فقلت له : يا معلم الخير ، ما فعل الله بك ؟ قال : يا أحمد ، دخلت من باب الصغير ، فلقيت حِمْلَ شيحٍ ، فأخذت منه عوداً تخللت به ، ثم رميت به ، فأنا في حسابه من سنة . مات سنة خمس وعشرين ومائتين[٣] .

---

(١) أشار إلى قول كعب بن زهير :

وما سعاد غداة البين إذ رحلوا ... إلا أغنُّ غضيضُ الطرف مكحول

كانت مواعيدُ عرقوب لها مثلا ... وما مواعيدُها إلا الأباطيلُ

(٢) له ترجمة في « اللباب » لابن الأثير ١/٤٠٣ وفي معجم البلدان ٤/٢٤ وفي تاريخ بغداد ١٠/٢٤٨ وفي النجوم الزاهرة ٢/١٧٩ وفي رسالة القشيري ١٩ وفي الطبقات الكبرى للشعراني ١/٩٢ وفي تاريخ ابن الوردي ١/٢١٨ وفي تاريخ ابن كثير ١٠/٢٥٥ وذكره ابن الأثير في التاريخ الكامل ٦/١٥٤ ، وحكوا في نسبه وعبد الرحمن بن عطية ، وقيل : عبد الرحمن بن أحمد بن عطية ، وقيل : عبد الرحمن ابن عسكر ، وذكروا أنه منسوب إلى داريا ــ بفتح الدال والراء بعدها ياء مثناة مشددة ــ وهي قرية في غوطة دمشق

(٣) ذكر صاحب معجم البلدان أن وفاته في سنة ٢٣٥ بالأرقام ولم يقيدها بالحروف ولعله تحريف في الطبع . وذكر صاحب تاريخ بغداد روايتين : إحداهما أن وفاته كانت في سنة خمس عشرة ومائتين ، وهذه هي التي ذكرها ابن الأثير وابن كثير وابن الوردي ، والأخرى أن وفاته كانت في سنة خمس ومائتين ، وهي التي رواها عن تلميذه أحمد بن أبي الحواري ، وهي التي اعتمدها صاحب النجوم الزاهرة

(٢٠٨)

عبد الرحمن بن أحمد ، أبو حبيب .

أبو حبيب عبد الرحمن ابن أحمد

قال ابن رشيق : ولد بالمحمدية ، وتأدب بالأندلس ، وخالط أشراف الناس وأهل الأقدار ، ورزق الأدب وصناعة الشعر ، وعلم النحو ، فصار صدراً مذكوراً في كل واحد منها .

ومن شعره رحمه الله تعالى :

أضحى عذولى فيه من عشاقه ... لما بدا كالبدر فى إشراقه

وغدا يلوم ولومه لى غيرة ... منه عليه ليس من إشفاقه

قمر تنافست الجوانح والحشا ... فى حبه تغور عند عناقه

فى خده نَوْرٌ تفتح ورده ... ألحاظه منعته من عشاقه

عرض الوصال وطل يعرض دونه ... وتحقق المعسول من أخلاقه

وغدا محاق البدر موعد بينه ... ورحيله فحققت قبل محاقه(١)

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

وإنى على شوقى إليه وصبوتى ... أغار عليه فى دجى الليل أن يسرى

فبت ودمعى مزج فيض دموعه ... أقبل ما بين الترائب والنحر(٢)

إذا هم أن يمضى حدثت ثوبه ... وأطبقت من خوف على مقلتى شفرى(٣)

وكم ليلة هافت على ذنوبها ... علامات يرويها من الريق والخمر

أقبل منه الورد فى غير حينه ... وألثم بدر التم فى غيبة البدر

إلى أن بدا نور الصباح فى الدجى ... كنور جبين لاح فى ظلمة الشعر

---

(١) محاق البدر — رؤية كناية أو عراب أو سحاب — استسراره فلا يرى غدوة ولا عشية ، وذلك فى آخر الشهر القمرى ، ومحقت . أراد محقت

(٢) الترائب : عظام الصدر ، واحدها تريبة ، بفتح التاء

(٣) المقلة : العين ، والشفر — بضم فسكون ، وقد يفتح الشين — الجفن ، وأصله منبت الشعر فى حرف الجفن

وهبت نسيم للصباح كأنها   تهب بريح المسك أو حامل العطر
وقد سنه الساقى الندامى لقهوة   كشمعة مصباح حلا أنها تجرى

وقال أيضا رحمه الله تعالى:

يجرى جفونى دماء وهو ظالمها   ومتلف النفس وجدا وهو ترفعه
بدا مدا خل دمعى دون رؤيته   يعارضنى عيبه فهو يرفعه

(٢٠٩)

أبو سعيد عبد الرحمن ابن أحمد بن يونس مؤرخ مصر

عبد الرحمن بن أحمد[1] بن يونس بن عبد الأعلى، الصَّدَفي، المصرى، الحافظ، المؤرخ، أبو سعيد، مؤرخ مصر

ولد سنة إحدى وثمانين ومائتين، وتوفى سنة سبع وأربعين وثلثمائة.

وكان إماما فى علم التاريخ، وله كلام فى الجرح والتعديل يدل على تبصره بالرجال ومعرفته بالعلل، وعمل لمصر تاريخين: أحدهما ـ وهو الأكبر ـ يختص بأهل مصر، والثانى يختص بذكر الغرباء الواردين على مصر، ولما مات رثاه أبو عيسى عبد الرحمن بن إسماعيل الخشاب النحوى بقوله:

بثثت علمك تشريقا وتغريبا   وعدت بعد لذيذ العيش مندوبا
أبا سعيد وما نألوك إن نشرت   عنك الدواوين تصديقا وتصويبا
مازلت تلهج بالتاريخ تكتبه   حتى رأيناك فى التاريخ مكتوبا
أرخت موتك فى ذكرى وفى صحفى   لمن يؤرخه إذ كنت محسوبا
نشرت عن مصر من سكانها عجبا   محلا لمحاسن القوم منصوبا
كشفت عن فخرهم للقوم ما حجبت   وُرْقُ الحمام على الأغصان تطريبا

---

(١) له ترجمة فى شذرات الذهب ٣٧٥/٢، وذكر أن «الصدفى» بفتح الصاد والدال جميعاً نسبة إلى الصدف ـ بكسر الدال ـ قبيلة من حمير، وقد ذكره فى النجوم الزاهرة (٣٢١/٣) فيمن ذكر الذهبى وفاتهم فى سنة ٣٤٧ وله ست وستون سنة وله ترجمة فى تذكرة الحفاظ (١١٣/٣) وفى تاريخ ابن كثير ٢٣٣/١١ وقال: «عبد الرحمن بن يونس» لم يذكر «أحمد».

إن المكارم للإحسان موجبة · وفيك قد ركبت ياعبد تركيبا
حجبت عنا وما الدنيا بمظهرة · شخصا وإن جل إلا عاد محجوبا
كذلك الموت لا يبقى على أحد · مدى الليالى من الأحباب محبوبا

قوله :

ما زلت تلهج بالتاريخ تكتبه · حتى رأيتك فى التاريخ مكتوبا

مأخوذ من خبر على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وهو أنه كان رجل مجنون فى زمانه يمشى أمام الجنائز وينادى : الرحيل ، الرحيل ، لا تكاد جنازة تفوته ، فمرت يوما جنازة على بن أبى طالب رضى الله عنه ولم يره أمامها ، ولم يسمع نداءه ، فسأل عنه ، فقيل له . هو هذا الميت ، فقال . لا إله إلا الله ، وأنشأ يقول :

مازال يصرخ بالرحيل مناديا · حتى أناخ ببابه الجمـــال

وقال الأصمعى : حدثنى أبى قال : رأيت رجلا على قصر أوبس أيام الطاعون وبيده كوز يعد الموتى فيه بالحصى ، فعد فى أول يوم تسعين ألفا ، وفى اليوم الثانى مائة ألف ، ثم قوم فرأوا فى الكوز حصاة غيره ، فسألوا عنه فقال وقع فى الكوز .

ومثل هذا قول التهامى رحمه الله تعالى :

بينا يرى الإنسان فيها مخبرا · حتى يرى خبرا من الأخبار

(٢١٠)

أبو شامة شهاب الدين عبد الرحمن ابن إسماعيل المقدسى

عبدالرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان[1] ، الإمام ، العلامة ، ذوالفنون ، شهاب الدين ، أبوشامة ، المقدسى الأصل ، الدمشقى ، الشافعى ، المقرئ ، النحوى ولد سنة ست وتسعين وخمسمائة بدمشق ، وكانت وفاته سنة خمس وستين وستمائة ، ودفن بمقابر باب كيسان .

---

(١) له ترجمة فى شذرات الذهب ٥/ ٣١٨ وفى تاريخ ابن كثير ٢٥٠/١٣ وفى دائرة المعارف للبستانى ١٨٦/٢ وقد ذكره صاحب النجوم الزاهرة (٢٢٤/٧) فيمن ذكر الذهبى وفاتهم فى سنة ٦٦٥

قرأ القرآن وله دون العشر ، وجمع القرآت كلها سنة ست عشرة على الشيخ علم الدين السخاوى ، وسمع بالإسكندرية من الشيخ أبى القاسم عيسى بن عبد العزيز وغيره ، وحصل له سنة تسع وثلاثين عناية بالحديث ، وسمع أولاده ، وقرأ بنفسه ، وكتب الكثير من العلوم ، وأتقن الفقه ، ودرّس ، وأفتى ، وبرع فى العربية ، وصنف شرحا نفيسا للشاطبية ، واختصر تاريخ دمشق مرتين : الأول فى عشرين مجلدا ، وله كتاب « الروضتين » فى أخبار الدولتين النورية ، والصلاحية » وكتاب « الذيل » عليها ، وكتاب « شرح الحديث المقتفى » فى مبعث المصطفى » وكتاب « ضوء القمر السارى ، إلى معرفة الدرى » و « المحقق فى علم الأصول ، فيما يتعلق بأفعال الرسول » وكتاب « البسملة » الأكبر ، فى مجلد ، وكتاب « البسملة » الأصغر ، وكتاب « الباعث ، على إنكار البدع والحوادث » وكتاب « السواك » و « كشف حال بنى عبيد » و « الأصول ، من الأصول » و « مفردات القراء » و « مقدمة نحو » ونظم « المفصل للزمخشرى » ، وشيوخ البيهقى ، وغير ذلك ، وذكر أنه حصل له الشيب وعمره خمس وعشرون سنة ، وولى مشيخة الإقراء بتربة الأشرفية ، ومشيخة دار الحديث الأشرفية ، وكان متواضعاً مطّرح التكلف ، أخذ عنه القراآت الشيخ شهابُ الدين الكفرى والشهاب أحمد اللبان وزين الدين أبو بكر بن يوسف المزى وجماعة ، وقرأ عليه شرح الشاطبية الشيخُ شرف الدين الفزارى الخطيبُ .

دخل عليه اثنان جبليان إلى بيته الذى بآخر المعمور من طواحين الأشنان ومعهم فتوى ، فضرباه ضربا مبرّحا كاد يتلف منه ، ولم يدر به أحد ولا أغاثه .

وتوفى رحمه الله تعالى فى تاسع عشر رمضان ، ودفن بباب الفراديس[1] ، وقيل : بباب كيسان[2] .

(١) قال ياقوت « الفراديس : موضع بقرب دمشق ، وباب الفراديس : باب من أبواب دمشق » .

(٢) لم يذكر ياقوت باب كيسان

قال رحمه الله تعالى: جرت لي محنة بداري بطواحين الأشنان وألهم الله الصبر ولطف، وقيل لي: اختفِ من ولاة الأمر، فقلت: أنا قد فوضت أمري إلى الله تعالى وهو يكفينا، وفي ذلك قلت:

قلت لمن قال أما تشتكي ... ما قد جرى فهو عظيم جليل
يقيض الله تعالى لنا ... من يأخذ الحق ويشفي الغليل[1]
إذا توكلنا عليه كفى ... وحسبنا الله ونعم الوكيل

ومن نظمه في السبعة الذين يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله:

إمام محب ناشئ متصدق ... وباك مصل خائف سطوة الباس
يظلهم الله الجليل بظله ... إذا كان يوم العرض لا ظل للناس
أشرت بأبيات تدل عليهم ... فيذكرهم في العلم من بعضهم ناسي

وقال في المعنى:

وقال النبي المصطفى: إن سبعة ... يظلهم الله العظيم بظله
محب عفيف ناشئ متصدق ... وباك مصل والإمام بعدله

(٢١١)

عبد الرحمن بن إسماعيل الحميري

عبد الرحمن بن إسماعيل بن عبد كلال، الحميري، المعروف بوضاح اليمن[2]

قيل: إنه من الفرس الذين قدموا اليمن مع وهرز لنصرة سيف بن ذي يزن على الحبشة، وكان من حسنه يتقنع في المواسم مخافة العين، وكان يهوى امرأة من اليمن اسمها روضة، وشبب بها في شعره، فمن ذلك قوله:

قالت ألا لا تلجن دارنا ... إن أبانا رجل غائر[3]
قلت فإني طالب غرة ... وإن سيفي صارم باتر[4]

(١) في الشذرات وابن كثير «يقيض الله تعالى لنا».
(٢) له ترجمة في الأغاني ٣٢/٦ بولاق، وانظره أيضا ٨٨/٥
(٣) غائر: ذو غيرة
(٤) سيف باتر: قاطع

قالت فإن القصر عالي السما ... قلت فإني فوقه طائر[1]

قالت فإن البحر من دوننا ... قلت فإني سابح ماهر

قالت فحولي إخوة سبعة ... قلت فإني هشمٌ حاذر[2]

قالت فليث رابض دوننا ... قلت فإني أسد عاقر[3]

قالت فإنّ الله من فوقنا ... قلت فربي راحم غافر

قالت فقد أعييتنا حجة ... فأتِ إذا ما هجع السامر[4]

واسقط علينا كسقوط الندى ... ليلة لا ناهٍ ولا آمرُ

وهذه الأبيات عدّها أرباب البديع في المراجعة .

وأما هذا المعنى — وهو قوله « واسقط علينا كسقوط الندى » — فقد اشتهر ونظم الشعراء في معناه كثيراً ، وأصله لامرىء القيس حيث قال :

سَمَوْتُ إليها بعد ما نام أهلها ... سُموَّ حَبَابِ الماء حالاً على حال

وما أحسن قول صردرٍّ في قصيدته التي أولها :

عسى رائح يأتي بأخبار من غدا

وهو :

وحَيٍّ طرقناه على غير موعد ... فما إن وجدنا عند نارهم هُدَى

وما غَفَلَتْ حراسهم غير أننا ... سقطنا عليهم مثل ما يسقط الندى

ولما وقف بعضُ الظرفاء على قصيدة وضاح اليمن ووصل إلى قوله « قلت فربي راحم غافر » كتب على الحاشية هذا بيك بالدبوس ما يرحم .

---

(١) في الأغاني «فإن القصر من دوننا» و « فإني فوقه ظاهر » وما هنا أحسن

(٢) في الأغاني « قلت فإني غالب قاهر » وما هنا أجود

(٣) في الأغاني « رابض بيننا » (٤) وفيه « قالت لقد أعييتنا »

ولما استأذنت أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان الوليد بن عبد الملك في الحج وأذن لها، وهو خليفة، وهي زوجته، وكتب الوليد يتوعد الشعراء جميعا أن يذكرها أحد منهم، أو يذكر أحداً ممن معها، فقدمت مكة، وتراءت للناس، وتصدّى لها أهل الغزل والشعراء، ووقعت عينها على وضاح اليمن فهويته، وأهدت إلى كثير عزة وإلى وضاح اليمن أن شبّبا بي، فكره ذلك كثير وشبب بجاريتها غاضرة، وذلك في قوله :

* شجى أظعانَ غاضِرةَ الغوادي *

وأما وضاح اليمن فإنه صرح، فبلغ ذلك الوليد، فقتله

وقيل : إنه مدح الوليد، فوعدته أم البنين أن تساعده وتعينه على رفده، فقدم على الوليد، وأنشده

صبا قلبي إليكِ ومال ميلا وأرّقني خيالك يا أثيلا

يَمانية تلمّ بنا فتبدي دقيق محاسنٍ وتكنّ غيلا

وهي أبيات مشهورة، فحسن رِفْدُهُ، ثم نمى إليه أنه يشبب بأم البنين، فجفاه وحجبه، وغدر في قتله، واحتبسه، ودفنه في داره.

وقيل : إن[1] أم البنين كانت ترسل إليه، فيدخل إليها، ويقيم عندها، فإذا خافت وارته في صندوق عندها، فأهدي إلى الوليد جوهر، فأعجبه، ودعا خادما، وبعث به إلى أم البنين، فدخل عليها مفاجأةً ووضاح عندها، فرآه وقد وارته في الصندوق، فقال لها : يا مولاتي هبي لي منه حجراً، فقالت : يابن اللخناء : لا [ولا][2] كرامة، فرجع الخادم إلى الوليد، وأخبره الخبر، فقال له: كذبت، وأمر به فوُجئت عنقه، ثم أتى أم البنين وهي تمتشط في بيتها،

---

(١) في الأغاني ٦/٣٩ ذكر هذه الرواية وذكر روايات أخر فارجع إليها هناك

(٢) هذه الزيادة ليست في ب، ث، وهي مما يحتاج إليها السياق، وهي في الأغاني

وقد وصف له الخادم الصندوق ، فجاء ، فجلس عليه ، وقال لها : يا أم البنين ما أحبّ إليك هذا البيتَ من دون البيوت ، ثم تختارينه ؟ قالت : أختاره لأنه يجمع حوائجي كلها ، فأتناولها منه من قريب على ما أريد ، قال لها : هَبِي لي صندوقاً من هذه الصناديق ، فقالت : كلها لك يا أمير المؤمنين ، فقال : ما أريدها كلها ، وإنما أريد واحداً منها ، فقالت : خذ أيها شئت ، قال : هذا الذي جلست عليه ، قالت : غيره خذ ، فإنّ لي فيه أشياء أحتاج إليها ، قال : ما أريد غيره ، قالت : خذه ، فدعا بالخدم ، وأمرهم بحمله حتى انتهى به إلى مجلسه ، وحفر بئراً عميقا في المجلس إلى أن وصل إلى الماء ، ووضع الصندوق على شفير البئر ، ودنا منه ، وقال : يا صندوق إنه بلغنا شيء ، فإن كان حقا فقد كفيناك ودفناك وقطعنا ذكرك إلى آخر الدهر ، وإن كان باطلا فإنما دفنا الخشب ، وما أهون ذلك ، ثم قذف به ، وهيل عليه التراب ، وسُوِّيت الأرض ، وردّ البسط على حاله ، وجلس الوليد ، وما رأى الوليد ولا أمّ البنين في وجه واحد منهما أثراً حتى فرّق الدهر بينهما .

(٢١٢)

رشيد الدين عبد الرحمن ابن بدر النابلسي الشاعر

عبد الرحمن بن بدر بن الحسن بن المفرج بن بكار ، رشيد الدين ، النابلسي ، الشاعر المجيد[١]

مدح الناصر وأولاده ، وأولاد العادل ، وهو عمّ الحافظ شرف الدين يوسف بن الحسن النابلسي .

قال شهاب الدين القوصي في معجمه : أنشدني رشيد الدين النابلسي ، وقد رأى مليحا بديع الصورة بين أسودين قبيحي الصورة :

---

(١) لم أعثر له على ترجمة في غير هذا الكتاب فيما بين يدي الساعة من كتب الرجال

لله مَنْ عايَنَتْ عيني محاسنه | يوما فعوّذتُهُ بالله من عيني
يختال كالغصن تيها في شمائله | ما بين عبدين لون الليل عِلْجين
فقلت والشوق يطويني وينشرني | لم ألق قبلك صبحا بين ليلين
فمرّ يضحك من قولي وقال لي | كم قد رأى الناس بدراً بين نحسين

وأنشدني له رحمه الله تعالى :

يا من عيون الأنام ترقبه | رقبة شهر الصيام والفطر
وإنما يُرْقَبُ الهلال فهو | تُرْقَب بعد الكمال يا بدري

ومن شعره قصيدة لها أربع قوافي(١) :

كم الحشى معذب	موجع على المدى	صب الفؤاد مغرم
بنار ويلتهب	ملدع ما خمدا	أواره والضرم
حكم فيه أشنب	ممنع من الفدا	فهو الأسير المسلم
مبعد محب	مودع تعمداً	وهو القريب الأم
زمانه تعتب	وولع قد أكدا	مَنْ عزّ هو يحكم
ما الحب إلا الحب	ومدمع تجددا	ولوعة وسَقَمُ
ياهل إليه سبب	ممتع يولي يدا	من قلبه مصرم
ما أنا إلا أشعب	وأطمع فيما غدا	وما إليه سُلَّمُ

ومن شعره رحمه الله تعالى :

مالك ولو رُزقُ على أوراقها | تسحم ما تعرب من أشواقها
دعها ومهيجها بابها | أوالف تمرق في فراقها

---

(١) يقرأ البيت الأول على الوجوه الآتية :

كم الحشى معذب موجع | على المدى صب الفؤاد مغرم
كم الحشى معذب | موجع على المدى
كم الحشى معذب | صب الفؤاد مغرم
موجع على المدى | صب الفؤاد مغرم

وإما يريك ذا الوجد منها ملابسها الحلى فى أطواقها
أبدى الأولى فارقتهم فهجتى لا تطمع الأساة فى افتراقها
سَرَوْا بدورا فى دجى عذار أعادها الرحمن من محاقها
غواربا أفلاكها غوارب تزرى بضوء الشمس فى إشراقها
تساق للبين المشت عيسها وأنفس العشاق فى سياقها
فكم حشًى تطوى على حريقه وأدمع تنثر فى آماقها

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

هز لدنًا من قده سمهريا ومن اللحظ صارماً مشرفيا
شادن أرسل الجفون سهاما حين أبدى من حاجبيه قسيّا
من بنى الترك إن رنا لمحب أصبح القلب من جواه صليا
مُخطَف الخصر والسهام وما أر شق فى الورى رشا تركيا
فهو شاك السلاح مذ ظل يُصمى كل صب رنا إليه جليا

وكانت وفاة الرشيد فى شهور سنة تسع عشرة وستمائة ، ودفن بمقابر باب الصغير ، رحمه الله تعالى !

(٢١٣)

تقى الدين قاضى القضاة عبد الرحمن بن عبد الوهاب ابن بنت الأعز

عبد الرحمن [١] بن عبد الوهاب بن خليفة بن بدر ، قاضى القضاة ، تقى الدين ، أبو القاسم ، ابن قاضى القضاة تاج الدين العلامى [٢] ، المصرى ، الشافعى ، المعروف بابن بنت الأعز.

كان جده لأمه يعرف بالقاضى الأعز وزير الملك الكامل بن أبى بكر أيوب ، وعَلاَّمة — بالفتح والتخفيف — قبيلة من لخم .

---

(١) له ترجمة فى شذرات الذهب ٤٣١/٥ وفى تاريخ ابن كثير ٣٤٦/١٣ وفى النجوم الزاهرة ٨٢/٨

(٢) فى الشذرات وابن كثير « العلائى » تحريف والذى فى النجوم كما هنا ، وفى المنهل الصافى أنه نسبة إلى علامة ، وهى قبيلة من لخم كما قال المؤلف فيما بعد

سمع من الرشيد العطار وغيره ، وتفقه على ابن عبد السلام وعلى والده ، وكان فقيها إماما ، مناظرا ، بصيرا بالأحكام ، جيد العربية ، ذكيا ، كاملا ، نبيلا ، شاعرا ، محسنا ، فصيحا ، مُفَوَّها ، وافر العقل ، كامل السودد ، روى عنه الدمياطى فى معجمه شيئاً من نظمه .

توفى كهلا سنة خمس وتسعين وستمائة .

وولى الوزارة مع القضاء ، ثم استعفى من الوزارة ، وتولى القضاء بعده الشيخ تقى الدين ابن دقيق العيد ، امتحن[1] فى الدولة الأشرفية على يد شمس الدين ابن السلعوس ، ثم نجاه الله تعالى منه ، ويقال : إنه حكم بتعزيره بحضرة ابن السلعوس وأمامه ، فقالوا له : هذا تعزير مثل هذا ، فقال : لا بدّ من زيادة ، فقالوا : ينزل من القلعة إلى باب زويلة ماشيا ، ولم ينله منه مكروه بعد عزله من القضاء أكثر من هذا ، وسكن القرافة ، وولى التدريس بالمدرسة المجاورة لضريح الشافعى ، ثم سافر إلى الحج فقضى الفريضة وزار مدينة النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وأنشد القصيدة البليغة من نظمه ، وهى :

الناس بين مُرَجِّزٍ ومُقَصِّدٍ	ومُطوّلٍ فى مَدْحِه ومُجَوِّدِ
ومعبرٍ عَمَّنْ رَوَى ومعبرٍ	عمّا رآه من العلى والسؤدد
ما فى قوى الأذهان حصر صفاتك الـ	ـعليا وملكَ من كريم المحتِدِ
ومن المحيط بكنه معنى مدهش	بهرَ العقولَ عصـــدر وموردِ
وإذا البصائر فيه تنفذ أدركت	ـــه معانى حسنها لم ينفد
ورأتك فى مرآتها شمس الضحى	طلعت بكل تنوفة وتفدفد

(١) فى النجوم « وامتحن محنة شديدة فى أول الدولة الأشرفية ، وعمل على إتلافه بالكلية ، وذلك بسعاية الوزير ابن السلعوس الدمشقى ، وقد استوعبنا أمره فى المنهل الصافى ، ثم أعيد إلى القضاء بعد وفاة الأشرف ، فلم تطل أيامه ومات » اهـ

فأفادت البصر الصحيح إنارة | يقوى على البصر الضعيف الأرمد
وأخو الهوى فى طرفه وفؤاده | مرض يحيد عن الطريق الأرشد[١]
جَحَدَ الظهيرة نورها وأتاها له | حُرِمَ السعادة كلها إن يجحد
حظ للموفق أن يتابع دائما | أخلاقك الغر الكرام ويقتدى
لم ترتفع لله عن خفض ، ولم | تقرب إليـــه من مكان مبعد[٢]
لكن أرى محبوبه ملكوته | حتى يشاهد فيــه ما لم يشهد
وأراه كيف تفاصل الأملاك والـــرسل الكرام وكان غير مقلد
ورأت له الأملاك فى ملكوته | جاها وقدرا مثـــله لم يوجد
هل جاء قبلك مرسل بخوارق | إلا وجئت بمثـــله أو أزيد
عصا الكليم تبدلت أعراضها | وكذا عصاك تبدلت عهند
نبعت عيونُ الماء من حَجَر لنا | والنبع فى الأحجار كالمتوقد
إن العبـد من العوائد كلها | نبع بدا بين الأصابع فى اليد
هذى هى الكف التى قد أصبحت | بحرا إذا مدحوا لنا الكف الندى
وعبة المولى هى الأصل الذى | لم يثن عزمك فيه رأىُ مُفَنِّدِ
ومن الذى تجلى عليـــه جهرة | ذاك الجال فلم يخرّ ويسجد
صلوات ربك والسلام عليك ما | حُيِّيتَ من متوجه متعبد
وجرى بذكرك لفظه فى وقفة | لخطابه أو جلسة للتشهـــد
وإذا مررت على القلوب فكنت كالـــأرج الذكى يرد روح المكمد
وعلى صحابتك الكرام وآلك الـــبرآء من قول الجهول المفسد

---

(١) يحيد : يميل وينحرف

(٢) يشير إلى قصة المعراج برسول الله صلى الله عليه وسلم

وعلى صحيحيك اللذين تشرّفا ... بالقرب منك تقعد وعرقد
لمكانة فى الدين ما حميت على ... متبصر قرأ العلوم مسدد
قاما شعرك فى الحياة عبادة ... وحلاوة أزرت على المتحلّد
وتكملا بعد المات بنصرة الـدين الحنيف على الكفور الملحد
وتقلدا الأمر العظيم فأصبحا ... حُججاً على كل امرئ متقلد
تالله قد بدرا وماونيا ولا احتـقـارا الأحب على لأشق الأجهد
وكلاهما زُلأن فصلك يرتوى ... ومعصل رد من شعرك يرتدى
كانا سعادة كل عبد صالح ... وشقاوة الباغى الجهول لمعتدى

(٢١٤)

بدر الدين عبد الرحمن ابن المسحف الشاعر

عبد الرحمن بن أبى القاسم بن غنائم بن يوسف ، الأديب ، بدر الدين ، الكنانى ، العسقلانى ، بن المسحف ، الشاعر[1] .

ولد سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ، وتوفى سنة خمس وثلاثين وستمائة .

وكان أديبا ظريفا حليمًا ، وتوفى فجأة ، وخلف خمسمائة ألف درهم فأخذها الجوادُ صاحبُ دمشق ، وله أخت فقيرة عَمْياء ، فمنعها حقها من ميراثها .

وكان بدر الدين يتجر ، وله رسوم على الملوك ، وأكثر شعره فى المحو

قال القوصى فى معجمه : كان الشريف شهاب الدين بن الشريف فخر الدولة ابن أبى الجن الحسينى رحمه الله تعالى لما ولاه السلطان الملك الناصر الـكتابةَ على الطالبيين من لأشراف احتمع فى داره لتهنئته جماعةُ الولاة والقضاة والصدور ، وسألنى الجماعة إنشاء خطبة تقرأ أمام قراءة المنشور ، فذكرت خطبة على البديهة

(١) لم أعثر له على ترجمة فى غير هذا الكتاب مما بين يدى الساعة من كتب الرجال

جمعت فيها بين أهل البيت عليهم السلام وبين شكر السلطان على توليته وما أولاه من الإحسان ، لحضر بدر الدين بن المصحف رحمه الله تعالى الخامس ، وأنشد هذه الثلاثة الأبيات لنفسه :

دار الحديث حوت بمن قد حلها ‌ ‌ ‌ شرفا يقصر عن مداه المطلب
أضحت كسوق عكاظ فى تفضيلها ‌ ‌ ‌ وبها شهاب الدين قس يخطب
الفاضل القوصى أفصح من غدا ‌ ‌ ‌ عن فضله فى العصر يعرب معرب

وأنشدنى المذكور لنفسه فى الشرف الحلى[1] الشاعر :

يقولون لى ما بال حظك ناقصا ‌ ‌ ‌ لدى راجح رب الفهاهة والجهل[2]
فقلت لهم إنى سمىّ ابن ملجم ‌ ‌ ‌ وذلك إسم لا يقول به حلى[3]

وأنشدنى لنفسه هذين البيتين ، وكان قد نظمهما ببغداد وقد جاء مطر كثير يوم عاشوراء ، وكان فصل الصيف :

مطرت بعاشورا وتلك فضيلة ‌ ‌ ‌ ظهرت فما للناصبىّ لمعتدى
والله ما جاء الغمام وإنما ‌ ‌ ‌ بكت السماء لرزء آل محمد

وأنشدنى لنفسه يمدح الكمال القانونى :

لو كنت عاينت الكمال وجسّه ‌ ‌ ‌ أوتار قانون له فى المجلس
لرأيت مفتاح السرور بكفه الـ ‌ ‌ ‌ يسرى وفى اليمنى حياة الأنفس

وأنشدنى لنفسه :

ولقد مدحتهم على جهل بهم ‌ ‌ ‌ وطلبت فيهم للصنيعة موضعا
ورجعت بعد الاختبار أذمهم ‌ ‌ ‌ فضيعت فى الحالين عمرى أجمعا

---

(١) تقدمت ترجمة راجح الحلى (الترجمة رقم ١٢٥)

(٢) فى ب « رب الشهامة والفضل » ولا يلتئم مع ما يراد ، وما أثبتناه موافق لما فى ث

(٣) ابن ملجم : قاتل على بن أبى طالب رضى الله عنه ، واسمه عبد الرحمن ، وهو يشير إلى أن أهل الحلة شيعة ، فهم لا يسمون عبد الرحمن

ومثل هذا قول سبط التعاويذى :

قضيت شطر العمر فى مدحكم ظنا بكم أنكم أهله
وعدت أبنيه هجاء لكم فضاع عمرى فيكم كله

ولابن المسجف :

يارب كيف بليت بعصابة ما فيهم فضل ولا إفضال
متفاوتى الأوصاف يصدق فيهم الـ ـهاجى وتكذب فيهم الآمال
غطّى الثراء على عيوبهم وكم من سوءة غطى عليها المال
جُبُنًا إذا استنجدتهم لملمة لُؤْمًا إذا استرفدتهم بُخّال
فوجوههم عرق على أموالهم وأكفهم من دونها أقفال
هم فى الرخاء إذ طرت نعمة آل وهم عند الشدائد آل(١)

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

أنا فى جيل خسيس وقبيل وزمان
أمدح السلطان كى يصبح مالى فى أمان
أكذا كان أبو تمام قبلى وابن هانى

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

قالوا تنقّب بدر الدين مفتخرا على الحنوىّ من قد رأى الأمنا
فقلت لا تعجبوا منه فذا نَقِبٌ وقف على كل نحس والدليل أنا

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

ثلاثة أشياء تقضى بعلة على كل قلب بالدليل المحقق

---

(١) آل الأول أصله أهل ، ومعناه معناه ، وآل الثانى هو السراب الذى تراه وسط النهار فتحسبه ماء وليس بماء.

ترهد قاضيا الخولى وطرحه الشهــــاب وسلام الحكيم الموفق

وقال ابن القصار الفارق :

وعزيز كأنه غصن تين أحول المقلتين مز لثاه
قمت ما لامم قد أطال عذنى قال مسعود قمت من لا يراه

وقال فى جماعة بدمشق

تسعة رهط فى جلّق جمعوا ليس لهم فى الفساد من عاشر
الأعور التاج والشقيقة والصــــفار وابن الحصيب والكافر
والمدسوة الشــــــاعر يحيى معاد بيــــله طاهر[1]

وقال يخاطب الملك العادل ، وقد أمر بنزح الماء من الخندق لأجل عمارة البرج :

أرح من نزح ماء البرج يوما فقــد أفضى إلى تعب وعىّ
من الدمى موضع يديه فيه وقد أضحى كرأس الدوانقىّ

وقال فى جماعة حول الملك الأشرف .

وخمسة عند موسى لا خلاق لهم ما فيهــــم أبدا سمع لمخلوق[2]
ابن الجوّز والدحوار والفلك الـــمصرى وابن حرير وابن مرزوق

وقال يخاطب الملك الأعظم :

أيا ملكا حوى علما وجودا وحاز لكل مكرمة وفضل
ومن هو كالمسيح أسما وفعلا ونصب الحياة وحزم محل[3]
يكلمنى إليــــه زكاة مال حرام كله من غــــير حل
وكيف يقوم بالزكوات مَنْ لا يصوم ولا يحج ولا يصــــلى

---

(١) هذا البيت غير مستقيم وزنا ولا معنى ، وبقى من التسعة خمسة

(٢) لا خلاق لهم : لانصيب لهم فى خير

(٣) الملك المعظم : اسمه عيسى كاسم المسيح ، وعجز هذا البيت غير ظاهر .

جد بهـــت ذلك لى فإنى أحل زكاتـكم عن مال مثلى

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

قالوا علام رفضتَ الشعر مطرحا فقلت من قلة الإنصاف فى زمنى

لا المدح يوتنى مالا أسر به ولا الهجاء إلى مـولى يقربنى

حتى يقـل أديب شـاعر فطن حرام كل أديب شاعر فطن

وقال فى يحيى الدين بن الجوزى رسول الخليفة وكان يتردد إلى الملوك فى الرسائل

فات منهم جمعة فتقار بين يخطب المستنصر :

يا إمام الهدى أباجعفر المنصـــور يامن له الفخار الأثيل

ماجرى من رسولك الشيخ محيى الدين فى هـــذه البلاد قليل

جاء والأرض بالسلاطين زهو فغدا والقصود منهم طلول

أفقر الروم والشـــآم ومصرا أفهـــذا مغسل أم رسول[1]

وقال فى جمعة بدمشق :

خمس تيجـان لا يـروون سلا رث ولا قيمة ولا مقـــــدار

الشحيرير والأعيـــور والتيشـــار وابن المصرى وابن الحوارى

وقال فى ابن الزكى يونس المصرى

يقيسون يحيى بالفعـال بيونس وهذا على ضد القيـاس المؤسس

وكيف يصح الحـكم والحوت بلع لذاك ، وهـذا بالع حوت يونس

ومن شعره فى الفرزخليل والى دمشق :

ماخليل بخيل لا ولا أصحابه أهل صلاح بل فساد[2]

لقبوه الفرز لا جهلا به صدقوا لـكنه فرز جراد

---

(١) فى ث « أهذا مفسد أم رسول » .

(٢) فى ب « أهل صلاح أوفساد »

وقال يمدح الملك الكامل :

إذا لبس الدرع مستلئما ... وكرسيه صهوة الصاهل

ترى الأرض محمرة بالدما ... ومخضرة اللون بالنائل

وقال على لسان بنت الملك الأشرف فى دار السعادة

قالت مليكة : هذى الدار حين نوى ... من شيد الدار بعد ملك بالترب[1]

لا تحسدونى على دار السعادة لى ... دار السعادة كانت فى زمان أبى

وصل ابن لمسحف فى بعض سفرته إلى الموصل بما معه من التجارة ، فباع الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ الأتابكى متملك الموصل شيئاً معه ، ومدحه ، فتقدم إلى نائبه الأمير أمين الدين لؤلؤ عتيقه بقضاء أشغال له ، فتوقف فى أمره ، فقال له بعض أصحاب الباب : لو طاب قلب أمين الدين مشى الحال ، وحصل المقصود ، فقال

يقولون لو طاب قلب الأمين ... رجعت بذى نفيس ثمين

فقلت أعوذ بلا حسنة ... ولا طيب الله قلب الأمين

(٢١٥)

أبو محمد عبد الرحمن (ابن أبى حاتم) الحافظ

عبد الرحمن بن محمد[2] بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران ، أبو محمد ، ابن أبى حاتم ، التميمى ، الحنظلى ، الإمام بن الإمام ، الحافظ بن الحافظ .

سمع أباه وغيره ، قال ابن مَنْدَه : صنف ابن أبى حاتم المسند فى ألف جزء ، وكتاب « الزهد » وكتاب « الكنى » و« الفوائد الكبرى » و« فوائد الرازيين » و« مقدمة الجرح والتعديل » وصنف فى الفقه واختلاف الصحابة والتابعين وعلماء

---

(١) فى ب « قالت ملاكك هذى الدار »

(٢) له ترجمة فى تاريخ ابن كثير ١١/١٩١ وشذرات الذهب ٢/٣٠٨ والنجوم الزاهرة ٣/٢٦٥

الأمصار ، وله «الجرح والتعديل» في عدة مجلدات تدل على سعة حفظه وإمامته وكتاب «الرد على الجهمية» كبير ، وله تفسير كبير سائره آثار مسندة في أربع مجلدات .

قال أبو علي الخليلي : كان يعد من الأبدال ، وقد أثنى عليه جماعة بالزهد والورع التام والعلم والعمل

وتوفى في المحرم سنة سبع وعشرين وثلثمائة ، رحمه الله تعالى !

(٢١٦)

أبو القاسم عبد الرحمن (ابن منده) الحافظ

عبد الرحمن بن محمد بن إسحق بن محمد بن يحيى[1] بن مَنْده إبراهيم بن الوليد ، أبو القاسم ، الحافظ بن عبد الله ، العبدي ، الأصبهاني

كان كبير الشأن ، جليل القدر ، حسن الخط ، واسع الرواية ، له أصحاب وأتباع ، وهو أكبر الإخوة ، والإجازة كانت عنده قوية ، وله تصانيف كثيرة ، وردود جمة على أهل البدع .

قال السمعاني : سمعت الحسن بن محمد الرضا العلوي يقول : سمعت خالي أبا طالب ابن طباطبا يقول : كنت أشتم عبد الرحمن بن منده إذا سمعت ذكره ، أو جرى ذكره في محفل ، فسافرت إلى غزنة ، فرأيت أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في المنام ويده في يد رجل عليه جبة زرقاء في عينه سكتة ، فسلمت عليه ، فلم يرد على السلام ، وقال : لم تشتم هذا إذا سمعت ذكره ؟ فقيل لي في المنام : هذا عمر بن الخطاب ، وهذا [ابن] منده ، فانتبهت ، ثم رجعت إلى أصبهان ، وقصدت الشيخ عبد الرحمن ، فلما دخلت عليه ورأيته صادفته على النعت

(١) له ترجمة في شذرات الذهب ٣٣٧/٣ ، وقال « ابن يحيى بن إبراهيم بن الوليد بن منده بن بطة بن استندار » وفي تاريخ ابن كثير ١١٨/١٢

لدى رأيته فى المنام وعليه جبة ورق ، فلما سلمت عليه قال : وعليك السلام يا أبا طالب ، وقبل ذلك ما رآنى ولا رأيته ، وقال لى قبل أن أكلمه : حرمه الله ورسوله ، حرمه الله ورسوله ، يجوز لنا أن نعزه ؟ فقلت له : اجعلنى فى حل ، وناشدته الله ، وقبلته بين عينيه ، فقال لى : جعلتك فى حل عما يرجع الى

وتوفى ابن منده سنة سبعين وأربعمائة ، رحمه الله تعالى وعفا عنه آمين

(٢١٧)

فخر الدين أبو منصور عبد الرحمن ابن محمد (ابن عساكر)

عبد الرحمن بن محمد بن الحسن[1] بن هبة الله بن عبد الله بن الحسن[2] ، الإمام ، المفتى ، فخر الدين ، أبو منصور ، الدمشقى ، الشافعى ، ابن عساكر ، شيخ الشافعية

تولى تدريس الجاروخية ، ثم تدريس التقوية ، وكان يقيم بالقدس أشهرا وبدمشق أشهرا ، وولى تدريس الصلاحية بالقدس ، وكان عنده بالتقوية فضلاء الشام حتى كانت تسمى نظامية الشام ، وهو أول من درس بالمدراوية ، وكان يتورع من المرور فى رواق الحنابلة لئلا يأثموا بالوقيعة فيه ؛ لأن عوامهم يبغضون بنى عساكر لأنهم شافعية أشاعرة ، وعرضوا عليه ولايات ومناصب فتركها ، وصنف فى الفقه وفى الحديث مصنفات

وتوفى سنة عشرين وستمائة ، ومولده سنة خمسين وخمسمائة ، رحمه الله

(٢١٨)

عبد الرحمن ابن محمد الفراسى

عبد الرحمن بن محمد الفراسى

وهو من قرية تعرف ببنى فراس جوار تونس ، إلا أن مستقره تونس وبها تأدب

---

(١) له ترجمة فى تاريخ ابن كثير ١٣/١٠١ ، وفى النجوم الزاهرة ٦/٢٥٦ وفى شذرات الذهب ٥/٩٢

(٢) فى النجوم الزاهرة « ابن الحسين » مكان « ابن الحسن »

كان شاعرا ، ماجنا ، خليعا ، شريرا ، كثير المهاجاة ، قليل المداراة ، خبيث اللسان .

توفي بمدينة سوسة ، سقط من سطح وهو سكران ، فتردّى ، وذلك سنة ثمان وأربعمائة ، وقد نيف على الثلاثين .

ولما ولي القاضي عبد الرحمن بن محمد النحوي قضاء سوسة قال الفزاري :

يقول أناس في الزمان وما زا ... ل حقا في قوله يعـــدل

متى بتلك الأرض دجّاله ... فقد صار قاضيها أحول[1]

فسمع ذلك القاضي، فأحفظه[2] ، ودعا إليه رجلا خاصمه ، فلما مثل بين يديه سمع دعوى خصمه ، ثم سأله ، فأقر ، فألزمه أداء الحق ، فامتنع وقال : عليّ يمين أن لا أؤديهُ إلا وقت كذا ، فأطرق القاضي ساعة وقضى عنه ما وجب عليه لغريمه ، فلما خرج قيل له : ما صنعت ؟ قال : أردت أن أستحل عرضه لحرمه علي ، وقد نظم رحمه الله تعالى :

مَنْ كان عندي له مطالبـة ... فبين بيني وبينـــه القاضي

قاضٍ قضى الحقوقَ عني على ... تعدّ منه وفرطِ إعراض

أباح لي ماله ليمنعـــــــني ... من عرضه وهو ساخط راضي

فيالها رُقْيـــة مسكنة ... لحيـــة ساورتهُ نضناض[3]

وجلس يوما إلى شيخ تونس ، وكان سهابة في المجون ، فاجتاز بهما رجل يسأل عن دار ابن عبدون ، فقال له الشيخ : هي تلك الزاوية حيث يقوم أيرك ، فقال الفزاري : والله لأنظمنه ما رأيت هذا المعنى ، وقال من ساعته :

---

(١) في ث « فقد صار قاضيا » وفي نسخة عندها « فقد صار قاضيها » .
(٢) أحفظه : أغضبه
(٣) في ب ، ث « ساورت » ولا يستقيم معه الوزن

إن شئت أن تعرف عن صحة دار الذي يعـــزى بعدوبه
فامش بابن أبيك أبصرته قام بإنّ الباب من دونه

(٣١٩)

شمس الدين ـ أبو محمد ـ عبدالرحمن بن محمد بن قدامة الجاعيلي

عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن محمد بن قُدَامة ، شيخ الإسلام ، وبقية الأعلام ، شمس الدين ، أبو محمد ، بن القدوة الشيخ أبي عمر(٢) ، المقدسي ، الجاعيلي ، الصالحي ، الحنبلي ، الخطيب ، الحاكم .

ولد سنة سبع وتسعين وخمسمائة ، بالدير المبارك بسفح قاسيون ، وتوفي سنة اثنتين وثمانين وستمائة .

سمع حضورا من ست الكتبة بنت الطراح ، ومن أبيه وعمه ، وعليه تفقه ، وعرض عليه « المقنع » وشرحه في عشر مجلدات ، وسمع من حنبل وابن طبرزد والكندي وابن الحرستاني وابن كامل والقاضي أحمد بن النجار وابن البناء وابن ملاعب والبكري والخلاطي والشمس البخاري وجماعة كثيرة ، وطلب بنفسه ، وكتب وقرأ على الشيوخ ، قرأ على ابن الزبيدي وجعفر الهمداني والضياء المقدسي ، وسمع بمكة من أبي المجد القزويني وابن باسويه ، وبالمدينة من أبي طالب ابن أبي المعد الحنفي ، وأجاز له أبو الفرج بن الجوزي وأبو جعفر الصيدلاني ، وروى عنه الأئمة أبو بكر الداوي وأبو الفضل بن قدامة والحاكم بن تيمية والحارثي وابن العطار وابن مري والشيخ برهان الدين وإسماعيل الحراني والبرزالي وخلق كثير ، وإليه انتهت رياسة المذهب في عصره ، وكان عديم النظير علما وعملا وزهدا ، وولي القضاء أكثر من اثني عشر شهراً أو سنة ،

---

(١) له ترجمة في شذرات الذهب ٣٧٦/٥ وفي النجوم الزاهرة ٣٥٨/٧ وفي البداية والنهاية لابن كثير ٣٠٢/١٣ ، وقال عنه « أول من ولي قضاء الحنابلة بدمشق ، ثم تركه وتولاه ابنه نجم الدين »

(٢) في ب ، ث « ابن عمر » تحريف ، وأبو عمر كنية أبيه محمد

ولم يأخذ عليه رزقاً ، ثم تركه ، ولما توفى رثاه شمس الدين الصائغ ، والشيخ علاء الدين بن عاصم ، وتقى الدين بن عاصم ، وشهاب الدين محمود رحمه الله تعالى !.

(٣٢٠)

أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن ابن محمد بن الأنبارى النحوى

عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله ، أبو البركات ، النحوى ، كمال الدين ، ابن الأنبارى (١) .

كان إماماً ثقة صدوقاً ، غزير العلم ، ورعاً ، زاهداً ، تقياً ، عفيفاً ، لا يقبل من أحد شيئاً ، وكان خشن العيش ، خشن الملبس ، لم يتدنس من الدنيا بشىء .

توفى سنة سبع وسبعين وخمسمائة .

وله تصانيف كثيرة ، تركت أسماءها للاختصار ، وله فى علم التعبير كتاب « نسمة العبير » .

ومن شعره :

العلم أوفى حلية ولباس	والعقل أوفى جُنّةِ الأكياس
كن طالباً للعلم تحيَ وإنما	جهل الفتى كالموت فى الأرماس
وصُنِ العلوم عن المطامع كلها	لترى بأن العز عز الياس
والعلم ثوبٌ والعفاف طرازه	ومطامع الإنسان كالأدناس
والعلم نور يهتدى بضيائه	وبه يسود الناس فوق الناس

---

(١) له ترجمة فى شذرات الذهب ٢٥٨/٤ ، وقال « تفقه بالنظامية على ابن الرزاز ، وأخذ النحو عن ابن الشجرى ، واللغة عن ابن الجواليقى » وتاريخ ابن كثير ٣١٠/١٢ وفى النجوم الزاهرة ٩٠/٦، هذا مع أن له فى ابن خلكان الترجمة (رقم ٣٤٢) فليس هو من الفوات ، ومولده فى سنة ٥١٣ .

(٢٢١)

أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن أبي طلحة الداودي

عبد الرحمن بن محمد بن المظفر بن محمد بن داود بن أحمد بن معاذ بن سهل ابن الحكم بن شيراراد ، أبو الحسن ، ابن أبي طلحة ، الداودي (١)

جمال الإسلام ، وشيخ خراسان ، راوي البخاري عن السرخسي .

كان من الأئمة الكبار في معرفة المذهب ، والخلاف ، والأدب ، مع علوّ الإسناد ، وله حظ من النظم والنثر ، قرأ الفقه على القفال المروزي ، وأبي سهل الصعلوكي ، وابن طاهر محمد بن محمد بن الزيادي ، وأبي بكر الطوسي ، وأبي سعيد يحيى بن منصور ، وصحب الأستاذ أبا عليّ الدقاق ، وأبا عبد الرحمن السلمي ، وطاهر السحري الضرير ، ويحيى بن عمار ، وقدم بغداد ، وقرأ على أبي حامد الإسفرائني حتى برع في المذهب والخلاف ، وعاد إلى بوشنج ، وأخذ في التدريس والفتوى والتصنيف ، وعقد مجالس التذكير ، ورواية الحديث ، إلى أن توفي سنة سبع وستين وأربعمائة ، وكان مولده سنة أربع وسبعين وثلثمائة .

ومن شعره :

كان اجتماع الناس فيما مضى ... يورث للبهجة والسلوه
فانقلب الأمر إلى ضده ... فصارت السلوة في الخلوه

وله أيضاً رحمه الله تعالى :

كان في الاجتماع من قبلُ نورُ ... فمضى النور وادلهمّ الظلام
فسد الناس والزمان جميعاً ... فعلى الناس والزمان السلامُ

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

إن شئت عيشاً طيباً ... يغدو بلا منازع
فاقنع بما أوتيته ... فالعيش عيش القانع

---

(١) له ترجمة في النجوم الزاهرة ٩٩/٥ وفي شذرات الذهب ٣٢٧/٣ وفي تاريخ ابن كثير ١١٢/١٢ وفي طبقات الشافعية الكبرى ٢٢٨/٣

(٢٢٢)

عبد الرحمن بن محمد بن دوست

عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن عزيز بن يزن الحاكم ، أبو سعيد ، بن دوست ، وَدُوَسْت : لقب جده محمد(١) .

أحد الأعيان الأئمة بخراسان فى العربية ، جمع الدواوين وحصّلها ، وصنف التصانيف المفيدة ، وأقرأ الناس الأدب والنحو ، وله رد على الزجاجى فيما استدركه على ابن السِّكِّيت فى إصلاح المنطق .

وكان زاهداً عابداً ورعاً ، وعنه أخذ الواحدى اللغة .

وتوفى سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة .

وكان أطروشاً لا يسمع شيئا ، وكان يقرأ على الحاضرين مجلسه بنفسه .
وكان أوحد مَنْ قرأ اللغة على الجوهرى صاحب الصحاح .

ومن شعره :

ألا يا ريمُ خبرنى عن التفاح مَنْ عَضَّهْ
وحدّث مسمعى عن فـك البكر من افتضه
وخَتْمُ الله بالورد على خدك مَنْ فَضَّهْ
لقد أثرت العضـة فى وجنتك الغضَّهْ
كما تكتب بالعنبر فى جام من الفضه

ومن شعره :

وشادنٍ مددتُ فى مجلس قد غُطّت فيه أباريقُهُ(٢)
طلبت ورداً فأبى خدّه ورمت راحاً فأبى ريقُه(٣)

---

(١) له ترجمة فى دائرة معارف لب ١/٤٨٢ وأحسبها منقولة عن هذا الكتاب فهى هى ، وفى يتيمة الدهر ٤/٤٢٥ تحقيقا ، ودوست بضم الدال وفتح الواو وسكون السين بعدها تاء مبسوطة

(٢) الأباريق : جمع إبريق ، وفى البيت مع مابعده جناس

(٣) أبى : مأخوذ من الإباء ، والريق : ماء الفم

وله أيضاً :

وشادن قلت له هل لك فى المنادمه
فقال . كم من عاشق سفكت فى الحى دمه

وله أيضاً :

عليك بالحفظ دون الجمع فى كتب فإن للكتب آفات تفرقها
الماء يغرقها، والنار تحرقها والفأر يخرقها، واللص يسرقها

(٢٢٣)

جمال الدين عبد الرحمن بن محمد (ابن السنينيرة) الواسطى

عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن عمر بن أبى القاسم، جمال الدين، الواسطى، المعروف بابن السنينيرة الشاعر المشهور [١]

ولد سنة سبع وأربعين وخمسمائة، وتوفى سنة ست وعشرين وستمائة طاف البلاد، وطلب حلب، ومدح الملك الظاهر، وجرى له قضية يجرى ذكرها إن شاء الله تعالى فى ترجمة ابن حروف على بن محمد بن يوسف، وكان عسر الأخلاق، صعب المارسة، كثير الدعاوى، لا يعتقد فى أحد من أقرانه من الشعراء — مثل الأبله، وابن المعلم، وغيرهما — شيئاً، ويقول: أنا أسحب [٢] ذيلى عليهم فضلا ورتبة، ومدح الملك الظاهر بقصيدة يذكر فيها القمة التى أجراها بحلب، وهى :

دون العراق بدت لنا صور الدمى لا أذم صيران الصريم ولا الجمى
غيد عررن من القدود ذوابلا لذة ورشن من السواطر أسهما
فتنت وكم دون الحريم أحل من دم عاشق عانٍ وكان محرما
فتهين أنقاء الصريم روادفا وتهين إيماض البروق تبسما

---

(١) له ترجمة فى دائرة معارف البستانى ١/٥٢٩ وفيها ذكر « محمد » فى آبائه ثلاث مرات

(٢) أسحب ذيلى : كناية عن الكبر والتيه

وأعاد أنفاس النسيم من الصبا ... أرجاً أبتْ أسراره أن تكتما(١)

وعلى الصبابة كم نفى يوم النوى ... خلاً وعهد قد وهى وتصرما(٢)

وأهيمُ لولا فرط صدك لم أهم ... ظمأ ولا أظما إلى رشف اللما

لما وقفت بسفح سلمى منشداً ... أعنى سلمى بكاظمة أسما

حدثتني بين التجني والقلى ... لا محسناً هرماً ولا متبسما

وتركتني نهب الزمان معللا ... نفسي بذكر عسى وسوف وربما

وكمْ طرقتك ثم زاحمت لي ... دون الوسادة والمهاد المعصما

وسحتني ظلماً ولما لم يكن ... حوضُ النفاق وروده متهدما(٣)

فاليوم طيفك لو ألمّ لنحاله ... الصب في سنة الكرى ما سلما

يا سعد إن حلاوة العشق التي ... قد كنت تعهدها استحالت علقما

صيرنني في الترب نفساً ساقي ... أثر القريب مقوضاً ومخيما

قد فاز بالقدح المعلى من أتى ... ... الملي زائراً ومسلما

لو لم يكن ذاك القببُ منزلا ... ما قابلت فيه البدورُ الأنجما

يا ساكني دار السلام عليكم ... مني التحية مفرده أو مُتئما

وعلى رحى حلب وبين ملوكها ... ما زال صب بالمكارم مغرما

قومٌ ترى في الدرع منه لدى الوغى ... أسداً على الأعداء وصلاً أرقما(٤)

ويضم منه الدست في يوم الوغى ... بحراً طمى كرماً وطوداً أيهما

روّى ثرى حلب فعادت روضة ... أنفاً وكانت قبله تشكو الظما(٥)

أحيا رفات غمامها فكأنه ... عيسى بإذن الله أحيا الأعظما

---

(١) الأرج : طيب الرائحة

(٢) وهى : ضعف ، وتصرم : تقطع (٣) الظلم ـ بالفتح ـ الريق

(٤) الصل ـ بكسر الصاد ـ الحية

(٥) روضة أنف ـ بضم الهمزة والنون ـ لم يرعها أحد

لاغرو أن أحرى القناة حدا ولا ... فلطالما قناته أحـــرى الدما
ويكفه للآملين أمامــــــــل ... منها الثياب أو السحاب إذا طما

(٢٢٤)

أبو محمد عبد الرحمن ابن مروان (ابن المنجم) الواعظ

عبد الرحمن بن مروان بن سالم بن المبارك، أبو محمد، التنوخي، المعري، المعروف بابن المنجم، الواعظ(١).

قدم بغداد، وعليه مسح على هيئة الوعاظ السياح، فصار له ناموس عظيم، وعقد مجلس الوعظ بدار السلطان، وحضر السلطان مجلسه، وصار له الجاه التام، وأنفذه الخليفة رسولا إلى الموصل، واشتهر ذكره، ونمى خبره، وكان مشتهرا بتزوج الأبكار، وأكثر من ذلك حتى قيل فيه الأشعار، وصار له جوارى يسبين له، وقد خرج من بغداد هاربا من أيدى الغرماء، ودخل الشام، فأقام بدمشق إلى أن توفى سنة سبع وخمسين وخمسمائة، وقد جاوز السبعين.

وكان يعظ بدمشق، وعقد سوقه بها، وكان يعظ فى الأعزية فأتاه يوما صغير ليتوب على يده، فحمله على كتفه، فقال.

هـذا صغير ما أتى كبيرة ... فهل كبير يركب الكبائرا

فضج أهل المجلس بالبكاء، وكان يظهر لكل طائفة أنه منهم حرصا على التحصيل، وعمل عزاء أمير المؤمنين المقتفى لأمر الله فى الجامع الأموى بدمشق، فقدم فى التعزية، ورثاه بأبيات، فخلع عليه صدرُ المجلس ثوبَه، فذكر عادته فى الكرامة، وخرج عما كان فيه من التعزية إلى استدعاء موافقة الحاضرين، فخلع عليه بعضهم فقال: أنا المعزى لا المعزى.

---

(١) له ترجمة فى شذرات الذهب ١٧٨/٤ ولم يذكر «مروان» بل قال «عبد الرحمن بن سالم التنوخى الواعظ».

ومن شعره رحمه الله :

حبيب لست أنظره بعيني   وفى قلبي له حب شديد
أريد وصاله ويريد هجرى   فأترك ما أريد لما يريد

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

جارة قد أجارها الـــحسن من كل جانب
فهى بين النساء كالـــبدر بين الكواكب

وقال أيضا رحمه الله تعالى

وشارب مثل نصف لصاد صادية   فلي زشاً ثغره أنقى من البرد
كأنما خاله من فوق وجنته   سواد عين بدا فى حمرة ارمد

(٢٢٥)

زكى الدين عبد الرحمن (ابن وهيب) الكاتب القوصى

عبد الرحمن بن وهيب بن عبد الله ، زكى الدين ، الكاتب ، القوصى[١] كان فاضلا فى نظمه ونثره ، متقنا للكتابة ، توفى بحماة محروقا سنة الأربعين وستمائة ، بعد وزارته للمظفر صاحب حماة وصحبته له دهراً طويلا ، وكان المظفر قد وَعَدَه أنه متى ملك حماة أعطاه ألف دينار ، فلما ملكها أنشده شعرا :

مولاى هذا الملك قد نلته   برغم مخلوق من الخلق
والدهر منقاد لما شئته   وذا أوان الموعد الصادق

فأقام معه مدة ، ولزمه أسفارا أنفق فيها المال الذى أعطاه ، ولم يحصل بيده زيادة عليه ، فقال له رحمهما الله تعالى :

ذاك الذى أعطوه لى جملة   قد استردوه قليل قليل
فليت لم يعطوا ولم يأخذوا   وحسبى الله ونعم الوكيل

---

(١) له ترجمة فى الطالع السعيد ١٥٠ وسماه « عبد الرحمن بن عبد الوهاب بن الحسن بن على ، أبو القاسم ، الكاتب ، المنعوت بالزكى ، المعروف بابن وهيب القوصى الأصل ، المصرى المولد والمنشأ » وذكر وفاته بحماة سنة ٦٣١

فبلغ ذلك المظفر ، فأخرجه من دار كان قد أنزله بها ، فقال :

أتخرجنى من كسر بيت مهدّم ... ولى فيك من حسن الثناء بيوت
فإن عشت لم أعدم مكانا يكنّنى ... وأنت ستدرى ذكر من سيموت

فحبسه المظفر فقال : ما ذنبى ؟ فقال : وحسبى الله ونعم الوكيل ، وأمر بخنقه ، فلما أحس بذلك قال شعرا

أعطيتنى ألف تعظيما وتكرمة ... يا ليت شعرىَ أم أعطيتنى ديتى

وكان قد أنشده قصيدة قبل أن علك حماة حين وعده بألف دينار منها :

متى أراك ومن تهوى وأنت كما ... تهوى على رغمهم والحين فى بدن
هناك أنشد والآمال حاضرة : ... هنيت بالملك والأحباب والوطن

قال شمس الدين القوصى فى معجمه أنشدنى ركن الدين القوصى لنفسه :

تبدّت لهذا البدر من كلَفٍ بها ... وحملك مثلى فى دجى الليل حائر
وماستْ فشق الغصن غيظا جيوبه ... ألست ترى أوراقه تتناثر[(1)]

فأجازها يوسف بن عبد العزيز بن المرصص بقوله :

وفاحت فألقى العود فى النار نفسه ... كذا نقلت عنه الحديثَ المجامر[(2)]
وقالت فغار الدر واصفرّ لونه ... كذلك ما زالت تغار الضرائر

وكتب إلىّ وأنا بالديار المصرية :

أوحشتنى والله يا سيدى ... ورد شوقى وغرامى إليك
إن غبت عن عينى برغمى فقد ... أقيم فى الحضرة قلبى لديك

وكتب إلىّ أيضا رحمه الله تعالى :

سيدى سيدى كذا كنت أخلى ... من زلال على الفؤاد الصادى[(3)]

---

(١) ماست : تمايلت وتبخترت

(٢) فاحت : انتشر طيب رائحتها فى الجو

(٣) الصادى : العطشان

حلتْ فيه قميص يوسف مما ألصقته أنامـــلى مؤادى
كرِّر اللثم يا فمى وترشَّفْ من حلاه آثار تلك الأيادى

وقال أيضا فى معنى لمبتى، وقد أمر بنفيه من الشام إلى مصر:

لا تحسب المبتىَّ يفتح بمدحه وبقومه نفيه أنى قد سَلَكْ
قد علقت أبواب مصر دونه ممما طلعته وقالت هيت لكْ

وقال أيضا:

فلان والجمـــاعة يدعوه وظاهره التنسك والزهاده
يموت على الشهادة وهو حى إلمى لا تمته على الشهـــاده

(٢٢٦)

عبد الرحيم بن إبراهيم بن هبة الله بن المسلم بن هبة الله بن حسان، القاضى، نجم الدين، الجهنى، الحموى، الشافعى، المعروف بابن البارزى، قاضى حَماة وابن قاضيها وأبو قاضيها[1].

ولد بحَماة سنة ثمان وستمائة، وتوفى سنة ثلاث وثمانين وستمائة.

كان إماما فاضلا فقيها أصوليا خيرا، له خبرة بالتدقيقات، ونظر فى الفنون، سمع من القاسم بن رواحة وغيره، وحكم بحماه بحكم النيابة عن والده، ولم يأخذ على القضاء رزقا، وعُزل قبل موته بأعوام، وكان مشكور الأحكام، وافر الديانة، محبا للفقراء والصالحين، درس وأفتى وصنف، واشتغل، وخرج الأصحاب فى المذهب، توجه إلى الحج فأدركته منيته، وحمل إلى المدينة، ودفن فى البقيع.

نجم الدين
عبدالرحيم
ابن إبراهيم
(ابن البارزى)
الحموى القاضى

ومن شعره فى القلم

ومُشَقَّق كالخط يحكى فعل مُثْمِـــر الخط إلا أن هـــذا أصفر

(١) له ترجمة فى طبقات الشافعية الكبرى ٥/٧١، وفى شذرات الذهب ٥/٣٨١ — ٣٨٢، وقال «توفى فى تبوك فى ذى القعدة فحمل إلى المدينة المنورة» وفى النجوم الزاهرة ٧/٣٦٢ وعن الذهبى «المسلم بن هبة الله» بدون كلمة «ابن» بينهما ووقع فى ب، ت اسمه «عبد الرحمن» وصوابه «عبد الرحيم» كما فى الشذرات والنجوم والذهبى وطبقات الشافعية

فى رأسه المسودين أحروه فى الـــسميعن للأعداء موت أحمر

ومن شعره وهو شبيه سبعة أشياء سمعة .

مقطع بالسكين بطيخة ضحى · على طبق فى مجلس لأصاحبه

كبدر ببرق قد قسمن أهلة · لدى هالة فى الأفق بين كواكبه

وهو شبيه قول بعضهم :

ومـــا بدا ما يساميه الشمس · فخرط بالسكين صفراء كالورس

توهمت بدر التم قد أهـــلة · على أنجم بالبرق من كرة الشمس

والأصل فى هذا لابن قلاقس الإسكندرى حيث قال .

أتانى الســـلام بطيخة · وسكينة قد أحيدت صقلا

فقطع بالبرق شمس الضحى · وأهدى إلى كل بدر هلالا

ولبعضهم حيث يقول

حمراء مستخرط البطيخ فى · أطباقه مصقولة الصفحات

بدرا تقدُّ من الشموس أهلة · بالبرق بين الشهب فى الهالات

وأول من سبق إلى هذا الباب العسكرى حيث قال ·

وحامعة لأصداف المعانى · صلحن لوقت إكثار وقِلة[1]

فمن أذنيه وريحان ونقل · فــلم يرمثها بدا لخلله

فمنهـــا ما يشبه بدورا · ومن قطعتها رجعت أهله

ومن شعر القاضى نجم الدين بن البارزى ما كتبه إلى الملك المنصور صاحب حماة :

خدمتك فى الشباب وهاشيبى · أكاد أذل منه اليوم رمسا[2]

ورع لخدمتى عهدا قديمـــا · وما بالعهـد من قدم فيمنى

(١) الإكثار : الغنى ، والقلة : الفقر

(٢) الرمس — بالفتح — القبر

ومنه أيضا رحمه الله تعالى :

إذا شِمْتُ من تلقاء أرضكم برقا ... فلا أصلى سُهْدًا ولا عبرتى تَرْقا
وإن ناح فوق البان وُرْقُ حمائم ... سحيرا فنوحى فى الدجى علّم الورقا
وقفا بقلب فى ضرام غرامه ... حريق وأجفان بمدمعها شرقى
مسيرى من سعد حدا نحو أرضهم ... يمينا ولا سعدا نحوها الطرق
وعوجا على أفق توشّحَ شيحه ... بطيب الشّذَى مسكى أكرم به أفق
فإن به المنقى الذى نزلوا به ... ومن ذكره يشقى الفؤاد ويسترقى
ومن دونهم عرب يرون نفوس مَنْ ... يرود حماهم حلالا لهم طَلْقا
بأيديهم بيض بهن الموت أحمر ... وسمر لدى هيجائهم تحمل الزرقا
ولولا محبٌّ حلَّ بالشام جسمه ... ومنه فؤاد بالحجاز عند مُنْقى
تملّككم فى عُنْفُوان شبابه ... ولم يسل عن ذاك الغرام وقد أبقى
وكان يُمَنّى النفس بالقرب فاعتدى ... فلا أمل إذ لا يؤمّل أن يبقى

(٢٢٧)

أبو الفضائل عبد الرحمن ابن أحمد بن محمد بن الإخوة العطار

عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن محمد بن إبراهيم بن الإخوة، العطار، أبو الفضل[1]

سمع عن أبى الفوارس طراد الزينبى وأبى الخطاب نصر بن البطر وغيرهم ، وسافر إلى خراسان فى طلب الحديث ، وسمع بنيسابور والرى وطبرستان وبأصبهان وقرأ بنفسه ، ونسخ ما لا يدخل تحت الحصر ، وكان يكتب خطا مليحا ، وكان سريع القراءة والكتابة .

قال محب الدين بن النجار : رأيت بخطه كتاب « التنبيه » فى الفقه لأبى إسحاق الشيرازى وقد ذكر فى آخره أنه كتبه فى يوم واحد ، وكانت له معرفة

---

(١) له ترجمة فى دائرة معارف البستانى ٣٧٢/١ وما أظنها إلا صادرة عن هذا الكتاب نفسه . وما أظن اسمه إلا « عبد الرحيم » لوقوعه بين جماعة ظهر أن اسم كل منهم عبد الرحيم

بالحديث والأدب ، وله شعر ، وكان يقول : كنت محطى ألف مجلد .

وتوفى سنة ثمان وأربعين وخمسمائة بشيراز .

روى أنه كان يقرأ معجم الطبرانى ويقلب ورقتين ويترك حديثاً وحديثين رواه السمعانى عن يحيى بن عبد الملك بن أبى المسلم المكى وكان شابا صالحا .

ومن شعر ابن الأخوة :

ما الناس ناس فسرّح إن حوت بهم   فأنت ما حصروا فى حوزة أبدا
ولا يغرّنك أثواب لهم حسنت   فليس مَنْ تحتها فى حسنها نُجدا
القرد قرد ولو حليته ذهبـــا   والكلب كلب ولو سميته أسدا

ومنه أيضا .

أنفقت شرخ شبابى فى دياركم   فما حظيتُ ولا أنفدتُ إنفاقى[1]
وخير عمرى الذى وَلّى وقد ولعت   به الهموم فكيف الظن بالباقى

ومنه أيضا :

ولما التقى للبين خدّى وخدُّها   تلاقى بهـــار ذابل وجنى ورد
وَلفَّتْ يدُ التوديع عطفى بعطفها   كما لفت النكباء مائسَىْ رَنْد
وأهدى النوى دمعى خلال دموعها   كما نظم الياقوت والدر فى عقد
وولّتْ ولى من لوعة الوجد ما بها   كما عندها من حرقة البين ماعندى

ومنه أيضا .

الدهر كالميزان يرفع ناقصا   أبدا ويخفض زائد المقدار
وإذا انتحى لإنصاف عادل عدله   فى الوزن بين حديدة ونضار

---

(١) شرخ الشباب ـ بفتح الشين وسكون الراء المهملة ـ زمان القوة والميعة .

(٢٢٨)

عبد الرحيم بن عبد الكريم بن هوازن ، القُشَيْرِيّ ، من أهل نيسابور .

عبد الرحيم بن عبد الكريم ابن هوازن القشيري النيسابوري

كان من أئمة الدين ، وأعلام المسلمين ، قرأ الأصول على والده ، وتفسير القرآن والوعظ ، ورزق فى ذلك حظا وافراً ، ولازم إمام الحرمين ، ودرس عليه المذهب والخلاف ، وبرع فى ذلك ، وجاوز أقرانه ، وقرأ الأدب ، ونظم ونثر ، وعقد مجالس الوعظ ببغداد ، وظهر له القبول العظيم ، وأظهر مذهب الأشعرى ، وقامت سوق الفتنة بينه وبين الحنابلة ، وثار العوام إلى المقاتلة ، وكوتب الوزير نظام الملك بأن يأمره بالرجوع إلى وطنه ، فحضره وأكرمه ، وأمره بلزوم وطنه ، فأقام يدرس ويعظ الناس ويروى الحديث إلى أن توفى سنة أربع عشرة وخمسمائة .

كتب إليه فتوى ، وهى :

يا إماماً حوى الفضائل طُرًّا ... جلَّتَ أصلا وزادك الله قدرا

ما على عاشق رأى الحِبَّ محتا ... لا كغصن لأزك يحمل بدرا

فدنا نحوه يقبل خدَّيـــــه غراماً به ويلثم ثغرا

وعليه من العفاف رقيب ... لا يدانى فى سُنَّة الحب عذرا

فقال رحمه الله تعالى وعفا عنه :

ما على مَنْ يقبل الحِبَّ حدٌّ ... غير أنى أراه حاول نكرا

امتحانُ الحبيب بالثم خيفٌ ... لو تصفحت كان ذلك أخرى

لا تعرَّض لثم خدٍّ وثغر ... فتلاقى من لحظ نفسك غرا

---

(١) له ترجمة فى شذرات الذهب ٤ / ٤٥ وقال « توفى فى جمادى الآخرة من سنة ٥١٤ وهو فى عشر الثمانين » وفيه يقول إمام الحرمين :

معانى الصحابة مجموعة ... لعبد الرحيم بن عبد الكريم

وفى ب ، ث « عبد الرحمن بن عبد الكريم » وهو خطأ ، وله ترجمة أيضا فى طبقات الشافعية الكبرى ٤ / ٢٤٩

واخشَ منه إذا سامحت فيه عاثلات تجرّ إثماً ووزرا
فَمُلكَ لنفس دائماً عن هواها لك خير فألزم النفس صبرا
مَنْ ملاه إلهه بهوى الخلـــق فقد سمّهُ هواناً وصغرا
فاحتسبهم وراقب الله سرّاً فهو أولى بنا وأعظم أجرا
فاسمعوا من القشيرى فاسمع إن أردت السداد سراً وجهرا

ومن شعره رحمه الله تعالى :

ليالى وصالٍ قد مضين كأنها بياض مشيب فى سواد الذوائب

ومن شعره أيضا رحمه الله :

تقبيل ثغرك أشتهى أمل إليه أنتهى
لو نلتُ ذلك لم أمل ماروح منى أن تهى
دنياى لذة ساعة وعلى الحقيقة أنت هى

(٢٢٩)

جمال الدين عبد الرحيم بن على الإسنائى الكاتب

عبد الرحيم بن على بن الحسين بن شيث القاضى الرئيس ، جمال الدين ، الأموى ، الأسنائى ، القوصى ، صاحب ديوان الإنشاء للملك المعظم عيسى .

ولد بأسنا سنة خمسين وخمسمائة ، وتوفى سنة خمس وعشرين وستمائة .

نشأ بقوص ، وتفقه بها ، وقرأ الأدب ، وكان ورعاً ديناً خيراً حسن النظم والنثر ، ولى الديوان بقوص ، ثم بالإسكندرية ، ثم بالقدس ، ثم ولى كتابة الإنشاء للمعظم ، وكان يوصف بالمروءة وقضاء الحاجة .

---

(١) له ترجمة فى شذرات الذهب ٥/١١٧ وقال « تولى الوزارة للملك المعظم بالشام ، ونشأ بقوص ، ومات بدمشق ، ودفن بتربته بقاسيون » وذكره الذهبى فى وفيات ٦٢٥ « عبد الرحيم بن على بن إسحاق بن شيث القرشى القوصى ، بدمشق وكان كاتب المعظم » وفى الطالع السعيد ١٦٠ ، وقد وقع فى ب ، ث « عبد الرحمن ابن على » وتصويبه عن الشذرات والذهبى والطالع السعيد

وكانت وفاته بدمشق ، ودفن بقاسيون بتربته ، وكانت بينه وبين المعظم مُدَاعبات .

كتب إليه مرة أنه لما فارقه ودخل منزله طالبه أهله بما حصل له من ابن السلطان ، فقال لهم : ما أعطاني شيئا ، فقاموا إليه بالجدف وصفعوه ، وكتب بعد ذلك شعراً

وعمت بيض لا كف كفهم التصميق عند تحسيم الأعراس

وتطابقت سود الجدف كأنها وقع المطارق من يد النحاس

فرى المعظم ارقعة إلى قاضي القضاة بن بصاقة ، وقال : أجبه عنها ، فكتب إليه شعراً ، وفي آخره :

فاصبر على أخلاقهن ولا تكن متحنقا إلا بحق الناس

واعلم إذا احتملت عليك بأنه (متى وقوفك ساعة من باس)[1]

ومن شعره أيضا رحمه الله :

ما لقلبي إلى السلو طريق أنا من سكرة الهوى لا أفيق

ضحكوا يوم بينهم وبكينا فتراءت سحائب وبروق

لو ترانا ولعطالب إحسما في إلينا والقلوب خفوقُ

رأيت الدليل حيران منا كلما لاح للهلال شروق

وسهام اللحاظ قد فوّقت لي فيها كلما رَمَقْتُ مُرُوقُ[2]

لست أدرى إذا صرم اللثم وجدى أحريق رشفته أم رحيق

ليدعى أهل الرشاد وشأني ليس يدرى ما بالأسير الطليق

---

(١) عجز هذا البيت هو صدر بيت لأبي تمام ، وعجزه في كلامه :

* تقضى ذمام الأربع الأدراس *

والذمام ـ بكسر أوله ـ العهد ، والأربع : جمع ربع ، وهو المنزل ، والأدراس : التي انمحت معالمها

(٢) فوقت لي : سددت وصوبت ، ورمقت : نظرت

أقفرت دار من أحبّ وكم كا نت رقاق بها وغصن وريق[1]
وعفا ثوبها الصفيق وللريـــح عليها من حسرة تصفيق
دار لهوى وللهوى في مغانيـــها عروق تنمى ووجد عريق[2]
أشجتنى تلك الديار فجسمى دارسٌ ودمع عينى العقيق[3]
وكأنّ الثياب لفظ وجسمى فيه معنى من المعنّى دقيقُ
ورشيق القوام يرشق باللحـــظ ولا يستقلّ منه الرشيق
لحظه قاطع وما فارق الجفــن وفى جفنه عن السيف ضيق
مشقت نون حاجبيه فأبدى ألفَ الحسن قدّه الممشوق
لامُه فى أصدغيه لأمة والـــمبسم فوه والرقّ منه الريق
فهذا خط حسنه وهو منشو ر وأحلامه عليه حقوق
أحدقَ الحسن بالحدائق من خدّيه لما آذاها التحريق
مسحة للجمال مسح بركنيـــه وخدٌ له الشقيق شقيق
وكأن الخال الذى لاح فى لجـــة خدّيه وهو طافٍ غريقُ
طابق الحسن قده فواق الشـــعر فيه التجنيس والتطبيق
بردف الردف وهو مختصر الخصـــر فذا مُفْعَمٌ وذو دقيق
فائق الطرف فاتك الطرف عمدا وهو فى كل حالة ممشوق
يا خليلى إن العدوّ كثير فاحذريه وأين أين الصديق
والرفيق الذى يؤمّلُ منه الـــرفقُ فاس فما رفيق رفيق
وسوق الهوان ينتقل الفضـــل فصد المروع منه شُروقُ
فسد النـــاس والزمان ولا بدّ بحق أن يحلق المحلوق

---

(١) غصن وريق : ذو ورق ونضرة

(٢) وجد عريق : قديم العهد ذات الأساس

(٣) فى كلمة « العقيق » تورية ، فهى تطلق على مكان حبيبه ، وتطلق على هذا الحجر الأحمر ، يشبه به الدمع

فالكريم الذي يغيث يغوث والمشبم الذي يعوق يعوق

غير أن الملك المعظم فرد فاق فضلا وخصه التوفيق

وكان ابن شيث هذا قد رمي من ابن عنين بالداء العضال وفيه هجاه مرات ، منها قوله :

لله يعلم يا ابن شيــــث ما خصصت من الكتابه

إلا على الداء الذي خصت به تلك العصابه

وقال فيه أيضا رحمه الله تعالى :

أنا وابن شيث والرشيد ثلاثة لا يرتجى منا لخلـــلق فائده

من كل من قصرت يداه عن الندى يوم الندى وتطول عند المائده

فكأننا واو عمرو ألحقت أو إصبع بين الأصابع زائدة

ومن شعر ابن شيث رحمه الله [١] :

وشمعة في المحنيـــق وهي فيه تشرق

كأنها من تحتــه شمس علاها شفق

ومنه :

وأبيه باتت تساهر مقلتي تبكي وتوري فعل صب عاشق

سرقت دموعي والتهاب جوانحي فحدا لها بالقط قطع السارق

(٢٣٠)

مهذب الدين عبدالرحيم بن علي الطبيب

عبد الرحيم بن علي بن حامد بن الشيخ مهذب الدين ، الطبيب الدخوار [٢] ، شيخ الأطباء ورئيسهم بدمشق ، وقف داره بالصاغة العتيقة مدرسة للطب .

---

(١) أنشد صاحب الطالع السعيد ١٩١ هذين البيتين وبيتين بعدهما

(٢) له ترجمة في شذرات الذهب ٥ / ١٢٧ وذكر وفاته في سنة ٦٢٨ ، وذكره الذهبي في وفيات ٦٢٨ ، وله ترجمة في تاريخ ابن كثير ١٣ / ١٣٠ ، وكان في ب ، ث « عبد الرحمن » وهو خطأ صوابه عن الشذرات والذهبي والنجوم الزاهرة ٦/٢٧٧ وتاريخ ابن الأثير وطبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ٢٦١/١

ومولده سنة خمس وستين وخمسمائة ، وتوفى سنة سبع وعشرين وستمائة ، ودفن بتربته بقاسيون فوق الميطور ، وكان أعرج .

روى عنه القوصى شعراً ، وتخرج به جماعة كثيرة من الأطباء ، وصنف كتباً ، منها « اختصار الحاوى » ومقالة فى الاستفراغ ، وتعاليق ، ومسائل فى الطب ، وشكوك وأجوبة ، ورد على شرح ابن أبى صادق لمسائل حنين ، ورسالة يرد فيها على يوسف الإسرائيلى فى ترتيب الأغذية اللطيفة والكثيفة ، ونسخ كتباً كثيرة بخطه لمنسوب أكثر من مائة مجلد فى الطب ، واختصر الأغانى الكبير ، وقرأ العربية على تاج الدين الكندى ، وقرأ الطب على الرضى الرحبى[1] ، ثم لازم ابن المطران ، وأخذ عن الفخر الماردينى وغيره ، وخدم العادل ، ولازم ابن شكر ، وكانت جامكيته جامكية الموفق عبدالعزيز فإنه نزل عنها بعد مائة دينار فى الشهر ، ومرض الكامل ، فحصل له من جهته اثنا عشر ألف دينار وأربعة عشر بغلة بأطواق ذهب ، وخلع أطلس ، وغير ذلك ، وولاه السلطان رياسة الأطباء فى ذلك الوقت بمصر والشام .

وكان خبيراً بكل ما يقرأ عليه ، ولازم السيف الآمدى ، وحصّل معظم مصنفاته ، ونظر فى الهيئة والنجوم ، ثم طلبه الأشرف ، فتوجه إليه ، فأقطعه ما يُغلّ فى السنة ألف وخمسمائة دينار ، ثم عرض له ثقل فى لسانه واسترخاء ، فجاء إلى دمشق لما تملكها الأشرف ، فولاه رياسة الطب بها ، وزاد ثقل لسانه حتى إنه لم يفهم كلامه ، وكان الجماعة يقعون بين يديه ، ويجيب هو ، وربما كتب لهم ما أشكل فى اللوح ، واجتهد فى علاج نفسه ، واستعمل المعاجين الحارة ، فعرضت له حمى قوية ، فضعفت قوته ، وظهرت به أمراض قوية كثيرة ، وأسكت ، وسالت عينه ، واتفق له فى مبادىء خدمته للعادل أشياء قرّبته من خاطره ، وأعلت محله عنده .

---

(١) رضى الدين : أبو الحجاج يوسف بن حيدرة بن الحسن ، له ذكر فى طبقات الأطباء : ١ / ٢٦٣ و ٢ / ١٠٩ و ١١٩ و ١٨٤

منها : أنه اتفق له مرض شديد ، وعالجه الأطباء ، فقال . والله لئن لم تخرج له دماً ليخرجن بغير اختياره ، فاتفق أنه رُعِفَ السلطان ، وبرىء .

ومنها : أنه كان يوماً مع جماعة من الأطباء على باب دار السلطان ، فخرج إليهم خادم ومعه قارورة ، فرأوها ، ووصفوا لها علاجاً ، فأنكر هو ذلك العلاج ، وقال : ليس دا دواء ، ويوشك أن يكون هذا ماء حناء اختضب بها ، فاعترف الخادم لهم بذلك .

ومن شعره ما كتب به إلى الحكيم رشيد الدين أبي حليقة في مرضة مرضها شعراً .

حُوشِيتَ من مرض يعاد لأجله	ولقيت ما لقيت لنا أعراض
إنما نعدك جوهراً في عصره	وسواك بين غدُوا هم أعراض

وقال ابن خروف يهجو الدخوار :

لا ترجونّ من الدخوار منفعة	ولو شفى علتيه المُخت والفرَجا
طبيبٌ إن رأى المطبوبُ طلعتَهُ	لا يرتجى صحة منها ولا فرجا
إذا تأمل في دستوره سحراً	وقال : أين فلان؟ قيل : قد درجا[1]
فشربة دخلت مما يركبه	جسمَ العليل وروح منه قد خرجا

وقال فيه أيضاً رحمه الله .

إن الأعيرج حاز الطبَّ أجمعه	أستغفر الله ، إلا العلم والعملا
وليس يجهل شيئاً من غوامضه	إلا الدلائل والأمراض والعللا
في حيله البرء قدْتُ عنده حيل	بعد اجتهاد ويدرى الردى حيلا[2]
الروح تشكر حُسْنَ العليل عن	علاته فإذا ما طبَّهُ رحلا[3]

(١) درج : مات

(٢) الردى : الهلاك

(٣) طبه : داواه وعالجه ، ورحل : هلك

وقال فيه أيضاً رحمه الله تعالى :

طَبَّخَ المهــذبُ طبه سيعاً ، وصال على المهج
باب السلامة لا يرى منه ولا باب الفرج

(٢٣١)

جمال الدين عبد الرحمن بن على بن الزويتية الرحبى

عبد الرحمن بن على ، جمال الدين بن زويتية ، الرحبى[1] .

وصل إلى مصر رسولا من عند صاحب حمص ، وكانت وفاته بعد الخمسين وستمائة لما بنى الأشرف جامع التوبة بالعقيبة ، وكان خطابة فيها معنى ، وكان لبعض المدارس إمام[2] يعرف بالجمال السبتى ، وكان فى صدره على مرتقى يعنى بالجمانة ، ثم لما كبر حسنت طريقته ، وعاشر العلماء وأهل الصلاح ، فذكر للملك الأشرف ، فولاه خطابة الجامع المذكور ، ثم لما توفى رتب مكانه العماد الواسطى الواعظ ، وكان متهما باستعمال الشراب ، فنظم بن الزويتية هذه الأبيات وكتب بها إلى الصالح عماد الدين إسماعيل :

يا مليكا أوضَحَ الحــق لديـنا وأبانَهْ
جامع التــوبة قد قلدنى منـه أمانه
قال قل للملك الصا لح أعلى الله شانه
يا عماد الدين يامن حمد الناس زمانه
كم إلى كم أنا فى ضـــرّ وبؤس ومهانةْ
لى خطيبٌ واسطىٌ يعشق الخمر ديانةْ
والذى قد كان من قبــــل يُغنّى بالجمانه
فكما كنت ومازلــــتُ ولا أربح حانه
رُدّنى للنمط الأول واسـتبق ضمانه

(١) لم أعثر له على ترجمة فى غير هذا الكتاب فيما بين يدى الساعة من كتب الأعلام ، وهو فى الأصول كلها « عبد الرحمن » بعد جماعة ظهر أن اسم كل واحد منهم « عبد الرحيم » (٢) فى ب « وكان لمدرسة ست الشام إمام يعرف بالجمالى السبتى »

(٢٣٢)

أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد بن الفوطي المحدث المؤرخ

عبد الرزاق بن أحمد بن محمد بن أحمد، الصابوني، الشيخ، الإمام المحدث[1]، المؤرخ، الأخباري، الفيلسوف، المعروف بابن الفوطي، صاحب التصانيف.

ولد سنة ثنتين وأربعين وستمائة، وتوفي سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة.

ذكر أنه من ولد معن بن زائدة الشيباني، أسر في واقعة بغداد، وقد صار للنصير الطوسي، فاشتغل عليه بعلوم الأوائل، وبالآداب والنظم والنثر، ومهر في التاريخ، وله يد بيضاء في ترصيع التراجم، وذهن سيال، وقلم سريع، وخط بديع إلى الغاية، قيل: إنه يكتب من ذلك الخط الفائق الرائق أربع كراريس، ويكتب وهو نائم على ظهره، وله نظر بالمنطق، وفنون الحكمة، باشر خزانة الرصد بمراغة أكثر من عشرة أعوام، و[illegible]، واطلع على كتب نفيسة، ثم تحول إلى بغداد، وصار خازن كتب المستنصرية، فأكب على التاريخ، وسود تصنيفاً كبيراً، وآخر دونه سماه «مجمع الآداب في معجم الأسماء على معجم الألقاب» في خمسين مجلداً، وله كتاب «درر الأصداف في غرر الأوصاف» مرتب على وضع الوجود من المبدأ إلى المعاد، وقدره عشرون مجلداً، وكتاب «تلقيح الأفهام في المؤتلف والمختلف» مجدولاً، والتاريخ على الحوادث من آدم إلى خراب بغداد، و«الدرر الناصعة في شعر المائة السابعة» وله شعر كثير بالعربي والعجمي، رحمه الله تعالى!

(٢٣٣)

أبو طالب عبد السلام ابن الحسين المأموني

عبد السلام بن الحسين، أبو طالب، المأموني، من أولاد المأمون[2].

توفي سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة، ورد الري، وامتدح الصاحب بن عباد[3]

---

(١) له ترجمة في شذرات الذهب ٦/٦٠ وذكر أنه توفي في ثالث المحرم من سنة ٧٢٣ ببغداد ودفن بالشونيزية، وفي تاريخ ابن كثير ١٤/١٠٦

(٢) له ترجمة في يتيمة الدهر للثعالبي ٤/١٦١ بتحقيقنا (٣) توفي الصاحب في سنة ٣٨٥

قصائد، فأعجبه نظمه، وتقدم عنده، فدبّت عقاربُ الحسد له، ورماه نُدَماء الصاحب بالدعوة في بني العباس، وبالغلو في النصب[1] واعتقاد كفر الشيعة والمعتزلة وهجاء الصاحب، وينحلون عليه الشعر، ويحلفون أنه له، حتى سقطت منزلته عند الصاحب، وقال قصيدته الغراء وطلب الإذن للرحيل، وأولها :

يا ربع لو كنت دمعًا فيك منسكبا   قضيت نحبي ولم أقض الذي وجبا

لا ينكرَنْ ربعك البالي بلى جَسَدي   فقد شربت بكأس الحب ما شربا

ولو أفضت دموعي حسب واجبه   أفضت من كل عضو مدمعًا سَرَبا

عهدي بربعك للذات مرتبعا   فقد غدا لعوادي السحب منتحبا

فيا سقاك أخو جود السحابُ حيًا   يحوك للأرض من نور الرياض حبا

ذو بارق كسيوف الصاحب انتُضِيَتْ   ووابلٍ كعطاياه إذا وهبا

ومنها :

وعصبة بات فيها الغيظ متقدا   إذ شِدْتَ لي فوق أعناق العلى رتبا

فكنت يوسف والأسباط هم وأبو الأسباط أنت ودعواهم دمًا كذبا

ومن يرُدُّ ضياء الشمس إن شرقت   ومن يسد طريق الغيث إن سكبا

قد ينبح الكلب ما لم يلق ليث شَرًى   حتى إذا ما رأى ليثًا مضى هربا

أرى مآربكم في نظم قافية   وما أرى لي في غير العلى أربا

قدُّوا عن الشعر إن الشعر منقصة   لذي العلاء وهاتوا المجد والحسبا

فالشعر أقصر من أن يستطال به   أ كان مبتدعًا أم كان مقتضبا[2]

أسير عنك ولي في كل جارحة   فمٌ بشكرك يحوي منطقًا ذربا

إني لأهوى مقامي في ذَرَاك كما   تهوى بعينك في العافين أن تهبا

لكن لساني يهوى السير عنك لأن   يُطَبِّق الأرض مدحًا فيك منتخَبا

---

(1) كذا، ولعل أصل العبارة «في رميه بالنصب-إلخ» والنصب : معاداة أهل البيت وبغضهم   (2) في اليتيمة «إن كان مبتدعا أو كان مقتضبا»

أظنني بين أهـل والأنام هُمُ　　إذا ترحلت عن مغناك مغتربا

قال : وكان يحيّ نفسه أن يقصد بغداد ويدخلها في جيش ينضم إليه من خراسان ، وتسمو همته إلى الخلافة ، فاعتقل بالاستقراء ، وتوفى كما ذكرنا في سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة .

ومن شعره :

فلست وإن حُكِّكتُ القريض بشاعر　　فأعطى ما قد قلته القل والكثرا

ولكن بحر العلم بين أضالعي　　طماً فرمى من درّه النظم والنثرا

ولو كان لي مال بذلت رغابه　　لمن يعطيكم أو يذيع لكم شكرا

فقد قمت والحمـد لله حتى　　وفرت وما أبغى بمدحكم أجرا

وما طلبي إلا السرير وإنما　　سريت إليكم أبتغى بكم النصرا

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

وغدا الجمر والرماد عليه　　في قميصين مذهب ومعنبر

ما ترى النار كيف أسقمها القر　　وأضحت تحنو وحيا تتعفر

وقال أيضاً :

وحمام له حر الجحيم　　ولكن شابَهُ بَرد النسيم

قدمت به ثيابا في عفاف　　ووردت به نعيما في جحيم

(٢٣٤)

أبو الحكم عبد السلام ابن برجان

عبد السلام[1] بن عبد الرحمن بن أبي الرجال محمد بن عبد الرحمن ، أبو الحكم ، اللخمي ، الإفريقي ، الإشبيلي ، الصوفي ، العارف ، المعروف بابن بَرَّجَان .

---

(١) له ترجمة في شذرات الذهب ٤/١١٣ ، وقال « توفي غريباً بمراكش . . وقبره بإزاء قبر ابن العريف »

سمع وحدث ، وله تآليف مفيدة . منها تفسير القرآن العظيم ، لم يكمله ، وله شرح أسماء الله الحسنى .

وكانت وفاته سنة ست وثلاثين وخمسمائة ، رحمه الله !

(٢٣٥)

مجد الدين أبو البركات عبد السلام بن تيمية الحرانى

عبد السلام بن عبد الله[1] بن أبي القاسم الخضر بن محمد بن علي ، الإمام ، شيخ الإسلام ، مجد الدين ، أبو البركات بن تيمية الحراني ، جد الشيخ تقي الدين .

ولد في حدود التسعين وخمسمائة ، وتوفي سنة اثنتين وخمسين وستمائة .

تفقه في صغره على عمه الخطيب فخر الدين ، ورحل إلى بغداد وهو ابن بضع عشرة سنة في صحبة ابن عمه السيف ، وسمع بها وبحرّان ، وروى عنه الدمياطي وولدُه عبد الحليم وجماعة ، وكان إماما حجة بارعا في الفقه والحديث ، وله يد طُولَى في التفسير ، ومعرفة تامة في الأصول والاطلاع على مذاهب الناس ، وله ذكاء مفرط ، ولم يكن في زمانه مثله ، وله المصنفات الدفعة ، كالأحكام ، و « شرح الهداية » وصنف أرجوزة في القراءات وكتابا في أصول الفقه .

قال الشيخ شمس الدين الذهبي : قال الشيخ تقي الدين : كان الشيخ جمال الدين بن مالك يقول : أُلِينَ للشيخ مجد الدين الفقه كما أُلين لداود الحديد ، وشيخه في الفرائض والعربية أبو البقاء ، وشيخه في القراءات عبد الواحد ، وشيخه في الفقه أبو بكر بن غنيمة صاحب ابن المنى ، وتوفي يوم عيد الفطر بحرّان ، وحكى البرهان المراغي أنه اجتمع به فأورد نكتة عليه ، فقال مجد الدين : الجواب عنها من مائة وجه : الأول كذا ، والثاني كذا ، وسَرَدَها إلى آخرها ، ثم قال البرهان : قد رضينا منك الإعادة ، فخضع له ، وانتهى ، رحمه الله تعالى !

---

(١) له ترجمة في شذرات الذهب ٥/٢٥٧ وفي النجوم الزاهرة ٧/٣٣ وذكره الذهبي في وفيات سنة ٦٥٢ وقال « توفي يوم الفطر عن اثنتين وستين سنة » وفي تاريخ ابن كثير ١٣/١٨٥

(٢٣٦)

عبد السلام بن عبد الوهاب[1] بن عبد القادر ، الجيلي ، أبو منصور ، الفقيه الحنبلي ، البغدادي .

أبو منصور عبد السلام بن عبد الوهاب الفقيه الحنبلي

قرأ الفقه على أبيه ، ودرّس بمدرسة جدّه الشيخ عبد القادر بعد وفاة والده ، ودرّس بالمدرسة الشاطية ، وولى النظر برباط الناصري مدة ، ثم ظهر له أشياء كتبها بخطه من العزائم وتسخير الكواكب ومخاطبتها ونسبة مذمومة للحق فأحضر بدار الخلافة ، وأوقف على ذلك ، فاعترف أنه إنما كتبه تعجبا منه لا معتقداً له ، فأخرجت تلك الكتب وأحرقت بعد صلاة الجمعة ، وكان يوما مشهوداً .

وتوفى سنة إحدى عشرة وستمائة .

وكان رتب بعد تلك الواقعة عميداً ببغداد مستوفيا للمكوس والضرائب ، فشرع في ظلم الناس وارتكاب ما نهى الله عنه من سفك الدماء وضرب الأبشار وأخذ الأموال بغير حق ، ولم يزل كذلك حتى عزل واعتقل بالمخزن ، ثم أطلق ، ومكث خاملا ، وعمل وكيلا للأمير أبى الحسن على بن الإمام الناصر ، ولم يزل كذلك حتى مات .

وكان دمث الأخلاق ، لطيفا ، ظريفا .

ومن شعره فى مليح لابس أحمر

قالوا ملابسه حمر فقلت لهم هدى الثياب ثياب الصّيد والقنص

يرمى بسهم لحظ طال ما أخذت أسد القلوب فتغدو بين ذى قنص

واللون فى الثوب إما من دم المهج أو انعكاس شعاع الخد فى القمص

---

(١) له ترجمة فى شذرات الذهب ٤٥/٥

(٢٣٧)

أبو محمد
عبد السلام بن
يحيى التكريتى

عبد السلام بن يحيى بن القاسم بن المفرج، أبو محمد، التكريتى، أخو أحمد ابن عبد الرحمن، وهو الأكبر

تفقه على والده، وحفظ القرآن، وقرأ الأدب، وبرع فيه، وله النظم والنثر والخطب والمكاتبات والمصنفات الأدبية.

ولد سنة سبعين وخمسمائة، وتوفى سنة خمس وسبعين وستمائة.

ومن شعره رحمه الله:

متى يفيق من الأشواق سكرانُ ... وترتوى من شراب الوصل ظمآنُ

ويرجع العيش غضا بعد ما يبست ... منه بطول الجفا والصد أغصانُ

أبكى اصطبارى صَدُوحٌ غاب واحدُه ... فكم له فى فروع الأيك ألحانُ

باتت تنوح على غصن يميل به ... ريح الصبا وكأن الغصن نشوانُ

حزينة الصوت تشجى قلب سامعها ... قريحة قلبها المفجوع حنانُ

تبكى بغير دموع والبكىُ حق ... بالدمع لى ولذاك الوجد ألوانُ

آهاً على عيشنا الماضى ولذته ... إذ غصنه باجتماع الشمل فينانُ

وقال أيضاً رحمه الله تعالى:

أمنّى فؤادى ساعة بعد ساعة ... إليكمْ ولولا ذاك كنت أطيش

فما العيش إلا عيش من نال وصلكم ... وهيهات من فارقتموه يعيش

(٢٣٨)

أمين الدين
أبو اليمن
عبد الصمد بن
عبد الوهاب
ابن عساكر

عبد الصمد[١] بن عبد الوهاب بن زين الأمناء أبى البركات الحسن بن محمد

---

(١) له ترجمة فى شذرات الذهب ٥/٣٩٥

ابن عساكر ، الإمام المحدث الزاهد ، أمين الدين ، أبو اليمن ، هو الدمشقى ، الشافعى ، نزيل الحرم .

سمع من جده ومن الشيخ الموفق ومن ابن البن وأبى القاسم بن صصرى وابن الزبيدى وابن غسان والقاضى أبى نصر بن الشيرازى ، وأجاز له المؤيد الطوسى وأبو روح الهروى وطائفة ، وحدث بالحرمين بأشياء ، وكان عالما فاضلا ، جيد المشاركة فى العلوم ، وله نظم ، وهو صاحب عبادة ، كل من يعرفه يثنى عليه .

ولد سنة أربع عشرة وستمائة ، وتوفى سنة سبع وثمانين وستمائة

وكان شيخ الحجاز فى وقته ، وله تآليف فى الحديث .

قال الشيخ علاء الدين على بن إبراهيم بن داود العطار قدس الله روحه : لما ودعت الشيخ الإمام العالم العلامة الزاهد محيي الدين النووى رحمه الله تعالى بنوى حين أردت السفر إلى الحجاز حملنى رسالة فى السلام عنه للإمام جار الله أبى اليمن عبد الصمد بن عساكر ، فلما بلغته سلامه رد عليه السلام ، وسألنى عنه أين تركته ، فقلت : ببلده نوى ، فأنشدنى لنفسه

أخيمين على نوى أشتاقكم ... شوق يجدد لى الصبابة والجوى
وأريد قربكم لأنى مرتجى ... يا سادتى قرب المقيم على نوى

وكتب إليه الشيخ العلامة شهاب الدين محمود رحمه الله تعالى قصيدة وأرسلها له إلى مكة رحمهما الله تعالى ، وهى :

أترى يرجع عهد العلم ... وزمان الوصل فى ذى سلم
وعهودى بالحمى روّى الحمى ... مدمعُ المشتاق قبل الدِّيَم (١)

(١) الديم : جمع ديمة — بكسر الدال — وهى المطر الدائم

زمن هَيَّجَ أشواقى به ... وعهودى فيه طولُ القلم
كلما أملت تجديدا به ... عَقَّلَ الحظُّ مطايا هممى[1]
وحقيق أنا بالسعى ولو ... ساب طرقى فى الشُّرَى عن قدمى
طالما قد مر لى عيش به ... كان أحلى من دوام النعم
فى حمى من لم مَنْ حَلَّهُ ... راجيا أو لاجيا لم يُضَمِ[2]
عشت فى البعد ولولا أملى ... أن أراه فى الكرى لم أنم
ورغبى بعد طيب الوصل أن ... صرت أرجو زورة فى الحلم
صرت أبكى جيم الوادى وقد ... عشت دهرا بين تلك الخيم
فحنينى دائم مذ فارقتها ... وحنينى بعدها لم يدم
جيرة الوادى وحُبّى لكم ... فهو عندى من أَبَر القسم
وليال عنى كانت لنا ... بسناكم مشرقات الظلم
والتزام العهد فيما بيننا ... بين ذاك الركن والملتزم
وأحاديث رِضاً كانت إذا ... مرض القلب شفاء السقم
ما ذكرت العهد إلا سفحت ... نار شوقى عوضَ الدمع دمى
إن قلبى صار فى الركب الذى ... بالشُّرَى قدامكم من أَمَم[3]
عارض الشوق شىء لم يطق ... حل شىء منه حمر النعم
سار فى ذمة إحسانكم ... مستجيرا يا أقيالَ الذمم
ندمى إذ بعت أيام الحمى ... أترى يرجع بيعى ندمى
فهنيئا لكم إحرامكم ... كلما شئتم بذاك الحرم

---

(١) عقلها — من باب ضرب — حبسها وضمها
(٢) لاجئا : مستجيرا عائذا ، وتسهل همزته فتصير ياء
(٣) من أمم — بالتحريك — من قريب

وحواراً أنتم الآن به | شرفا أهل الصفا والظلم
ليتكم أن تذكروا مَنْ خصَّكم | دونه السعد بأوفى القسم
أو تنادوا قلبه المصمى عسى | أن يلبي بعد طول الصمم
وإذا لم يَكُ أهلاً عسى | عطفكم يجعله في الخدم
واشركوه معكم جوداً ، ومن | هو أولى منكمُ بالكرم

(٢٣٩)

عبد الصمد بن المعذل[1] بن غيلان بن الحكم بن البختري[2] بن المختار

عبد الصمد ابن المعذل الشاعر

كان شاعراً فصيحاً من شعراء الدولة العباسية ، بصري المولد والمنشأ ، وكان هجاء ، خبيث اللسان ، شديد العارضة ، لا يسلم منه من مدحه من الهجو فضلا عن غيره .

توفي في حدود الأربعين ومائتين ، وله ذكر في ترجمة أخيه أحمد ، وهما على طرفي نقيض .

ومن شعره :

استبق قلبك لايموت صبابة | حذرًا لبَيْنٍ أنت له يتوقع
إن حال بينهمُ وبينك بائن | فبأي قلب بعد ذلك تجزع

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

إنّ العيون إذ أمكنّ من رجل | يفعلنَ بالقلب مالا يفعل الأسَلُ
وليس بالبطلِ الماشي الى بطل | في الحرب يحمد أحياناً ويشتمل
لكنه مَنْ له قلب إذا رشقت | فيه العيون فذاك الفارس البطل

---

(١) له ترجمة في الأغاني ١٢/٥٧ — ٧٢ بولاق وانظر مهذب الأغاني ٨/٧٣

(٢) في ب ، ث « البحيري » وأثبتنا ما في الأغاني

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

رحت محاسنه فجلّ بها | عن أن يقوم بوصفها لَفْظ
نطق الجمال بعذر عاشقه | للعاذلات فأخرس الوعظ
ما للقلوب إذا التبسن به | منه سوى حسراتها حظ
ما ضرّ من رقّت محاسنه | لو كان رقّ فؤاده الفَظُّ

(٢٤٠)

أبو طاهر عبدالعزيز بن حامد الشاعر (سيدوك)

عبدالعزيز بن حامد بن الخضر ، أبو طاهر ، الشاعر .
من أهل واسط ، كان يعرف بسيدوك ، روى عنه شعره أبو القاسم بن كردان ، وأبو الجوائز ، وهما واسطيان .
توفى سنة ثلاث وستين وثلثمائة

ومن شعره رحمه الله تعالى :

تاركنى فى الهوى حديثا | بكثرة الدمع بين صحبى
هبك تجنيت لاجتناب | طيفك يجفو لأى ذنب ؟
حدّى حياتى بلا مِكاس | يا نور عينى ونار قلبى

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

شربنا فى شعانين النصارى | على ورد كأردية العروس
تغنينا بنات الروم فيه | بألحان الرهابين والقسوس
فى ليل نعمنا فى دجاه | بحاجات تردّد فى النفوس
رياضك والمدامة والتدانى | شموس فى شموس فى شموس

(١) ذكره الثعالبى فى يتيمة الدهر ٢ / ٣٧١ تحقيقنا ، واختار من شعره عدة مقطعات

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

إن داء الهداة أبرح داء ... وطبيبي سريرة ما تبوح
تحسوني إذا تكلمت حيا ... ربما طار طائر مذبوح[1]

وله البيتان المشهوران اللذان لم يعمل مثلهما في طول الليل وقصره ، وهي :

عهدي بنا ورداء الوصل يجمعنا ... والليل أطوله كاللمح بالبصر
والآن ليلي مذ غابوا فديتهم ... ليل الضرير فصبحي غير منتظر

(٢٤١)

أبو المعالي عبد العزيز بن الحسين بن الحباب الأغلبي الصقلي

عبد العزيز بن الحسين بن الحَبّاب[2] ، الأغلبي ، السعدي ، الصقلي ، المعروف بالقاضي الجليس .

مات سنة إحدى وستين وخمسمائة ، وقد أناف[3] على السبعين

وتولى ديوان الإنشاء بمصر مع الموفق بن الخلال .

ومن شعره رحمه الله :

ومن عجبٍ أن الصوارم والقنا ... تحيض بأيدي القوم وهي ذكور
وأعجب من ذا أنها في أكفهم ... تأجّجُ ناراً والأكفّ بحور

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

حيّا بتفاحة مخضبة ... من شفّه حبه وتيمني[4]
فقلت: ما إن رأيت مشبهها ... فاحمرّ من خجلة فكذبني

(١) هكذا «تحسوني» بحذف نون الرفع ، وله نظائر في العربية . ولعل أصلها «تحسبوني»

(٢) له ترجمة في تاريخ ابن كثير ١٢/٢٥١ وقال « عبد العزيز بن الحسن بن الحباب » ثم قال « المعروف بابن الجليس لأنه كان يجالس صاحب مصر » وفي هذه العبارة تحريف ظاهر ، وله ترجمة في النجوم الزاهرة ٥/٣٧١ وذكر اسم أبيه وشهرته على الصواب كما هنا

(٣) أناف : زاد

(٤) تيمني : استعبدني واستذلني

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

وأصل تأيني من قد غزاني | من السقم الملحّ بعسكرين
طبيب طبه كغراب بين | يفرّق بين عاتقي وبيني
أتى الحمّى وقد شاخت وباخت | فعاد لها الشباب بسحتين
ودبّرها بتـــدبير لطيف | حكاه عن سنين أو حنين(١)
وكانت نوبــة في كل يوم | فصيرها بحـــذق نوبتين

وقال أيضاً رحمه الله تعالى

يا وارثاً عن أب وجد | فضيلة الطب والسداد
ومن به تفخر المعالي | هممت عن الجسم بالمعاد
أقسم لو قد طببت دهراً | لعاد كونا بلا فساد

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

قد أهملت كل الأمور بنا | تمضي بمصلحة ولا تمضي
صد عن مخرص مخطـــا | إلا فساد أمورنا معنى
تأتي ويكشف دا ويكشط دا | فتعود بعـــدهما كما كنا

وله أيضاً رحمه الله تعالى

رب بيض سلّت باللحظ بيضاً | مرهفات جفونهن جفون(٢)
وخدود للدمع فيهـا خدود | وعيون قد فاض فيها عيون(٣)

وقال أيضاً :

حبذا متعة الشباب التي يُعـــذرُ في حبه خليع العذار

---

(١) حنين ابن اسحاق معروف ، وأما سنين فلا أدري أأراد تصغير سنان ابن ثابت أم أصاب هذه الكلمة التحريف

(٢) بيض الأول جمع بيضاء ، وهي الحسناء من النساء ، وبيض الثاني : جمع أبيض وهو السيف ، ومرهفات : محددات

(٣) خدود الثاني : أي شقوق ، وأراد مجاري الدمع

إذ بذات الخمار أمتع ليلى ‏ ‏ ‏ ‏ وبذات الخمار ألهو نهاري[1]

والغواني لا عن وصلي غوان ‏ ‏ ‏ ‏ والجواري إلى هوى جواري

وكان القاضي الحلبي بن الحباب كبير الأنف، وكان خطيب أبو القاسم هبة الله بن البدر المعروف بابن الصياد مولعاً بذمه وهجائه، وذكر أنه في أكثر من ألف مقطوع، فانتصر له أبو الفتح بن قادوس الشاعر، فقال:

يا من يعيب أنوفنا الشـ ‏ ‏ ‏ ‏ ـم التي ليست تعابُ

الأنف خلقة ربنا ‏ ‏ ‏ ‏ وقرونك الشم اكتسابُ

وقال الحلبي يرثي والده، وقد غرق في البحر بريح عصفت:

وكنت أهدي مع الريح السلام له ‏ ‏ ‏ ‏ فما هبت الريح في صبح وإمساء

وقال أيضاً رحمه الله تعالى:

أتت بنا والليل يزهى بلمة ‏ ‏ ‏ ‏ دَجُوجية لم يكتهل بعدُ فَوْدَاها

فأشرق ضوء الصبح وهو جبينها ‏ ‏ ‏ ‏ وفاحت أزاهير الربا وهي رياها

إذا ما اجتنت من وجهها العين روضة ‏ ‏ ‏ ‏ أسالت خلال الروض بالدمع أمواها

وإني لأستسقي السحاب لربعها ‏ ‏ ‏ ‏ وإن لم تكن إلا ضلوعيَ مأواها

إذا استعرت نار الأسى بين أضلعي ‏ ‏ ‏ ‏ نضحتُ على حر الجوى برد ذكراها

وما ليَ أن يظلني الفؤاد بحرها ‏ ‏ ‏ ‏ ويضرم لولا أنَّ في القلب سكناها

(٢٤٢)

صفي الدين عبد العزيز بن سرايا بن علي بن أبي القاسم الحلي

عبد العزيز بن سرايا بن علي بن أبي القاسم بن أحمد بن نصر بن أبي العز ابن سرايا[2].

---

(١) ذات الخمار — بكسر الخاء — الخمر من النساء، وذات الخمار — بضم الخاء — الخمر.

(٢) له ذكر في تاريخ مصر لابن إياس في حوادث سنة ٧٤١ (١/١٧٣) وقد ترجمه ترجمة موجزة في (١/٢١٠) في أواخر أخبار الملك الناصر حسن بن الملك الناصر محمد بن قلاوون.

هو الإمام العلامة، البليغ، القدوة، الناظم، الناثر، شاعر عصره على الإطلاق، صفي الدين الطائي، السنبسي، الحلي، شاعر أصبح راجح الحلي دونه ناقصاً(1)، وكان سابقاً قصد على كعبه ما كصا، أجاد القصائد المطولة والمقاطيع، وأتى بما أخجل زهر النجوم في السما، كأنه أرى زهر الأرض في الربيع، تطربك ألفاظه المصقولة، ومعانيه المعسولة، ومقاصده التي كأنها سهام راشقة وسيوف مسلولة، مولده يوم الجمعة خامس شهر ربيع الآخر سنة سبع وسبعين وستمائة، دخل إلى مصر في سنة ست وعشرين وسبعمائة، واجتمع بالقاضي علاء الدين بن الأثير كاتب السر ومدحه.

ومدح السلطان الملك الناصر بقصيدة وازى بها قصيدة المتنبي، التي أولها:

• بأبي الشموس الجانحات غواربا •

وهي:

أسبلن من فوق النهود ذوائبا	فتركن حبات القلوب ذوائبا(2)
وجلون من صبح الوجوه أشعة	غادرن فَوْدَ الليل منها شائبا
بيض دعاهن الغبي كواعبا	ولو استبان الرشد قال كواكبا
سفّهن رأي مانوية عندما	أسبلن من ظلم الشعور غياهبا(3)
وسفرن لي فرأيت شخصاً حاضراً	شهدت بصيرته وقلباً غائبا
أشرقن في حلل كأن أديمها	شفق تدرّعه الشموس جلاببا
وعرضن لي كحلل فقلت لصاحبي	(بأبي الشموس الجانحات غواربا)
ومعربد اللحظات يثني عطفه	فيُخال من مرح الشبيبة شاربا

---

(1) تقدمت ترجمة راجح الحلي (الترجمة رقم ١٢٥) وأثبت هناك أنه أسبق من صفي الدين الحلي هذا

(2) ذوائب الأول: جمع ذؤابة، وهو شعر الناصية. وذوائب الثاني: جمع ذائبة، وهي اسم الفاعل من «ذاب يذوب».

(3) المانوية: نسبة إلى ماني، وهو الذي يرى أن الليل إله الشر، وأصل هذا من قول أبي الطيب المتنبي:

وكم لظلام الليل عندي من يد ... تخبر أن المانوية تكذب

حلو التعتب والدلال يروعه عتبى، ولست أراه إلا عاتبا

عاتبته فتصرّحت وجناته وازورّ ألحظ وقطّب حاجب

فأرانيَ نحوَ الكحيل فطرفه ذو النون إذ ذهب الغداة مغاضبا(1)

ذو منظر تغدو القلوب بحسنه نهبًا وبين منح العيون مواهبا

لا غرو أن وهب اللواحظ حظوة من نوره وغدا لقلبي ناهبا

فمواهب السلطان قد كست الورى نعما وتدعوه القساورُ سالبا

الناصر الملك الذي خضعت له صِيدُ الملوك مشارقا ومغاربا

ملك يرى تعب المكارم راحة ويعدُّ راحاتِ الفراغ متاعبا

لم تخل أرض من ثناه وإن خلت من ذكره ملئت قنًا وقواضبا

بمكارم تذرُ السباسب أبحرا وعزائم تذر البحار سباسبا

ترجى مواهبه ويرهب بطشه مثل الزمان مسالما ومحاربا

فإذا سطا ملأ القلوب مهابة وإذا سخا ملأ العيون مواهبا

كالغيث يبعث من عطاه وابلا سبطًا ويرسل من سطاه حاصبا

كالليث يحمي غابه بزئيره طورًا ويُنشِبُ في الفريسِ مخالبا

كالسيف يبدي للنواظر منظرًا طلقا ويمضي في الهياج مضاربا

كالسيل يحمد منه عذبًا واصلا ويعده قوم عذابًا واصبا

كالبحر يهدي للنفوس نفائسا منه ويبدي للعيون عجائبا

فإذا نظرت ندى يديه ورأيه لم تلق إلا صيّبًا أو صائبا

أبقى قلاوون الفخار لولده إرثًا وفازوا بالثناء مكاسبا

قوم إذا شهروا الصوارم صيّروا للمجد أخطار الأمور مراكبا

(1) النون: أراد به حاجبه، شبهه في تقوسه بالنون التي هي أحد حروف الهجاء، وذو النون: تورية بيونس بن متى، ولهذا قال «إذ ذهب الغداة مغاضبا» أخذ هذا من قول الله تعالى (وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه)

عشقوا الحروب تيمنا بلقا العدا　　فكأنهم حسبوا العداة حبائبا
وكأنما ظنوا السيوف سوالفا　　واللُّدْنَ قدًّا والقِسِيّ حواجبا(١)
يا أيها الملك العزيز ومَنْ له　　شرف يجر على النجوم ذوائبا
أصلحت بين المسلمين بهمة　　تذر الأجانب بالوداد أقاربا
ووهبتهم زمن الأمان فمَنْ رأى　　ملكا يكون له الزمان مواهبا
ذقت نقسم للوحوش قطائعا　　فيها وتصبح للنسور مآدبا
وحملت هاماتِ الكُماة منابرا　　وأقمت حدّ السيف فيها خاطبا
وبذلت للمُدّاح صفو خلائق　　لو أنها للبحر طاب مشاربا
فرأوك في حسب النضار مُفرطا　　وعلى صلاتك والصلاة مواظبا
أوليتني فيك المدائح غاية　　وملأت عيني هيبة ومواهبا
ورفعت قدري في الأنام وقد رأوا　　مثلي لمثلك خاطبا ومخاطبا
في مجلس ساوى الخلائق في الندى　　وترتبت فيه الملوك مراتبا
وأبيته في الفلك أسمى جالسا　　رغماً على من ظل أمسى راكبا
وسقتنيَ الدنيا غداة وردته　　ريًّا وما مطرت عليّ سحائبا
فطفقت أملأ من ثناك وشكره　　حقبا وأملأ من نداك حقائبا
أنى فتنسى صنائعك مظهرا　　حيا وكم أحييت صنعتك خاطبا
لو أنّ أعضائي جميعاً ألسن　　تثني عليك لما قضينا الواجبا

وأنشده الصاحب شمس الدين بن السدى أبيات سليم هوى السلى مضمرة ألفاظها التي أولها :

* رُبَيق بالأبيرق في المحيّر *

---

(١) السوالف : جمع سالفة ، وهي شعر العذار ، واللدن : الرمح ، والقد القامة ، وتشبه قامات الملاح بالرماح ، والقسي : جمع قوس ، وهو من آلات الحرب وتشبه به حواجب الحسان

وذكر أن ناظماً نظم غزلاً(١) لصاحب الديوان علاء الدين الجوينى ، ولم يمكنه نظم بيت واحد مديحاً ؛ إذ شأن المدح التعظيم ، فنظم رحمه الله تعالى :

نُقَيط من مُسَيك فى وُرَيد   حُوَيْلٌ أو وُشَيم فى خُدَيد(٢)

ودياك اللُوَيمع فى الصُّحَيّ   وُجَيهك أم قُمَير فى سُعَيد

وحيهُ شُوَيدنٍ فيه شُكَيل   أدق مبيت من حويد

طُلَىّ من ظُبَىّ فى قُنَىّ   مريهب السطيوة كالأسيد

مويشيق الحريكة وحُيَىّ   مبيشق السواف والقُديد

مويسيل المُحَىّ له ثُغَير   وريقته خُمَير فى شُهيد

ظُبَىّ فى مقيلته نُبَيل   موبقة أُبيلاد الكُبيد

شويبئ الهبيط فيه أحيلى   عذيب قويله لى بسويدى

تريكيّ الهبيط له خُسَيم   رف لمسه أبى الزبيد

مُذَيبذِبٌ الهُديد له نُصير   بحداثه كُفَيل كالطُويد

فويق خُدَيمه لوفيرتيه   لُبَيلٌ من مويجمه حُميد

رويدك يا سُوَىّ على قُلَيب   سليب للمحيدة والحُييد

بيلى من هُجَيرك فى نُهَير   أطيول من مطيلك بالوعيد

ولست حويدا لصريف دهر   رويب حديثه يصمى حسيدى

صريف الدهر يعجز عن عبيد   سبيد ظهيره نحن السيدى

زالت جويزته فقضى حقيق   وصار حوشى ورعى مهيدى

وراش خُنيجى وحمى ظُهَيرى   وراد حُرَيكتى ونمى عبيدى

(١) فى ب ، ث « عدلا » تحريف

(٢) نقيط : تصغير نقط ، ومسيك : تصغير مسك ، ووريد : تصغير ورد ، وحويل : تصغير خال ، ووسيم : تصغير وسم ، وخديد : تصغير خد ، وأراد أن يقول : خالك — وهو النقطة السوداء فى الوجه المليح — نقطة من مسك فى ورد ؟ أم هو وشم — والوشم معروف — فى خدك ؟ وهكذا . والواقع أن هذا النظم متكلف معسول

وحنّ على كثير فى قلبى كما حنّ الأبىّ على الوليد
وبقلة مقتبلة والدية كأنهم طفيل فى مهيد
نظرت حويسديه وهم بوس سيظرم حسيك بالمبيدى
دوبك يا أهيل الحود منى عطيا فى وصيفك كاسقيد
أحيبس من قصيّد من قبلى واسبق من نطيهم من بعيدى
أريشق من عريبهم مدبحى وأحلى من هريبهم خديدى
حسيب مكينتى وعلى قدرى ووسع طويقتى وقوى خقيدى

وقال أيضا رحمه الله تعالى

أقد سكرت عطفاه من خمر ريقه فمالت به أم من كؤوس رحيقه(١)
مليح يغار الغصن عند اهتزازه ويخجل بدر التم عند شروقه
فما فيه شىء ناقص غير خصره ولا فيه شىء بارد غير ريقه
ولا ما يسوء النفس غير نفاره ولا ما يروع القلب غير عقوقه
عجبت له يبدى القساوة عند ما يقابلنى من خده ببريقه
ويلطف بى من بعد إعمال لحظه وكيف يرد السهم بعد مروقه(٢)
يقولون لى والبدر فى الأفق مشرق بدا أنت صب ؟ قلت . بل شقيقه
فلا تذكروا قتلى بدقة خصره فإن جليل الخطب دون دقيقه
وليلة عاطانى المدام ووجهه يرينا صبوح الشرب حال غبوقه
بكأس حكاها ثغره فى ابتسامه كما صحه من دره وعقيقه(٣)
لقد نلت إذ نادمته من حديثه من السكر ما لا نلته من عتيقه

---

(١) الريق : ماء الفم ، والرحيق : الخمر
(٢) مرق السهم : خرج من الرمية
(٣) فى ب « كما صحه من ورده »

لم أدر من أى الثلاثة سكرتى | أمن لحظه أم لفظه أم رحيقه
لقد بعته قلبى بجلوة ساعة | فأصبح حقا ثابتا من حقوقه
وأصبحت ندماناً على خُسْرِ صفقتى | كذا من يبيع الشىء فى غير سوقه

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

عيرى بحبل سواكم متمسك | وأنا الذى بتر بسكم أعسك
أضَعُ الخدود على ممرّ نعالكم | فكأننى بترابهـا أتبرك
ولقد بذلت النفس إلا أننى | حاذرتكم وبذلت ما لا أملك
شرطى بأن حُشَاشتى رِقٌ لكم | والشرط فى كل المذاهب أملك[1]
قد ذقت حبكم فأصبح مُهلِكى | ومن الطعام ما يذاق فيهلك
لا تعجلوا قبل اللقاء بقتلتى | وصِلوُا فذلك فائت يستدرك
ولقد بكيت لدهشتى بقدومكم | وضحكت قبل وهجركم لى مهلك
ولرعا أنى أبكى السرور بدا أنى | وربما وفى بعض الشدائد يضحك
زعم الوشاة بأن هويت سواكم | يا قوتل الواشى فأنى يؤفك
عار علىّ بأن أكون مشرعا | دين الهوى ويقال إنى مشرك

وقال أيضا رحمه الله تعالى

جل الذى أطلع شمس الضحى | مشرقة فى جنح ليل بهيم
وقدّر الخال على خده | (ذلك تقدير العزيز العليم)[2]
نذرٌ لنا وجهه جنة | ممثلنا منها عذاب أليم
يفتر كالريم ، ألا فانظروا | إلى بخيل وهو عندى كريم

---

(١) هذا من قولهم « الشرط أملك » وأصله فى الشريعة من قوله عليه الصلاة والسلام ـ ويقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ! ـ « كل شرط جائز إلا شرطا أحل حراما أو حرم حلالا »

(٢) أخذ عجز هذا البيت من قوله تعالى : (والشمس تجرى لمستقر لها ، ذلك تقدير العزيز العليم)

لما انحنى حاجبه وانثنى   يَهُزُّ للعشاق قدا قويم[1]
هِمتُ من فرط ضلالي وقد   بدا لىَ المعوجُّ كالمستقيم
دَاوِ حبيبى ياطبيبَ الهوى   وحبى إلى مخلى عليم
مختصره واهٍ ، وأجفانه   مريضة ، واللحظ منه سقيم

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

رعى الله من لم يرع لى حق صحبة   وسَلّمَ من لم يَسْخُ لى بسلامه[2]
وفى ذمة الرحمن من ذم صحبتى   ولم أك يوما ناقضا لذمامه
وإنى على صبرى على فرط هجره   وقرب مسابه وبعد مرامه
يحاول طرفى لقطة من خياله   ويشتاق سمعى لفظة من كلامه
ويوم وقفنا للوداع وقد بدا   بوجه يحاكى البدر عند تمامه
شكوت لدى ألقى مطل مفضلا   بُكَاىَ وشكوى حالتى بابتسامه
بدمع يحاكى لفظه فى انتثاره   وعتب يحاكى ثغره فى انتظامه
فحرق من شكواى غير حدوده   ولا لان من نجواى غير قوامه

وقال فى غلام كمله صغيرا ورباه لحسد عليه .

هويته تحت أطمار مشعثة   وطالبُ الدر لا يعتز بالصَّدَفِ
وخبرتنى معانٍ من مراسمه   به كما خبر العنوان بالصحف
ولاح لى من أمارات الجمال به   ما كان عن لحظ غيرى بالخمول خفى
فظلت أرعى ماسدبه من درن   به وأنفض ما يحميه من جنف
حتى إذا تم معنى حسنه وبدا   كالبدر فى التم أوكا شمس فى الشرف

---

(١) وقف على قوله « قوما قويم » على لغة قليلة الاستعمال ولغة جمهور العرب الوقف على الاسم المنصوب المنون بالألف

(٢) سعا يسحو : جاد ، وفى ب « وسلم لى من لم يسح بسلامة » تحريف

وراح كالصارم المصقول أخلصه تثبّتُ القين من شين ومن كلف(١)
وجال فى وجهه ماء الحياء كما يجول ماء الحيا فى الروضة الأنف(٢)
وولّد الحسن فى أحداقه حوَرا وضاعف لذلّ ما بالجسم من ترف
أضحت به حدقُ الحساد محدقة ترنو إليه بطرف غير منطرف
وظل كل صديق يرتضى سَخَطى فيـــه وكل شفيق رحمى تلفى
يا للرجال أما للحب منتصر لضعف كلّ محب غير منتصف
ما أطيب العشق لولا أن سالكه يمسى لأسهم كيد الناس كالهدف

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

يا ربّ أعطِ العاشقين بصبرهم فى الخلد غايات النعيم المطلق
وأذقهمُ برد السرور فطالما صبروا على حر الغرام المحرق
حتى يرى الحساد عن حل الهوى غايات عزمهم التى لم تلحق

وقال أيضاً :

حرّضونى على السلو وعابوا لك وجها به يعاب البدر
حاش لله ما لعذرى وجه فى التسلّى وما لوجهك عذر

وقال أيضاً :

قلوبنا مُودَعة عندكم أمانة يعجز عن حملها
إن لم تصونوها بإحسانكم ردوا الأمانات إلى أهلها

وقال أيضاً :

أقول للدار إذ مررتُ بها وعبرتى فى عراصها تَكِفُ
ما بال وعد السحب أخلف منـــك فقالت ودمعك الخلفُ

---

(١) أخلصه . جلاه ونقاه من كل ما يشينه ، والقين : الحداد ، وهو صانع السيوف
(٢) جال . تحرك ، وأراد سار ، وماء الحيا : المطر ، والروضة الأنف — بضم الهمزة والنون جميعا — التى لم يرعها أحد

وقال أيضا :

يا من حكت شمس النهار بحسنها ‏ ‏ ‏ ‏ وبعـــاد منزلها وبهجة نورها

هلا عدلت كدلها إذ صيرت ‏ ‏ ‏ ‏ للناس غيبتهـا بقدر حضورها

وقال أيضا :

قيل إن العقيق يبطل للسحـــر بتحتيمه لسحر حقيقى

وأرى مقلتيك تنفث سحرا ‏ ‏ ‏ ‏ وعلى فيك خاتم من عقيق

وقال أيضا :

الوجه منك عن الصواب يضلنى ‏ ‏ ‏ ‏ فإذا ضللت فإنه يهـــــدينى

وتميتنى الألحاظ منك بنظرة ‏ ‏ ‏ ‏ وإذا أردت بنظـــرة تحيينى

وكذاك من مرض الجفون يدبنى ‏ ‏ ‏ ‏ وإذا مرضت فإنهـا تشفينى

فلذاك أشرى الوصل منك بمهجتى ‏ ‏ ‏ ‏ وأبيع دنيـــاى بذاك ودينى

وقال أيضا :

ما يقول الفقيه فى عبد رق ‏ ‏ ‏ ‏ لحبيب لم يرض منه بعتق

زاره فى الصيام يوما وأولا ‏ ‏ ‏ ‏ ه حيلامن بعد بعد وسحق

فإذا ضم قده وعصى الشهـــوة فيه من غير نية فسق

هل عليه ولثمه فيه جناح ‏ ‏ ‏ ‏ إن غدا مصمرا محبة صدق

وقال أيضا

شكوت إلى الحبيب أنين قلبى ‏ ‏ ‏ ‏ إذا جن الظلام فقـال إنا(١)

فقلت له أظنك غير راض ‏ ‏ ‏ ‏ بما كابدت فيك فقال إنا(٢)

---

(١) إنا ، هنا : فعل أمر من الأنين ، وهو الحنين والشكاية ، وألفه للاطلاق

(٢) أنا ، هنا : بفتح الهمزة ، اسم استفهام معناه كيف ، والمراد : كيف لا أرضى ؟ وكان من حقه أن يكتب هنا بالياء ، لكنه بالألف إتماما لصنعة التجنيس ، أو هى بكسر الهمزة بمعنى نعم

فقلت أترتضى أن ناء قلبي　　بأثقال الغرام فقال أنا[1]

فقلت فإنكم لولاة أمر　　على أهل الغرام فقال إنا[2]

وقال أيضا :

قلبي لكم بشروعه وشروطه　　وسروره ملك لكم وحقوقه

حر تحيط به حدود أربع　　فيها تبين رخصه ومضيقه

الود أولها ، وثانيها الوفا ،　　والثالث العهد الصحيح وثيقه

والرابع المملوك صدقٌ محقق　　لكم ، وفيه بابه وطريقه

وقال أيضا :

حسدتُ الشعر منه وقد تدلّى　　على كفلٍ له كالطود عبْلِ

وقلت له أيا من طاب عيشا　　بما استوجبت ذلك منه قبلي

وأنت شبيه حظّي منه لونا　　ولست على الحقيقة رب فضل

فقال يقول فأنا منه نصيبي　　وتزعم أن حظك منه مثلي

وقال أيضا :

للمشترك مالي تركْ　　ما دينُ حق غيركْ

أخلصت دين هوام　　تحبهم لي مسلك

خاطرت بالنفس فيهم　　وسلك العيش ضنْكُ

فعشت بالود منهم　　إن القناعة ملك

وفي أغنّ عزيز　　ملاءى فيه فتك

لحظيه وعينيه المحبين فتَكُ

---

(١) أنا ، هنا : بفتح الهمزة من كلمتين الأولى «أن» المصدرية ، والثانية «ناء» بمعنى ثقل عليه ، وقد أدغم النونين وحذف همزة «ناء» وكتبت الكلمتان متصلتين إنما لشبه التجنيس أو بكسر الهمزة ، فعل ماض بمعنى حمل

(٢) إنا ، هنا ، حرف مؤكد ينصب الاسم ويرفع الخبر ، أو حرف جواب بمعنى نعم ؛ وعلى الأول قد حذف معموليه أو أحدهما للعلم بهما ، وكأنه قال : إنا لولاة أمر — الخ

حواجب وعيون — لهـا غنى شـك
كالقوس تُضنى وهدى — تشكى الحب ونشكو

وقال أيضا

ودى رَح عارضته فى طريقه — فمارآنى قال لى امض لِئة سكا
فقلت له قل سعيد مشر — بتصحيفه أنى أمضٍ لسانكا

وقال أيضا :

بن عنت عن عيانى — ياغاية الأمانى
فالفكر فى ضميرى — والذكر فى لسانى
ما خالَ عنك عهدى — ولا أنثنى عِنانى
شـوقى إليك دقٍ — والصبر عنك فانى

وقال أيضا :

حبيبى من فترة السوالف — واشتاقى بنشقة العلف
أبدلانى من نفحة لمسك والند — ريح الكيمخت والزعفران
ذاك عطرى مازال يعبق فى رُدْ — دَىَّ من موزة ومن قطان[1]
ليس يصبو لرنة القُلْب قلبى — بل لرب الأقراط حسن جنانى[2]
أحب من ملابة خرق سمعى — وأملأ سمعى بذكر فلان
وتركنا القينة التى قبل عنها — إنها من حبائل الشيطان
أين منى دنت لِجِمَـاع نحمًا — م وفى موكب وفى بستان
فهذا لا نصى العيش إلا — مع حبيب تراه حيث تراني

---

(١) هكذا ، ولعله محرف عن « موزج » والموزج : الخف ، وهو معرب « موزه » بالهاء

(٢) القلب — بضم القاف وسكون اللام — السوار غير الملوى ، وقيل : هو ما كان مفتولا من طاق واحد ، وهو من لباس النساء ، والجنان — بفتح الجيم — القلب

إن رآه ذوو البصائر قالوا غيرُ مستحسن وصالُ الغوانى
فلو أنى فرشت فى جنة الخلد وصرفت فى نعيم الجنان
لم أكن مائلا إلى طيب وصل الحور إلا مع عزة الولدان

وقال أيضا :

بأبى قدار ملك وابن زرارة أذنبتَ حتفك للمستهام العانى
فلو أنّ إثم أبى مُعاذٍ قبله ما كان فى البلوى ابن حسانِ

وقال أيضا :

بعثت بأسباب الجمال فأصبحت بحسنك أبصار الورى وبصائر
وأبديت حسنا فالمحاط عقبا فلا خاطر إلا وفيك يُخاطر
ولما بدت زهر النجوم وتهت الخواطر وامتدت إليك النواظر
ختمتَ على در الثنايا بخاتم عقيق وتحت الختم تخفى الجواهر

وقال أيضا :

إلى مُحيّاك ضوء البدر يعتذر وفى محبتك العشاق قد عُذروا
وجنة الخلد فى خدّيك مونقة ونار حبك لا تُبقِى ولا تذر
يا من يهز دلالا غصنَ قامته الغصن هذا فأين الظل والثمر
ما كنت أحسب أن الوصل ممتنع وأن وعدك بَرقٌ ماله مطر
خاطرت فيك بمالى النفس أبذلها إن الخطير عليه يسهل الخطر
لما رأيت ظلام الشعر منك بدا خضتُ الظلام ولكن عرى القمر

وقال من الموشح المصمت ، وهو من مخترعاته التى لم يُسبق إليها ، والأبيات المنظمة منحولة إلى أبى نواس :

وحقّ الهوى ما خنتُ يوما عن الهوى ولكنّ نجمى فى المحبة قد هوى[1]
ومن كنت أرجو وصله فتلقى نوى وأضنى فؤادى بالقطيعة والنوى[2]

---

(١) خانت : تحول ، والهوى فى صدر البيت : العشق ، وهوى فى عجز البيت : أى سقط
(٢) نوى فى صدر البيت : فعل ماض بمعنى قصد ، والنوى فى عجز البيت : البعد والفراق

ليس فى الهوى عجب — إذ أصابنى النَّصَبُ[1]
حامِلُ الهوى تَعِبُ — يستفزه الطرب

أخو الحب لا ينفك صبا متيما — غريق دموع قلبهُ يشتكى الظمَا
لفرط البكى قد صار جلداً وأعظما — فلا عجب أن يمزج الدمع بالدما

المرام أحاله — إذ أصاب مقتله
إن بكى يحق له — ليس ما به لعب

ألا قل لذات الخال يا ربة الذكا — ومَنْ نصبه الوجه دامت على ذُكَا
شكوت غرامى ورثيت لمن شكى — وأطلقت دمعى لو شفى الدمع من بكى

فانثنت ساهية — والقلوب واهية
تضحكين لاهيةً — والمحب ينتحب

أسرت فؤادى حين أطلقت عبرتى — وبدلتنى من مقلتى بمقلتى
ولما رأيت السقم أعلى مهجتى — تعجبت من سقمى وأنكرت قتلتى

صرتِ إذ بدا ألمى — عند ما أرقتِ دمى
تعجبين من سقمى — صحتى هى العجب

تعجبت من حينى فأيقنت بالشقا — وآيسنى فرط الحجاب من البقا[2]
فلما أميط الستر وارتحت للقا — غضبت بلا ذنب وغادرتنى لقى[3]

حين تُزمعُ الحجب — منك بصدر الغضب
كلما انقضى سبب — منك عادنى سبب

وقال فى الزنبق والورد :

قد نشر الزنبق أعلامه — وقال : كلُّ الزهر فى خدمتى

---

(١) النصب : مثل التعب ، وزنا ومعنى

(٢) فى ب ، ت ، و آيسنى فرط الحجاب ، تحريف ما أثبتناه

(٣) أميط : نحى وأبعد ، ولقى : مطرحا ملقى

لو لم أكن في الحسن سلطانه   ما رفعت من دونه رايتي

فقهقه الورد به ناعيا   وقال : ما تحذر من سطوتي ؟

وقال للسوسن [illegible] الذي   [illegible] الأشيب في حضرتي ؟

فامتعض الزنبق من قوله   وقال للأزهار [illegible]

يكون هذا الجيش لي عدة   ويضحك الورد على شيبتي ؟

وقال أيضا ، وفيها ست تشبيهات لف ونشر

حياني [illegible] فصل ورودي   [illegible] في روض عين لورود

كم بها من بديع زهر أنيق   لفصول منظومة وعقود

زنبق بين قضب [illegible]   وأقاح وعنبر وورود

كجبين وعارض وقوام   وثغور وأعين وخدود

وقال أيضا :

ولم أنس إذ زار الحبيب بروضة   وقد غفلت عنا وشـــاة ولوام

وقد فرش الورد الخدود ونشرت   لمقدمه فالسوسن الغض أعـــلام

أقول وطرف النرجس الغض شاخص   إليها وللنمام حـــولي إلمام(١)

أيا رب حتى في الحدائق أعين   علينا ؟ وحتى في الرياحين نمام ؟(٢)

وقال في مديح راقص

جاء وفي قده اعتدال   مهفهف ماله عـــديل(٣)

قد خففت عطفه شمال   وثقلت [illegible] شمول(٤)

ثم انثنى راقصا بقــد   [illegible] إلى نحوه العقول

---

(١) النمام ، هنا : نوع من الزهر ، والإلمام : أصله الزيارة

(٢) النمام ، هنا : الواشي الذي يفسد ما بين المحبين

(٣) ماله عديل : ليس له نظير   (٤) الشمول : من أسماء الخمر

يجول ما بيننا بوجنته ... فيه ماء الحيا يجول

وتحسب الرقص منه عطفا ... حف به اللطف والدخول

معصمه داخل خفيف ... وردفه خارج ثقيل

وقال في مليح قلع ضرسه :

لحا الله الطبيب فقد تعدّى ... وجاء بقطع ضرسك بالمحال

أعاق الظبي في كلتا يديه ... وسلّط كلبتين على غزال

وديوانه الذي دوّنه بنفسه ثلاث مجلدات ، وكله جيد

وكانت وفاته في أوائل سنة خمسين وستمائة ، رحمه الله تعالى وعفا عنه !

(٢٤٣)

عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن[1] .

أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الدمشقي

شيخ الإسلام ، وبقية الأعلام ، الشيخ عز الدين ، السلمي ، الدمشقي ، الشافعي

ولد سنة سبع أو ثمان وسبعين وخمسمائة ، وتوفي سنة ستين وستمائة .

سمع من الخشوعي ، وعبد اللطيف بن إسماعيل الصوفي ، والقاسم بن عساكر ، وابن طبرزد ، وحنبل ، وابن الحرستاني ، وغيرهم ، وخرج له الدمياطي أربعين حديثاً عوالي ، روى عنه الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد ، والدمياطي ، وأبو الحسين اليونيني ، وغيرهم ، وتفقه على الإمام فخر الدين بن عساكر ، وقرأ الأصول والعربية ، ودرّس ، وصنف ، وأفتى ، وبرع في المذهب ، وبلغ رتبة الاجتهاد ، وقصده الطلبة من البلاد ، وتخرج به أئمة ، وله الفتاوى السديدة

---

(١) له ترجمة في شذرات الذهب ٥/٣٠١ وتاريخ ابن كثير ١٣/٢٣٥ وفي النجوم الزاهرة ٧/٢٠٨ وذكره الذهبي في وفيات ٦٦٠ وقال : توفي في جمادى الأولى عن ثلاث وثمانين سنة ، وله ترجمة مطولة في طبقات الشافعية الكبرى ٥/٨٠

وكان ناسكا ورعاً ، أمّاراً بالمعروف ، نهّاء عن المنكر ، لا يخاف فى الله لومة لائم

وولى خطابة دمشق بعد الدولعى ، فلما تملّك الصالح إسماعيل دمشق ، وأعطى الفرنج صفد والشقيف(١) ، ذمّه ابن عبد السلام على المنبر ، وترك الدعاء له ، فعزله وحبسه ، ثم أطلقه ، فخرج إلى مصر ، فلما قدمها تلقّاه الصالح نجم الدين أيوب ، وبالغ فى احترامه ، واتفق موت قاضى القضاة شرف الدين بن عين الدولة ، فولى بدر الدين السنجارى قضاء القاهرة ، وولى ابن عبد السلام قضاء مصر والوجه القبلى مع خطابة جامع مصر

ثم إن معين الدين بن الشيخ بنى بناءً على سطح مسجد بمصر ، وجعل فيه طبلخانة معين الدين ، فأنكر ذلك ابن عبد السلام ، ومضى بجماعته ، وهدّم البناء ، وعلم أن السلطان والوزير يغضبان ، فأسقط عدالة الوزير ، وعزل نفسه عن القضاء ، فعظم ذلك على السلطان ، وقيل له : اعزله عن الخطابة ، وإلا شنّع عليك على المنبر ، كما فعل فى دمشق ، فعزله ، فأقام فى بيته يشغل الناس ، وكان مع شدّته فيه حسن محاضرة بالنوادر والشعر ، وكان يحضر السماع ويرقص ويتواجد ، وأرسل له السلطان لما مرض ، يقول : عيّن مناصبك لمن تريد من أولادك ، فقال : ما فيهم من يصلح ، وهذه المدرسة الصالحية تصلح للقاضى تاج الدين ، ففوّضت إليه ، ولما مات شهد الظاهر جنازته والخلائق ، واختصر « نهاية المطلب » وله « القواعد الكبرى » و « القواعد الصغرى » و « مقاصد الرعاية » وغير ذلك

---

(١) صفد ـ بفتح الصاد والفاء ـ مدينة فى جبال عاملة المطلة على حمص بالشام ، وهى من جبال لبنان . والشقيف أرنون : قلعة حصينة فى كهف من الجبل قرب بانياس من أرض دمشق بينها وبين الساحل

والدنيا تقول في المثل . ما أنت إلا من العوام ، ولو كنت ابن عبد السلام .

ويقال : إنه لما حضر بيعة الملك الظاهر قال له : يا ركن الدين ، أنا أعرفك مملوك البندقدار ، فما بايعه حتى جاء من شهد له بخروج عن ملكه إلى الملك الصالح ، وعتقه ، رحمه الله تعالى ! ورضي عنه ! .

ولما كان بدمشق سمع من الحنابلة أذى كثيراً ، رحمه الله !

(٢٤٤)

رفيع الدين أبو حامد عبد العزيز بن عبد الواحد الجيلي القاضي

عبد العزيز بن عبد الواحد بن إسماعيل ، قاضي القضاة بدمشق ، رفيع الدين ، الجيلي ، الشافعي ، الذي عمل بالناس تلك الأفاعيل (١)

كان فقيهاً ، مناظراً ، متكلماً ، متفلسفاً ، قدم الشام ، وولي القضاء ببعلبك أيام صاحبها الصالح إسماعيل ، ووزيره أمين الدولة السامري ، فلما ملك الصالح دمشق ولاه القضاء بدمشق ، فاتفق هو والوزير المذكور في الباطن على المسلمين ، وكان عنده شهود زور ، ومن يدعي زوراً ، فيحضر الرجل المتمول إلى مجلسه ، ويحضر من يدعي عليه بألف دينار ، أو بألفين ، فينكر ، فيحضر الشهود ، فيلزمه ، ويحكم عليه ، فيصالح غريمه على النصف ، أو أكثر ، أو أقل ، فاستبيحت أموال الناس .

قال أبو المظفر بن الجوزي : حدثني جماعة أعيان أنه كان فاسد العقيدة ، دهرياً ، مستهزئاً بأمور الشرع ، يجيء إلى الصلاة سكران ، وأن داره كانت مثل الحانة

(١) له ترجمة في شذرات الذهب ٥/٢١٤ وفي النجوم الزاهرة ٦/٣٥٠ وذكر فيه ما كان يتهم به من سوء العقيدة ، وذكر أنه قتل من أجل ذلك ، وله ترجمة في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة — وكان معاصره — ٢/١٧١

قال الشيخ شمس الدين : سمى أنّ الناس استغاثوا إلى الصالح ، فخاف الوزير وعجل بهلاك كه ليمحو التهمة عنه

وقيل : إنّ السلطان كان عارفا بالأمور ، والله تعالى أعلم .

وقبض على أعوان رفيع وكبيرهم حسين بن الرواسى الواسطى ، وسجنه ، وعذبوا بالضرب والعصر والمصادرة ، ولم يزل ابن الرواسى فى العذاب إلى أن فقد

وفى ثانى عشر الحجة سنة ثنتين وأربعين وستمائة أخرج الرفيع من داره ، وحبس بالمقدمية ، ثم أخرج ليلا وسجن فى مغارة فى وادى الفرع ، وقيل ألقى من شاهق ، وقيل بل خنق

قال ابن واصل : حكى لى ابن صبح بالقاهرة أنه ذهب بالرفيع إلى شقيف أرنون[1] ، قال : فعرف أنى أريد أن أرميه ، فقال : بالله عليك دعنى أصلى ركعتين ، فأمهلته حتى صلاهما ، ثم رميته ، فهلك

ولما كثرت الشكاوى عليه أمر الوزير بكشف ما حمل إلى الخزانة ، وكان الوزير لا يحمل إلى الخزانة إلا القليل ، فقال الرفيع : الأمور عندى مضبوطة ، فخافه الوزير ، وخوّف السلطان من أمره ومن عاقبته ، فقال : أنت جئت به ، وأنت تتولى أمره ، فأهلكه الوزير .

وقال ابن أبى أصيبعة : كان من الأكابر ، والمتميزين فى الحكمة والطبيعى والطبّ ، وأصول الدين والفقه .

وحكى شمس الدين الجزرى أنه لما أرموه فى تلك الهوّة تحطم فى رجله ، وكأنه تعلق فى بعض حجر تلك الهوة ، فبقيا سمع أنينه نحو ثلاثة أيام ، وكلما مرّ يوم يضعف ويخفى ، حتى خمد صوته ، ورحمنا الله وإياه ، وأجارنا الله على حسن العاقبة

(١) انظر الحاشية ١ فى ص ٥٩٥ ، ووقع فى ب ، ت ، « شقيق أرنون » وصوابه ما ذكرنا

(٢٤٥)

شرف الدين
عبد العزيز بن
محمد الحموي

عبد العزيز بن محمد[1] بن عبد المحسن بن محمد بن منصور بن خلف ، الإمام ، العلامة ، الأديب ، الشاعر ، شيخ الشيوخ ، شرف الدين ، بن القاضي بن[2] عبد الله ، الأنصاري ، الأوسي ، الدمشقي ، الشافعي ، الحموي ، الصاحب ، ابن قاضي حماة .

ولد سنة ست وثمانين وخمسمائة بدمشق ، وتوفي سنة اثنتين وستين وستمائة .

رحل به والده ، وأسمعه جزء ابن عرفة من ابن كليب ، وأسمعه المسند كله من عبيد الله بن أبي المجد الحربي ، وقرأ كثيراً من كتب الأدب على الكندي ، وسمع من جماعة ، وبرع في العلم والأدب ، وكان من الأذكياء المعدودين ، وله مصنفات كثيرة ، وسكن بعلبك مدة ، وسكن دمشق مدة ، ثم سكن حماة ، وكان صدراً كبيراً نبيلا معظماً ، وافر الحرمة ، كبير القدر ، روى عنه الدمياطي وأبو الحسين اليونيني ، وابن الظاهري ، وقاضي القضاة بدر الدين بن جماعة ، وجماعة كثيرة .

قال الشيخ صلاح الدين الصفدي : لا أعرف في شعراء الشام بعد الخمسمائة وفيها مَنْ نظم أحسن منه ، ولا أجزل ، ولا أفصح ، ولا أصنع ، ولا أسرى ، ولا أكثر ، فإن له في كل يوم ما لا يلزم عدداً كبيراً ، وما رأيت له شيئاً إلا وعليه ، أو فيه من النكت والتوريات الفائقة ، والقوافي المتمكنة ، والتركيب العذب ، واللفظ الفصيح ، والمعنى البليغ ، فمن ذلك قوله :

غدوت فكنت شمسي في صباحي ... ورحت فكنت بدري في مسائي

وجدتك إذ عدمت وجود نفسي ... فهـــلا بالبقاء وبالفناء

فإن أغفيت كان عليك وقفي ... أو استيقظت كان بك ابتدائي

(١) له ترجمة في شذرات الذهب ٥/٣٠٩ وفي النجوم الزاهرة ٧/٢١٤ وذكر نسبه «عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن بن منصور» ثم قال «وقد استوعبنا ترجمة شيخ الشيوخ أوسع من ذلك في تاريخنا المنهل الصافي» وذكره الذهبي في وفيات ٦٦٢ وله ترجمة في طبقات الشافعية الكبرى ٥/١٠٨ (٢) كذا ، ولعله «ابن القاضي أبي عبد الله»

فيا سعدى [illegible] مادام سكرى ... علىّ وإن صحوت فيا شقائى
وقلت لصاحبى لما نحانى ... عليك عناك ولى عنائى(١)
أضلك سوء فهمك عن خطائى ... وأعماك الضلال عن اهتدائى
وهبت فكنت فى عينى [illegible] ... أخاطبه بألفاظ الهجاء
فلو أصبحت ذا [illegible] ... لما عنفت فى حاء وباء(٢)

وقال أيضا

ما ليس يعكس لفظه ... مثاله «قد نبل البندق»
وما [illegible] معكوسه ... عاد إلى صيغته «دمشق»

وقال أيضا رحمه الله تعالى

لائمى فى العشق مُخْطِى ... وعلىّ العشق محطى
مالكم [illegible] الهوى ... أسم [illegible] مشطى
لا تغطوا فى [illegible] الحدّ فقد جاوزت حطى
كم [illegible] ... وكشفتم ما [illegible]
[illegible] ... [illegible] فى الأمر محطى
خبرونى هل أحدثم ... [illegible] من تحت إبطى
[illegible] ... [illegible] وخطى
[illegible] قلبى ... منه فى قبض وبسط
[illegible] ... فى رضا منه وسخط
[illegible] فى هواه ... كل [illegible] رطى
يشهر [illegible] ... [illegible] حطى
[illegible] ... وعذار هو شرطى
أبدع الحسن به ما ... شاء من شكل ونقط

(١) [illegible] لامى ، [illegible] مأخوذ من قولهم « من تعرض لما لا يعنيه سمع مالا يرضيه » (٢) [illegible] صاحب حسن ، [illegible] : أى حب

مدّ أطراف بنان حسنها يقطع وسطى
ثم عاطانى سلافا مثلها من فيه يعطى
عتّقت عند شيوخ من شيوخ الدير شُمّطِ
فلها بذلى ومَنّى ولها حلّى ورَبطى
خَلّنى أفسد مالى فى الذى يصلح خلطى
مذهبى هذا الذى أفسق به صحبى ورهطى
وبه فاشهد على نطق وخذ إن شئت خطى

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

أنفت لبارقٍ من أضا على الأثلاث ذات الأضا
كنبض العرق ثم انبرى كإنباض رامٍ بدا أنبضا(١)
فذكرنى بالغضا جيرةً تولوا وأضحت كجمر الغضا
أساءوا لدهرى لى لمّ ذنوبٌ وماتوا الصدوق على الرضا
وطول فى حبهم لائمى معرّض فدى لما عرّضا
أى الدر فى كبدى ملتظ وفى جوفه الدمع ما حصحصا
روحى غزال بألحاظه وُعود بألحاظنا تُقتضَى
سقانى من ريقه خمرةً شفانى بها وبها أمرضا
رَنا وانثنى فقضى حسنه علىّ ولى وَطَرٌ ما انقضى
فمن قدّه ذابل مُشرَع ومن لحظه صارم مُنتضَى
أثنك وجداً لسان الصبى فيعجزنى الدهر أن أنهضا

(١) أنبض الرامى : جذب وتر القوس لتصوت، وأنبض بالوتر : جذبه ثم أرسله ليرن ، ويقال لمن يتنحل ما ليس من شأنه « إنباض من غير توتير »

وعمّم فودىَ وَخطُ لمشيب ... فسوّد حالى عنا بيضا
بعينى أقيك فسمْ وادعا ... وإن كان حسبى ما أغمضا
فرِدْنى صدوداً أرد صبوة ... وو حالة السخط لاق ارضا
أعد نظراً منك فى أمر من ... إبيمك مقاليدهُ فوّضا
وفاضَ على خدّه دمعُهُ ... مذهّبه بعد ما فضضا
وعاود أطرابه بعد ما ... نهى من شبيته ما مضى

وقال أيضا :

قرأت خط عذاريه فاطمعنى ... بواو عطف ووصل منه عن كَثَبِ
وأعربت لى نور الصدغ معجمة ... نامده عن نجح مقصودى ومُطلبى
حتى رأيا صدقت ملى لواحظه ... (والسيف أصدق أنباء من الكتب)[١]

وقال أيضا :

حيث تراءت بى الجهات ... فلى إلى وجهك التفاتُ
جيراننا بالوى أجيروا ... ولهان أودى به الشَّتات
إليكُمُ هجرتى وقصدى ... وفيكُمُ الموت والحياة
أمست أن توحشوا فؤادى ... فآنسوا مقلتى ولاتوا[٢]

وقال أيضا

سحاب مقشعرّه ... عن رياض مخضرّه
وغمام مبرقد ... ببرود ومجمّره
ترك الروض ناظراً ... بعيون محمرّه

---

(١) عجز هذا البيت صدر بيت لأبى تمام الطائى وهومطلع قصيدته التى مدح بها المعتصم حين فتح عمورية ، وعجزه فى كلامه :

* فى حده الحد بين الجد واللعب *

(٢) ولاتوا : أراد « ولا توحشوها »

وقال أيضا

هكذا ملتظى ودمع غريق ... هكذا هكذا يكون المشوق

تعشقوا عن حماك نفس كئيب ... كلّفت بالغرام ما لا تطيق

ما بالى الهوى حقوق عليكم ... بل لكم سادتى علينا الحقوق

مثلكم فى جمالكم ليس يلقى ... وعزائى بصبركم لا يليق

عقد لؤلؤ لمدامع فيكم ... ووفى لى دمع حكاه العقيق

فبعينى أبدى سيوف جفون ... لدى من جفون عينى ترشقُ

يا حبيبا به تصدى ودود ... رحبُ صدرِ الفضاء عنه يضيق

رقّ معناى فيك مذ كنت طفلا ... لست أدرى بكم يباع الرقيق

إنى رب عطفة بصدودى ... ولدائى هواك عبد رقيق

بهرت منك مقلتى عين شمس ... يتهادى بها قضيب وريقُ

فتعودت حاجبيك اقتناصى ... كل من قد أتاك للمشوق

وشغلت دا العذب منشغلى ... عن دروسى والضرب والتطبيق

وقال أيضا :

أمضيت عمرى فى دهر مكابدة ... طبع الهوى ...

تسعا وعشرين مذ للدهر شغلتها ... حتى وهبتم عشرا وتسعينا(١)

وقال أيضا :

أكلت ستا وأربعين سنينا ...

وخرت فى السبع ... ... كأنى ... على السبع(٢)

---

(١) فى ب « تسعا وعشرين هذا الدهر شعرا » تحريف

(٢) السبع فى صدر البيت العدد التالى للست ، والسبع فى دقة البيت الأسد

وقال أيضا :

مررت وبدره فى عقربيه | وصدّ فبان لى صِدقُ النِّجامه(١)
فديتك لو رأيتَ لهيب قلبى | إذن لرحمت قلبى وانسجامه
وخدك فى المدار بديع حسن | وأحسن منه سالفك فى حجامه

وقال أيضا :

ست عيون من زُيِّنتْ له | كانت له شافية كافية
العلم والدين والصحو والـــعزة والعفة والعافية

وقال أيضا :

سألته من ريقه شربة | أطفى بها من ظمأ حره
فقال أخشى يا شديد الظما | أن تتبع الشربة بالجره

وقال أيضا .

إن قوما يلحون فى حب سُعْدى | (لا يكادون يفقهون حديثا)(٢)
سمعوا وَصْفَها ولاموا عليه | ما أخذوا طيبا وأعطوا خبيثا

وقال أيضا

زعموا أننى هويت سواكم | كذبوا ما عرفت إلا هواكم
قد علمتم بصدق مُرْسَل دمعى | فَسَلُوهُ إن كان قلبى سلاكم
قال لى عُذَّلى متى صبر يرشـــد ونسلو فقلت يوم عماكم
حاولوا سلوتى بلومى فأغرو | نى فمن ذا بصدكم أغراكم
لا تعيبوا قلبى على حسن صبرى | أحسن الله فى اصطبارى عزاكم

---

(١) النجامة — بكسر النون — صناعة المنجمين ، وقوله « فبان صدق نجامة» تحريف

(٢) يلحون : يلومون . ونجز هذا البيت من قوله تعالى (فما لهؤلاء القوم لايكادون يفقهون حديثا)

وقال أيضا :

شرحت لوجدى فى محبتكم صدرا — وصبّرت من نفسى فلم أستطع صبرا

ومن ظن سلوانى عن البر والتقى — فإنى إلى الرحمن من ظنه أبرا(١)

فيا يوسف الحسن الذى مذ لقيته — سيارة من فكرى قلت يابُشرَى(٢)

لقد حل من قلبى بواد مقدس — ليقبس من قلبى الكليم به جمرا

لئن خوفتنى من تجنبه عذلتى — فإن مع العسر الذى زعموا يسرا

وقلت لعذالى ألم تعذروا الهوى — لقد جئتم شيئا بعذلكم نُكْرا

لعمرى لقد طاوعت زيدا بلوعتى — عليكم ، وما طاوعت زيدا ولا عمرا

شغفت عليل الشوق منه بزلة — فطوبى لمن يحظى به زلة أخرى

فلا تحمدوا السيف والسيل واعصروا — لأحبابه ترمى ومقلتى القَطْرى

ويا من يرى ذلى ويكسا اسمه — فمن قيصر عند الوصال ومَنْ كسرى

وأى عذول كان فى الحب عاذرى — فذاك الذى قد يسر الله لليسرى

حبيبىَّ هذا سقط اللوى قد بدا لنا — فلا نقطعه بل قف نبك من ذكرى

بدا فاسترق الدمع حسنه — فيا حل هذا حق للعين أن يُشرَى

وأذكر آيات الخليل عذارُهُ — لجنته الخضراء فى ناره الخضرا

تباعد مسرَى شامنا من حجازه — وقد زارنا ليلا فسبحان مَنْ أسْرَى

وقال أيضا

طاوعتكم فعصيتُ أمرى — وحفظتكم فأذعتمُ سرّى(٣)

وشغلت قلبى واللسان بكم — فى الحب عن زيد وعن عمرو

---

(١) أبرا : أصله أبرأ ـ بالهمز ، من البراءة ـ فسهل الهمزة بعدها ألفا

(٢) يشير بهذا إلى قوله تعالى فى قصة يوسف : (وجاءت سيارة ، فأرسلوا واردهم ، فأدلى دلوه ، فقال : يابشراى هذا غلام)

(٣) أذعتم سرى : نشرتموه بين الناس

لم تخف أشجاني ولا ظهرت … قضيت بين السر والجهر

جودوا على مقدار فضلكم … وذروا مكافأتي على قدري(١)

لا تعرضوا عني بعطفكم … من ذا بحالي غيركم يدري

ما في صباحي والمساء سوى … لولاك يا شمسي ويا بدري

وقف الهوى بي حيث أنت فلي … وجدا عليك مدامع تجري

ذرني ووجدي يا عذول فمن … كنى بهم قد كنت في الدر

أفنيت عمري في محبتهم … فلئن سلوتهم فواعمري

إن يبع بالأرواح وصلهم … فقد اشتريت بذاك السعر

وقال أيضاً :

خذ في وقارك واتركني ووسواسي … فليس في وهي في الحب من باس

إن أنت لم تقف بي في الغرام فقف … عني لأخرى إلى اللذات أمراسي

ولا تقيسني على من لا يشاكلني … فإن أمري شيء غير منقاس

قضيب آس تبدى مثمرا قمرا … وحدي افديه بأطيب من الآس

هيفاء معطف تغري برقتها … ويبرز أن أدمي قلبها القاسي

ماتت موسدة أنسي على يدها … عطفا وكانت تدي منها على راسي

وقال أيضاً :

السود عيل أم ظباء كناس … هدمت نفاي وأنت وسواسي(٢)

وغزال من بيت سرب … خلس النفوس بطرفه الخلاس(٣)

أشكو إليه وأين عن حاله … من ذلتي وعنده من إفلاسي

(١) ذروا : اتركوا ودعوا ، ومكافأتي : هو بتسهيل الهمز وتحقيقها ، كل صحيح

(٢) العيل : مسكن الأسود ، ووقع في ب « الأسود عند » تحريف غير مستساغ والكناس ـ بزنة الكتاب ـ مسكن الظباء

(٣) غزال : تصغير غزال ، وخلس النفوس : نهبها

ماذا ترى أذنبت في شرع الهوى حتى بليت بكل قلب قاسي

مولاي تذكر إذ تراني قائماً فيما أمرت وأنت من جُلاّسي

حُوشيت من نسيان عهد لم يزل يسليني الإيحاش بالإيناس

ولئن غدرت لقد وفت لك عبرتي والدمع منه خاذل ومُواسي

إن لم ترد فإذا مررت فقف بنا (ما في وقوفك ساعة من باس)(1)

يا صاح لا تخدع فما صحبتنا شيء سوى الأموات في الأرماس

فإذا المرء عصى عليك وليطع فخذ المدام ودع كلام الناس

لا تكدرنّ مسرة أزكى شربها في الدير بين القسّ والشمّاس

عنفتني فيما مضى وعذرت إذ نادمتني وشربت فضلة كاسي

هذا ولو أدركت فضلة شوقي قبلت رجلي أو خدمت راسي

وقال أيضاً

أقسمت ما خدّه القاني من الخجل أرق من دمعي القاني ولا غزلي(2)

أغنّ ألمى غضيضُ الطرف باطنه حلو من الكُحْلِ حلو من الكَحَلِ(3)

لأعذلن إنسانه يهوى وله حلو على قد منه معتدل

قد ماس غصناً ولكن غير مختصر واهتز رمحاً ولكن غير معتقل

يا نظرة ما جنتْ لي حسن طلعته حتى انقضت وأدامتني على وجل

عاتبتُ إنسان عيني في تسرعه فقال لي (خلق الإنسان من عجل)

يا عاذلي ليس مثلي من تخادعه وليس مثلك مسموع على عذَلي

ما دمت حلو قد بعثك متهما العشق وقولكَ مقبول عليّ ولي

---

(1) عجز هذا البيت صدر بيت لأبي تمام، وعجزه في كلامه:

* تقضي ذمام الأربع الأدراس *

(2) القاني: الشديد الحمرة

(3) الأغن: الذي له غنة حين يتكلم، والألمى: الوصف من اللمى، وهو سمرة في الشفة

وقال أيضاً :

سألت سوارها المثرى فنادى ... فقـــــيرٌ وشاحها: الله يفتح

لها طرف يقول: الحرب أولى ... ولى قلب يقول: الصلح أصلـح

(٢٤٦)

زكى الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد الواحد بن أبى الإصبع الأديب

عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر بن عبد الله بن محمد ، الأديب ، أبو محمد ، ابن أبى الإصبع ، العدوانى ، المصرى ، الشاعر المشهور ، الإمام فى الأدب[1].

له تصانيف حسنة فى الأدب ، وشعره رائق ، عاش نيفا وستين سنة ، وتوفى بمصر فى ثالث عشرى شوال سنة أربع وخمسين وستمائة .

ومن شعره :

تصدق بوصـلٍ إن دمعى سائلٌ ... وزود فؤادى نظرة فهْوَ راحلُ

حكتك بالخصـر مصحفا ناظرى ... فلا رحمتَ الهجرَ والهجرُ فاعل

وقال أيضا :

فديت التى يوم الوداع أودعت ... من اللفظ سمعى ساعة البين جوهرا

فلما انقضى زاد دمعى لبعـــدها ... ودمعتها هى اللآلى التى ترى

بكت وبدت نحوى فجرد لحظها ... من الجفن سيفا بالدموع مجوهرا

وقال أيضا :

من يذمّ الدنيا لمطـــلب فإنى ... بطريق الإنصـــاف أثنى عليها

وعظتـــنا بكل شىء لو أنا ... حين جادت بالوعظ من مصطفيها

نصحتنا لو أن ذا النصح نصــحا ... حين أبدت لأهلهـــا ما لديها

أعلمتنا أن المــآل تفانيـــنا ... للبلى حين حددت عصريها

---

(١) له ترجمة فى النجوم الزاهرة ٧ / ٣٧ وفيه «ولد سنة خمس - وقيل : سنة تسع - وثمانين وخمسمائة ، بمصر ، وتوفى بها» وله ترجمة فى شذرات الذهب ٥/ ٢٦٥

كم أرتنا مصارع الأهل والأحباب لو نستفيق بين يديها
ولكم بهجة نزهتها اغترت فأدمت بدمعة كفيها
أتراها أنفت على شيأٍ من قبل حين دلت حفيها
يوم بؤس بها ويوم رخاء فترود ما شئت من يوميها
وتيقن زوال ذاك وهذا تسل عن مأثرة من حاليها
دار زاد لمن تزود منها وغرور لمن يميل إليها
مهبط الوحى والمصلى التى كم عمرت صورة لم حديها
متجر الأولياء قد ربحوا الجنة فيها وأوردوا عينيها
زخرفت ثم زينت ليرى كل لبيب عقباه من حاليها
فإذا أصبحت حين أن تنقضى عينها البر من وسنها

وقال أيضا :

انتحب للقريب لفظا رقيقا كنسيم الرياض فى الأسحار
فإذا اللفظ رق شف عن المعنى فأبداه مثل ضوء النهار[1]
مثلما شفت الزجاجة حسنا فاحتوى لونها لون العقار

وقال فى قيم حمام :

وقيم كلمت حسنى أنامله بغير ألسنة تكليم خرسان
إن أمسك اليد منى كاد يكسرها أو سرح الشعر من فودى أدمانى[2]
فليس يغنيك إمساكا عمرته ولا سرح سرحا بإحسان

وقال أيضا :

جفتنى الليالى فاعتديت كأنى أفتش دهرى فى الترب عن نجم

---

(١) أبداه : أظهره وأبانه ، وفى ب « فأبداه » ولها وجه ، ولكنى ما أثبته موافقا لما فى ث أطرف

(٢) فى ب « إذ مسك »

أرانىَ لا يشفيك بجبىَ هابطًا ... تراه براه وبنا حَسْبُ المرجَمِ
فصرت إذًا قوسًا وعقلىَ راميا ... ورأىِ الذى أصمى الرمايا بمسهمى

وقال أيضا :

وساقٍ إذا ماصاحك الكأس قابلت ... وقتعها من ثغره اللؤلؤ الرطبا
خشيت وقد أمسى صحيبى على الدجى ... فأستبلَ دون الصبح من ثغره حُجُبا
وقسمت شمس الطاس بالكأس أنجما ... ويا طول ليلٍ شمسه قُسّمَتْ شُهُبا

وقال أيضا :

إذا ما سقانى ريقه وهو باسم ... (تذكرت ما بين العذيب وبارق)
ويذكرنى من قده ومدامعى ... (مجر عوالينا ومجرى السوابق)[1]

وقال أيضا :

أيا عَبْلَةَ الأرداف لحظك عنتر ... ومالى على غاراته فى الحشا صَبْرُ
سمات بإحسانه خنساء عصرنا ... وشاهد قولى أن قلبك لى صَخْرُ

وقال أيضا :

رأيت بفيـــه إذ تبسم أدمعا ... فقلت رثى لى إذ بكى فمه حزنا
أجادَ لَهُ فى النظم شاعر ثغره ... ولكنه من مقلتى سَرَقَ المعنى

وقال أيضا :

تبسم لما أن بكيت من الهجر ... فقلت ترى دمعى فقال أرى نثرى
فديتك لما أن بكيت تنظمت ... بفيك لآلى الدمع عقداً من الدر
فلا تدّعى يا شاعر الثغر صنعة ... فكاتبُ دمعى قال ذا النظمُ من نثرى

---

(١) عجز هذا البيت وعجز البيت قبله هما مصراعا بيت هو مطلع قصيدة لأبى الطيب المتنبى

(٢٤٧)

أبو محمد زكي الدين عبد العظيم ابن عبد القوي المنذري الحافظ

عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله بن سلامة بن سعيد، الحافظ، الإمام، زكي الدين، أبو محمد، المنذري، المصري، الشافعي[1].

ولد سنة إحدى وثمانين وخمسمائة غرة شعبان بمصر، وتوفي سنة ست وخمسين وستمائة.

قرأ القرآن على الأرتاحي[2]، وتفقه على أبي القاسم عبد الرحمن بن محمد القرشي وتأدب على أبي الحسين بن يحيى النحوي، وسمع من عبد المجيد[3] بن زهير وإبراهيم ابن البنيت ومحمد بن سعيد المأموني والمطهر بن أبي بكر البيهقي والحافظ ربيعة اليمني وأبي الجود غياث بن فارس والحافظ بن المفضل[4]، وبه تخرج وهو شيخه، وبمكة من يونس الهاشمي وأبي عبد الله بن البناء، وخرج لنفسه معجما كبيراً مفيداً، روى عنه الدمياطي وأبو الحسين اليونيني وإسماعيل بن عساكر وعلم الدين الدواداري وتقي الدين بن دقيق العيد وخلق كثير، ودرس بالجامع الظافري بالقاهرة مدة، ثم ولي مشيخة دار الحديث الكاملية، وانقطع بها نحواً من عشرين سنة، رحمه الله تعالى!

(٢٤٨)

جمال الدين عبد القاهر بن محمد التبريزي الخطيب

عبد القاهر بن محمد بن عبد الواحد بن محمد بن موسى بن القاضي، الخطيب جمال الدين، التبريزي، الحراني، الدمشقي، الشافعي[5].

مولده في نصف شعبان سنة ثمان وأربعين وستمائة بحران، ونشأ واشتغل بدمشق، وتفقه على الشيخ شمس الدين، ذكر لي قال: ماتت أمي ابنة عشرين سنة، وكان أبي تاجراً ذا مال، فقدم أبي إلى دمشق وأنا ابن ست سنين، فمات

(١) له ترجمة في شذرات الذهب ٥ / ٢٧٧، وفي النجوم الزاهرة ٧/٦٣ وفي تاريخ ابن كثير ١/٢١٢، وانظر تاريخ ابن الوردي ٢/٢٠٠، وفي طبقات الشافعية ٥/١٠٨ وفيها «سلامة بن سعد» بدون ياء (٢) في الطبقات «الأرتاحي»

(٣) وفيها «عبد المجيب» (٤) وفيها «بن المفضل»

(٥) لم أعثر له على ترجمة فيما بين يدي الساعة من كتب الرجال

وكفلني عمي عبد الخالق ، ورجع بي إلى حرّان ، وباع أملاك أبي بثمانين ألفاً ، وردني إلى دمشق ، فقال لي يوماً : امض بنا نتفرج ، فمضى بي نحو ميدان الحصى وفرج بي ، ثم نهض على مخنقي ، فخنقني ، ورماني في حفرة ، وطمّ عليّ المدَرَ والحجارة ، فبقيت كذلك ثلاثة أيام ، فلما كان في اليوم الرابع مر بي رجل صالح كان برباط الإسكاف عرفته بعد ذلك بثلاثين سنة نزل من الصالحية وهو يحمل ابن شواش وهو تلو ، ثم إلى القطائع ، فجلس يبول ، وأنا أحرك رجلي ، فرأى المدَرَ يتحرك ، فظنه حية ، فقلب الحجر ، فمدت رجلي في خف بلغاري فاستخرجني ، فقمت أعدو إلى الماء ، فشربت من شدة عطشي ، ووجدت في خاصرتي ضرراً من الحجارة ، وفي رأسي شجا ، وأثر ذلك ، ودخلت البلد إلى إنسان أعرفه ، فمضى بي إلى ابن عم لنا وهو الصدر الخجندي ، وكان مختفيا بالصالحية ، وله غلامان يخدمانه ويطعمانه ، اختفى لأمور حدثت منه أيام هولاكو فبقيت مدة لا أخرج ، ونمت وحفظت القرآن ، ومررت بعد مُدّة بالدماس ، فرآني عمي فقال : هاه ، خال ؟ امش بنا إلى البيت ، فما كلمته ، وتغير لوني ، وكان معي رفيقان فقالا لي : مالك ؟ فسكت وأسرعت ، ثم رآني مرة أخرى بالجامع ، ثم خاف من عاقبتي ، فأخذ أموالي ودخل إلى اليمن ، وتقدم عند صاحبها ، ووزَرَ له ، ومات في تلك البلاد عن أولاد ، وأما أنا فإني جودت الختمة على الشيخ الزواوي ، وتفقهت على النجم الموغاني ، وترددت إلى الشيخ تاج الدين ، ثم قد رأيت القصة عن ابن الصائغ ، اهـ كلام الشيخ شمس الدين .

قال الشيخ صلاح الدين الصفدي : هذا القاضي جمال الدين جاء إلينا إلى صفد قاضيا من جهة جمال الدين الزرعي ، وأقام أشهراً ، فلما تولى القاضي جلال الدين عزله ، ثم توصل ودخل عليه فولاه ثم عزله ، وقرر له مرتبا يأخذه ولا يتولى الأحكام ، فلما توجه قاضي القضاة جلال الدين إلى الشام وتولى عز الدين بن جماعة ولاه قضاء دمياط ، فلم يزل بها حاكما إلى أن مات في سنة

أربعين وسبعمائة ، وكان فصيح العبارة ، مليح الشكل ، أحمر الوجه ، مستديره . منور الشيبة ، عذب الكلام ، ينظم نظما عذبا مُنْسَجِما ، وعمل مجلدة حطب ، ومن شعره فى الشبابة رحمه الله تعالى وعفا عنه :

ناطقـــة بأفواه ثمـان ... تميل بعقل ذى اللب العفيف

لكل فم لسان مستعار ... يخالف بين تقطيع الحروف

تخاطبنا بلفظ لا نعيه ... سوى من كان ذا طبع لطيف

فصيحة عاشق ونديم راع ... وعزة موكب ومدام صوفى

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

جاءت تَهُز اختيالا ... قدَّ القضيب المنعم

تجر إذ خطاها ... أذيال مِرْطٍ مُسَهَّم

قد أعد الردف والخصـــر عار لطفا وأَنْهَمْ

يا ويح خصر شَقِيِّ ... من جور ردف منعم

وبات يلوى بصدرى ... حتى إذا الصبح أنجم

ودعته وهو يبكى ... ويمزج الدمع بالدم

فى موقف لو ترانا ... لكنت ترثى وترحم

(٢٤٩)

أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجانى النحوى

عبد القاهر بن عبد[١] الرحمن ، أبو بكر ، الجرجانى ، النحوى المشهور .

أخذ النحو عن أبى الحسين محمد بن على الفارسى ، وكان من كبار أئمة العربية ، صنف «المغنى» فى شرح الإيضاح» فى نحو ثلاثين مجلداً ، «والمقتصد» فى شرح الإيضاح» أيضا فى ثلاث مجلدات ، و «إعجاز القرآن» وكتاب عروض ،

---

(١) له ترجمة موجزة جدا فى النجوم الزاهرة ٥/١٠٨ وفى شذرات الذهب ٣/٣٤٠ وفى طبقات الشافعية الكبرى لابن السبكى ٣/٢٤٢

و « العوامل المائة » و « المفتاح » و « شرح الفاتحة » فى مجلد ، وله « العمدة » فى التصرف » و « الجمل » و « التلخيص » بشرحه ، وكان شافعى المذهب ، أشعرى الأصول ، مع دين وسكون .

توفى سنة إحدى وسبعين وأربعمائة[1] .

ومن شعره :

لا تأمن النفثة من شاعر ما دام حيا سالما ناطقا
فإن من يمدحكم كاذبا يحسن أن يهجوكم صادقا

وقال أيضا :

كبّرْ على العقل يا خليلى ومِلْ إلى الجهل مَيْلَ هائم
وكن حمارا تعشْ بخير فالسعد فى طالع البهائم

وقال أيضا :

أرح بالنين وخيبنا هيت شعرى ما قضى فينا
سرْ بالحول إذا ما انقضى وفى تقضـــيه تقضينا

(٢٥٠)

عبد القاهر[2] بن طاهر بن محمد بن عبد الله ، التيمى[3] ، أبو منصور ، الفقيه الشافعى .

أبو منصور عبد القاهر بن طاهر الفقيه الشافعى البغدادى

ولد ببغداد ، ونشأ بها ، وسافر مع أبيه إلى خراسان ، وسكنا بنيسابور إلى أن ماتا ، تفقه أبو منصور على أبى إسحاق إبراهيم بن محمد الإسفرائنى ، وقرأ عليه أصول الدين ، وكان ماهراً فى فنون عديدة ، خصوصا فى علم الحساب ، وله فيه تآليف نافعة . منها كتاب « التكملة »[4] وكان يدرس فى سبعة وعشرين فنا ،

---

(١) فى طبقات الشافعية « وقيل : أربع وسبعين وأربعمائة»
(٢) له ترجمة مطولة فى طبقات الشافعية الكبرى ٢٣٨/٣
(٣) فى الطبقات « التميمى »
(٤) هو كتاب فى الحساب كما فى كشف الظنون ٤٧١/١

وكان عارفا بالفرائض والنحو والشعر ، وكان ذا مال وثروة ، ولم يكتسب بعلمه مالا ، وأربى على أقرانه فى الفنون ، وحبس بعد أستاذه أبى إسحاق للإملاء فى مسجد عقيل ، فأملى سنين ، واحتف به الأئمة فقرأوا عليه ، مثل ناصر المروزى وزين الإسلام القُشَيرى .

وتوفى سنة عشرين وأربعمائة(١)، بمدينة إسفرائين، ودفن إلى جانب شيخه .

ومن شعره :

طلبتُ من الحبيب زكاة حُسْنٍ ... على صغر من العمر البهىّ

فقال وهل على مثلى زكاة ... على قول العراقىّ الزكىّ ؟(٢)

فقلت : الشافعىّ لنا إمام ... وقد فرض الزكاة على الصبىّ

وهذا مثل قول الأمير أبى الفضل الميكالى :

أقول لشادن فى الحسن فَرْدٍ ... يصيد بلحظه قلب الكمىّ(٣)

ملكت الحسن أجمع فى نصاب ... فأدِّ زكاة منظرك البهى

وذلك بأن تجودَ لمستهام ... برَشْفٍ من مُقبّلك الشهى

فقال : أبو حنيفة لى إمام ... يرى أن لا زكاة على الصبى

وتممها سيدنا ومولانا قاضى القضاة تقى الدين السبكى أدام الله أيامه بقوله :

فقل : اذهبْ إذن فاقبض زكاتى ... برأى الشافعى من الولى

فقلت له : فديتك من فقيه ... أيطلب بالوفاء سوى المَلِىِّ ؟

نصاب الحسن عندى ذو امتناع ... بلحظك والقوام السمهرى

---

(١) ذكر فى كشف الظنون ٤٧١/١ أن وفاته كانت فى سنة ٤٢٩ وكذلك ذكر فى ١٨٢٠/٢ (٢) العراقى : هو أبو حنيفة رحمه الله تعالى ورضى عنه

(٣) الشادن : ولد الظبية إذا ترعرع ، والكمى : الشجاع البطل المتكمى فى سلاحه : أى المتغطى

فإن أعطيتنا طوعاً وإلا أخذناه بقول الحنبلي(١)

ومن شعر أبي منصور رحمه الله تعالى :

شبابي وشيبي دليلا رحيلي فحسبي بذاك ودا من دليل
وقد مات مَنْ كان لي من عديل وحسبي دليلا رحيل العديل

وقال أيضاً :

يا سائلي عن قصتي دعني أمت في غُصّتي
المال في أيدي الورى واليأس منه حِصّتي

ومن تصانيفه : تفسير القرآن ، تأويل متشابه الأخبار ، فضائح المعتزلة ، الكلام في الوعيد ، الفاخر في الأوائل والأواخر ، إبطال القول بالتولد ، فضائح الكرامية ، معيار النظر ، تفضيل الفقير الصابر على الغني الشاكر ، الإيمان وأصوله ، الملل والنحل ، التحصيل في أصول الفقه ، الفرق بين الفرق ، بلوغ المدى في أصول الهدى ، نفي خلق القرآن ، الصفات .

---

(١) في ب ، ت وطبقات الشافعية « أخذناه بقول الشافعي » وقد تقدم ذكر مذهب الشافعي

* * *

قد تم – بعون الله تعالى وحسن تيسيره – مراجعة الجزء الأول من كتاب « فوات الوفيات » ويليه – إن شاء الله تعالى – الجزء الثاني ، مفتتحا بترجمة « عبد القادر الجيلاني » . نسأل الذي يصرف الأمور حسب مشيئته أن يعين على تمامه بمنه وفضله ! .

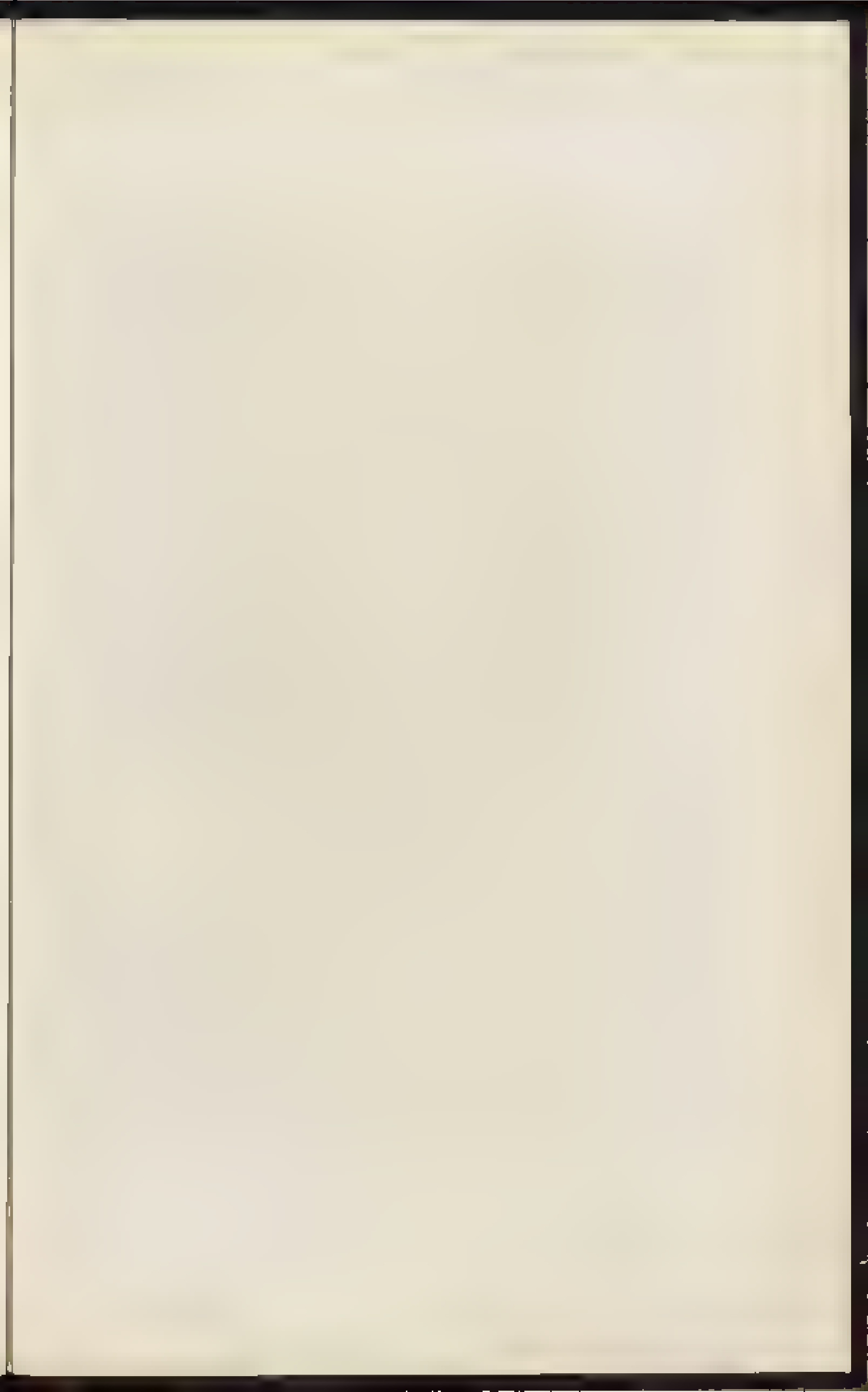

فهرس الجزء الأول من كتاب

«فوات الوفيات» لمحمد بن شاكر بن أحمد، الكتبي

* لما كان مؤلف هذا الكتاب لم يلتزم في تراجمه من ذكر سنة الوفاة فإنا ذكرنا ما عثرنا عليه مما تركه من سني الوفاة، وجعلناه بين معقوفين [ ] ووضعنا نجمة بجانبه

(٤٠ - فوات ١)

ص	رقم الترجمة	سنة الوفاة	صاحب الترجمة
٢٦	١٤	[٦٥١]	إسماعيل بن سلطان بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ، شرف الدولة، الأمير
٢٦	١٥	[٦٨٩]	إسماعيل بن علي بن محمد بن عبد الواحد، المعروف بابن عز القضاة، الشاعر
٢٧	١٦		إسماعيل بن علي، العين زربي، الشاعر
٢٨	١٧	٧٣٢	إسماعيل بن علي، الملك المؤيد، عماد الدين، أبو الفدا (صاحب التاريخ المشهور) صاحب حماة
٣٢	١٨	١٧٣	إسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة، المعروف بالسيد الحميري، الشاعر
٣٦	١٩	٥٠٠	إسماعيل بن محمد، المعروف بابن مكنسة، الإسكندراني
٣٧	٢٠	[١٥٤]	أشعب بن جبير، المدني، مضرب المثل في الطمع، خال الأصمعي
٤١	٢١	٦٤٩	إبراهيم بن سهل، الإسرائيلي، الشاعر
٤٩	٢٢	٦٩٣	إبراهيم الأرموي، الشاعر
٤٩	٢٣		إبراهيم بن علي، الحراني، المعروف بعين بصل، الشاعر
٥٣	٢٤	[٧٣٢]	إبراهيم بن عمر، الجعبري، شيخ حرم الخليل، الصوفي الشاعر
٥٣	٢٥		إبراهيم بن كيغلغ، الشاعر
٥٤	٢٦		إبراهيم بن لشكك، الشاعر
٥٤	٢٧		إبراهيم بن محمد بن طرخان المعروف بابن السويدي الطبيب
٥٥	٢٨	[٦٨٧]	إبراهيم بن معضاد
٥٥	٢٩		إبراهيم الحائك، غلام النوري، المصري
٥٧	٣٠		ظهير الدين، البارزي، الشاعر
٥٩	٣١	[٧٠٠]	أحمد، أبو جنك، الشاعر، معاصر ابن خلكان و ابن مالك
٦٠	٣٢		أحمد بن الدويق، الشاعر
٦٢	٣٣	[٦٢٢]	أحمد بن الحسن المستضيء بأمر الله بن يوسف المستنجد بالله، أمير المؤمنين، الناصر لدين الله
٦٢	٣٤	٧٢٦*	أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن الخضر المشهور بابن تيمية، تقي الدين، الحراني

(١) هكذا وقع هذا الاسم بين الأسماء المدونة بحرف السين المهملة

ص	رقم الترجمة	سنة الوفاة	صاحب الترجمة
٤٨٦	١٩١	١٣٦	عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، أمير المؤمنين، السفاح
٤٨٧	١٩٢	١٥٨	عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، أبو جعفر ، أمير المؤمنين ، المنصور
٤٨٨	١٩٣	٤٨٧	عبد الله بن محمد ، أبو القاسم ، أمير المؤمنين ، بن محمد الذخيرة ابن أبى العباس القائم بأمر الله
٤٨٩	١٩٤	٤٦٦	عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان، أبو محمد ، الخفاجى ، الشاعر ، الأديب
٤٩٣	١٩٥	٦٠٠	عبد الله بن محمد ، الأزدى ، المقرئ ، المعروف بالعطار
٤٩٤	١٩٦	٢٨٢	عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس ، القشيرى ، المعروف بابن أبى الدنيا
٤٩٥	١٩٧	٤٣١	عبد الله بن محمد بن يوسف ، أبو محمد ، الزوزنى ، الأديب
٤٩٦	١٩٨	٦٥٦	عبد الله بن منصور بن محمد بن أحمد بن الحسن ، أمير المؤمنين ، أبو أحمد ، المستعصم
٥٠١	١٩٩	٢١٨	عبد الله بن هارون ، أمير المؤمنين المأمون بن الرشيد بن المهدى
٥٠٥	٢٠٠	٢٩٦	عبد الله بن محمد بن جعفر بن محمد بن هارون، أبو العباس، أمير المؤمنين بن المعتز
٥١٢	٢٠١	٧٤٣	عبد الباقى بن عبد المجيد بن عبد الله ، تاج الدين، اليمنى ، المخزومى ، المكى
٥١٣	٢٠٢		عبد الجليل بن وهبون ، أبو محمد ، المرسى ، الملقب بالدمعة
٥١٦	٢٠٣	[٦٦٩]	عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن محمد (بن سبعين) أبو محمد ، المرسى
٥١٨	٢٠٤	٥٨١	عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حسين بن سعيد ، أبو محمد ، الأزدى ، المعروف بابن الخراط
٥١٩	٢٠٥	٦٥٥	عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن محمد (ابن أبى الحديد) عز الدين ، المدائنى ، الفقيه ، الشاعر

تمت فهرس الجزء الأول من كتاب « فوات الوفيات » لابن شاكر الكتبي ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وصلواته وسلامه على سيدنا محمد وآله

مطبعة دار الكتب المصرية
١٩٥١